نسخة جديدة منقحة

نفائس المحاضرات

جواهرُ عقيدةِ المُسلمينَ مُؤيَّدةٌ بالأدلَّةِ النَّقليَّةِ والعقليَّةِ

جمع وإعداد قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية
في الجمعية الإثيوبية الإسلامية للتعليم



اطلعَ على مضمونهِ وأقرّهُ آلافُ العلماءِ والدكاترةِ والمشايخِ والأساتذةِ

قرّظهُ كبارُ العلماءِ من بلادِ الحبشةِ والشامِ والمغربِ العربي وغيرِها

شركة دار المشاريع

نسخة جديدة منقحة

نَفَائِسُ المُحَاضَرَات

جَوَاهِرُ عَقِيْدَةِ المُسْلِمِيْنَ مُؤَيَّدَةً بِالأَدِلَّةِ النَّقْلِيَّةِ وَالعَقْلِيَّةِ

جمع وإعداد قسم الأبحاث والدراسات الإسلامية
في الجمعية الأثيوبية الإسلامية للتعليم

اطّلعَ على مضمونِهِ وأقرَّه
آلآفُ العلماء والدكاترة
والمشايخ والأساتذة

قَرَّظَهُ كبار العلماء من بلاد الحبشة
والشام والمغرب العربي وغيرها



الطبعة الثالثة

١٤٤٣ هـ ـ ٢٠٢١ م



بيروت ـ لبنان

العنوان: المزرعة، بربور، شارع ابن خلدون، بناية الإخلاص

تلفون وفاكس: ٣١١ ٣٠٤ (١ ٩٦١) ٠٠

صندوق بريد: ٥٢٨٣ ـ ١٤ بيروت ـ لبنان





email: dar.nashr@gmail.com

www.dmcpublisher.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصَّمدِ، الذي لم يلِدْ ولم يُولَدْ، ولم يكُنْ لهُ كُفُوًا أَحَدٌ، كانَ ولا مكانَ، كوَّنَ الأكوانَ ودبَّر الزمانَ، لا يتقيدُ بالزمانِ ولا يتخصَّصُ بالمكانِ، لا يُقالُ متى كانَ ولا أينَ كان، ولا كيفَ، تنزَّه ربي عنِ الشبيهِ والنظيرِ، وتعالى عن الشَّريكِ والوَزيرِ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[1].

والصلاةُ والسَّلامُ الأَتـمَّان الأَكملانِ، على سيدنا محمدٍ سيِّدِ ولدِ عدنانَ، المبعوثِ رحمةً للإنسِ والجانّ، هادِيًا ومُبَشّرًا ونَذِيرًا وداعيًا إلى الله بإذنِه قَمَرًا وهَّاجًا وسِراجًا مُنِيرًا، فبلّغَ الرسالةَ وأَدَّى الأمانةَ، صلَّى اللهُ عليه وعلى جميعِ إخوانِه من النبيّيْنَ والمرسلينَ وآلِه وأصحابِه الطَّاهرين وزوجاتِه أُمَّهاتِ المؤمنين ومن تبعَهُم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ وسلّم.

أما بعد فقد أَيَّد اللهُ هذا الدينَ بظاهرِ الحُجَجِ ولأْلَاءِ البَراهينِ، وجعلَ عُلَماءَ أمةِ محمد العامِلين مَصابيحَ الهدى ونجومَ السَّالكين المهتدين، رِجالًا أَعْلامًا يحفَظُونَه منَ الغَالِينَ وكيدِ الكائِدينَ، فكانوا ملاذَ الأُمَّة وجَلاءَ الغُمَّةِ وعِمادَ الدينِ.

وقد وصلْنا اليومَ إلى زمنٍ قلَّ فيهِ الاهتمامُ بأمرِ الدينِ تعلُّما وتَطْبيقًا ويَصْدُقُ

(١) سورة الشورى/ الآية ١١.

فيه قولُ الرسولِ الأعظم ﷺ: «**بَدَأَ الدِّينُ غَرِيْبًا وسَيَعُوْدُ غَرِيْبًا فَطُوبَى لِلغُرَبَاءِ**»[1] وهم الذين يُصْلِحُونَ ما أَفْسَدَ الناسُ، وقد تَفَشّى الفَسادُ شَرْقًا وغَرْبًا، فامتِثالًا لحديثِ رسولِ الله ﷺ «**الـمُتَمَسّكُ بسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيْدٍ**»[2] أبصر النورَ كِتَابُ «**نَفَائِسِ المحاضَرَاتِ**» حامِلًا في طَيَّاتِه خُلاصةَ العقيدةِ الحقَّةِ مَنصورةً بشواهدِها من كتاب وسنةٍ وإجماع، ذائدًا عن حِياضِها كُلَّ دَنَسٍ ورِجْس مُميِّزًا بينَ الاعتِدَالِ والتَّطَرُّفِ وبين الاقتصادِ والتَّعَسُّفِ، مُسْتقًى من هُدَى كُتُبٍ ورَسَائلَ وتعليقاتٍ وتحقيقاتٍ ومؤتمراتٍ ومراجعاتٍ لعلماءَ كبارٍ من أهـلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، الذين استَقَوا العلمَ من مَعِينِه واستَنْبَطُوهُ من عُيُونِه.

وكانَتْ أهميةُ محاضراتِ الكتابِ نابعةً من أهمّيَّةِ ما تناولتْه فقَدْ تَصَدَّرَ المحاضراتِ بيانُ القاعدةِ الشرعيةِ التي مشى عليها السَّلفُ والخَلَفُ، وهي أنَّ العلمَ لا يكونُ إلا بالتَّعَلُّم والتَّلَقّي من أفواهِ أهلِ العلم الثقاتِ وصدورِ العلماءِ الضَّابِطِينَ لا اعتِمادًا على مُجَرَّدِ مُطالَعَةِ الكُتُبِ التي تؤدّي بالشخصِ إلى الفسادِ والإِفسادِ في أمر المعاشِ والمعادِ، وتجعلُه غَارقًا في ظلامِ الحَيْرَةِ والخَبْطِ.

ولذلك نجِدُ العلماءَ حذَّرُوا ويُحذّرُون تحذيرًا بليغًا ممنْ يأخذُ عِلمَه اعتِمادًا على مُجَرَّدِ المطالعةِ، ويُعطون المسمّى «توما الحكيم» مثالًا للفساد الذي ينْشَأُ منْ ذلكَ فهو رجلٌ عملَ بالطّبّ بِناءً على المطالعةِ بكُتُبِ الطّبّ التي ورثَها مِنْ أبيهِ فماتَ على يدِه خَلْقٌ كثيرُون، ويروى أنه صحَّف «**الحبةُ السوداءُ شفاءٌ من كل داءٍ**»[3] إلى «الحيةُ السوداءُ شفاءٌ منْ كلّ داءٍ» بل وللزيادة في النكير عليه أنشَدُوا

(١) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. باب بدأ الإسلام غريبًا. ج٢ ص ١٣١٩.

(٢) الطبراني. المعجم الأوسط. ج٥ ص ٣١٥.

(٣) أحمد. مسند أحمد. مسند أبي هريرة. ج١٢ ص ٥١٧.

شِعْرًا على لسانِ حمارِه يقُولُون فيه: [مخلع البسيط]

قالَ حِمارُ الحَكيمِ تُوما لو أَنْصَفُوني لَكُنْتُ أَركَبْ
لأنَّني جَاهلٌ بَسِيْطٌ وراكِبي جَاهلٌ مركَّبْ

وما أجملَ قولَ الإمامِ أبي حَيَّانَ الأَندَلُسِيّ في هذا المقامِ حيثُ قالَ: [الوافر]

يَظُنُّ الغُمْرُ أنَّ الكُتْبَ تَهْدِي أخَا فَهْمٍ لإِدْرَاكِ العُلُومِ
ومَا يَدْرِي الجَهُولُ بأنَّ فِيها غوامضَ حيّرت عقلَ الفهيم
إذَا رُمْتَ العُلُومَ بغَيْرِ شَيْخ ضَلَلْتَ عن الصِّراطِ المستَقِيْمِ
وتَلْتَبِسُ الأُمُورُ علَيْكَ حتَّى تَكُونَ أَضلَّ مِنْ تُومَا الحكيمِ

وقد روى مُسلمٌ في مقدمةِ صَحيحِه عن محمدِ بنِ سيرينَ أنَّه قال «إنَّ هذَا العِلْمَ دينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينكُمْ»[1] اهـ.

ثُمَّ جاءَ الكلامُ على بيانِ معرفةِ الله وأَنَّها ليْستْ على سبيلِ الإحاطةِ بل بمعرفةِ ما يجبُ له وما يستحيلُ عليه وما يَجُوزُ في حقّه، كلُّ ذلكَ على ما قرَّرَتْه الأُمَّةُ، معَ بيانِ تنزيهِ الله عن مُشابهةِ المخلوقاتِ وتنزُّهِه عن الجِسميَّةِ وصِفاتِ الأجسامِ، مع وُقوفٍ علَى بيانِ معنى الـمُحْكَمِ والـمُتَشابِه ممَّا يُساعِدُ في فهمِ الآياتِ الـمُتَشَابهاتِ وعدمِ أخذِها على الظاهرِ بل ردّها إلى الآياتِ المحكَماتِ.

ثُمَّ من بابِ **التَّعاوُنِ على الأمرِ بالمعْرُوفِ والنَّهي عن المنكرِ** كانَ لا بُدَّ منْ التَّعْرِيْفِ بأبرزِ الفِرَق الحائدةِ عن سويّ المنهجِ التي ألصَقَتْ نفسَهَا بأَهْلِ السُّنَّةِ عنْ زورٍ لا عن نورٍ، وتفنيدِ أقوالهم وإبطالِ مزَاعِمِهم؛ فجاءَ التعريفُ بابنِ تيمية

(١) مسلم. صحيح مسلم. المقدمة باب في أن الإسناد من الدين. ج١ ص ١١.

وابنِ عبدِ الوَهَّابِ تحذِيْرًا من عقيدتِهما التَجْسِيميَّة وتحْذِيرًا من أتباعِهما واتباعِهما معَ الإضاءَةِ على المسائلِ التي خالفوا فيها الحقَّ كجعلهم التوحيدَ ثلاثةَ أنواعٍ، وادعائِهم أنَّ مُجَرَّدَ التَوسُّلِ والتَبَرُّكِ والاستِعانَةِ والاستِغاثَةِ والزّيارَةِ لقبُورِ الأنبياءِ والصَّالحينَ شِرْكٌ لكونِه عبادةً لغيرِ الله والعياذُ بالله، فكانَ الردُّ بالحُجَّة والبُرهَانِ مؤيَّدًا بالكتابِ والسُّنَّة وأقوالِ العُلَماءِ، وبمثلِ ذلك أتى الرَّدُّ على فِرَقٍ أُخْرَى تَدَّعِي الإسلامَ لفْظًا وهي مُنَاقِضةٌ للإسلامِ معنًى كحِزْبِ التَّحريرِ وحِزْبِ الإخْوانِ والقَدَرِيَّةِ والحُلُولِيَّةِ.

والتحذيرُ من هؤلاءِ وأمثالهم ولَو كانَ بذكرِ الأسماءِ ليسَ منَ الغيبةِ المحرَّمةِ بلْ هو منَ **التَّحذيرِ الشَّرعي الواجبِ** فإذَا كانَ النبيُّ ﷺ قالَ لبائع الطَّعامِ الذي أخفَى أنهُ قدْ أصابَ بُرَّه المطرُ «**مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنّي**»[(١)] وقالَ للصَّحابيَّةِ التي استَشَارَتْهُ في قَبُولِ أو رفض خطبتِها من معاويةَ أو أبي جهم «**أمَّا أبو جَهْمٍ فَلا يَضَعُ عَصَاه عنْ عَاتِقِهِ وأمَّا مُعاويةُ فَصُعْلُوكٌ لا مالَ لهُ انكِحِي أسامةَ بن زيدٍ**»[(٢)] فالتَّحذِيرُ ممَّنْ يَغُشُّ الناسَ في الدينِ أولى وأعظم. بل قد وردَ عنه ﷺ أنهُ قالَ عنْ رجُلَينِ يعيشانِ في المدينةِ «**مَا أَظُنُّ فُلَانًا وفُلَانًا يَعْرِفَانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا**»[(٣)].

فيَتَبيَّنُ مما تقدَّم أن ذلكَ جائزٌ لا بأسَ بهِ بل هو من الواجباتِ وليسَ شقًّا للصفّ فاللهُ خَصَّ الاعتصامَ بحبلِه حيثُ قال: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ** ﴾[(٤)] ولم يطلق الأمرَ ليكون الاجتماعُ ولو على ما يخالف حبلَ الله.

---

(١) مسلم. صحيح مسلم. باب قول النبي ﷺ «من غشنا فليس منا». ج١ ص ٩٩.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. باب المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها. ج٢ ص ١١١٤.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. باب ما يكون من الظن. ج٨ ص ١٩.

(٤) سورة آل عمران/ الآية ١٠٣.

ولا ينبغِي الاغترارُ بالشَّهاداتِ والألقابِ بل العبرةُ بإصابةِ الحقّ، فالرجالُ يُعرَفُونَ بالحقّ وليس الحقُّ يُعرَفُ بالرجالِ، فكم وكم من أُنَاسٍ ترقَّوا مناصبَ ليسُوا أهلًا لها فكان في ذلك فسادٌ وإفسادٌ، وأتوا بفتَاوى ما أنزلَ الله بها من سلطانٍ، وذلك مصداقُ أحاديثِ رسولِ الله ﷺ التي منها قوله: «**إنَّ اللهَ لا يَقبِضُ العِلْمَ انتزاعًا يَنْتَزِعُهُ مِن العِبادِ ولكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَماءِ حَتَّى إذَا لم يبقِ عالِـمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالًا فسُئِلوا فَأَفْتَوْا بغَيرِ عِلْمٍ فَضَلُّوا وأَضَلُّوا**»[1].

هذا وقد تنَاولت المحاضراتُ أيضًا بيانَ صفاتِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسَّلامُ وبيانَ عِصمتِهم وأنَّ دينَهم دينٌ واحدٌ منْ أولهم آدمَ إلى آخرِهم محمدٍ وهُو دينُ الإسلامِ الدينُ الذي رضيَه اللهُ لعبادِه وأمرَهُم باتّباعِه ومنْ يبتغِ غيرَه دِينًا فلَنْ يُقْبلَ منهُ وهُو في الآخرةِ من الخَاسِرينَ.

وقد حظِيَ الكتابُ بعنايةٍ خاصَّةٍ حيثُ كانَ زبدةَ محاضراتٍ ألقَاهَا علماءُ ودكاترةٌ ومشايخُ وأساتذةٌ لنصرةِ هذهِ العقيدةِ وبيانِ الفِرَقِ التي انحرَفَتْ عن منهجِ الفِرْقةِ النَّاجيةِ ففيهِ مِيزَانٌ للمُستَرشِدِ وردٌّ على شُبَهِ المجسّمةِ والقُطْبِيَّةِ والقَدَرِيَّةِ ونحوِهِم، وقَد دُرّس مئاتِ المراتِ وأُلْقِيَ على مسامعِ الكثيرِ الكاثرِ من طُلَّابِ علمٍ وعلماءَ في عددٍ من البلادِ الإسلاميةِ على امتدادِ المعمُورةِ لا سيَّما في بلادِ الحبَشةِ فلاقَى استِحْسَانًا عظيمًا وتُلُقّيَ بالقَبُولِ بل وقدْ تقرَّرَ تدرِيسُه في عشراتِ المعاهدِ الشَّرعيَّةِ، وعُقِدَتْ له مُؤْتَمراتٌ منها ما حضرهُ ما يربُو على مائةِ شيخٍ وعالمٍ ورأَوا فيه مَرجِعًا تُستَقَى منهُ التوصياتُ وتقتَبسُ منْ نورِه الإرشاداتُ.

فمن اطَّلعَ عليه وجدَهُ **بغيةَ الطَّالبِ**، و**دليلَ السَّالكِ**، حوى لآلئ العِلم

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. باب كيف يقبض العلم. ج١ ص ٣١.

ودُررَ الضَّوابطِ وجواهرَ الإيْضَاحاتِ ونفائسَ التعليقاتِ والنقولِ، فكان ملجَأ لكلّ حريصٍ على الدينِ لما فيه من بيانِ عقيدةِ المسلمين مع الأدلةِ والبراهين.

نعم لم يكن التركيز فيه على السبك من الأولويات، فقد يجد القارئ فيه تفاوتًا وتغايرًا في الطريقة، والسبب في ذلك أن الاعتماد كان على تعداد المسائل والنقاط التي تعنى في كل موضوع، مع الإكثار من نقول العلماء التي قد تختلف درجاتها وطرائقها بين عالم وآخر، بل قد اشتركت بعض المحاضرات في بعض النقاط وأحيانًا النقول لكون ذلك مما يناسب الموضوع.

وقد أشرفتْ على طباعتِه «**الجمعيةُ الإثيوبيةُ الإسلاميةُ للتعليم**» وهي جمعيةٌ إسلاميَّةٌ تعليميَّةٌ وطنيَّة، وهي امتدادٌ لمدارس علماءِ الحبَشَةِ الذين سَارُوا على هديِ النبيّ ﷺ وقد تأسَّستْ تحت شعارِ «**طريقُنا علمٌ وعملٌ منهَجُنا صدقٌ واعتدالٌ**».

تستَقِي منهَاجَهَا من كتابِ الله عزَّ وجلَّ وسُنَّةِ نبيّه ﷺ وما قرَّرَه علماءُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ في العقائدِ من أشعريةٍ وماتُريديةٍ، وفي الفقهياتِ من حنفيةٍ ومالكيةٍ وشافعيَّةٍ وفضلاءِ الحنابلةِ فلا تتبع منهجًا جديدًا ولا فِكرةً مستَحْدَثَةً، بل هي تَنْتَهِجُ منهَجَ الوَسَطِيَّةِ والاعتِدَالِ اعتقادًا وممارسةً، وترى في التَّطَرُّفِ والغُلُوّ في الدين خطَرًا كبيرًا يهدّدُ الأفرادَ والأُسَرَ.

وهي جمعيَّةٌ ترفُضُ المنهَجَ التَّكفِيرِيَّ الشُّمُوليّ للأُمَّةِ، ولا تستحِلُّ اغتيالَ رِجَالاتِ الحُكُومَةِ لمجردِ أنَّهُم يحكُمُونَ بالقَانونِ، ولا تَستَبيحُ دماءَ الشُّيُوخِ والنِّساءِ والأطفالِ لأجلِ أنَّهم يعيشُونَ في هذهِ الدُّوَلِ، وهي بريئَةٌ منْ هذهِ الفِئاتِ

التي تحمِلُ الفِكرَ المتَطَرِّفَ الهدَّامَ الظَّلاميَّ، كما أنَّها تحذِّر بالأدلَّةِ الشَّرعيَّةِ العِلْمِيَّةِ من تمدُّدِ هذا الفكرِ المتَطَرِّف الذي يدمِّرُ البلادَ والعبادَ، وترى أن الاعتدالَ هوَ طريقُ النجاةِ وصَمَّامُ الأمانِ في المجتمعات والأوطانِ.

كما أنَّها تؤمنُ بالتَّصوُّفِ الإسلاميّ النقيّ من الشوائبِ والبعيدِ كلَّ البُعدِ عن أدعياءِ التَّصَوُّفِ الذين شذُّوا في الاعتقادِ والممارساتِ والشعائرِ، وتهتمُّ بإحياءِ المناسَبَاتِ الإسلاميَّةِ كرأسِ السنةِ الهجريَّةِ والمولدِ النَّبَويّ الشَّريفِ وذكرى الإِسْراءِ والمعراجِ والنِّصْفِ منْ شعبانَ وشهرِ رمضانَ المباركِ وعيدي الفطرِ والأضحى وموسمِ الحجّ.

هذا وإنَّا لنرجُو أنْ يكونَ هذا الكتابُ في ميزانِ حسناتِ كلّ منْ كانَ لهُ يدٌ في إتمامِه يومَ القيامةِ، يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليمٍ، وأنْ ينفعَ به طلابَ العلمِ إنَّه على ما يشاءُ قديرٌ وبعبادِه لطيفٌ خبيرٌ.

وقبلَ أوانِ الشُّروعِ في المحاضراتِ فإن مؤتمرًا قدْ أقيمَ في الحبشةِ حضرَه عددٌ كبيرٌ يربو على المائةِ من علماءِ أهلِ السنَّةِ من جميعِ نواحِي الحبشةِ وغيرِها فلخَّصُوا ما في هذا الكتابِ نَعْني كتابَ «**نفائس المحاضرات**» وأصدرُوا توصياتٍ كانتْ تأكِيدًا لمنهجِ الاعتدالِ ونبذِ التطرُّفِ والغُلُوّ، وثَمَّتَ في ما يلي وُرَيْقاتٌ تتضمَّنُ بيانَ هذه التوصيات، تلِيها صُوَرٌ اشتَمَلَتْ علَى أسماءِ بعضِ الحاضرينَ لهذا المؤتمرِ مع توقيعٍ على مُوافَقَتِهم على ما جاءَ في التَّوصِياتِ. واللهُ وليُّ الأمرِ والتَّدْبيرِ.

بسم الله الرحمن الرحيم
توصيات المؤتمر الأول لعلماء أهل السنة والجماعة في أثيوبيا

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف المرسلين، وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد، فقد انعقد المؤتمر الأول لعلماء أهل السنة والجماعة في أثيوبيا، في راس أوتيل، في مدينة أديس أبابا، يومي الاثنين والثلاثاء ٢٦-٢٧/ شعبان/ ١٤٣٣ الموافق ١٦-١٧/ يوليو/ ٢٠١٢، وخرجوا بالتوصيات والمقترحات الآتية بالإجماع:

1. يوصي المجتمعون السادة العلماء بالتمسك بعقيدة أهل السنة والجماعة، وعدم التزحزح عنها مهما كانت الأحوال والأسباب.
2. عدم الانجرار إلى أي تأثير من الوهابية سواء كان بالمال أو المنصب أو غير ذلك من المغريات.
3. تأكيد السادة العلماء في دروسهم ومحاضراتهم أن الأشعرية والماتريدية هم أهل السنة، وأنهم هم جمهور الأمة المحمدية.
4. اتخاذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتحذير من الوهابية طريقة ينتهجها كل عالم سني.
5. تحذير المشايخ طلابَهم من الوهابية وأن لا يسكتوا لهم إذا رأوهم يبثون عقائدهم بين الناس.
6. بذل السادة العلماء قصارى جهودهم في نشر عقيدة أهل السنة والجماعة، والتحذير من الوهابية، لطلابهم وغيرهم من الناس.
7. بذل الجهود لتأهيل أشخاص لاستلام المساجد والتدريس في المراكز الإسلامية.
8. الاعتناء بإقامة الاحتفال بمولد النبي ﷺ.

9. بذل الجهود لإيقاف الموارد المالية للحركة الوهابية المتطرفة، وكافة مؤسساتها ومنظماتها المنحرفة.
10. إقامة اجتماع دوري لعلماء كل إقليم، ليتابعوا تنفيذ التوصيات والوثيقة.
11. إقامة نشرة دورية تشتمل على بيان عقيدة أهل السنة والجماعة، والتحذير من التطرف والمتطرفين، تصدر باسم علماء أهل السنة والجماعة في أثيوبيا.
12. إقامة مركز لتوثيق وجمع كتب علماء أثيوبيا المخطوطة لحفظها، لأن الوهابية تسعى إلى حرقها وإتلافها.
13. وضع خريطة لكافة مقامات الصالحين المشهورة في أنحاء أثيوبيا لحفظها ومنع الوهابية من تهديمها.
14. تدوين أسانيد علماء أهل السنة والجماعة، وإصدارها في كتيب خاص، لتظهر عقيدة قدماء مشايخ أثيوبيا وتاريخهم في البلاد، واتصال سند مشايخ أهل السنة المعاصرين بهم، وأن الوهابية جماعة شاذة جاءت بدين جديد، طرأت في بلادنا لأغراض مشبوهة.
15. بذل الجهود لبناء كليات شرعية إسلامية سنية لتخريج رجال دين يتسلمون الخطابة والتدريس في المساجد وغيرها من المؤسسات الدينية.
16. تأسيس مركز للأبحاث والدراسات لمكافحة التطرف على نهج أهل السنة، لتحصين المجتمع بفئاته من التطرف.
17. عدم تمكين أي وهابي من الوصول إلى مواقع القرار الدينية والرسمية، لأن ولاءهم لم ولن يكون يومًا لحكومتهم ودولتهم.
18. عدم تمكين أي وهابي من الوصول إلى مواقع التأثير على الجماهير، لأن

فيه إتاحة مجال لهم تحت عنوان التسامح والتآخي والانفتاح والحرية والديمقراطية، لأنهم يهددون الصالح العام وأمن الأمة.

19. منع شباب أثيوبيا من دراسة العلوم الشرعية في جامعات ومدارس الوهابية في البلاد التي تنتشر فيها.
20. عدم قبول أي مال تدفعه الوهابية وأعوانهم لأي كان، إن كان تحت اسم الهدية أو غيرها.
21. منعهم من التأثير على عوام الناس بتوزيع لحم الأبقار أو غيرها تحت اسم الصدقة والإحسان.
22. ضبط رحلات الحج المجانية التي تقيمها الوهابية، لأنها نوع من أنواع التأثير.
23. منعهم من نشر كتبهم التي تحوي العقائد المنحرفة والدعوة إلى التخريب والتطرف.
24. منعهم من بناء أي مركز أو مقر لهم، ومن السيطرة على المؤسسات والمدارس الإسلامية.
25. منعهم من الخطابة والإمامة والأذان والإقامة وإلقاء الدروس في أي مسجد من مساجد أثيوبيا.
26. شد أواصر العلاقة بين جميع علماء أهل السنة والجماعة في أثيوبيا، لا سيما في البلد الواحدة ورصّ صفهم، حتى لا ينفرد الوهابية بالواحد منهم تلو الآخر.
27. دعوة الحكومة والرسميين لمزيد تيسير تعليم مشايخ أهل السنة والجماعة المبادئ الدينية السليمة للأثيوبيين لتحصينهم من التطرف والانحراف.
28. دعوة الحكومة لحماية مشايخ أهل السنة والجماعة وعائلاتهم

وتلاميذهم من أذى الوهابية.

29. ملاحقة رؤوس الوهابية العاملين على نشر الفكر التكفيري المتطرف.
30. منع أي نشاط للوهابية في الجامعات وسائر المؤسسات التعليمية.
31. منعهم من إقامة دورات لترويج مذهبهم وفكرهم الباطل تحت أي اسم كان، كتحفيظ القرءان أو تعليم اللغة العربية.
32. مراقبة الأساتذة المحاضرين في الجامعات والمدارس الذين تخرجوا من جامعات الوهابية.
33. إقامة دورات تعليمية لنهج أهل السنة في كافة أنحاء أثيوبيا لمختلف الفئات العمرية، كبارًا وصغارًا، وفي كيفية مكافحة التطرف.
34. العزم على عقد مؤتمر ثان لعلماء أثيوبيا، يحدد موعده لاحقًا، ينظر فيه ما تم من التوصيات، ويناقش مواضيع إسلامية اجتماعية أخرى.
35. استضافة مؤتمر دولي لعلماء الدول الإفريقية في العاصمة الأثيوبية، للتعاون على مكافحة التطرف وتبيين التعاليم الإسلامية السليمة.

نسأل الله أن يوفقنا للعمل بهذه التوصيات، وأن يتحقق ما فيه خير البلاد والعباد في أثيوبيا، بجاه النبي ﷺ والصالحين.

والله الموفق.

تلخيص ما مَرَّ

1. أن عقيدة علماء أثيوبيا هي عقيدة الأشاعرة والماتريدية.
2. أن علماء أثيوبيا يرفضون الفكر الوهابي، ويعتبرونه فكرًا متطرفًا مناقضًا للإسلام.
3. أن الشيخ عبد الله بن محمد الهرري الحبشي رضي الله عنه، أحد كبار علماء أثيوبيا.
4. أن منهج الشيخ عبد الله الهرري هو نهج من سبقه من كبار علماء أثيوبيا كالشيخ جمال الدين الآني، وحاج كبير، والشيخ داني الأول، والشيخ عمر الغلمسي، ومفتي الحبشة الشيخ محمد سراج الجبرتي، وشيخنا نور حسين، والشيخ محمد عبد السلام، والشيخ عيسى القطبري، والشيخ الأبريتي، والشيخ ألكسي.
5. أن الشيخ عبد الله الهرري تلقى علومه على كبار مشايخ أثيوبيا في زمانه.
6. أن الشيخ عبد الله الهرري سني أشعري ماتريدي صوفي.
7. أن ما دعا الشيخ عبد الله الهرري إليه من التزام عقيدة أهل السنة والجماعة ونبذ التطرف موافق لما سمعناه وتلقيناه عن مشايخ أثيوبيا الأقدمين.
8. أن طلاب الشيخ عبد الله الهرري داعون إلى الخير، يردون إلينا الجميل في نشر العلم الذي تلقاه شيخهم عن علماء أثيوبيا.
9. أن افتراءات الوهابية على الشيخ عبد الله الهرري وزعمهم أنه يخالف المسلمين هو من كذبهم المعروف الذي لا يعتمد عليه.
10. أن علماء أثيوبيا يقرون الرسالة التي طبعت بعنوان حقيقة الشيخ عبد الله الهرري وصدَّق عليها المجلس الفدرالي الأعلى لشؤون

المسلمين.

11. أن علماء أثيوبيا يقرون كتاب عقيدة المسلمين الذي صدَّق عليه الأزهر الشريف.
12. أن علماء أثيوبيا وبعد اطلاعهم على كتب الشيخ الهرري مجمعون على أنها كتب نافعة مفيدة، كثيرة العلم، فيها عقيدة النبي ﷺ وصحابته، ولا مانع من تدريسها ونشرها.
13. أن علماء أثيوبيا يعتبرون نشر كتب ابن تيمية وابن قيم الجوزية وأتباعهما الوهابية من أكبر أسباب نشر عقيدة التشبيه الفاسدة، وبث الفكر المتطرف، الداعي إلى تخريب البلاد والعباد، ويرون أنه يجب المنع من نشرها.
14. أن علماء أثيوبيا يدعون إلى ضبط المؤسسات التربوية لحفظها من الفكر الوهابي المتطرف، لتأمين التعليم السليم والنشأة الصالحة لشبابنا، ولتحصينهم من الانحراف والشذوذ.
15. أن علماء أثيوبيا يدعون إلى ضبط المؤسسات الإعلامية ودور النشر والمطابع، للحد من نشر الكتب الداعية إلى التطرف والخراب.
16. أن علماء أثيوبيا مجمعون على أنه ينبغي منع تنصيب أي وهابي متطرف في أي منصب ديني.

ونحن معاشر علماء أهل السنة والجماعة في أثيوبيا، متفقون على كل ما ذكرناه في هذه الوثيقة، داعون المسلمين إلى التمسك بها، وإلى نشرها في كافة أرجاء أثيوبيا، ليتميز الحق من الباطل، والغث من السمين، والطيب من الخبيث.

اللهم إنا قد بلغنا فاشهد، اللهم إنا قد بلغنا فاشهد، اللهم إنا قد بلغنا فاشهد.

والله نسأل أن يثبتنا على العقيدة الحقة، وينصرنا على أعداء الله من وهابية

وغيرهم، وأن يعم الأمن والسلام في أرجاء أثيوبيا جميعها، بجاه الأنبياء والمرسلين وعباده الصالحين.

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

أسماء العلماء الأفاضل الموقعين على وثيقة وتوصيات المؤتمر الأول لعلماء أهل السنة والجماعة

في أثيوبيا [illegible]

١٧ -يوليو-٢٠١٢

ت	الاسم	الإقليم	المحافظة	التوقيع
1	أحمد الدين شيخ عثمان جوهر	دبوب	كوليتو	
2	محمد بن محمد سراج	التغراي	مايتشو	
3	ءادم نور علي	التغراي	مايتشو	
4	عبد الله بن علي محمد	التغراي	زوباماتشو	
5	شعيب محمد كامل محمد شافي	التغراي	مايتشو	
6	فاتح بن مهدي بن عز الدين	التغراي	مايتشو	
7	محمد ثاني بن الشيخ محمد ياسين	التغراي	أوفلا	
8	محمد رشاد عبد الله محمد	أوروميا	شرق عارسي	
9	محمد جوهر الحاج محمد	أوروميا	بالي	
10	عبد الحكيم حاج ولي خضر	أوروميا	بالي	
11	أحمد إبراهيم حسن	أديس	أقاكي قاليتي	
12	طه موسى علي	ديردوا	ديردوا	
13	أحمد محمد سعيد المشهور بأحمد عرفة	أمهرا	شمال ولو	
14	أحمد زين ياسين	أمهرا	جنوب ولو	
15	نور أديس بشرى حسن	أمهرا	شمال ولو	
16	نور محمد حسن	أمهرا	غندر	

17	حسين محمد داوتشا	أمهرا	جنوب ولو	
18	أمان كيراغو بوصيري	دبوب	غراغي	
19	خير الدين سليمان فؤاد (مفرح القلوب)	دبوب	غراغي	
20	محمد أمين بدر الدين سرور	دبوب	غراغي	
21	فتاح الدين محمود السدي	دبوب	ورابي	
22	منور علي مختار	دبوب	ورابي	
23	عبد الله محمد ءادم	بني شنغول	أسوسة	
24	كرار خليفة حمد النيل	بني شنغول	أسوسة	
25	إسحاق المرضي عبد الرحمن	بني شنغول	أسوسة	
26	ءادم موسى أحمد	بني شنغول	أسوسة	
27	العوض أحمد الحسين	بني شنغول	أسوسة	
28	با بكر أحمد محمد نور	بني شنغول	أسوسة	
29	شريف ثابت	الصومالي	جغجغا	
30	عبد الله ءادم المعروف بالخيرات	الصومالي	جغجغا	
31	عبد الصمد سادو قلتو	أوروميا	عارسي	
32	يوسف أحمد جابر	أوروميا	جمة	
33	مصطفى ءادم حسين حديدو	أوروميا	عارسي	
34	إسماعيل عبدي جارة تشولي	أوروميا	عارسي	

35	أبا جهاد محمد عبد الرحمن	أوروميا	جمة	
36	محمد علي أول بلاتشو	أوروميا	شمال شوا	محمد علي أول بلاتشو
37	محمد موسى نورو	أوروميا	عارسي	شيخ محمد موسى
38	خضر محمد أبان	أوروميا	جمة	
39	خليل أبا غنبل أبا جلتشا	أوروميا	جمة	
40	محمود عمر محمد	أوروميا	عارسي	محمود عمر
41	محمد ثاني عبد الرحمن أحمد	أوروميا	جمة	محمد عبد الرحمن احمد
42	محمد نور عمر أبا هرو	أوروميا	نازرت	محمد نور
43	حسن علي غبابا	أوروميا	يا بلو	
44	محمد الهادي عبد الجليل	أوروميا	شمال شوا	
45	عمر إمام عمر	أمهرا	دسي	الشيخ عمر بن امام
46	إبراهيم محمد ءادم	أمهرا	دسي	إبراهيم بن محمد
47	حامد علي وداي	أوروميا	تشيرو	شيخ حامد علي
48	محمد حسن غبابا	صومالي	ليبن	
49	أول لا لمده ءادم	أديس	أقاكي قاليتي	
50	عبد العزيز إبراهيم	التغراي	راية	عبد العزيز
51	علي محمد يوسف		هرر	
52	علي الخواص بن الحاج بوى	العفر		

53	نور الدائم بن الشيخ محمد أدل	تغراي		[illegible]
54	سعد محمد علي			[illegible]
55	الشيخ أحمد الأمين شيخ عبد الله			[illegible]
56	مفتي محمد عبد القادر			[illegible]
57	محمد إبراهيم عيسى	أديس أبابا		[illegible]
58				
59				
60				
61				
62				
63				
64				
65				
66				
67				
68				
69				
70				

ت	الاسم	الإقليم	المحافظة	التوقيع
71	نسيف الدين/عجائب/حسين	أديسو	كولفي	[signature]
72	حمزه/طه/تقي	//	ليبيريا	[signature]
73	مصطفى/محمد/موسى	//	أديسوكما	[signature]
74	علي/عبدالقادر/محمد	//	//	[signature]
75	أحمد/إبراهيم/قادر	//	أفالي	[signature]
76	تمام/سعيد/محمد	//	كولفي	[signature]
77	محمد/أول/زينو	//	أديسكما	[signature]
78	داود/إبراهيم/محمد	//	عُوللي	[signature]
79	داغو/بشير/بركة	//	ليبريا	[signature]
80	حسين/آنيسا/كوريتيا	//	//	[signature]
81	شمو/سرور/أحمد	//	//	[signature]
82	عبدو/إبراهيم/حسن	//	أديس كما	[signature]
83	نورو/إمام/زكي	//	//	[signature]
84	صالح/أحمد/محمد	//	//	[signature]
85	محمد/فقيه/علي	//	أرادا	[signature]
86	ياسين/آدم/يوسف	//	أديس كما	[signature]
87	مفتاح/محمد/آدم	//	أديس كما	[signature]
88	رضوان/محمد/داود	//	//	[signature]

ت	الاسم	الإقليم	المحافظة	التوقيع
89	خليفة/ عثمان/ محمد	أديس	كيركوس	[illegible]
90	سليمان/ عبدالله/ بُلُّوكو	//	بولي	[illegible]
91	صفا/ جمال/ سرور	//	كولفي	[illegible]
92	رَضِي/ شفا/ داود	//	//	[illegible]
93	ناصر/ أحمد/ عيسى	//	//	[illegible]
94	كمال/ حسن/ حسين	//	أقاقي كالي	[illegible]
95	سلطان/ عبدالله/ الغني	//	أديس كتما	[illegible]
96	رَضِي/ كمال/ إسحاق	//	غولّلي	[illegible]
97	مُدَثِّر/ رضي/ ليلاتو	//	يكى	[illegible]
98	نورو/ طه/ أحمد.	//	أرادى	[illegible]
99	زينو/ محمد/ يوسفا	//	أديس كتما	[illegible]
100	سفيان/ حسين/ الْمو	//	أقاقي كالي	[illegible]
101	محمد/ ولبيسو/ أشرو	//	أرادا	[illegible]
102	نصر/ ياسين/ خضر	//	أديس كتما	[illegible]
103	ياسر/ شافعي/ أزرغا	//	//	[illegible]
104				
105				
106				

المحاضرة الأولى

كيفَ يُؤخَذُ علمُ الدينِ
وأنَّ العلمَ بالتعلُّمِ لا بمُطالعةِ الكتبِ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلِهِ وصَحابتِهِ الطّاهرين

- قالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَن يُرِدِ الله بِهِ خيرًا يُفقّهْهُ في الدّينِ إنّما العِلمُ بالتعلُّمِ والفقهُ بالتفقّهِ**» أخرجَهُ البخاريُّ في الصّحيحِ[1].
- فمِنَ الواجبِ على المكلّفِ معرفتهُ واعتقادُهُ من أمورِ العقيدةِ[2] الإيمانُ باللهِ وبما جاءَ عنِ اللهِ، والإيمانُ برسولِ اللهِ وبما جاءَ عَن رسولِ اللهِ ﷺ، كمعرفةِ معنى الشهادتينِ وصفاتِ اللهِ الواجبِ معرفتُها وتنْزيهِهِ تعالى عمّا لا يليقُ بِهِ ونحوِ ذلكَ، وتصديقِ الرسولِ محمّدٍ ﷺ بكلّ ما جاءَ بِهِ عنِ اللهِ مِن أخبارِ الأممِ السّابقةِ والأشياءِ التي تحصلُ في البرزخ ويومِ القيامةِ أو تحليلِ شيءٍ أو تحريمِهِ ونحوِ ذلكَ، ومعرفةِ الأشياءِ التي تُخرِجُ منَ الإسلامِ كأنواعِ الكفرِ كيْ يجتنبَهُ.
- ومنَ الواجبِ معرفتهُ منَ الأحكامِ معرفةُ أحكامِ الصلاةِ مِن شروطٍ وأركانٍ

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل. ج١ ص٤٥.

(٢) «العقيدة لغة ما يدين الإنسان به». الفيومي. المصباح المنير. ص١٦٠. وشرعًا العلم الذي يُتكلم فيه على أسماء الله وصفاته وأفعاله وأحوال المخلوقين على قانون الإسلام لا على أصول الفلاسفة.

ومبطلاتٍ وأحكام الطهارةِ ونحوِ ذلكَ.

- قالَ محمّدُ بنُ سيرينَ الذي هوَ مِن كبارِ التابعينَ «إنَّ هذا العلمَ دينٌ فانظروا عمَّن تأخذونَ دِينكُم» اهـ رواهُ مسلمٌ في مقدّمةِ صحيحه[1]، أيِ انتبِهوا عمَّن تأخذونَ أمورَ الدينِ.

- أمورُ الدّينِ لا تُؤخذُ بمجرد المطالعةِ منَ الكتبِ لأنهُ قَد يكونُ في هذهِ الكتبِ التي يُطالِعُها الشخصُ دسٌّ وافتراءٌ على الدّينِ، أو قَد يَفهَمُ منهَا أشياءَ علَى خلافِ ما هيَ عليهِ عندَ السّلفِ والخلفِ على ما تَناقلَهُ جِيلٌ عَن جِيلٍ منَ الأمّةِ فيُؤدّي عبادةً فاسدةً أو يَقعُ في تشبيهِ الله بخَلقهِ فيَعبدُ شيئًا تخيّلَهُ وتوهّمهُ في مُخيّلتهِ وأوهامهِ فلا تصحُّ عبادتُهُ، وعلَى كلٍّ فليسَ ذلكَ سبيلَ التعلمِ الذي نَهَجهُ السّلفُ والخلفُ.

- قالَ الحافظُ أبو بكرٍ الخطيبُ البغداديُّ أحدُ كبارِ المحدّثينَ «لا يُؤخَذُ العِلمُ إلا مِن أفواهِ العُلماءِ»[2] اهـ فلا بدَّ مِن تَعلّمِ أمورِ الدّينِ مِن عارفٍ ثقةٍ يكونُ أَخَذَ عَن عارفٍ ثقةٍ وهكذا إلى الصّحابةِ إلى رسولِ الله ﷺ. وقالَ أيضًا «قالَ بعضُ السَّلفِ الذي يَأخذُ الحديثَ منَ الكتبِ يُسمَّى صَحَفيًّا والذي يأخذُ القرآنَ منَ المصحَفِ يُسمَّى مُصحَفيًّا ولا يُسمَّى قارئًا»[3]اهـ.

- وقالَ السخاويُّ في فتحِ المغيثِ[4] ما نصُّه «وقد روَيْنا عن سليمانَ بنِ موسى أنه قالَ كان يقالُ لا تأخُذوا القرآنَ من مصحفيّ ولا العلمَ من صَحَفي» اهـ.

---

(١) مسلم. صحيح مسلم. المقدمة: باب في أن الإسناد من الدين. ج١ ص١١.

(٢) الخطيب البغدادي. الفقيه والمتفقه. باب اختيار الفقهاء الذين يتعلم منهم. ج٢ ص٩٧. ولفظه: «ويكون أخذ الفقه من أفواه العلماء لا من الصحف» اهـ.

(٣) الخطيب البغدادي. الفقيه والمتفقه. ص٩٧. ولفظه: «لا تقرؤوا القرآن على المصحفيين، ولا تأخذوا العلم من الصحفيين» اهـ.

(٤) السخاوي. فتح المغيث شرح ألفية الحديث. ج٢ ص٢٦٢.

• وكذلكَ في الجرحِ والتعديلِ[1] لابنِ أبي حاتمِ الرازيّ «عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ يقولُ لا تأخذوا العلمَ عن صحفي ولا القرآنَ من مُصحفي» اهـ.

• لو سُمِع مِن عالمٍ كلامٌ مخالفٌ للشّرعِ فعلَى السّامعِ أنْ يُنبّهَهُ على خَطئهِ إنْ كانَ تَنبيهُهُ لا يَجُرُّ إلى مَفسدةٍ أعظمَ، فإنَّ العالِـمَ التقيَّ الناصحَ للناسِ الشّفيقَ على دينهِم الوَرعَ الذي يخافُ الله إذا أخطأَ فبُيّنَ لهُ خَطؤُهُ ولو أمامَ جمعٍ منَ الناسِ يعودُ عنهُ ويُبيّنُ للناسِ ذلكَ، فقَد خطبَ سيدُنا عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنهُ فحمِدَ الله تعالى وأثنى عَليهِ وقالَ «ألا لا تُغالُوا في صَداقِ النّساءِ فإنهُ لا يَبلغُني عَن أحدٍ ساقَ أكثرَ مِن شىءٍ ساقَهُ رسولُ الله ﷺ إلا جَعلتُ فضلَ ذلكَ في بيتِ المالِ» ثم نزلَ فَعَرَضَتْ لهُ امرأةٌ مِن قُريشٍ فقالتْ «يا أميرَ المؤمنينَ أكتابُ الله أحقُّ أن يُتّبَعَ أو قَولُكَ؟» قالَ «بَل كتابُ الله تعالى، فما ذاكِ؟» قالَت «نَهيتَ الناسَ آنفًا أن يُغالوا في صَداقِ النّساءِ، والله تعالى يقولُ في كتابهِ ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔا﴾[2][3]. فقالَ عمرُ «كلُّ أحدٍ أفقهُ مِن عُمرَ كلُّ أحدٍ أفقهُ مِن عُمرَ كلُّ أحدٍ أفقَهُ مِن عُمرَ» ثم رجعَ إلى المِنبرِ فقالَ للناسِ «إني قَد نهيتُكُم أنْ تُغالُوا في صَداقِ النساءِ ألا فليَفعَلْ رَجلٌ في مَالهِ ما

---

(١) ابن أبي حاتم. الجرح والتعديل. ج٢ ص٣١.

(٢) سورة النساء/ آية ٢٠.

(٣) في المصباح المنير «القنطار: قال بعضهم ليس له وزن عند العرب وإنما هو أربعة آلاف دينار وقيل يكون مائة مَنّ ومائة رطل ومائة مثقال ومائة درهم وقيل هو المال الكثير بعضه على بعض» اهـ. ص١٩٤ مادة (ق ط ر). قال النسفي في تفسير هذه الآية: «إن أردتم تطليق امرأة وتزوج أخرى وأعطيتم إحدى الزوجات مالًا عظيمًا فلا تأخذوا منه من القنطار شيئًا» اهـ. النسفي. تفسير النسفي. ج١ ص٢١٨.

بَدا لهُ»[١] أخرجَهُ البَيهقيُّ في سُننهِ[٢].

• مِن الغُلوّ اعتقادُ كثيرٍ منَ الناسِ أنَّ الشّيخَ أو الإمامَ أو الخطيبَ لا يُخطئ في شىءٍ مِن أمورِ الدّينِ وهذا مخالفٌ لقولهِ ﷺ «**ما مِن أحدٍ منكُم إلا يُؤخَذُ مِن قَولهِ ويُترَكُ غيرَ رسولِ الله**» رواهُ الطّبرانيُّ[٣] وحسَّنَهُ الحافظُ العراقيُّ[٤]، فالشّيخُ والإمامُ والخطيبُ مهما عَلَت مَرتبتُهُ يُخطِئ في بعضِ المسائلِ، وعلى هذا كبارُ القومِ.

– قالَ الشّيخُ عبدُ القَادرِ الجيلانيُّ رضي الله عنهُ في كتابهِ «أدبُ المريدِ» «إذا عَلِمَ المريدُ الخطأَ على الشّيخِ فليُنبّهْهُ فإنْ رجعَ عَن خَطئهِ فذاكَ الأمرُ وإلا ترَكَ قولَهُ واتَّبعَ الشّرعَ» اهـ.

– وقالَ الشّيخُ أحمدُ الرفاعيُّ رضي الله عنهُ[٥] «سَلّمْ للقَومِ أحوالهم مَا لم يخالفوا الشّرعَ فإن خَالفوا الشّرعَ فاترکْهُم واتبعِ الشرعَ» اهـ.

الأمانةُ في العلم

• ليُعلَم أنَّ الأمانةَ في تلقّي العلمِ وفهمهِ وتبليغهِ أهمُّ منَ الأمانةِ في المالِ لأنَّ الخيانةَ في علمِ الدّينِ أعظمُ منَ الخيانةِ في المالِ.

---

(١) وقد ردَّ هذه القصةَ وهابيةُ العصر، ويُرَد عليهم بأن ابن تيمية المجسم في كتابه المنهاج ج٦ ص٣٩ يقول: «إن هذه القصة فيها دليل على كمال فضل عمر ودينه وتقواه» اهـ. ويقول السخاوي في كتابه المقاصد الحسنة ج١ ص٥١١ ما نصه: «إسناده قوي جدًّا»اهـ وكذلك قال ابن كثير في تفسيره. ج٢ ص٢٤٣.

(٢) البيهقي. سنن البيهقي. كتاب الصداق: باب لا وقت في الصداق كثر أو قل. ج٧ ص٢٣٣.

(٣) الطبراني. المعجم الكبير. ج١١ ص٢٦٩. بلفظ: «ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ويُدَعْ غير النبي ﷺ»اهـ.

(٤) نقله الزبيدي في إتحاف السادة المتقين. ج١ ص٤٣٢.

(٥) الرفاعي. كتاب الحكم. ص٣٩.

- قالَ الله تَعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[١] أيْ لا تقلْ قولًا مِن غيرِ علم، فيَنبغي لطالبِ العلمِ أن لا يُغْفِلَ كلمةَ لا أدرِي. قالَ النسفيُّ في تفسيرِه[٢] «ولا تَتْبَعْ ما لم تعلمْ، أي لا تقلْ رأيتُ وما رأيتَ وسمعتُ وما سمعتَ» اهـ.
- وقالَ رسولُ الله ﷺ «**مَن أفتى بغيرِ علمٍ لعنَتْهُ ملائكةُ السّماءِ والأرضِ**» اهـ رواهُ ابنُ عساكرَ عَن عليّ رضي الله عنهُ[٣].

وقَد سُئلَ رَسولُ الله ﷺ عَن خَيرِ البِقاعِ وعَن شرّ البِقاعِ فقالَ «**لا أدري أسأل جبريلَ**» ثم سألَ جبريلَ فقالَ لا أدرِي أسألُ ربَّ العزّةِ ثم نزلَ الوَحيُ علَى رسولِ الله ﷺ بأنَّ خيرَ البِقاعِ المساجدُ وشرَّ البِقاعِ الأسواقُ، رواهُ البيهقيُّ في الأسماءِ والصّفاتِ[٤] والطبرانيُّ في المعجمِ الأوسطِ[٥].

- رُويَ عَن سيّدنا عليّ رضي الله عنهُ أنهُ سُئلَ عَن شيءٍ فقالَ «وابردَها على الكبدِ أنْ أُسألَ عَن شيءٍ لا علمَ لي بهِ فأقولَ لا أدرِي»[٦].
- وقَد جَاءَ عَنِ الإمامِ مالكٍ رضي الله عنه أنهُ سُئلَ ثمانيةً وأربعينَ سؤالًا فأجابَ عَن ستةٍ وقالَ عنِ البَقيةِ «لا أدري»اهـ رواهُ ابنُ الصّلاحِ[٧].

(١) سورة الإسراء/ آية ٣٦.

(٢) النسفي. تفسير النسفي. ج٢ ص١٩٩.

(٣) ابن عساكر. تاريخ دمشق. ج٢ ص٢٠.

(٤) البيهقي. الأسماء والصفات. باب إثبات صفة الكلام، ص٢٧٨.

(٥) الطبراني. المعجم الأوسط. ج٧ ص١٥٤.

(٦) الدارمي. سنن الدارمي. باب تغير الزمان وما يحدث فيه. ج١ ص٤٩.

(٧) ابن الصلاح. فتاوى ابن الصلاح. ولفظه: عن الهيثم بن جميل قال شهدت مالك بن أنس سئل عن ثمان وأربعين مسألة فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري اهـ. ج١ ص١٣. وكذلك في كتابه أدب المفتي والمستفتي. ج١ ص١٣. وفي سير أعلام النبلاء أنه قال عن اثنين وثلاثين لا أدري اهـ. ج٨ ص٧٨.

وسأَلَ شخصٌ مالكًا في أمرٍ فقالَ «لا أدري» فقالَ لقَد جِئتُ مِن مكانٍ بعيدٍ وخلَّفتُ أَهـلِي ورَائي لأسأَلَكَ هذا السّؤالَ فإذا رَجعتُ إليهِم فقالوا لي مَاذا قالَ مالكٌ بماذا أُجيبُهم؟ فقالَ مالكٌ رضي الله عنهُ «تقولُ سألتُ مالكًا فقالَ لا أدرِي»[1]اهـ.

- ويَنبغي للإنسانِ أن يكونَ محتاطًا في كلامهِ أيْ أنْ يلزمَ دائمًا جانبَ السّلامةِ. ويَنبغي أن يَعملَ بما قالَ سيّدُنا عبدُ الله بنُ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنهُما «العلمُ ثلاثةٌ كتابٌ ناطقٌ وسنةٌ ماضيةٌ ولا أدرِي»اهـ. أخرجَهُ الطّبرانيُّ في الأوسطِ[2] يُريدُ بالكتابِ الناطقِ كتابَ الله، وبالسنةِ الماضيةِ الحديثَ الثابتَ عَن رسولِ الله ﷺ وبقولهِ لا أَدري أنْ يُجيبَ بذلكَ حَيثُ لا يَعلَمُ ويَتجنّبَ الفتوى بغَيرِ علمٍ لأنهُ إذا لم يَفعَل ذلكَ هَلَكَ.

- ومنَ المهمّ أيضًا التفكيرُ في حالِ الذي يَدرسُ على المدرّسِ فيُلقِي إلى المبتدئ ما يُناسِبهُ، وإلى غيرِ المبتدئ ما يُناسبهُ ويَبدأُ بتعليمِ الطّالبِ صِغارَ العِلمِ قبلَ كِبارهِ كما جاءَ في صحيحِ البُخاريّ[3] في تفسيرِ قولهِ تَعالى في سورةِ آلِ عمرانَ ﴿ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾[4]، قيلَ: الربّانيّونَ همُ الذينَ يُربّونَ بصغارِ العلمِ قبلَ كبارهِ اهـ فيَحثُّ المدرّسُ الطالبَ على حِفظِ مختصَرٍ في كلّ فنّ يُدرّسهُ إياهُ ولا يَنتقلُ معهُ مِن شرحِ كتابٍ إلى كتابٍ آخرَ أوسعَ منهُ إلا بعدَ أن يُتقِنَ الطالبُ فهمَ الكتابِ الأولِ، بَل ويُناسِبُ أن يُعيدَ الطّالبُ تلقّي الكتابِ أكثرَ مِن مرّةٍ ليتأكّدَ مِن حُسنِ تَصوُّرهِ لمسائلهِ ومَعرفتهِ لأحكامِها، فإنَّ كثيرًا منَ المعلوماتِ إنما تَثبُتُ بالقلبِ بالتكرارِ والإعادةِ وكثيرًا منهَا لا تتّضِحُ في القلبِ على التّمامِ

---

(١) ابن الجوزي. صيد الخاطر. ص٢٠٦.

(٢) الطبراني. المعجم الأوسط. ج١ ص٢٩٩.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل. ج١ ص٢٧.

(٤) سورة آل عمران/ آية ٧٩.

إلا بالاستماع لشَرحِها مرةً بعدَ مرةٍ، وقَد أُثِر عن بعض الأكابر أنه قرأ على مَشايخِهِ كتابًا ثلاثَ عشرةَ مرة وكانَ يَقولُ «أقلُّ ما يُعادُ الكتابُ للطالبِ ثلاثَ مراتٍ»اهـ. وكانَ يقولُ «الصّادقُ المخلصُ في طلبِ العلمِ لا يَملُّ مِن تَكرارِ تَلقّي ما أَخذَ»اه. وذلكَ لما في الإعادةِ منَ الإفادةِ وقديمًا قيلَ بالتّكرارِ يَقطَعُ الحبلُ الحَجرَ.

- ومنَ المهمّ أيضًا أنْ يُراعِيَ المدرّسُ حالَ مَن يَحضرُ مَجلسَهُ مِن غيرِ طَلبتِهِ هَلِ العبارةُ التي يَذكُرُها في أثناءِ دَرسِهِ يَفهَمُ الحاضِرونَ مَعناهَا كما يَنبغِي أو لا يَفهمونَ ما يَفهَمُهُ هوَ ويُريدُهُ مِن هذهِ العبارةِ.

قالَ الإمامُ عليٌّ رضي الله عنهُ «حدِّثُوا الناسَ بما يَفهَمُونَ أتحبُّونَ أن يُكذَّبَ اللهُ ورَسولُهُ» اه. رواهُ البخاريُّ[1]. قال الحافظُ ابنُ حجرٍ في الفتحِ[2] ما نصُّه «وضابطُ ذلك أن يكونَ ظاهرُ الحديثِ يقوّي البدعةَ وظاهرُه في الأصلِ غيرُ مرادٍ، فالإمساكُ عنه عندَ من يُخشى عليه الأخذُ بظاهرِهِ مطلوبٌ واللهُ أعلمُ» اهـ.

واللهُ تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب العلم: باب من خص بالعلم قومًا دون قوم كراهية أن لا يفهموا. ج ١ ص ٧٢.

(٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١ ص٢٢٥.

المحاضرة الثانية

أهميّةُ علمِ الدّينِ وبيانُ ما يَجبُ علَى المكلّفِ تَعلّمُهُ مِن أمورِ الدّينِ

بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- بيانُ مقامِ العلمِ والعلماءِ في قولهِ تَعالى ﴿ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ ﴾[1]، وأنَّ الله ما أمرَ نبيَّهُ ﷺ في القرآنِ بطَلبِ الازديادِ مِن شيءٍ إلا مِنَ العلمِ فقالَ عَزَّ مِن قائلٍ ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴾[2].
- بَيانُ وُجوبِ تعلُّمِ قدرٍ مُعيّنٍ مِن علمِ الدّينِ علَى كلّ مكلّفٍ لما جاءَ في قولِه تَعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[3] فقَد جاءَ عَن سيّدِنا عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنهُ في تفسيرِ الآيةِ أنَّ الله يأمرُ المؤمنينَ أن يَقُوا أنفُسَهُم وأهليهِمُ النارَ التي وَقُودُها الناسُ والحِجارةُ بتعلُّمِ أمورِ الدّينِ وتَعليمِ أهليهِم ذلكَ، فقالَ «عَلّموا أنفسَكُم وأهلِيْكُمُ الخيرَ» اهـ. رواهُ الحاكمُ

(١) سورة المجادلة/ آية ١١.

(٢) سورة طه/ آية ١١٤.

(٣) سورة التحريم/ آية ٦.

وصحّحهُ[١]، وقولِه ﷺ «**طلبُ العلمِ فَريضةٌ على كلّ مُسلمٍ**» رواهُ البيهقيُّ[٢] وحَسَّنهُ الحافِظُ المِزّيُّ[٣].

• الفَرضُ العَينيُّ مِن علمِ الدّينِ يَنقسِمُ إلى قِسمينِ:

١- قسمٌ يتعلّقُ بأصول الدّينِ أيِ العَقيدةِ.

٢- وقسمٌ يَتعلّقُ بالأحكامِ.

• الواجبُ العَينيُّ مِن علمِ العَقيدةِ قِسمانِ:

١- قِسمٌ لا يحصلُ أصلُ الإسلامِ الذي هو سببُ النجاةِ منَ الخُلودِ الأبديّ في النارِ إلا بهِ وهوَ معرفةُ الله ورسولِه ﷺ.

٢- وقسمٌ فيه زيادةٌ على الأولِ وهوَ معرفةُ جميعِ ضَروريّاتِ الاعتقادِ وذلكَ معرفةُ صفاتِ الله الثلاثَ عَشرةَ، ومَعرفةُ صفاتِ الأنبياءِ، وما يَتبعُ ذلكَ منَ الإيمانِ بملائكةِ الله وكُتبِهِ ورُسلهِ واليومِ الآخِرِ والقَدرِ خَيرِهِ وشَرّهِ، والإيمانِ بعذابِ القبرِ ونعيمِهِ وسؤالِ الملكَينِ للميّتِ فيهِ وبالبَعثِ بعدَ الموتِ وبالحسابِ علَى الأعمالِ وبالثوابِ على طاعةِ الله وبالعذابِ على مَعصيةِ الله والإيمانِ بالجنةِ والنارِ ونحوِ ذلكَ.

• وعلمُ التوحيدِ[٤] معَ أدلّتهِ العقليّةِ والنقليّةِ منَ الكتابِ والسّنةِ يُسمّى علمَ

---

(١) الحاكم. المستدرك. تفسير سورة التحريم. ج٢ ص٥٣٥. وقال عن الحديث «صحيح على شرط الشيخين» اهـ. ووافقه الذهبي في التلخيص.

(٢) البيهقي. شعب الإيمان. باب في طلب العلم. ج ٣ ص١٩٥.

(٣) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. ج١ ص٨١. قال: قال المزي «هذا الحديث روي من طرق تبلغ درجته الحسن» اهـ وقال مثل ذلك السيوطي في كتابه الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة. ج١ ص١٣.

(٤) قال أبو القاسم التميمي في كتابه الحجة ج١ ص٣٣٢ ما نصه: «التوحيد مصدر وحّد يُوحّد، ومعنى وحّدتُ الله اعتقدته منفردًا بذاته وصفاته لا نظير له ولا شبيه» اهـ. فالتوحيد معرفة الله على ما يليق به وتنزيهه عما لا يليق به.

الكلامِ، وهو علمٌ يُقتدرُ معه على إثباتِ العقائدِ الدينيةِ على الغيرِ بإيرادِ الحُجَجِ ودفعِ الشبهِ[1]. وموضوعُهُ النّظرُ أي الاستدلالُ بخلقِ الله تعالى لإثباتِ وُجودهِ وصِفاتِهِ الكَماليّةِ بالنّصُوصِ الشّرعيّةِ المستخرَج منها البَراهينُ، قالَ تَعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾[2] أمرَ الله عبادَهُ بأنْ يتفكَّروا في مخلوقاتِهِ ليزدادَ يَقينُ المؤمنِ. وعلمُ الكلامِ على قانونِ الإسلامِ لا عَلى أصولِ الفَلاسفةِ، وعلماءُ التوحيدِ لا يتكلّمونَ في حقّ الله والأنبياءِ والملائكةِ وغيرِ ذلكَ اعتمادًا عَلى مجرّدِ النّظرِ بالعَقلِ بَل يتكلّمونَ في ذلكَ مِن بابِ الاستشهادِ بالعقلِ علَى صحّةِ ما جاءَ عَن رسولِ الله ﷺ، فالعَقلُ عندَ علماءِ التوحيدِ شاهدٌ للشّرعِ ليسَ أصلًا للدّينِ، وأما الفلاسفةُ فجَعلوهُ أصلًا مِن غيرِ التفاتٍ إلى ما جاءَ عَنِ الأنبياءِ فلا يتقيّدونَ بالجمعِ بينَ النظرِ العقليّ وبينَ ما جاءَ عنِ الأنبياءِ، على أنَّ النظرَ العقليَّ السّليمَ لا يخرجُ عمّا جاءَ في الشّرعِ ولا يَتناقَضُ معهُ.

- وأما علمُ الشّريعةِ فيُسمَّى علمَ الأحكامِ، وهذا العلمُ يُفيدُ معرفةَ أحكامِ العباداتِ مِن طهارةٍ وصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجّ أركانًا وشروطًا ومُبطلاتٍ وغيرِ ذلكَ مِن ضَروريّاتِ علمِ الدّينِ.
- أولى العُلومِ تحصيلًا علمُ التوحيدِ لتعلُّقِهِ بأشرفِ المعلوماتِ معرفةِ الله ومعرفةِ رسولِهِ ﷺ.
- وفي تَقديمِ العلمِ بالله على الاستغفارِ في قَولهِ تَعالى ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[3] إشارةٌ إلى ذلكَ.

---

(١) التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ج١ ص٩٣.

(٢) سورة الأعراف/ آية ١٨٥.

(٣) سورة محمد/ آية ١٩.

- روى ابنُ ماجَه في سُننِهِ عَن جُندبِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهُ قالَ «كُنا معَ النبيّ ﷺ ونحنُ فِتيانٌ حَزاوِرَةٌ فتعلَّمْنا الإيمانَ قبلَ أنْ نَتعلَّمَ القُرآنَ ثم تَعلَّمْنا القرآنَ فازدَدنا بهِ إيمانًا»[1]اهـ. فهذا فيهِ بيانُ اهتمامِ النبيّ ﷺ بتعليمِ الصّحابةِ التوحيدَ وتقديمِهِ علَى غَيرِهِ. والحزاورةُ جمعُ حزَوّرٍ والحَزوّرُ في اللغةِ يُطلَقُ علَى مَن بَلَغَ أو كادَ أن يبلغ[2].
- قالَ الإمامُ أبو حنيفةَ رضي الله عنهُ في الفقهِ الأبسطِ «اعلَم أنَّ الفقهَ في الدّينِ أفضَلُ منَ الفقهِ في الأحكامِ»[3] اهـ. وقالَ أيضًا «أَصلُ التّوحيدِ وما يَصِحُّ الاعتقادُ عليهِ وما يتعلَّقُ بهِ مِنَ الاعتقادِيّاتِ هوَ الفِقهُ الأكبرُ»[4] اهـ.
- وكانَ الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنهُ يُتقِنُ علمَ التّوحيدِ حَتى قالَ «أحكَمْنا ذاكَ قبلَ هذا»اهـ. أيْ أتقَنّا علمَ التّوحيدِ قبلَ فُروعِ الفقهِ، أخرجَهُ البَيهقيُّ في مَناقبِ الشّافعيّ[5].
- وقد ألّفَ الفَقيهُ محمّدُ بنُ هِبةِ الله بن مكّيّ رسالةً في علمِ التوحيدِ سمّاها «حدائقَ الفُصولِ وجَواهرَ الأصول»[6] وأهدَاها للسُّلطانِ صلاحِ الدّينِ الأيّوبيّ رحمه الله تعالى فأقبلَ عليها وأمرَ بتَعليمِها حَتى للصّبيانِ في المَدارسِ فسُمّيَت لذلكَ بالعَقيدةِ الصّلاحيّةِ.

---

(١) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. باب في الإيمان. ج١ ص٤٢. وصححه البوصيري في مصباح الزجاجة. باب الإيمان. ج١ ص١٢. حيث قال: «إسناده صحيح رجاله ثقات» اهـ.

(٢) ابن منظور. لسان العرب. ج٤ ص١٨٥. مادة (ح ز ر).

(٣) أبو حنيفة. الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر. باب أفضل الفقه وتعريف الإيمان وأركانه. ج١ ص٨٢.

(٤) أبو حنيفة. الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر. باب بيان أصول الإيمان. ج١ ص٥.

(٥) البيهقي. مناقب الشافعي. ج١ ص٤٥٧.

(٦) محمد بن هبة الله المكي. منتخب حدائق الفصول وجواهر الأصول. ص٤٠.

قالَ فيهَا (الرجز)

وصـانِـعُ الـعـالمِ لا يحويهِ قُـطْـرٌ تعالى الله عـن تشبيهِ

قـد كـانَ مـوجـودًا ولا مكانَا وحُكمُه الآن عـلى مـا كانَا

سبحانَهُ جـلَّ عــنِ المكانِ وعــزَّ عــنْ تـغـيُّرِ الزمانِ

فقد غـلا وزادَ في الغُلُوّ مَــن خَـصَّـه بجهةِ العُلُوّ

وحَـصَرَ الصانِعَ في السماءِ مُبدِعَها والـعـرْشِ فـوقَ الماء

وأثـبَـتـوا لـذاتِـه التّحَيُّزا قد ضـلَّ ذو التشبيهِ فيما جَـوَّزا

اهـ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة الثالثة

معرفةُ اللّه تعالى ليسَت عَلى سَبيلِ الإحاطةِ

بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتِهِ الطّاهرين

- قالَ الإمامُ أبو الحسنِ الأشعريُّ رحمهُ الله تَعالى في النوادرِ «أوّلُ مَا يجبُ عَلى العبدِ العلمُ بالله ورسولِهِ ودينِهِ» اهـ.
- معرفةُ الله ليسَتْ عَلى سبيلِ الإحاطةِ لأنهُ لا يَعلمُ الله على الحقيقةِ إلا الله، الإنسانُ لا يحيطُ علماً بحقيقةِ نفسِهِ فكيفَ يحيطُ علماً بحقيقةِ خالقِهِ.
- قال تعالى ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[1] قالَ أُبيُّ بنُ كعبٍ رضي الله عنهُ «إليهِ انتهَى فِكْرُ مَن تَفكَّرَ»[2] اهـ. أيْ تَفكُّراتُ العبادِ لا تُدرِكُ حقيقةَ الله لا تَصلُ إلى معرفةِ حقيقةِ الله، فالعبدُ مَهما شَغَلَ فِكرَهُ ليَصِلَ إلى مَعرفةِ حقيقةِ الله لا يصلُ إلى نَتيجةٍ لأنهُ تَعالى موجودٌ لا يُشبهُ الموجوداتِ بأيِّ وَجهٍ منَ الوجوهِ.
- يروى أن رسولَ الله ﷺ قال «**لا فِكرةَ في الرَّبّ**» رواهُ الحافظُ أبو القاسمِ الأنصاريُّ في شرحِ الإرشادِ عَن أُبَيّ بنِ كعبٍ عنِ النبيّ ﷺ[3].

(١) سورة النجم/ آية ٤٢.

(٢) أبو القاسم الأنصاري. شرح الإرشاد. ص ٥٨، ٦٠.

(٣) أبو القاسم الأنصاري. شرح الإرشاد. ص ٥٨، ٦٠.

- قالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهُما «تفكَّروا في مخلوقات الله ولا تَفكَّروا في ذاتِ الله–أيْ حقيقةِ الله–» اهـ رَواهُ البَيهقيُّ في الأسماءِ والصّفاتِ[١].

- قالَ بدرُ الدينِ بنُ جماعة في كتابهِ إيضاحُ الدليلِ[٢] ما نصُّه «الموجودُ قسمانِ موجودٌ لا يتصرفُ فيه الوهمُ والحسُّ والخيالُ والانفصالُ وموجودٌ يتصرفُ ذلك فيه ويقبلُه، فالأولُ ممنوعٌ لاستحالتِه والربُّ لا يتصرفُ فيه ذلك إذ ليسَ بجسمٍ ولا عرضٍ ولا جوهرٍ فصحَّ وجودُه عقلًا من غيرِ جهةٍ ولا حيزٍ كما دلَّ الدليلُ العقليُّ فيه فوجبَ تصديقُه عقلًا وكما دلَّ الدليلُ العقليُّ على وجودِه مع نفيِ الجسميةِ والعرضيةِ مع بُعْدِ الفهمِ الحسيّ له فكذلك دلّ على نفيِ الجهةِ والحيزِ مع بُعْدِ فهمِ الحسّ له» اهـ.

- حقيقةُ الله لا يُدرِكُها الوَهمُ لأنَّ الوَهمَ يَحكُمُ عَلى ما لم يَرَهُ بحكمِ ما رَآهُ، فلا يُدرِكُ إلا الأشياءَ التي ألِفَها كالإنسانِ والغَمامِ والشّجرِ والنّورِ والظّلامِ ونحوِ ذلكَ أما مَن ليسَ كمثلِهِ شىءٌ فلا يُدرِكُهُ الوَهمُ. ومَعنى حقيقةِ الله ذاتُ الله[٣]، وأما حَقيقةُ الإنسانِ فالمرادُ بها جسمُهُ وأما الله فليسَ جسماً.

- قالَ الإمامُ ذو النّونِ المصريُّ رضي الله عنهُ «مَهما تصوَّرتَ ببالكَ فالله بخِلافِ ذلكَ» اه. رواهُ عنهُ ابن عساكر في تاريخِ دمشق[٤]، ومعناهُ أنَّ الله لا يُشبِهُ أيَّ

---

(١) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما ذكر في الذات. ص٣٦٠. ولفظه: «تفكروا في كل شىء ولا تفكروا في ذات الله»اهـ.

(٢) ابن جماعة. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل. ج١ ص١٠٥.

(٣) قال الفيومي في المصباح المنير ص ٨١ مادة (ذ و ي) «فيقال ذات الشىء بمعنى حقيقته وماهيته»اهـ. فالذات أعم من الجسم حيث إنه يطلق على الجسم وغيره، أما الجسم فما له طول وعرض وسمك وتركيب وتأليف وصورة ويشغل حيزًا.

(٤) ابن عساكر. تاريخ دمشق بالإسناد من طريق السلمي عن يوسف بن الحسين عن ذي النون المصري أنه قال مهما تصورت في نفسك فالله بخلافه اهـ هذا لفظ السلمي. وفي رواية أبي حاتم: «وكل ما تصورت في وهمك فالله بخلاف ذلك» اهـ. ج١٧ ص٤٠٤.

صورةٍ خطَرَت على قلبِكَ لأنهُ ليسَ لهُ صُورةٌ بَل هوَ الله الخالقُ البارئ المصَوّرُ الذي خَلَقَ الصُّوَرَ كلَّها، فخالقُ الصورِ لا يكونُ صورةً.

- ويُروَى عنِ الإمامِ الشّافعيّ رضي الله عنهُ أنهُ قالَ «مَنِ انتهَضَ لمعرفةِ مُدبّرِهِ فانتهَى إلى مَوجودٍ ينتهي إليهِ فِكرُهُ فهوَ مُشبّهٌ، ومَنِ اطمأنَّ إلى العدَمِ الصّرْفِ فهوَ مُعطّلٌ ومَنِ اطمَأنَّ لموجودٍ واعترفَ بالعَجزِ عَن إدراكِهِ فهوَ مُوَحّدٌ»[1] اهـ.

- قالَ الإمامُ أحمدُ الرفاعيُّ رضي الله عنهُ «غايةُ المعرفةِ باللهِ الإيقانُ بوُجودهِ تعالى بلا كيفٍ ولا مكانٍ»[2] اهـ. أيْ نهايةُ ما يَصلُ إليهِ العبدُ منَ المعرفةِ باللهِ الإيقانُ أيِ الاعتقادُ الجازمُ بأنَّ الله مَوجودٌ لا يُشبِهُ الموجوداتِ، مَوجودٌ بلا مكانٍ.

- الأصلُ الذي تُبنَى عليهِ العَقيدةُ الإسلاميةُ مَعرفةُ الله ومَعرفةُ رَسولهِ ﷺ، ومعرفةُ الله تكونُ بمعرفةِ ما يجبُ للهِ مِن صفاتِ الكمالِ التي تَليقُ به ومَعرفةِ ما يَستحيلُ عليهِ مِن كلّ نقصٍ في حقّهِ، ومَعرفةِ ما يجوزُ في حقّهِ تعالى كخَلقِ المخلوقاتِ وإعدَامِها.

وليسَ هذا من الخوضِ الممنوعِ في ذاتِ الله الذي مرَّ ذكرُهُ عن ابنِ عبّاسٍ وإنما الخوضُ الممنوعُ هو الذي يُرادُ به الوصولُ إلى حقيقةِ الله. بل حثَّ الله تعالى في كتابهِ على النظرِ في مخلوقاتِ الله لمعرفةِ الخالقِ ومن لم يفرّقْ بين الخالقِ والمخلوقِ كيف يعملُ بهذا الأثرِ، قال تعالى ﴿ أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾[3] أي نظرَ تفكّرٍ واستدلالٍ، وقالَ تعالى ﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾[4].

(١) أورده مُلّا علي القاري في شرح الفقه الأكبر. ص١٥٢.

(٢) الرفاعي. كتاب الحكم. ص٣٦.

(٣) سورة الأعراف/ آية ١٨٥.

(٤) سورة فصلت/ آية ٥٣.

فإن قيلَ لم يُنقلْ أنه ﷺ عَلّمَ أحدًا من الصحابةِ هذا العلمَ ولا عن أحدٍ من الصحابةِ أنه تعلَّمَ أو عَلَّمَ غيرَه، فالجوابُ إن عُنِيَ بهذا المقالِ أنهم لم يعلموا ذاتَ الله وصفاتِهِ وتوحيدَهُ وتنْزيهَهُ وحقّيَّةَ رسولِهِ ﷺ وصحةَ معجزاتِهِ بدليلِ العقلِ بلْ أقرّوا تقليدًا فهو بعيدٌ من القولِ شنيعٌ مِن الكلامِ وقد رَدَّ الله عزَّ وجلَّ في كتابِهِ على من قلَّدَ آباءَهُ في عبادةِ الأصنامِ بقولِهِ إخبارًا عنهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾[١] بل كانَ أصلُ هذا العلمِ موجودًا بين الصحابةِ متوفّرًا بينهم أكثرَ ممن جاءَ بعدَهم، والكلامُ فيه بالردِ على أهلِ البدعِ بدأ في عصرِ الصحابةِ فقد ردَّ ابنُ عباسٍ[٢] وابنُ عمرَ[٣] على المعتزلةِ، ومِن التابعين ردَّ عليهم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[٤] والحسنُ بنُ محمد ابن الحنفية[٥] وغيرُهما، وقد قطعَ عليٌّ رضي الله عنه الخوارجَ بالحجّةِ وقطعَ دَهْرِيًّا[٦] وأقامَ الحجةَ على أربعينَ رجلًا من اليهودِ المجسمةِ بكلامٍ نفيسٍ[٧]، وقطعَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما الخوارجَ بالحجةِ أيضًا[٨]، وقطعَ إياسُ بنُ معاويةَ القاضي القدَرِيّةَ[٩]، وقطعَ ربيعةُ الرأيِ شيخُ الإمامِ مالكٍ غَيْلانَ بنَ مسلمٍ أبا مروان القدريَّ[١٠]. وأما ما يُروى عن

(١) سورة الزخرف/ آية ٢٣.

(٢) ابن أبي حاتم. تفسير ابن أبي حاتم. سورة القمر. ج١٢ ص ٢٦١، أبو نعيم. حلية الأولياء. ج١ ص٣١٨-٣١٩.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. ج١ ص٢٨، البغدادي. أصول الدين. ص٣٠٧.

(٤) القرطبي. تفسير القرطبي. تفسير سورة يس. ج١٥ ص ١١.

(٥) البغدادي. أصول الدين. ص٣٠٧.

(٦) الدهرية هم القائلون بأن هذا العالم وجد صدفة أو بفعل الطبيعة وأنه ليس له خالق.

(٧) الأسفراييني. التبصير في الدين. ص٤٦، ٤٧، أبو نعيم. حلية الأولياء. ج١ ص٣٢٥.

(٨) الأسفراييني. التبصير في الدين. ص٩٣.

(٩) البيهقي. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد. ص ١٥٠.

(١٠) الزرقاني.شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك. النهي عن القول بالقدر. ج٤ ص٣٠٩.

بعضِ السلفِ مِنْ ذمّهم للكلام فالمرادُ به كلامُ أهلِ البدعِ فقد ثبتَ عن الإمامِ الشافعيّ رضي الله عنه أنه قالَ «لأن يلقى اللهَ عزّ وجلّ العبدُ بكلِّ ذنبٍ ما خلا الشركَ خيرٌ له من أن يلقاهُ بشيءٍ من هذه الأهواءِ»[١] اهـ. والأهواءُ جمعُ هوى وهو ما مالتْ إليه نفوسُ المبتدعةِ الخارجين عما كانَ عليه السلفُ أي ما تعلّقَ به البدعِيّونَ في الاعتقاد كالخوارجِ والمعتزلةِ والمرجئةِ والنجّاريّةِ وغيرِهم وهم الاثنتانِ والسبعون فرقةً كما في الحديثِ المشهورِ «**وإن هذه الملةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعين، ثنتانِ وسبعون في النارِ وواحدةٌ في الجنةِ وهي الجماعةُ**» اهـ رواهُ أبو داودَ[٢]. قال الإمامُ الحافظُ ابنُ عساكرَ في كتابِهِ الذي ألّفَهُ في الدفاعِ عن الإمامِ الأشعريّ رضي الله عنه وبَيّنَ فيه كذِبَ من افترى عليه ما نصُّه[٣] «والكلامُ المذمومُ كلامُ أصحابِ الأهويةِ وما يُزَخرِفُه أربابُ البدعِ المـرْدِيَةِ فأما الكلامُ الموافقُ للكتابِ والسنةِ الموضِحُ لحقائقِ الأصولِ عند ظهورِ الفتنةِ فهو محمودٌ عند العلماءِ ومن يعلمُه وقد كان الشافعيُّ يُحسِنُه ويفهَمُه وقد تكلّمَ مع غيرِ واحدٍ ممن ابتدعَ وأقام الحجةَ عليه حتى انقطعَ» اهـ.

- يجبُ عَلى كلّ مكلّفٍ معرفةُ ثلاثَ عَشرَةَ صفةً واجبةً للهِ تَعالى بإثباتِها لهُ تَعالى معَ اعتقادِ معانيهَا. وممن ذكَرَ ذلكَ عبدُ المجيدِ الشّرنوبيُّ في شرح تائيةِ السُّلوكِ والفَضَاليُّ في شَرحِهِ على السَّنوسيَّةِ[٤] وكذا صاحبُ السَّنوسيَّةِ[٥] وأبو بكرٍ الدّمياطِيُّ في إعانةِ الطّالبينَ[٦] والبَيجوريُّ وأحمدُ المرزوقيُّ صاحبُ عقيدةِ

(١) ابن عساكر. تبيين كذب المفتري. ص٣٣٧.

(٢) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب السنة: باب شرح السنة. ج٤ ص١٩٨.

(٣) ابن عساكر. تبيين كذب المفتري. باب: ومنهم شيخنا الإمام أبو الفتح نصر الله بن محمد بن عبد القوي المصيصي، ص٣٣١.

(٤) ألَّف ثلاث عقائد: صغرى ووسطى وكبرى.

(٥) أبو عبد الله السنوسي. متن السنوسية. ص١.

(٦) الدمياطي. إعانة الطالبين. فصل في شروط التمييز. ج١ ص٢٦.

العوامِّ وقبلَهُم الإمامُ أبو حنيفةَ رضي الله عنه. وهذه الصفات هي الوجود والوحدانيةُ والقِدَمُ أيِ الأزليةُ والبَقاءُ والقيامُ بالنفسِ والقدرةُ والإرادةُ أيِ الـمشيئةُ والعلمُ والسّمعُ والبصرُ والحياةُ والكلامُ والمخالفةُ للحوادثِ.

- وبعضُ العلماءِ قالَ بوجوب معرفةِ عشرين صفة لله تعالى كما في كتاب كفاية العوام للفضالي[1]، حيث إنَّ بعضَ المتأخرين من علماءِ أهلِ السنةِ اصطلحوا على تسميةِ سبع صفاتٍ صفاتِ المعاني وهي القدرةُ والإرادةُ والعلمُ والسمعُ والبصرُ والكلامُ والحياةُ مع الخلافِ في عدّ البقاءِ معها، وتسميةِ سبعٍ لازمةٍ لهذه الصفاتِ بالمعنويةِ وهي كونُهُ تعالى قادرًا وكونُهُ مريدًا وكونُهُ عالمًا وكونُهُ حيًّا وكونُه سميعًا وكونُه بصيرًا وكونُه متكلمًا، واكتفى بعضُهم بمعرفةِ السبع الأولى عن معرفةِ الصفاتِ السبعةِ المعنويةِ لأن معرفةَ صفاتِ المعاني تستلزمُ معرفةَ ثبوتِ الصفاتِ المعنويةِ للهِ فإنه يلزمُ من معرفةِ ثبوتِ العلمِ لله معرفةُ كونِهِ عالمًا.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(١) وكذا الشيخ عبد الباسط الفاخوري. الكفاية لذوي العناية. ص٧.

المحاضرة الرابعة

تنْزيهُ اللّه تعالى عنِ التحيّزِ في المكانِ والجهةِ

بسمِ اللهِ الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- قالَ الله تبارك وتعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ ﴾[1]، أثبتَ الله لكلّ منَ الأجسامِ اللطيفةِ كالليلِ والنهارِ والكثيفةِ كالشّمسِ والقمرِ التحيّزَ في فَلَكهِ وهوَ المدارُ الذي يَسبَحُ فيهِ، والتحيُّزُ هوَ أخذُ مِقدارٍ منَ الفَراغِ في جهةٍ منَ الجهاتِ وهوَ مِن صفاتِ الأَجسامِ.
- الليلُ جسمٌ لطيفٌ يأخذُ مقدارًا منَ الفراغِ في جهةٍ منَ الجهاتِ فهوَ موجودٌ في مكانٍ وجهةٍ وكذا النهارُ، والشمسُ جسمٌ كثيفٌ محتاجٌ لأخذِ مِقدارٍ منَ الفَراغِ في جهةٍ منَ الجهاتِ فهيَ مَوجودةٌ في مَكانٍ وجهةٍ، وكذا القمرُ. أما الله تَعالى فليسَ جسمًا لطيفًا كالليلِ والنهارِ وليسَ جسمًا كثيفًا كالشّمسِ والقَمرِ، فهوَ غيرُ محتاجٍ لأخذِ مِقدارٍ منَ الفَراغِ في جِهةٍ منَ الجهاتِ ولا في كلِّ الجهاتِ فهوَ سبحانهُ وتَعالى مَوجودٌ بلا مكانٍ وجهةٍ.
- قال الحافظ مرتضى الزبيديُّ في تاجِ العروسِ[2] ما نصُّه «والمكانُ: المَوْضِعُ الحاوِي للشىء» اهـ. وقال ابنُ منظورٍ في لسانِ العربِ[3] «والجهةُ والوجهةُ

---

(١) سورة الأنبياء/ آية ٣٣.

(٢) مرتضى الزَّبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. ج٣٦ ص١٨٩.

(٣) ابن منظور. لسان العرب. ج١٣ ص ٥٥٦.

جميعًا الموضعُ الذي تتوجهُ إليه وتقصدُه» اهـ.

• قالَ الإمامُ أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ سلامةَ الطّحاويُّ المتوفّى سنةَ ٣٢١هـ عن الله تعالى «لا تَحويهِ الجهاتُ السّتُّ[١] كسَائرِ المبتدَعات»[٢] اه أيْ أنَّ الله لا تُحيطُ بهِ الجهاتُ ولا يَتحيّزُ في جهةٍ منَ الجهاتِ السّتّ كسائرِ المخلوقاتِ فلا يَتحيّزُ في الأرضِ ولا في الفَضاءِ كالهواءِ ولا في السّماءِ كالملائكةِ وليسَ جالسًا على العرشِ.

• يَكفي في تنْزيهِ الله عنِ التحيُّزِ في المكانِ والجهةِ قولهُ تَعالى ﴿ **لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ** ﴾[٣] لأنهُ لَو كانَ مُتحيّزًا في مَكانٍ وجهةٍ لكانَ جسمًا ولكانَ لهُ أمثالٌ وهوَ مُناقِضٌ للآيةِ ولَو كانَ جسمًا لكانَ ذا طولٍ وعَرضٍ وسَمْكٍ، ولَو كانَ كذلكَ لكانَ محتاجًا لمن حَدّهُ بهذا الطّولِ وبهذا العَرضِ وبهذا السّمكِ والمحتاجُ إلى الغَيرِ لا يَكونُ إلـهًا لأنَّ مِن شَرطِ الإلهِ الاستغناءَ عَن كلّ ما سواهُ.

• والدّليلُ منَ الحديثِ ما رواهُ البُخاريُّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ «**كانَ اللهُ ولم يَكُن شَىءٌ غَيرُهُ**»[٤]، ومعناهُ أنَّ الله كانَ موجودًا في الأزلِ ليسَ معهُ غيرُهُ لا أرضٌ ولا سماءٌ ولا كرسيٌّ ولا عرشٌ ولا مكانٌ ولا جهاتٌ فهوَ تَعالى موجودٌ قبلَ المكانِ بلا مكانٍ، وهوَ الذي خلقَ المكانَ فليسَ بحاجةٍ إليهِ.

• وقالَ البيهقيُّ في كتابهِ «الأسماءُ والصّفاتُ»[٥] «استدلَّ بعضُ أصحَابِنا في نَفيِ المكانِ عنهُ – أي عن الله– بقولِ النبيّ ﷺ «**أنتَ الظّاهرُ فليسَ فوقَكَ شىءٌ**

---

(١) الجهات الست هي فوق وتحت ويمين وشمال وأمام وخلف كما في الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي. ص٣٠.

(٢) في عقيدته المشهورة التي هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

(٣) سورة الشورى/ آية ١١.

(٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق. ج٤ ص٢٢٢.

(٥) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما جاء في العرش والكرسي. ص٥٠٦.

وأنتَ الباطنُ فليسَ دونكَ شيءٌ» اهـ. وإذا لَم يكُن فوقَهُ شَيءٌ ولا دُونَهُ شَيءٌ لَم يَكُنْ في مَكانٍ» اهـ.

ومعنى الظاهرِ الذي يدلُّ عليه كلُّ شيءٍ، فاللهُ تعالى ظاهرٌ من حيثُ الدلائلُ العقليةُ التي قامتْ على وجودِه وقدرتِه وعلمِه وإرادتِه لأَنَّه ما من شيءٍ إلا وهو يدلُّ دلالةً عقليةً على وجودِ اللهِ سبحانه وتعالى، وأما الباطنُ من أسماءِ اللهِ فمعناهُ على ما قالَ بعضُ العلماءِ «الذي يعلمُ حقائقَ الأمورِ» اهـ. وبعضُهم قالَ «الذي لا تدركُه الأوهامُ أي لا تبلغُه تصوراتُ العبادِ» اهـ.

- قال البيهقي[1] «قالَ أبو سليمانَ الخطابيُّ هو -أي الله- الظاهرُ بحججِه الباهرةِ وبراهينِه النيّرةِ وشواهدِ أعلامِه الدالّةِ على ثبوتِ ربوبيتِه وصحةِ وحدانيتِه» ثم قالَ[2] «قالَ الحليميُّ الباطنُ الذي لا يُحَسُّ، وإنما يدركُ بآثارِه وأفعالِه» اهـ.

- وكذلك قولُه عليه الصلاةُ والسلامُ «**أقربُ ما يكونُ العبدُ من ربه وهو ساجدٌ**» رواه مسلمٌ[3]. قال السيوطيُّ في شرحِ النسائي[4] بعد أن ذكرَ هذا الحديثَ ما نصُّه «قال القرطبيُّ هذا أقربُ بالرتبةِ والكرامةِ لا بالمسافةِ لأنه منزهٌ عن المكانِ والمساحةِ والزمانِ، وقالَ البدرُ بنُ الصاحبِ في تذكرتِه: في الحديثِ إشارةٌ إلى نفيِ الجهةِ عن اللهِ تعالى وأنَّ العبدَ في انخفاضِه غاية الانخفاضِ يكون أقربَ ما يكونُ إلى اللهِ تعالى» اهـ.

- وقال القرطبيُ في تفسيرِه[5] «قال أبو المعالي قولُه ﷺ «**لا تفضّلوني على يونسَ ابنِ مَتّى**» المعنى فإني لم أكن وأنا في سدرةِ المنتهى بأقربَ إلى اللهِ منه وهو في

---

(١) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٢٧.

(٢) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٥٢.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الصلاة: باب ما يقال في الركوع والسجود. ج٢ ص٤٩.

(٤) السيوطي. شرح السيوطي لسنن النسائي. ج٢ ص٢٢٦.

(٥) القرطبي. تفسير القرطبي. ج١١ ص٣٣٣، ٣٣٤.

قعرِ البحرِ في بطنِ الحوتِ. وهذا يدلُّ على أن البارئ سبحانه وتعالى ليس في جهةٍ» اهـ.

• وكذلك في حديثِ الاستسقاءِ الذي رواه مسلمٌ[1] أن النبيَّ ﷺ استسقى فأشارَ بظهرِ كفيه إلى السماءِ دليلٌ على أنه تعالى موجودٌ بلا مكانٍ.

• قالَ الإمامُ عليٌّ رضي الله عنهُ «كانَ الله ولا مكان وهوَ الآنَ عَلى ما عَليهِ كانَ» اهـ. رواهُ الإمامُ أبو مَنصورٍ البَغداديُّ في الفَرقِ بينَ الفِرقِ[2]، ومعنى ذلكَ «كانَ الله» أيْ في الأزلِ «ولا مكان» أيْ ولم يَكُن مكانٌ «وهوَ الآنَ» أيْ بعدَ أن خلقَ المكانَ «عَلى ما عَليهِ كانَ» أيْ لم يَزلْ موجودًا بلا مكانٍ لأنهُ لا يجوزُ عَليهِ التَغيُّرُ أي الانتقالُ مِن حالٍ إلى حالٍ.

• تنبيهٌ إذا قالَتِ المشبّهةُ لا يُفهَمُ وُجودُهُ تَعالى بلا كميّةٍ وبلا مكانٍ، يُقالُ لهم إنْ أردتم بالفَهمِ التّصوُّرَ ففي المخلوقِ ما يجبُ الإيمانُ بوُجودهِ ولا يمكِنُ تَصوُّرهُ معَ أنَّ العَقلَ يُثبتُهُ، وهوَ الوقتُ الذي لم يَكُن فيهِ نورٌ ولا ظلامٌ فإنهما حَادثانِ أوجدَهما الله بعدَ أنْ لم يَكُونا مَوجودَيْنِ قالَ الله تَعالى ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾[3] فيَجبُ عَلينا اعتقادُ أنهما لم يَكُونا في بعضِ ما مضَى منَ الزّمنِ أيْ لم يَكُن هذا ولا هذا فلا يَتصوّرُ عَقلُ الإنسانِ وجودَ وقتٍ لم يَكُن فيهِ نورٌ ولا ظلامٌ لكنْ يجبُ الإيمانُ بذلكَ والعقلُ يَقبلُهُ فوجودُ الله تعالى بلا كميّةٍ ولا مكانٍ ولا جهةٍ منَ الجهاتِ يَقبلُهُ العَقلُ وإنْ لم يمكِن تَصوُّرهُ إذ ليسَ مِن شَرطِ الوُجودِ إمكانُ تصوُّرِهِ.

• ومحوَرُ اعتقادِ المسلمِ عَلى العقلِ السّليمِ الذي هوَ شاهدٌ على صحّةِ الدّينِ وليسَ

---

(١) مسلم. صحيح مسلم. كتاب صلاة الاستسقاء: باب رفع اليدين بالدعاء في الاستسقاء. ج٣ ص٢٤.

(٢) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص٣٣٣.

(٣) سورة الأنعام/ آية ١.

على الوهمِ لأنَّ الوَهمَ يَتصوّرُ أشياءَ لا حقيقةَ لها ومثالُ ذلكَ لو نَظرَ إنسانٌ إلى البَحرِ عندَ الغُروبِ وهمُهُ يقولُ لهُ إنَّ السّماءَ مُلتصِقَةٌ بالبَحرِ وإنَّ الشّمسَ تَنْزِلُ في البَحرِ لكنِ الواقعُ غيرُ ذلكَ، فالوَهمُ يحكمُ عَلى مَا لم يُشاهِدْهُ بحُكمِ مَا شاهَدَهُ، الوَهمُ يحكمُ بأنَّ كلَّ مَوجودٍ في مَكانٍ فيَحكمُ بأنَّ اللهَ مَوجودٌ بمكانٍ، أما العقلُ السّليمُ فيَقضِي بأنَّ الذي خَلقَ المكانَ كانَ موجودًا قبلَ المكانِ بلا مكانٍ، فكمَا صحَّ وجودُهُ تعالى قبلَ خَلقِ المكانِ بلا مكانٍ فكذلكَ يصحُّ وجودُهُ تَعالى بعدَ خَلقِ الأماكنِ والجهاتِ بلا مكانٍ وجهةٍ، وهذا لا يكونُ نفيًا لوُجودِهِ تَعالى كما زعمَتِ المشبّهةُ الوهابيّةُ الذينَ تَبِعُوا الوهمَ وهُمُ الدّعاةُ إلى التجسيمِ في هذا العصرِ.

• نقلَ الإمامُ أبو منصورٍ البغداديُّ إجماعَ المسلمينَ سلفِهِم وخلفِهِم عَلى أنَّ اللهَ مَوجودٌ بلا مكانٍ وجهةٍ في «الفَرقِ بينَ الفِرَقِ» حيث قال ما نصّهُ[1] «وأجمعوا - أيْ أهلُ السُّنةِ والجماعةِ- على أنهُ- أيِ الله - لا يحويهِ مكانٌ ولا يجرِي عليهِ زمانٌ»اهـ.

• قالَ الإمامُ أبو حنيفةَ رضي الله عنه في الفقهِ الأبسط[2] «مَن قالَ لا أعرفُ رَبي أفي السّماءِ أم في الأرضِ فهوَ كافرٌ وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش أفي السماء أو في الأرض» اهـ وذلكَ لأنهُ جوّزَ للحَقّ مَكانًا[3]. وقال العِزُّ ابن عبد السلام في كتابه «حَلّ الرموز» في بيان مراد أبي حنيفة ما نصه[4] «لأن هذا القول يوهم أن للحقّ مكانًا ومن توهم أنّ للحق مكانًا فهو مُشَبّهٌ»اهـ وقال

(١) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص٣٣٣.

(٢) أبو حنيفة. الفقه الأبسط ص٤٩. وهذا القول ثابت عنه نقله من لا يحصى كابن عبد السلام في كتاب حل الرموز ومفاتيح الكنوز (ص ٤٤) وتقي الدين الحصني في دفع شبه من شبه وتمرد (ص ٣١) نسخة الكوثري، وغيرهما كثير.

(٣) كما قال ملا علي القاري في شرح الفقه الأكبر. ص١٩٨. والبياضي في إشارات المرام ص٢٠٠.

(٤) نقله ملا علي القاري في شرحه على الفقه الأكبر. ص١٩٨.

الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى[1] «لقاء الله لأهل الجنة حق بلا كيفية ولا تشبيه ولا جهة»اهـ.

• وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى «إنه تعالى كان ولا مكان فخلق المكان وهو على صفة الأزلية كما كان قبل خلقه المكان، لا يجوز عليه التغيّر في ذاته ولا التبديل في صفاته» اهـ. نقله عنه الحافظ محمد مرتضى الزبيدي[2].

• وقال الإمامُ اللغويُّ الزجّاجُ ما نصُّه[3] «والله تعالى عالٍ على كل شيءٍ، وليسَ المرادُ بالعُلُوّ ارتفاعَ المحلِ لأنَّ الله تعالى يَجِلُّ عن المحلّ والمكانِ وإنما العلوُّ علوُّ الشأنِ وارتفاعُ السلطان» اهـ.

• وقال الإمامُ أبو منصورٍ الماتريديُّ رحمه الله تعالى[4] «إن الله سبحانه كان ولا مكانَ وجائز ارتفاع الأمكنة، وبقاؤه على ما كان فهو على ما كان وكانَ على ما عليه الآن، جلَّ عن التغيّرِ والزوالِ والاستحالةِ» اهـ.

• وقالَ الحافظُ محمدُ بنُ حِبّانَ صاحبُ الصحيحِ المشهورِ ما نصُّه[5] «الحمدُ للهِ الذي ليسَ له حدٌّ محدودٌ فيحتوى، ولا له أجَلٌ معدودٌ فيفنى، ولا يحيطُ به جوامعُ المكانِ ولا يشتملُ عليه تواترُ الزمان» اهـ.

• وقالَ الشيخُ أبو سليمانَ الخطّابيُّ صاحبُ معالمِ السننِ ما نصُّه[6] «وليسَ معنى قولِ المسلمين «إن الله على العرشِ» هو أنه تعالى مماسٌّ له أو متمكنٌ فيه أو متحيزٌ في جهةٍ من جهاتِه لكنه بائنٌ من جميعِ خلقِه (أي غير مشابه)، وإنما هو (أي

(١) أبو حنيفة. الوصية. ص١٣٨.

(٢) مرتضى الزبيدي. إتحاف السادة المتقين. ج٢ ص٢٤.

(٣) الزجّاج. كتاب تفسير الأسماء الحسنى. ص٤٨.

(٤) الماتريدي. كتاب التوحيد. ص٦٩.

(٥) ابن حبان. كتاب الثقات. المقدمة. ج١ ص١.

(٦) الخطابي. أعلام الحديث. كتاب بدء الخلق. ج٢ ص١٤٧٤.

الاستواء على العرش) خبرٌ جاءَ به التوقيفُ فقلنا به ونفَيْنا عنه التكييفَ (أي نزَّهنا اللهَ عن الجلوس والاستقرار والمحاذاة ونحوها من صفات المخلوقات) إذ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1]»اه.

- وقالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ في كتابِهِ فتح الباري[2] «لا يلزمُ من كونِ جهتي العُلْوِ والسفل محالًا على الله أن لا يوصفَ بالعلوّ لأنّ وصفَه بالعلوّ من جهةِ المعنى والمستحيلُ كونُ ذلك من جهةِ الحسِ ولذلك وردَ في صفتِه العالي والعَلِيّ والمتعالي» اهـ.

- قالَ الفخرُ الرازيُّ في تفسيرِه التفسير الكبير[3] «بيّن بقولِه ﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[4] أن كلَّ ما في السمٰوات وما في الأرضِ ملكٌ له، فوجبَ أن يكونَ منزّهًا عن كونِه حاصلًا في السمٰوات وفي الأرضِ وإلا لزمَ كونُه ملكًا لنفسِه، وإذا ثبت أنه ليس في شيء من السمٰوات امتنعَ كونُه أيضًا في العرشِ لأنَّ كلَّ ما سماك فهو سماءٌ، فإذا كان العرشُ موجودًا فوق السمٰوات كان في الحقيقةِ سماءً فوجب أن يكونَ كلُّ ما كان حاصلًا في العرشِ ملكًا لله فوجبَ أن يكونَ منزّهًا عن كونِه حاصلًا في العرشِ» اهـ. ثم قال «ولما ثبتَ بهذهِ الآيةِ أنَّ كلَّ من كان موجودًا في السمٰوات والعرشِ فهو عبدٌ لله وجبَ في من تقدسَتْ كبرياؤُه عن تهمةِ العبوديةِ أن يكونَ منزّهًا عن الكونِ في المكانِ والجهةِ والعرشِ والكرسيّ» اه.

- وقال الشيخُ أبو عبدِ الله الحسينُ بنُ الحسنِ الحليميُّ الشافعيُّ ما نصُّه[5] «وأما

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

(٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٦ ص١٣٦.

(٣) الرازي. التفسير الكبير. ج٢٧ ص٥٧٦.

(٤) سورة الشورى/ آية ٤.

(٥) الحليمي. المنهاج في شعب الإيمان. ج١ ص١٨٤.

البراءةُ من التشبيهِ بإثباتِ أنه - تعالى - ليسَ بجوهرٍ ولا عرضٍ فلأنّ قومًا زاغوا عن الحقّ فوصفوا البارئ جلَّ ثناؤُه ببعضِ صفاتِ المحدَثِينَ فمنهُم من قالَ إنه جوهرٌ ومنهم من قال إنه جسمٌ ومنهم من أجازَ أن يكونَ على العرشِ كما يكونُ الملِكُ على سريرِه وكان ذلك في وجوبِ اسمِ الكفرِ لقائلِه كالتعطيلِ والتشريكِ» اهـ.

• وقال الشيخُ ابنُ بَطّالٍ المالكيُّ أحدُ شرّاحِ صحيحِ البخاري ما نصُّه[1] «وغرضُ البخاري في هذا البابِ الردُّ على الجهميةِ والمجسمةِ في تعلقِها بهذه الظواهرِ وقد تقررَ أن الله ليس بجسمٍ فلا يحتاجُ إلى مكانٍ يستقرُّ فيه فقد كان ولا مكانَ وإنما أضاف المعارِجَ إليه إضافةَ تشريفٍ، ومعنى الارتفاعِ إليه اعتلاؤُه -أي تعاليه- مع تنزيهِهِ عن المكانِ» اهـ. وقد نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني مُقِرًّا له وموافقًا له، وقال أيضًا ما نصُّه «لا تعلُّقَ للمجسمةِ في إثباتِ المكانِ لما ثبتَ من استحالةِ أن يكونَ سبحانه جسمًا أو حالًّا في مكانٍ» اهـ.

• وقال الفقيهُ الإمامُ الشيخُ أبو إسحاق الشيرازيُّ الشافعيُّ ما نصُّه[2] «وإنَّ استواءَه ليس باستقرارٍ ولا ملاصقةٍ لأن الاستقرارَ والملاصقةَ صفةُ الأجسام المخلوقةِ والربُّ عزَّ وجلَّ قديمٌ أزليٌّ فدلَّ على أنه كانَ ولا مكانَ ثم خلقَ المكان وهو على ما عليه كان» اهـ.

(١) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري. ج١٣ ص٤١٦، ٤٣٣.

(٢) انظر عقيدة الشيرازي في مقدمة كتابه شرح اللمع. ج١ ص١٠١.

• قالَ إمامُ الحرمين أبو المعالي الجوينيُّ[١] ما نصُّه[٢] «الباريءُ سبحانَه وتعالى قائمٌ بنفسِه متعالٍ عن الافتقارِ إلى محلٍ يحلُّه أو مكانٍ يُقلُّه» اهـ.

• وقالَ الفقيهُ المتكلمُ أبو سعيدٍ المتولي الشافعيُّ أحدُ أصحابِ الوجوهِ في المذهبِ الشافعي ما نصُّه[٣] «ثبتَ بالدليلِ أنه لا يجوزُ أن يوصفَ ذاتُه تعالى بالحوادثِ لأنَّ الجوهرَ متحيزٌ والحقُّ تعالى لا يجوزُ أن يكونَ متحيّزًا» اهـ.

• وابنُ المعلمِ القرشيُّ الذي قالَ فيه الحافظُ ابنُ حجرٍ «كانَ فاضلًا حفظَ المقاماتِ وجوادًا» اهـ. قال[٤] «ومن كفَّرناه من أهلِ القبلةِ كالقائلينَ بخلقِ القرآنِ وبأنه لا يعلمُ المعدوماتِ قبلَ وجودِها ومن لا يؤمنُ بالقدرِ وكذا من يعتقدُ أن الله جالسٌ على العرشِ كما حكاهُ القاضي حسينٌ عن نصّ الشافعيّ» اهـ.

• ويقولُ الإمامُ محمدُ بنُ بدرِ الدين بنِ بلبان الدمشقيُّ[٥] «ويجبُ الجزمُ بأنه سبحانه وتعالى ليسَ بجوهرٍ ولا جسمٍ ولا عرضٍ، فمن اعتقدَ أو قالَ إن الله بذاته في كل مكانٍ أو في مكانٍ كافرٌ» اهـ.

---

(١) بعض الناس تنقل كذبًا عن إمام الحرمين الجويني بزعمهم أنه تاب في آخر حياته عن علم الكلام وهذا غير صحيح بدليل ما قاله تاج الدين السبكي «وذكر ابن السمعاني أيضًا أنه سمع أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان ذكر عن محمد بن طاهر المقدسي الحافظ قال سمعت أبا الحسن القيرواني الأديب بنيسابور وكان ممن يختلف إلى درس إمام الحرمين أنه قال سمعت أبا المعالي يقول لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به، قلت أنا: يشبه أن تكون هذه الحكاية مكذوبة وابن طاهر عنده تحامل على إمام الحرمين والقيرواني المشار إليه رجل مجهول ثم هذا الإمام العظيم الذي ملأت تلامذته الأرض لا ينقل هذه الحكاية عنه غير رجل مجهول ولا تعرف من غير طريق ابن طاهر، إن هذا لعجيب وأغلب ظني أنها كذبة افتعلها من لا يستحي» اهـ. طبقات الشافعية الكبرى. ج٥ ص١٨٦.

(٢) الجويني. الإرشاد إلى قواطع الأدلة. ص ٥٣.

(٣) المتولي. الغنية في أصول الدين. ص ٥١١.

(٤) ابن المعلم القرشي. نجم المهتدي. ج ٢ ص ٤٣٠.

(٥) محمد بن بلبان. مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات. ص ٤٨٩.

• ويقولُ أبو بكر بنُ عبدِ الله المعروفُ بابنِ العربي[1] في كتابِه «أحكامِ القرآنِ» عند تفسيرِ الآيةِ ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[2] ما نصُّه[3] «وهذا يدلُّ على نفيِ الجهةِ والمكانِ عن الله لاستحالةِ ذلك عليه» اهـ.

• ويقول أبو إسحاقَ الشاطبيُّ[4] «الله تعالى يتقدسُ عن المكانِ» اهـ.

• وبيّن ابنُ الجوزيِ الحنبليُّ براءةَ أهلِ السنةِ عامةً والإمامِ أحمدَ خاصةً من مذهبِ المشبهةِ فقال[5] «وكانَ أحمدُ لا يقولُ بالجهةِ للبارئِ» اهـ.

• واللهُ تَعالى موجودٌ بلا مكانٍ وهوَ عَالمٌ بكلّ مكانٍ ولا يقالُ الله موجودٌ في كلّ مكانٍ، وحكمُ مَن يقولُ «الله في كلّ مكانٍ» التكفيرُ إنْ كانَ يَفهَمُ مِن هذهِ العبارةِ أنَّ الله بذاتهِ مُنبثٌّ أو حالٌّ في كلّ مَكانٍ، أما إذا كانَ يَفهَمُ مِن هذهِ العبارةِ أنهُ تَعالى مُسيطِرٌ عَلى كلّ مكانٍ وعالمٌ بكلّ مكانٍ فلا يكفرُ، وهذا قصدُ كثيرٍ ممن يَلهَجُ بهذهِ الكلمةِ، ويجبُ النهيُ عَن هذهِ العبارةِ على كلّ حالٍ لأنها ليسَت صادرةً عَنِ السّلفِ بَل عنِ الجهميّةِ أتباعِ جهمِ بنِ صفوانَ إحدَى الفِرَقِ الضّالّةِ ثم استعمَلَها جهلةُ العَوامّ. قالَ ابنُ فورك في كتابِه «مشكلُ الحديثِ وبيانُه»[6] ما نصُّه «فمتى رجعوا في معنى إطلاقِ ذلك إلى العلمِ والتدبير كان معناه صحيحًا واللفظُ ممنوعًا» اهـ.

---

(١) وهو محمد بن عبد الله القاضي أبو بكر بن العربي الإشبيلي المالكي الحافظ عالم أهل الأندلس وهو غير محيي الدين بن عربي الصوفي.

(٢) سورة البقرة/ آية ١١٥.

(٣) ابن العربي. كتاب أحكام القرآن. تفسير الآية ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾. ج١ ص ٣٥.

(٤) الشاطبي. الإفادات والإرشادات. ص٩٣.

(٥) ابن الجوزي. دفع شبه التشبيه. ص٥٦.

(٦) ابن فورك. مشكل الحديث وبيانه. ج١ ص١٧٤.

• وقولهُ تَعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[١] ليسَ مَعناهُ أنَّ الله يَكونُ بذَاتِهِ معكُم في أيّ مكانٍ كنتُم إنما معناهُ أنَّ الله عَالمٌ بكُم أينَما كنتُم. وممن فسرَها بالعلم سفيانُ الثوريُ رضي الله عنهُ، فقد روى الحافظُ البيهقيُّ[٢] بالإسنادِ إلى معدانَ العابد قال «سألتُ سفيانَ الثوري عن قولِ الله عزّ وجلّ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ قال علمه» اهـ وقالَ البيهقيُّ أيضًا في كتابه «الاعتقادُ والهدايةُ إلى سبيلِ الرشادِ»[٣] «فيما كتبنا من الآياتِ دلالةٌ على إبطالِ قولِ من زعمَ من الجهميةِ أن اللهَ سبحانه وتعالى بذاتِه في كلِ مكانٍ، وقولُه عزَّ وجلَّ ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ إنما أراد به بعلمِه لا بذاتِه» اهـ.

• وكذلكَ قولُه تَعالى ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴾[٤] فليسَ مَعناهُ أنَّ الله محيطٌ بالعالم كإحاطةِ الـحُـقّةِ بما في دَاخلِها، إنما معناهُ إحاطةُ العلمِ أيْ لا يَخرجُ شيءٌ عَن عِلمِهِ. والحُقّةُ هيَ صندوقٌ يُوضَعُ فيهِ الطّيبُ ونحوهُ. وممن فسرَها بالإحاطةِ بالعلمِ الطبريُّ في تفسيرِهِ[٥] فقالَ «ولم يزلِ الله محصيًا لكلّ ما هو فاعلُه عبادُه من خيرٍ وشرّ، عالمًا بذلك، لا يخفى عليه شيء منه» اهـ.

• وكذلكَ كلمةُ «العُلُوّ» لا تدلُ دائمًا على العلوّ في المكانِ، قال اللهُ تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[٦] وقالَ تعالى

---

(١) سورة الحديد/ آية ٤.

(٢) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾. ص ٥٤١.

(٣) البيهقي. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد. ج١ ص١١٤.

(٤) سورة النساء/ آية ١٢٦.

(٥) الطبري. جامع البيان في تأويل القرآن. ج٩ ص ٢٥٢.

(٦) سورة القصص/ آية ٨٣.

﴿ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا ﴾[1] وقالَ تعالى ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾[2] وقالَ تعالى إخبارًا عن قولِ سليمانَ عليه السلامُ ﴿ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾[3] وقالَ تعالى ﴿ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[4] قال ابنُ منظورٍ في لسانِ العرب[5] «العلوُّ التكبُّـر في الأرضِ» اهـ. وقال «يقالُ علا فلانٌ في الأرض إذا استكبر وطغى»اهـ.

- وليسَت كلمةُ «فوق» دائمًا تدلُّ على المكانِ، فقد قالَ تعالى ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾[6] وقالَ تعالى ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ﴾[7]. فقولُه تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ ﴾[8] ليس معناهُ فوقيةَ المكانِ، قال النسفيُّ[9] «أي عالٍ عليهم بالقدرةِ» اهـ. وكذلك قولُه تعالى ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾[10]، قال النسفيُّ[11] «يخافونَه أن يرسلَ عليهم عذابًا من فوقهم، وإن علقته بربهم حالًا منه فمعناهُ يخافون ربَّهم غالبًا لهم قاهرًا» اهـ.

- وليسَ بمسلمٍ مَن يَعتقدُ أنَّ الله شيءٌ كالهواءِ أو كالنّورِ يَملأُ غُرفةً أو مسجدًا أو

(١) سورة الإسراء/ آية ٤٣.

(٢) سورة آل عمران/ آية ١٣٩.

(٣) سورة النمل/ آية ٣١.

(٤) سورة القصص/ آية ٤.

(٥) ابن منظور. لسان العرب. مادة (ع ل و). ج١٥ ص٨٣.

(٦) سورة آل عمران/ آية ٥٥.

(٧) سورة النساء/ آية ١١.

(٨) سورة الأنعام/ آية ١٨.

(٩) النسفي. تفسير النسفي. ج١ ص٣٢٠.

(١٠) سورة النحل/ آية ٥٠.

(١١) النسفي. تفسير النسفي. ج٢ ص١٦٢.

كعبةً أو عرشًا، ومثلُهُ حكمُ مَن يقولُ «الله يَسكنُ قُلوبَ أوليائِهِ» إنْ كانَ يَفهَمُ مِن هَذهِ العبارةِ أنَّ الله حالٌّ في قُلوبِ أوليائِهِ، أما إنْ كانَ يَفهمُ مِن هذهِ العبارةِ أنَّ حُبَّ الله يَسكنُ قُلوبَ أوليائهِ فلا يكفرُ.

- ونُسمّي المساجدَ بيوتَ الله لا لأنَّ الله يَسكُنها بلْ لأنها أماكنُ مُعدَّةٌ لذكرِ الله وعبادتِهِ، وكذلكَ نُسمّي الكعبةَ بيتَ الله لا لأنَّ الله يَسكُنها بَل لأنها بَيتٌ مُشرّفٌ عندَ الله، ونقولُ في العَرشِ إنهُ جرمٌ كبيرٌ أعدّهُ الله ليَطوفَ بهِ الملائكةُ كما نَطوفُ بالكَعبةِ لا ليَتّخذَهُ مَكانًا لذاتهِ[1].

- وقد قالَ ﷺ «**أفضلُ الصيامِ بعد رمضانَ شهرُ الله المحرّمُ**» رواه مسلمٌ[2]، قال ابنُ منظورٍ في لسانِ العربِ[3] «أضافَه إلى الله تعظيمًا وتفخيمًا كقولهم بيت الله»اهـ.

والله تَعالى أعلَمُ وأحكمُ

(١) ذكر ذلك الرازي في تفسيره. ج٢٧ ص٤٨٧. والقرطبي في تفسيره. ج١٥ ص٢٩٤.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الصيام: باب فضل صوم المحرَّم. ج٣ ص١٦٩.

(٣) ابن منظور. لسان العرب. مادة (ش هـ ر). ج٤ ص٤٣١.

المحاضرة الخامسة

تَنزيهُ اللّه عنِ الجسميّةِ والحَدّ

بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- قالَ الله تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[1] هَذهِ الآيةُ هيَ أصرحُ آيةٍ في القُرآنِ في تنْزيهِ الله التنْزيهَ الكُلّيَّ لأنَّ كَلمةَ (ليسَ) حَرفُ نفي[2] والمرادُ بها هنا نَفيُ المثلِ، والكافُ في ﴿كَمِثۡلِهِۦ﴾ لتأكيدِ النّفي، وكَلمةُ (شَيءٍ) نكرةٌ، وقَد قالَ علماءُ البَيانِ: النكرةُ إذا جاءَت في سِياقِ النَّفي أفادَتِ العُمومَ فأفادتِ الآيةُ أنَّ الله تباركَ وتَعالى لا يُشبههُ شَيءٌ منَ العَالمينَ بأيّ وَجهٍ منَ الوُجوهِ. قالَ الشيخ أبو يحيى زكريا الأنصاريُّ في كتابه «غايةُ الوصولِ شرحُ لبّ الأصولِ»[3] «والنكرةُ في سياقِ النفي وفي معناه النهي للعموم وضعًا في الأصح» اهـ. قال أبو السعودِ في تفسيرِه[4] «﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ أي ليس مثلَه شيءٌ في شأنٍ من الشؤونِ» اهـ.

- الله تَعالى ليسَ جِسمًا، الجسمُ ما لهُ طولٌ وعَرضٌ وسَمْكٌ ولا يُوصفُ تعالى

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

(٢) بعضهم قال «ليس» حرف نفي وبعضهم قال فعل لأن تاء التأنيث تدخل عليها اهـ. الأنصاري. أوضح المسالك إلى ألفية الإمام مالك. ج١ ص ١٢.

(٣) زكريا الأنصاري. غاية الوصول شرح لبّ الأصول. ص٢٩٩.

(٤) أبو السعود العمادي. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم. ج٦ ص٧٣.

بصفاتِ الجسمِ كاللونِ والصّورةِ والشّكلِ والحركةِ والسّكونِ والتغيّرِ والجلوسِ والانفعالِ كالإحساسِ بالتّعبِ والشّعورِ بالآلامِ واللذاتِ.

قال بعضُ العلماء «الجسمُ ما تألّفَ من جوهرين فأكثرَ» اهـ. قال الغزاليُّ في كتابه «الاقتصادُ في الاعتقاد»[1] «صانعُ العالمِ ليس بجسمٍ، لأن كلَّ جسمٍ فهو متألّفٌ من جوهرَيْن متحيزين، وإذا استحالَ أن يكون جوهرًا استحالَ أن يكون جسمًا، ونحن لا نعني بالجسمِ إلا هذا» اهـ. وقال المتولي في كتابه «الغنيةُ في أصول الدين»[2] «والجوهرُ الفردُ هو الجزءُ الذي لا يتصورُ تجزؤه عقلًا ولا تقدير تجزُّئِه وهمًا، وأما الجسمُ فهو المؤلفُ وأقلُّ الجسم جوهران بينهما تأليفٌ» اهـ. وقال مثله الشهرستانيُّ في كتابه «نهايةُ الإقدامِ في علمِ الكلام». وقال الإيجيُّ في كتابه «المواقف»[3] «الأبعادُ الثلاثةُ الجسمية تسمى الطولَ وهو الامتدادُ المفروضُ أولًا والعرضَ وهو الامتدادُ المفروضُ ثانيًا المُقاطِعُ للأولِ على زوايا قوائمَ والعمقَ وهو المفروضُ ثالثًا المقاطِعُ للأوّلَيْن كذلك» اهـ.

- قالَ الإمامُ عليٌّ رضي الله عنهُ «مَن زَعمَ أنَّ إلـٰهنا محدودٌ فقَد جَهِلَ الخالقَ المعبودَ»اهـ. رواهُ الحافظُ أبو نُعيم في حِليةِ الأولياءِ[4]. والمحدودُ عندَ عُلماءِ التّوحيدِ مَا لهُ حجمٌ صغيرًا كانَ كالذَّرّةِ وهيَ الهباءُ الذي يَظهرُ عندَ دُخولِ نُورِ الشّمسِ منَ النافذةِ أو كبيرًا كالعَرش وهوَ سقفُ الجنّةِ، فالذرّةُ محدودةٌ والعَرشُ محدودٌ والنّورُ والظّلامُ والريحُ كُلُّ ذلكَ محدودٌ قالَ الله تَعالى ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾[5] أيْ أنَّ الله جَعلَ كلَّ حَجمٍ عَلى مِقدارٍ منَ المساحَةِ يَنتهي إليهَا.

---

(١) أبو حامد الغزالي. الاقتصاد في الاعتقاد. ص٢٨.

(٢) المتولي. الغنية في أصول الدين. ج١ ص٥٠.

(٣) الإيجي. المواقف. ج١ ص٥١٥.

(٤) أبو نعيم الأصفهاني. حلية الأولياء. ص١١٥.

(٥) سورة الرعد/ آية ٨.

قال النسفيُّ[١] في تفسيرِ هذه الآية «أي بقدرٍ وحَدّ لا يجاوزُه ولا ينقُصُ عنه» اهـ. ومثل ذلك قالَ البيضاويُّ[٢].

- ومَعنى كلامِ الإمامِ عليّ رضي الله عنهُ أنَّ الله ليسَ جسمًا صغيرًا كالذّرةِ وليسَ جسمًا كبيرًا كالعَرشِ وليسَ جسمًا أكبرَ مِن ذلكَ لأنهُ لَو كانَ جسمًا صغيرًا كالذّرةِ لكانَ لهُ أمثالٌ قالَ تعالى ﴿ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ ﴾[٣] أيْ لا تَجعلوا لله الأمثالَ أيْ لا تُشبّهُوهُ بخَلقهِ[٤]، ولو كانَ جسمًا كبيرًا كالعَرشِ لكانَ مِثلًا لهُ قال تعالى ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٥] والكُفوُ هوَ النّظيرُ، أيْ لا نظيرَ لهُ بوَجهٍ منَ الوُجوهِ، ولَو كانَ جسمًا أكبرَ منَ العَرشِ لكانَ محتاجًا لمن حَدَّهُ بهذا الطُّولِ وبهذا العَرضِ وبهذا السَّمْكِ ولا يجوزُ أنْ يَحُدَّ نفسَهُ بحدّ يكونُ عليهِ لأنَّ مَعنى ذلكَ أنهُ خَلقَ نفسَهُ وذلكَ محالٌ لأنَّ الشّىءَ لا يخلقُ نفسَهُ.
- فقولُنا «الله أكبرُ» ليسَ مَعناهُ أنَّ الله جسمٌ أكبرُ مِن كلّ الأجسامِ بَل مَعناهُ أنَّ الله أكبرُ مِن كلّ كبيرٍ قدرًا ومنْزلةً وقوّةً وعلمًا. قال ابنُ الأثيرِ في كتابهِ «النهايةُ في غريبِ الأثرِ»[٦] «معناه اللهُ أكبرُ من كلّ شىءٍ أي أعظمُ» اهـ. وفي «تاجِ العروسِ من جواهرِ القاموسِ» لمرتضى الزبيديّ[٧] «اللهُ أكبرُ من كلّ شىءٍ أي أعظمُ، فحذفَ لوضوحِ معناه» اهـ.
- قالَ الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنه «المجسّمُ كافرٌ» اهـ. رواهُ السُّيوطيُّ في الأَشباهِ

(١) النسفي. تفسير النسفي. ج٢ ص٩٧.

(٢) البيضاوي. تفسير البيضاوى. ج٤ ص٣٦.

(٣) سورة النحل/ آية ٧٤.

(٤) النسفي. تفسير النسفي. ج٢ ص١٧٠، البيضاوي. تفسير البيضاوي. ج٣ ص٤١١.

(٥) سورة الإخلاص/ آية ٤.

(٦) ابن الأثير. النهاية في غريب الأثر. ج٤ ص٢٤٤.

(٧) مرتضى الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. ج١٤ ص٥.

والنّظائرِ[١].

• وقالَ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنه «مَن قالَ الله جسمٌ لا كالأَجسامِ كفرَ»[٢] اهـ ذكَرَهُ صاحبُ الخِصالِ وهوَ مِن مَشاهيرِ الحنابلةِ لأن وصف الله بالجسم كفر ولو قال لا كالأجسام.

• وقالَ ابنُ حَجرٍ الهيتميُّ في «المنهاجِ القَويمِ شَرحِ المقدّمةِ الحضرميّةِ» «واعلَم أنَّ القَرافيَّ وغيرَهُ حكَوا عَنِ الشّافعيّ ومالكٍ وأبي حنيفةَ وأحمدَ القولَ بكُفرِ القائلينَ بالجهةِ والتجسيمِ وهُم حقيقُونَ بذلكَ»[٣] اهـ.

• وفي كتابِ «نجمِ المهتَدي» لابنِ المعلِّمِ القُرَشِيّ عَن عليّ رضي الله عنهُ قالَ «سَيرجعُ قومٌ مِن هذهِ الأمةِ عندَ اقترابِ السّاعةِ كفارًا، قالَ رجلٌ يا أميرَ المؤمنين كُفرُهُم بماذا أبالإحداثِ أم بالإنكارِ فقالَ بَل بالإنكارِ يُنكِرونَ خالقَهُم فيَصفونَهُ بالجسمِ والأَعضاءِ»[٤] اهـ.

• وقال الفخر الرازي في تفسيره[٥] «احتجَّ من أثبتَ الأعضاءَ والجوارحَ لله تعالى بقوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[٦] في إثباتِ يدين لله تعالى، بأن قالوا ظاهرُ الآيةِ يدلُّ عليه فوجب المصيرُ إليه، والآياتُ الكثيرةُ واردةٌ على وفقِ هذه الآية، فوجبَ القطعُ به.

واعلمْ أنَّ الدلائلَ الدالةَ على نفي كونِه تعالى جسمًا مركّبًا من الأجزاءِ

(١) السيوطي. الأشباه والنظائر. ص ٤٨٨.

(٢) ذكر ذلك المحدث الفقيه بدر الدين الزركشي في تشنيف المسامع. ج٤ ص٦٤٨.

(٣) ابن حجر الهيتمي. المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية. فصل في صلاة الجمعة وأحكامها. ج١ ص ١٤٤.

(٤) ابن المعلم القرشي. نجم المهتدي ورجم المعتدي. ج ٢ ص ٤٨٣.

(٥) الرازي. التفسير الكبير. ج٢٦ ص٤٠٩-٤١٠-٤١١.

(٦) سورة ص/ آية ٧٥.

والأعضاء قد سبقت إلا أنَّا نذكرُ ههنا نُكتًا جاريةً مجرى الإلزامات الظاهرة:

- فالأولُ: أنَّ من قال إنه مركبٌ من الأعضاءِ والأجزاءِ، فإما أن يثبتَ الأعضاءَ التي ورد ذكرُها في القرآنِ ولا يزيدَ عليها، وإما أن يزيدَ عليها، فإن كان الأول لزمَه إثباتُ صورةٍ لا يمكنُ أن يزادَ عليها في القبح لأنه يلزمُه إثباتُ وجهٍ بحيثُ لا يوجدُ منه إلا مجردُ رقعةِ الوجه لقوله ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[(١)] ويلزمُه أن يثبتَ في تلك الرقعةِ عيونًا كثيرةً لقوله ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[(٢)] وأن يثبتَ جنبًا واحدًا لقوله تعالى ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾[(٣)] وأن يثبتَ على ذلك الجنبِ أيديًا كثيرةً لقوله تعالى ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[(٤)] وبتقديرِ أن يكونَ له يدان فإنه يجبُ أن يكونَ كلاهُما على جانبٍ واحد لقولِه ﷺ «**الحجرُ الأسودُ يمينُ الله في الأرض**»[(٥)]، وأن يثبتَ له ساقًا واحدًا لقوله تعالى ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[(٦)] فيكون الحاصلُ من هذه الصورةِ مجردَ رقعةِ الوجهِ ويكونُ عليها عيونٌ كثيرةٌ، وجنبٌ واحدٌ ويكون عليه أيد كثيرةٌ وساقٌ واحدٌ، ومعلومٌ أن هذه الصورةَ أقبحُ الصور، ولو كان هذا عبدًا لم يرغبْ أحدٌ في شرائِه، فكيف يقولُ العاقلُ إن ربَّ العالمين موصوفٌ بهذه الصورةِ. وأما القسمُ الثاني: وهو أن لا يقتصرَ على الأعضاءِ المذكورةِ في القرآن، بل

(١) سورة القصص/ آية ٨٨.

(٢) سورة القمر/ آية ١٤.

(٣) سورة الزمر/ آية ٥٦.

(٤) سورة يس/ آية ٧١.

(٥) البغوي. شرح السنة. ج٧ ص١١٤. وقال ابن حجر في شرح هذا الحديث «**يمين الله في الأرض**» ما نصه: «ومعاذ الله أن يكون لله جارحة، وقال الخطابيّ معنى يمين الله في الأرض أن من صافحه في الأرض كان له عند الله عهد وجرت العادة بأن العهد يعقده الملك بالمصافحة لمن يريد موالاته والاختصاص به» اهـ. ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٣ ص٤٦٣.

(٦) سورة القلم/ آية ٤٢.

يزيد وينقص على وفقِ التأويلات، فحينئذٍ يبطلُ مذهبُه في الحملِ على مجردِ الظواهر، ولا بدَّ له من قبولِ دلائلِ العقل.

- الحجة الثانية في إبطالِ قولهم أنهم إذا أثبتوا الأعضاءَ لله تعالى، فإن أثبتوا له عضوَ الرَّجلِ فهو رجلٌ، وإن أثبتوا له عضوَ النساءِ فهو أنثى، وإن نفَوْهما فهو خصيٌّ أو عِنّينٌ، وتعالى الله عما يقولُ الظالمون علوًّا كبيرًا.

- الحجة الثالثة: أنه في ذاتِه سبحانه وتعالى، إما أن يكونَ جسمًا صلبًا لا ينغمزُ ألبتة، فيكون حجرًا صلبًا، وإما أن يكون قابلًا للانغماز، فيكون ليّنًا قابلًا للتفرقِ والتمزقِ. وتعالى الله عن ذلك.

- الحجةُ الرابعةُ: أنه إن كان بحيثُ لا يمكنه أن يتحركَ عن مكانه، كانَ كالزَّمِن المقعَدِ العاجزِ، وإن كان بحيثُ يمكنُه أن يتحركَ عن مكانه، كان محلًّا للتغيراتِ، فدخلَ تحت قوله ﴿قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾[1].

- الحجةُ الخامسةُ: إن كان لا يأكلُ ولا يشربُ ولا ينامُ ولا يتحركُ كان كالميتِ، وإن كان يفعلُ هذه الأشياءَ كان إنسانًا كثيرَ التهمةِ محتاجًا إلى الأكلِ والشربِ والوِقاعِ وذلك باطلٌ.

- الحجةُ السادسة: أنهم يقولون إنه ينزلُ كلَّ ليلةٍ من العرشِ إلى السماءِ الدنيا، فنقولُ لهم حين نزوله: هل يبقى مدبّرًا للعرش ويبقى مدبّرًا للسماءِ الدنيا حينَ كان على العرشِ، وحينئذٍ لا يبقى في النزولِ فائدةٌ، وإن لم يبقَ مدبرًا للعرشِ فعند نزولِه يصيرُ معزولًا عن إلـٰهيةِ العرش والسمٰوات.

- الحجةُ السابعةُ: أنهم يقولون إنه تعالى أعظمُ من العرشِ، وإن العرشَ لا نسبةَ لعظمته إلى عظمةِ الكرسي، وعلى هذا الترتيبِ حتى ينتهيَ إلى السماءِ الدنيا، فإذا كانَ كذلك كانت السماءُ الدنيا بالنسبةِ إلى عظمةِ الله كالذرةِ بالنسبةِ إلى

(١) سورة الأنعام/ آية ٧٦.

البحرِ، فإذا نزلَ فإما أن يقالَ إن الإلهَ يصيرُ صغيرًا بحيثُ تسعُه السماءُ الدنيا، وإما أن يقالَ إن السماءَ الدنيا تصيرُ أعظمَ من العرشِ، وكلُّ ذلك باطلٌ» اهـ.

- والأجسامُ عَلى نَوعينِ جسمٌ كثيفٌ وجسمٌ لَطيفٌ. فأما الجسمُ الكثيفُ فهوَ ما يُضبَطُ باليدِ أيْ يُجسُّ[1] باليَدِ كالإنسانِ والشّجرِ والحجرِ والسّمواتِ والأرضِ والكواكبِ والشّمسِ والقَمرِ. وأما الجسمُ اللطيفُ فهوَ ما لا يُضبَطُ باليَدِ أيْ لا يُجسُّ باليَدِ كالظُّلُماتِ والنّورِ والرّوحِ والهواءِ والجِنّ والملائكةِ.

- وقالَ الله تَعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[2] في هذهِ الآيةِ دليلٌ على أنَّ الله ليسَ جسمًا كثيفًا كالسّمواتِ والأرضِ وليسَ جسمًا لطيفًا كالظّلماتِ والنّورِ لأنهُ لا يمكنُ أنْ يُشبِهَ خَلقَهُ لأنهُ لَو كانَ يُشبهُ شيئًا مِن خَلقهِ لجازَ عَليهِ ما يجوزُ عَلى خَلقهِ منَ التَغيُّرِ والعَجزِ والضّعفِ لأنَّ المتماثلاتِ يجوزُ عَليها ما يجوزُ عَلى بعضِها ولو جازَ عليهِ ذلكَ لاحتاجَ إلى مَن يُغيّرُهُ مِن حالٍ إلى حالٍ والمحتاجُ إلى الغَيرِ لا يكونُ إلـٰهًا، فـثبتَ أنهُ ليسَ جسمًا كثيفًا ولا لطيفًا، وقَد قالَ الإمامُ أبو حنيفةَ في الفقهِ الأكبرِ «أنّى يُشبهُ الخالقُ مخلوقَهُ» اهـ. مَعناهُ لا يَصحُّ عقلًا ولا نقلًا أن يُشبِهَ الخالقُ مخلوقَهُ.

- وقالَ أبو الفضلِ التميميُّ رئيسُ الحنابلةِ في بغدادَ وابنُ رئيسِها في كتابهِ «اعتقادِ الإمامِ المبَجَّلِ أحمدَ بنِ حنبلٍ»[3] «أنكرَ أحمدُ - يعني ابنَ حنبلٍ - عَلى مَن قالَ بالجسمِ - أيْ في حقّ الله تَعالى - وقالَ إنَّ الأسماءَ مأخوذةٌ منَ الشّريعةِ واللغةِ وأهلُ اللغةِ وضعوا هذا الاسمَ لما لهُ طولٌ وعَرضٌ وسَمكٌ وتأليفٌ وتركيبٌ وصورةٌ والله خارجٌ عَن ذلكَ كلّهِ ولم يجئ في الشّريعةِ فبطَل» اهـ.

---

(١) المس مجرد اللمس، أما الجس فأقوى.

(٢) سورة الأنعام/ آية ١.

(٣) أبو الفضل التميمي. اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل. ص١١١. ونقله البيهقي في مناقب أحمد. ص١١١، و ابن جماعة في إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل. ص٣٣.

• وقالَ الإمامُ أبو جعفرٍ الطّحاويُّ المتوفّى سنةَ ٣٢١ هـ في عقيدتهِ التي ذكرَ أنها بيانُ عَقيدةِ أهلِ السُّنةِ والجماعةِ «تَعالى -يعني الله- عنِ الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأَعضاءِ والأدواتِ» اهـ «تَعالى» أي تنزَّهَ الله عَنِ «الحدودِ» أي الأَحجامِ «والغاياتِ» أيِ النهاياتِ و«الأركانِ» أيِ الجوانبِ «والأَعضاءِ» أيْ أجزاءِ الإنسانِ الكبيرةِ كالرأسِ واليدِ الجارحةِ والرِجلِ الجارحةِ «والأدواتِ» أيْ أجزاءِ الإنسانِ الصّغيرةِ كالأُذنِ والأَنفِ واللسانِ والعَينِ الجارحةِ.

• وأما قولهُ تَعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[(١)] فمَعناهُ أنَّ الله تعالى هَادِي أهلِ السّمواتِ وأهلِ الأرضِ المؤمنينَ لنورِ الإيمانِ، رواهُ البيهقيُّ عَن عبدِ الله ابنِ عباسٍ رضي الله عنهُما[(٢)]، فالله تَعالى ليسَ نورًا بمعنى الضّوءِ بَل هُوَ الذي خَلقَ النّورَ، قالَ تَعالى ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[(٣)] أيْ خلقَ الظّلماتِ والنورَ، فكيفَ يمكِن أَن يكونَ نورًا كخَلقهِ، تَعالى الله عن ذلكَ عُلوًّا كبيرًا، وقولُهُ تَعالى في آخرِ الآيةِ ﴿يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[(٤)] يُفسّرُ أولَ الآيةِ، ومَنِ اعتقدَ أنَّ الله تَعالى ضَوءٌ لا يَكونُ مسلمًا.

• وقالَ الله تَعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾[(٥)] هذهِ الآيةُ مَعناها للهِ الوَصفُ الذي لا يُشبهُ وَصفَ غَيرهِ، فالله مُنَزَّهٌ عنِ الاتصافِ بصفاتِ الجسمِ كاللونِ فليسَ لهُ لونٌ أبيضُ أو أسودُ أو أزرقُ أو غيرُ ذلكَ منَ الألوانِ. قال البيضاويُّ[(٦)] في

---

(١) سورة النور/ آية ٣٥.

(٢) البيهقي. الأسماء والصفات. ص ١٠٢، القرطبي. تفسير القرطبي. تفسير سورة النور. ج١٢ ص٢٥٧، الطبري. تفسير الطبري. ج١٧ ص٢٩٥، اللالكائي. اعتقاد أهل السنة. ج٢ ص ٢٠١.

(٣) سورة الأنعام/ آية ١.

(٤) سورة النور/ آية ٣٥.

(٥) سورة النحل/ آية ٦٠.

(٦) البيضاوي. تفسير البيضاوي. ج٣ ص٤٠٥.

تفسيرِ هذه الآيةِ «وهو الوجوبُ الذاتيُّ والغنى المطلقُ والجودُ الفائقُ والنزاهةُ عن صفاتِ المخلوقين» اهـ.

- والله منزّهٌ عنِ الاتصافِ بالحركةِ والسّكونِ فالله ليسَ جسماً متحرّكًا عَلى الدّوام كالكواكبِ وليسَ جسماً ساكنًا عَلى الدّوامِ كالسّمواتِ وليسَ جسماً متحرّكًا في وَقتٍ وساكنًا في وقتٍ آخرَ كالإنسانِ، فالله تَعالى مُنَزَّهٌ عنِ الاتّصافِ بالتغيّرِ مِن حالٍ إلى حالٍ فلا يُوصَفُ بالتنقُّلِ مِن عُلْوٍ إلى سُفْلٍ ولا بالمجيءِ مِن مكانٍ إلى مكانٍ ولا بالاجتماعِ والافتراقِ ولا بالجلوسِ عَلى العرشِ ولا بالتحيّزِ في الجهةِ والمكانِ.
- وقد قال الأسفرايينيُّ في كتابِه «التبصيرُ في الدين»(1) تحت عنوان «الفصلُ الأولُ في بيانِ اعتقادِ أهلِ السنةِ والجماعةِ السليمِ من جميعِ ما ذُكرَ من الضلالاتِ» ما نصُّه «وأن تعلمَ أن الحركةَ والسكونَ والذهابَ والمجيءَ والكونَ في المكانِ والاجتماعَ والافتراقَ والقربَ والبعدَ من طريقِ المسافةِ والاتصالَ والانفصالَ والحجمَ والجرمَ والجثةَ والصورةَ والحيزَ والمقدارَ والنواحيَ والأقطارَ والجوانبَ والجهاتِ كلَّها لا تجوزُ عليه تعالى لأن جميعَها يوجبُ الحدَّ والنهايةَ وقد دلّلنا على استحالةِ ذلك على البارئ سبحانَه وتعالى» اهـ.
- وقَد قالَ الإمامُ أبو جعفرٍ الطّحاويُّ رحمه الله في عَقيدتهِ «ومَن وصفَ الله بمعنى مِن مَعاني البَشرِ فقَد كفرَ» اه. أيْ مَن وَصفَ الله ولَو بصفةٍ واحدةٍ مِن صفاتِ البشرِ فَقد كفرَ والحركة والسكون والاجتماع والافتراق كلّ هذهِ الصّفاتِ ونحوها هيَ صفاتُ البَشرِ.
- وقالَ أبو سُليمانَ الخطّابيُّ «إنَّ الذي يجبُ عَلينا وعلى كلّ مُسلمٍ أَن يَعلمَهُ أَنَّ

(1) الأسفراييني. التبصير في الدين. ج1 ص160.

ربَّنا ليسَ بذِي صُورةٍ ولا هَيئةٍ فإنَّ الصّورةَ تقتَضِي الكيفيَّةَ وهيَ عَنِ الله وعَن صفاتِهِ مَنفيةٌ» اهـ. رواهُ عنهُ البيهقيُّ في الأَسماءِ والصّفاتِ[1]. وقالَ أبو منصورٍ البغداديُّ في كتابِهِ «الفرقُ بين الفرقِ»[2] «وأجمعوا على نفيِ الحركةِ والسكونِ عن اللهِ» اهـ.

• والسّبيلُ إلى صَرفِ التّشبيهِ والمحافظةِ على التنْزيهِ اتباعُ هذهِ القاعدةِ القَاطعةِ التي قالها ذُو النّونِ المصريُّ «مهمَا تصوّرتَ ببالِكَ فالله بخِلافِ ذلكَ»[3] اه كما تقدم لأنَّ ما تتصوّرهُ ببالِكَ خَيالٌ ومثالٌ والله مُنَزَّهٌ عَن ذلكَ، وهذهِ القاعدةُ مجمَعٌ عَليها عندَ أهلِ الحقّ وعليها كل المسلمين وهي مأخوذةٌ مِن قَولِه تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[4] ومَن لا مِثلَ لهُ ولا صُورةَ لهُ لا يَتمثَّلُ ولا يُتصوَّرُ في الوَهمِ.

والله تعالى أعلم وأحكم

(١) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما ذكر في الصورة. ص ٣٧٦.

(٢) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ج١ ص٣٢١.

(٣) ابن عساكر. تاريخ دمشق بالإسناد من طريق السلمي. ج١٧ ص٤٠٤.

(٤) سورة الشورى/ آية ١١.

المحاضرة السادسة

معنَى الشّهادتينِ وأنَّ الإسلامَ والإيمانَ مُتلازمانِ

بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- يجبُ عَلى المكلّفِ أَن يَعرِفَ مَعنى الشّهادتينِ وهما شَهادةُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وشهادةُ أنَّ محمّدًا رسولُ الله ﷺ.
- فالإلهُ هوَ مَن لهُ الإلهيّةُ وهيَ القُدرةُ عَلى الاختراعِ أيْ إيجادِ الأشياءِ منَ العَدمِ إلى الوُجودِ، والإلهُ هوَ وَحدَهُ المعبودُ بحقّ وهو الله تبارك وتعالى.
- ومَعنى الشّهادةِ الأُولى وهيَ شهادةُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله أعلمُ وأعتقدُ بقلبي وأعترفُ بلساني أنهُ لا يَستحقُّ الألوهيّةَ أحدٌ إلا الله أي لا مُوجِدَ لشَىءٍ منَ الأَشياءِ منَ العَدمِ إلى الوُجودِ إلا الله ولا مَعبودَ بحقّ إلا الله، أيْ لا يَستحقُّ أحدٌ أن يُعبَدَ أيْ أنْ يُتذَلّلَ لهُ نهاية التذلّلِ ويُعظَّمَ غايةَ التعظيمِ إلا الله، فالتعظيمُ عَلى دَرجاتٍ، والعبادةُ هيَ أعلَى درجاتِ التعظيمِ، والمسلمُ يُعظّمُ الله أعلَى دَرجاتِ التعظيمِ ولا يُعظّمُ أحدًا مِن خلقِ الله إلى دَرجةِ تَعظيمِ الله.
- ومَعنى الشّهادةِ الثانية وهيَ شهادةُ أنَّ محمّدًا رسولُ الله ﷺ أعلَمُ وأعتقِدُ بقَلبي وأعترفُ بلساني أنَّ محمّدَ بنَ عبدِ الله بنِ عبدِ المطّلبِ بنِ هاشمِ بنِ عبدِ منافٍ القُرشيَّ ﷺ مرسلٌ مِن عندِ الله إلى كلّ الإنسِ والجنّ العَربِ والعَجمِ.

• واعتقادُ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله فقَط لا يَكفي ما لم يُقرَن باعتقادِ أنَّ محمّدًا رسولُ الله ﷺ. قالَ الله تَعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[1].

فهذهِ الآيةُ دليلٌ عَلى أنَّ الإيمانَ برَسولِ الله محمّدٍ ﷺ لا بدَّ منهُ لصحّةِ الإيمانِ أيْ لكونِ العبدِ مؤمنًا عندَ الله وأنَّ مَن لم يجمَعِ الإيمانَ بالله معَ الإيمانِ برسولِ الله محمّدٍ ﷺ فهوَ كافرٌ وأنَّ الجنةَ حرامٌ عليهِ، فمَن ظنَّ أنَّ الإنسانَ يكونُ مؤمنًا مِن أهلِ الجنّةِ مِن غَيرِ الإيمانِ برسولِ الله محمّدٍ ﷺ فقَد كذّبَ القُرآنَ.

معنَى الإيمانِ والإسلامِ وأنهما مُتلازمانِ

الإيمانُ لغةً التّصديقُ بالقَلبِ، وشرعًا التّصديقُ بالقَلبِ بما جاءَ بهِ النبيُّ ﷺ مِن عِندِ الله، والإسلامُ لغةً الانقيادُ، وشرعًا الانقيادُ لما جاءَ بهِ النبيُّ ﷺ مِن عندِ الله بالنّطقِ بالشّهادتينِ.

• والإسلامُ والإيمانُ مُتلازمانِ فلا يَصحُّ كلٌّ منهُما بدُونِ الآخرِ، فالنطقُ بالشّهادتينِ لا يُقبَلُ عندَ الله بدُونِ التّصديقِ بالقَلبِ بمعنَاهما، والتّصديقُ بالقَلبِ بمعنى الشّهادتينِ لا يُقبَلُ عندَ الله بدُونِ النّطقِ بهما، هذا فيمَن كانَ عَلى غَيرِ الإسلامِ ثم أرادَ الدّخولَ في الإسلامِ، وأما مَن نَشأَ عَلى الإسلامِ وكانَ يَعتقدُ الشّهادتينِ فلا يُشترطُ في حقّهِ النّطقُ بهما بَل هوَ مُسلمٌ مؤمنٌ لَو لم يَنطِق.

• قالَ الإمامُ أبو حَنيفةَ رضي الله عنه في «الفقهِ الأكبرِ» «لا يكونُ إيمانٌ بلا إسلامٍ ولا إسلامٌ بلا إيمانٍ فهُما كالظّهرِ معَ البَطنِ»[2] اهـ. أيْ كَما أنَّ الظّهرَ لا يَنفصلُ عَنِ البَطنِ فكَذلكَ الإيمانُ لا يَنفصلُ عنِ الإسلامِ والإسلامُ لا يَنفصلُ عنِ

(١) سورة الفتح/ آية ١٣.

(٢) ملا علي القاري. شرح الفقه الأكبر. ص١٥٠.

الإيمانِ فلذلكَ لا يُقالُ فلانٌ مسلمٌ ولكنّهُ ليسَ بمؤمنٍ أوِ العكسُ فلانٌ مؤمنٌ ولكنهُ ليسَ بمسلمٍ بل يُقالُ فلانٌ مؤمنٌ كاملُ الإيمانِ أَو فلانٌ مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ لأنَّ صفةَ الإيمانِ تَزيدُ بالحسناتِ وتَنقصُ بالسّيئاتِ.

فمَن آمَن بالله ورسولهِ محمّدٍ ﷺ وأدّى الواجباتِ واجتنبَ المحرّماتِ فهذا مسلمٌ مؤمنٌ وإيمانهُ كاملٌ، ومَن تركَ بعضَ الواجباتِ كالصّلواتِ الخمسِ أوِ ارتكبَ بعضَ المحرّماتِ كأكلِ الرّبا وشربِ الخمرِ فهذا مسلمٌ مؤمنٌ وإيمانهُ ناقصٌ.

- أما حديثُ «**لا يؤمنُ أحدكُم حَتى يُحِبَّ لأَخيهِ ما يُحبُّ لنَفسهِ**»[1] فمَعناهُ لا يُؤمنُ أحدكُم إيمانًا كاملًا حَتى يُحبَّ لأَخيهِ ما يُحبُّ لنَفسهِ ذكَرَهُ الحافظُ ابنُ حَجرٍ في فتحِ البارِي[2]، وكذلكَ حديثُ «**لا يَزني الزّاني حِين يَزني وهوَ مؤمنٌ ولا يَسرقُ السّارقُ حينَ يَسرقُ وهوَ مؤمنٌ ولا يشربُ الخمرَ حينَ يَشرَبها وهوَ مُؤمنٌ**»[3] معناهُ لا يَفعَلُ هذهِ المعاصي وهوَ مؤمنٌ كاملٌ ذكرهُ النوويُّ في شرحِ صَحيحِ مسلمٍ[4].
- وأما قولُه تَعالى ﴿**قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ**﴾[5] فالمرادُ بأسلَمنا هُنا الإسلامُ اللغويُّ الذي هوَ الانقيادُ الظاهريُّ لا الشّرعيُّ الذي هوَ الانقيادُ لما جاءَ بهِ النبيُّ ﷺ، حَيثُ إنَّ هؤلاءِ

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الإيمان: باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لأخيه من الإيمان. ج١ ص ١٧.

(٢) ابن حجر. فتح الباري. ج١ ص ٥٧.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب المظالم والغصب: باب النهب بغير إذن صاحبه. ج ٣ ص ٢٧١.

(٤) النووي. شرح النووي على صحيح مسلم. ج٢ ص ٤١.

(٥) سورة الحجرات/ آية ١٤.

الأعرابَ كانوا يُظهرونَ للناسِ أنهم يُحِبّونَ النبيَّ وأنهم مُنقادونَ لهُ خوفًا منَ القتلِ وفي قلوبهم كُره النبيّ محمّدٍ ﷺ. ذكرهُ القُرطبيُّ في «الجامعِ لأحكامِ القُرآنِ»[1].

• وكذلكَ الحديثُ الذي رواهُ مسلمٌ[2] «أنَ رسولَ اللهِ ﷺ أعطى رَهْطًا وسعدٌ جالسٌ فيهم، قال سعدٌ فترك رسولُ اللهِ ﷺ منهم من لم يعطِه وهو أعجَبُهم إليّ فقلتُ يا رسولَ الله ما لك عن فلانٍ فوالله إني لأراه مؤمنًا. فقال رسولُ اللهِ ﷺ «**أو مسلـمًـا**». قال فسكتُّ قليلًا ثم غلبني ما أعلمُ منه فقلتُ يا رسولَ اللهِ ما لك عن فلانٍ فوالله إني لأراهُ مؤمنًا فقال رسولُ اللهِ ﷺ «**أو مسلمًـا**». قال فسكتُّ قليلًا ثم غلبنى ما علمتُ منه فقلتُ يا رسولَ اللهِ ما لك عن فلانٍ فواللهِ إني لأراهُ مؤمنًا. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ «**أو مسلمًـا إني لأُعطِي الرجلَ وغيرُه أحبُّ إليَّ منه خشيةَ أن يُكبَّ في النارِ على وجهِهِ**». قال النوويُّ[3] «وأما قولُه ﷺ «**أو مسلمًـا**» فليسَ فيه إنكارُ كونِه مؤمنًا، بل معناهُ النهيُ عن القطعِ بالإيمانِ وأن لفظةَ الإسلام أَوْلى به، فإنَّ الإسلامَ معلومٌ بحكمِ الظاهرِ، وأما الإيمانُ فباطنٌ لا يعلمُه إلا اللهُ تعالى» اهـ.

أصلُ الإيمانِ والإسلامِ

• أصلُ الإيمانِ التصديقُ بمعنى الشّهادتينِ، وأصلُ الإسلامِ الانقيادُ لذلكَ بالنّطقِ بهما، فمَن صدَّقَ بمعنى الشّهادتينِ وانقادَ لذلكَ بالنطقِ بهما صحَّ لهُ أصلُ الإيمانِ والإسلامِ وإنْ ماتَ على ذلكَ لا بدَّ أن يَدخُلَ الجنّةَ.

(١) القرطبي. تفسير القرطبي. ج١٦ ص٣٤٨.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه. ج١ ص٩١.

(٣) النووي. شرح النووي على مسلم. ج١ ص٢٧٦.

- قالَ رسولُ الله ﷺ «**يَخرجُ منَ النارِ مَن قالَ لا إلـهَ إلا الله وفي قَلبِهِ وَزنُ ذَرَّةٍ مِن إيمانٍ**» رواهُ البخاريُّ[1] أيْ مَن صحَّ لهُ أصلُ الإيمانِ والإسلامِ ولو لم يُؤدِّ الفَرائضَ العمليّةَ كالصّلواتِ الخَمسِ وصيامِ رَمضانَ مِن غَيرِ إنكارٍ لفرضيّتها ولم يجتنِبِ المحرّماتِ كأكلِ الرّبا وشُربِ الخَمرِ لكِنْ لم يَستحلّها وماتَ عَلى ذلكَ فقَد نَجا منَ الخلودِ الأبديّ في النارِ. والمرادُ بذِكرِ الشّهادةِ الأُولى في هذا الحديثِ ما يَشملُ الشّهادةَ الثانيةَ لأنَّ ذِكرَ الشّهادةِ الأُولى صارَ في عُرفِ الشّرعِ مَلحوظًا فيهِ الشّهادةُ الثانيةُ.

- وروَى البخاري[2] ومسلمٌ[3] مِن حَديثِ أبي ذرّ قالَ أَتيتُ النبيَّ ﷺ وهوَ نائمٌ عليهِ ثوبٌ أبيضُ ثم أتيتُهُ فإذا هوَ نائمٌ ثم أتيتُهُ وقَدِ استيقظَ فجَلستُ إليهِ فقالَ «**ما مِن عبدٍ قالَ لا إلـهَ إلا الله ثم ماتَ علَى ذلكَ إلا دخلَ الجنةَ**» قلتُ وإنْ زَنى وإنْ سرقَ؟ قالَ «**وإنْ زَنى وإنْ سرقَ**»، قلتُ وإنْ زَنى وإنْ سَرق؟ قالَ «**وإنْ زَنى وإنْ سرَقَ**» ثلاثًا، ثم قالَ في الرابعةِ «**عَلى رغمِ أَنفِ أبي ذَرّ**» الحديثَ، ففيهِ أنَّ مَن ماتَ على الإيمانِ والإسلامِ لابدَّ مِن دُخولِهِ الجنةَ ولَو ماتَ وهوَ غيرُ تائبٍ منَ الكبائرِ.

- والمؤمنونَ أهلُ الكبائرِ قسمٌ منهُم يُسامحهُمُ الله ويُدخِلهُم الجنةَ بلا عذابٍ وقِسمٌ منهُم يُعذّبُهم ثم يُدخلُهُم الجنةَ، والله أعلَمُ بمن يُسامحُهُ وبمَن لا يُسامحُهُ.

- وأما مَن ماتَ بعدَ أَن تابَ منَ الذّنوبِ التي كانَ قَد فَعلَها قبلُ فهوَ كأنهُ لم يُذنِبْ لقولِهِ ﷺ «**التائبُ منَ الذّنبِ كمَن لا ذَنبَ لهُ**» رَواهُ ابنُ مَاجَه[4].

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الإيمان: باب زيادة الإيمان ونقصانه. ج١ ص ٣٠.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب اللباس: باب الثياب البيض. ج٧ ص ٢٧٣.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنّة ومن مات مشركًا دخل النّار. ج١ ص٦٦.

(٤) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب الزهد. ج٥ ص٣٢٠.

- وأما مَن ماتَ على الإيمانِ والإسلامِ وكانَ قَد أدّى جميعَ الواجباتِ واجتنبَ جميعَ المحرّماتِ فلا يَلقَى جوعًا ولا عطشًا ولا نكدًا في القبرِ ولا في الآخرةِ بل يَدخلُ الجنةَ بلا عذابٍ حيثُ النعيمُ المقيمُ الخالدُ فيكونُ مأواهُ الذي لا يخرجُ منهُ أبدًا. قالَ رسولُ الله ﷺ قالَ الله تَعالى «**أعددتُ لعبادِي الصّالحينَ ما لا عَينٌ رأَت ولا أُذنٌ سَمعَت ولا خطرَ على قلبِ بشر**» قالَ أبو هريرةَ رضي الله عنهُ «**اقرؤوا إنْ شئتُم قولَهُ تعالى ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾**[1]». رواهُ البخاريُّ في الصّحيح[2]. ومعنى قوله تعالى ﴿ **مِن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ** ﴾ شىء تقرُّ به أعينُهم أي تفرحُ به مما لم يُطْلِع الله عليه ملائكتَه ولا أنبياءَه، فالنعيمُ الخاصُّ المعدُّ للصالحين لم يرَه الرسولُ ﷺ ولا الملائكةُ ولا خُزّانُ الجنةِ الموظفون هناك، وقد فسرتِ الآيةُ بهذا الذي جاءَ في الحديثِ القدسيّ.
- وأما مَن ماتَ عَلى غيرِ الإيمانِ والإسلامِ فمَأواهُ جهنمُ خالدًا فيهَا أبدًا لا يُخفّفُ ولا يَنقطعُ في الآخرةِ عنهُ العذابُ إلى ما لا نهايةَ لهُ ومَا هوَ بخارجٍ منَ النارِ، قالَ تَعالى ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا** ﴾[3].

اللهمَّ ثبّتنا على شهادةِ أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وأنَّ محمَدًا رسولُ الله واختِم لنَا بالحُسنى.

والله تعالى أعلم وأحكم

(١) سورة السجدة/ آية ١٧.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الوحي: باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة. ج٤ ص٢٤١.

(٣) سورة الأحزاب/ آية ٦٤ و٦٥.

المحاضرة السابعة

بيانُ الدّليلِ الإجماليّ والتفصيليّ على وجودِ الله

بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

ذكرَ العلماءُ أنهُ يجبُ على كلّ مكلّفٍ معرفةُ الدّليلِ العقليّ الإجماليّ على وجودِ الله تَعالى كأنْ يقولَ الشّخصُ في نَفسهِ الكتابةُ لا بدَّ لها مِن فاعلٍ والبناءُ لا بدَّ لهُ مِن فاعلٍ والكتابةُ والبناءُ جزءٌ مِن هذا العَالم فهذا العَالمُ بالأَوْلى لا بدَّ لهُ مِن خالقٍ خَلَقَهُ لا يُشبهُهُ بوجهٍ منَ الوُجوهِ، أو يَقولَ في نفسِهِ أنا كنتُ بعدَ أَن لم أَكن ومَا كانَ بعدَ أَن لم يَكن لا بدَّ لهُ مِن مُكوّنٍ فإذًا أنا لا بدَّ لي مِن مُكوّنٍ كَوَّنَني، مَوجودٍ لا يُشبهُ شيئًا وهكذا سائرُ أفرادِ العَالم لا بدَّ لها مِن مُكوّنٍ كَوّنها لا يُشبهها بحالٍ. وقد ذمَّ اللهُ تعالى من لم ينظرْ -أي نظر تفكر- كما ذكر ذلك القرطبيُّ في تفسيرِه[1] قالَ تعالى ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾[2].

- أما الدّليلُ العقليُّ التفصيليُّ على وُجودِ الله تَعالى فقَد قالَ عُلماءُ أهلِ السّنةِ يجبُ مَعرفتُهُ وُجوبًا كفائيًّا وهو أَن يُقالَ العالمَ بجميعِ أجزائهِ محدَثٌ إِذْ هوَ أعيانٌ وأعراضٌ، فالأَعيانُ جمعُ عَينٍ وهوَ مَا لهُ قيامٌ بذَاتهِ، والعَرَضُ مَا لا يقومُ بذَاتهِ بَل بغَيرِهِ.

- والأعيانُ لا تخلُو منَ الأَعراضِ كالحركةِ والسّكونِ، وهذا أمرٌ ظاهرٌ مُدرَكٌ

(١) القرطبي. تفسير القرطبي. ج٧ ص٣٣١.

(٢) سورة الذاريات/ آية ٢١.

بالبَديهةِ، والحركةُ والسّكونُ حادثانِ لأنهُ بحدوثِ أحدِهما يَنعدمُ الآخرُ، فما مِن ساكنٍ إلا والعقلُ قاضٍ بجوازِ حركتِهِ، وما مِن متحرّكٍ إلا والعقلُ قاضٍ بجوازِ سكونهِ، فالطّارئ منهُما حادثٌ بطَريانهِ والسّابقُ حادثٌ لعَدمهِ لأنهُ لَو ثبتَ قِدَمُهُ لاستحالَ عَدمُهُ، فالأَعراضُ حادثةٌ والأعيانُ حادثةٌ لأنها ملازمةٌ للأَعراضِ الحادثةِ وما لا يخلو عَنِ الحادثِ حَادثٌ لأنهُ لَو لم يكُن حَادثًا لكانَ قبلَ كلّ حادثٍ حَوادثُ لا أوّلَ لها وهوَ محالٌ لأنَّ وجودَ حوادثَ لا أوّلَ لها يَستلزمُ استحالةَ وجودِ الحادثِ الحاضرِ لأنَّ انقضاءَ ما لا نهايةَ لهُ محالٌ ووُجودُ الحادثِ الحاضرِ ثابتٌ بالحسّ فبطلَ القولُ بوُجودِ حوادثَ لا أوّلَ لها. قالَ الباقلانيُّ في كتابِهِ «الإنصاف»[1] «وما ثبتَ قدمُه استحالَ عدمُه» اهـ. ومثلَ ذلك قالَ الغزاليُّ في كتابِه «الاقتصادُ في الاعتقادِ»[2].

- وأهلُ الحقّ قالوا في إبطالِ القولِ بحوادثَ لا أوّلَ لها ما كفَى وشفَى فمثّلوا ذلكَ بمُلتزمٍ قالَ لا أُعطِي فلانًا في اليوم الفُلانيّ دِرهمًا حتى أُعطيَهُ دِرهمًا قبلَهُ ولا أعطيهِ دِرهمًا قبلَهُ حَتى أُعطيَهُ درهمًا قبلَهُ وهكذا لا إلى أوّل، فمِنَ المعلومِ أنَّ إعطاءَ الدّرهمِ الموعودِ بهِ في اليومِ الفُلانيّ محالٌ لتوقّفهِ على محالٍ وهوَ فراغُ ما لا نهايةَ لهُ مِن إعطائهِ شيئًا بعدَ شيءٍ، ولا ريبَ أنَّ ادّعاءَ حوادثَ لا أوّلَ لها مُطابقٌ لهذا المثال، فتبيّنَ أنَّ الأعيانَ حادثةٌ والأعراضَ حادثةٌ فالعالمُ حادثٌ لهُ بدايةٌ.

- والحادثُ محتاجٌ إلى محدِثٍ فاعلٍ بالإرادةِ والاختيارِ فلا يصحُّ أن يكونَ وجودُ العَالمِ بالصُّدفةِ لأنَّ العقلَ يُحيلُ وجودَ شيءٍ ما بدونِ فاعلٍ لأنهُ يَلزمُ عَلى ذلكَ محالٌ وهوَ تَرَجُّحُ وجودِ الجائزِ على عَدمهِ بدُونِ مُرجّح وذلكَ لأنَّ وجودَ الممكنِ وعَدمَهُ مُتساويانِ عقلًا فلا يَترجّحُ أحدُهما على مُقابلِهِ إلا بمرجّحٍ.

(١) الباقلاني. الإنصاف. ص٥٨.

(٢) الغزالي. الاقتصاد في الاعتقاد. ص٢٦.

- ولا يَصحُّ أن يكونَ العَالمُ خلق نَفسَهُ لأنَّ في ذلكَ جمعًا بَينَ مُتنافِيَيْنِ لأنكَ إذا قلتَ خلقَ زَيدٌ نفسَهُ فقَد جَعلتَهُ قبلَ نَفسهِ باعتبارٍ ومُتأخّرًا عَن نَفسهِ باعتبارٍ، فباعتبارِ خالقيّتهِ جَعلتَهُ مُتقدّمًا وباعتبارِ مخلوقيّتِهِ جَعلتَهُ مُتأخّرًا وذلكَ محالٌ عقلًا.

- ولا يَصحُّ أَن يكونَ ذلكَ المحدِثُ طبيعةً لا اختيارَ لها ولا إرادةَ إذ لا يتأتّى منهَا تخصيصُ الممكنِ بالوجودِ بدلَ العَدمِ وبوَقتٍ دونَ وقتٍ أو بصفةٍ دونَ صفةٍ.

- لا بدَّ أن يكونَ مُحدِثُ العَالمِ أزليًّا لأنهُ لَو لم يكُن أزليًّا للزِمَ حُدوثُهُ فيَفتقرُ إلى مُحدِثٍ فيَلزمُ الدّورُ أوِ التّسلسلُ وكلٌّ منهُما محالٌ، فالتسلسلُ هوَ توقّفُ وُجودِ شَيءٍ عَلى شيءٍ قبلَهُ مُتوقّفٍ عَلى شَيءٍ قبلَهُ إلى غَيرِ نهايةٍ، وهذا محالٌ كما بيَّنَّا. والدّورُ توقّفُ وُجودِ الشّيءِ عَلى ما يَتوقّفُ وجودُهُ عَليهِ وهذا أيضًا محالٌ لأنهُ يَلزمُ عَليهِ تَقدُّمُ الشّيءِ عَلى نَفسهِ باعتبارِ تَوقّفِ وُجودِهِ على سَبْقِ وُجودِ غيرِهِ المسبوقِ بوجودهِ هوَ فيَكونُ سَابقًا لنَفسهِ بهذا الاعتبارِ وتأخّرُهُ عنهَا باعتبارِ تأخّرِ وجودِهِ عَن وجودِ غيرِهِ المتأخّرِ عَن وُجودهِ هوَ فيكونُ متأخّرًا عَن نَفسهِ بهذا الاعتبارِ فثبتَ أنَّ لهذا العالمِ مُحدِثًا أزليًّا فاعِلًا بالإرادةِ والاختيارِ وهوَ الله.

أقسامُ الموجود

- **اعْلَم أنَّ أقْسَامَ المَوْجودِ ثَلاثَةٌ**

- **الأوّلُ** أزَليٌّ أَبدِيٌّ وهوَ الله تَعالى فقط أيْ لا بدايةَ ولا نِهايةَ لوجودِهِ. فالله تَعالى أزليٌّ وبثبوتِ القِدَمِ لهُ عقلًا وَجبَ لهُ البقاءُ لأنهُ لَو أمكنَ أَن يَلحقَهُ العدمُ لانتفَى عنهُ القِدمُ وانتفاءُ القِدَمِ عنهُ مُستحيلٌ فانتفَى عنهُ إمكانُ الفَناءِ فهوَ الباقي لذاتهِ.

- ويجبُ القِدَمُ أيضًا لصِفاتِهِ لأنهُ لَو لم تَكُن صفاتُهُ أزليّةً بَل كانت تَحدُثُ في الذّاتِ لكانَ ذلكَ مُوجِبًا لحدوثِ الذَّاتِ، فَعُلِمَ مِن ذلكَ أنهُ لا يَطرأُ عَلى الله صِفةٌ لم تكُن في الأزلِ، ولا يَتجدَّدُ لهُ عِلمٌ ولا إرادةٌ ولا قُدرةٌ ولا حَياةٌ ولا سَمعٌ ولا بَصرٌ أيضًا، لا زيادةَ ولا نُقصانَ في صفاتِهِ لأنَّ الذي يَزيدُ ويَنقصُ هوَ حَادثٌ مخلوقٌ، فعِلمُهُ تَعالى لا يَزيدُ ولا يَنقصُ وكذلكَ سائرُ صِفاتِهِ.
- ولقَد زَاغَ أحمدُ ابنُ تيميةَ فقالَ بوُجودِ المخلوقِ معَ الله في الأزلِ وقالَ إنهُ تحدُثُ في ذاتِ الله صفاتٌ فتَحدثُ لهُ إرادةٌ بعدَ إرادةٍ وكلامٌ بعدَ كلام[1] ولم يَدرِ أنَّ حُدوثَ الصّفاتِ في الذاتِ يُوجِبُ كون الذّاتِ حادثًا، فهوَ في قَولِهِ إنهُ لم يَزل معَ الله مخلوقٌ قَلَّدَ فيهِ الفلاسفةَ فقد قالَ في كتابِه «مجموعُ الفتاوى»[2] ما نصُّه «وإن قُدّرَ أنَّ نوعَها لم يزلْ معَه فهذه المعيةُ لم ينفِها شرعٌ ولا عقلٌ بل هي من كمالِه» اهـ.
- **الثَّاني** أَبديٌّ لا أَزَليٌّ أيْ أنَّ لهُ بدايةً ولا نِهايةَ لهُ وهُو الجنّةُ والنارُ فَهُما مَخلوقَتانِ أيْ لهما بدايةٌ إلا أنَّهُ لا نِهايَةَ لَهُما أيْ أبدِيَّتانِ فَلا يَطرأُ علَيهِما خَرابٌ أو فَناءٌ لِمشيْئَةِ الله بَقاءَهُما.

أمَّا مِن حَيْثُ ذَاتُ الجنةِ والنارِ فَيجوزُ عَليْهِما الفَناءُ عَقْلًا، أيْ أنَّ الجنةَ والنارَ بقاؤُهما ليسَ بالذاتِ بَل لأنَّ الله شاءَ بقاءَهما، فالجنةُ باعتبارِ ذاتِها يجوزُ عليها الفناءُ وكذلكَ النارُ باعتبارِ ذاتِها يجوزُ عليها الفناءُ أمّا الناسُ والملائكة والجنّ فإنهم يَفنَونَ لأنَّ الله لم يَشأ بقاءَهُم.

---

(١) ذكر هذه العقيدة في أكثر من سبعة من كتبه المسماة: موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول ج ٢ ص٧٥، منهاج السنة النبوية ج١ ص٢٢٤، كتاب شرح حديث النزول ص ١٥٦، كتاب شرح حديث عمران بن حصين ص ١٩٣، نقد مراتب الإجماع ص١٦٨، ومجموعة تفسير من ست سور ص١٢-١٣، وكتابه الفتاوى ج١٨ ص٢٣٩، وكتاب مجموعة الرسائل والمسائل ج٥ ص١٩٤. وكل هذه الكتب مطبوعة.

(٢) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج١٨ ص٢٣٩.

- يُعلمُ بذلكَ أنهُ لا باقيَ بذاتِهِ إلا الله، وبهذا يَندفعُ استشكالُ بعضِ الناس لبقاءِ الجنّةِ والنارِ حيثُ توهّمَ بعضهم أنَّ في ذلكَ تشريكًا لهما معَ الله. يقالُ لهم لا يَلزمُ مِن ذلكَ المشاركةُ لأنَّ بقاءَ الله واجبٌ أيْ لا يَقبلُ العقلُ خلافَهُ، وأما بقاءُ الجنةِ والنارِ فليسَ بقاءً واجبًا عقليًّا إنما هوَ منَ الجائزاتِ العقليّةِ لكنْ وجبَ لهما البقاءُ مِن حَيثُ حكمُ الله تَعالى ببقائِهما، وذلكَ كإثباتِ الوجودِ للهِ وللعالمِ فإننا نقولُ الله مَوجودٌ والعالمُ مَوجودٌ، لكنْ لا يلزمُ مِن هذا مشاركةُ العَالمَ للهِ في الوجودِ لأنَّ وجودَ الله ذاتيٌّ لا موجودَ بذاتهِ إلا الله، أما وجودُ العَالمِ فلَيسَ ذاتيًّا بَل بإيجادِ الله فلا مُشاركةَ، كذلكَ قولُنا الله حيٌّ قادرٌ مُريدٌ سميعٌ بَصيرٌ عَالمٌ مُتكلّمٌ باقٍ فليسَ هناكَ مُشاركةٌ بينَهُ وبينَ خَلقِهِ فإنَّ حياةَ الله أزليةٌ أبديةٌ أما حياةُ غَيرهِ فليسَت كذلكَ، وكذلكَ يقالُ في بقيّةِ الصّفاتِ، فلا يكونُ هذا مشاركةً ومماثلةً إنما هذا اتّفاقٌ في التّعبيرِ نُعبّرُ عنِ الله بأنهُ موجودٌ ونعبّرُ عنِ العالمِ بأنهُ مَوجودٌ ولا موافقةَ في المعنى.

- **الثّالثُ** لا أزَليٌّ ولا أبَديٌّ أي أنَّ لَهُ بِدايةً ولَه نِهايةً وهوَ كُلُّ مَا في هَذِهِ الدُّنيا مِنَ السَّمَـواتِ السَّبْع والأَرْضِ فَلا بدَّ مِن فَنائِهِما وفَناءِ مَا فِيْهما مِنْ إنْسٍ وجِنّ ومَلائِكَةٍ، أيْ أنّ كلَّ ما في السّمواتِ والأرضِ وما فيهما مِن إنسٍ وجنّ وملائكةٍ وبهائمَ وغيرِها يَفنى، قالَ تَعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾[1] أيْ أنَّ كلَّ مَن على الأَرضِ يَفنى، وفناءُ البَشرِ مَعناهُ مُفارقَةُ أرواحِهِم لأَجسادِهِم. فالآيَةُ نَصٌّ في فناءِ مَن عَلى وَجهِ الأَرضِ، وأما فناءُ أهلِ السّمـواتِ فهوَ يُفهَمُ مِن قولِ الله تَعالى ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[2]، ومَعنى الوجهِ هنا الذّاتُ أيْ يَبقَى الله[3].

(١) سورة الرحمن/ آية ٢٦.

(٢) سورة الرحمن/ آية ٢٧.

(٣) النسفي. تفسير النسفي. ج٢ ص٥٦.

أقسام الحكم العقليِّ

• اعلَم أَنَّه جَرتْ عَادةُ العُلَماءِ[1] عَلى ذِكْرِ أنَّ الحُكْمَ العَقْلِيَّ يَنْقَسِمُ إلى ثَلاثَةٍ الوُجُوبِ والاسْتِحَالةِ والجَوازِ، وقَالوا:

- **الوَاجِبُ** مَا لا يُتَصَوَّرُ عدمُه وهوَ الله وصفاتُهُ فالله تَعالى ذاتُهُ واجبُ الوجودِ ويقالُ لهُ واجبٌ عقليٌّ، وكذلكَ صفاتُهُ أيْ أنَّ العقلَ يُحَتِّمُ وُجودَهُ وصفاته ولا يقبَلُ العقل انتفاءَ ذلك.

- **والمسْتَحِيلُ** مَا لا يُتَصَوَّرُ في العَقْلِ وجُودُهُ، وقَدْ يُعَبِّرُونَ عَنْهُ بالمُمْتَنِعِ، فالمستحيلُ العقليُّ هوَ كالشَّريكِ لله تَعالى والعَجزِ والجهلِ بالنِّسبةِ إلى اللهِ، فكلُّ ما لا يجوزُ عَلى الله فهوَ مُستحيلٌ عقليٌّ. ومنَ المستحيلِ العقليّ كونُ الحادِثِ أزليًّا. أما المستحيلُ العاديُّ فيَصِحُ وجودُهُ عقلًا لكنْ عادةً لا يَصِحُّ كوجودِ جَبَلٍ مِن زِئبقٍ، فهذا لا يحصلُ في الدّنيا على حَسَبِ العادةِ.

- **والجائزُ** ما يُتَصورُ في العَقْلِ وجُودُهُ وعدَمُهُ ولذَلكَ يَصِفونَ الله بالوَاجِبِ الوجودِ. فما يُتَصَوَّرُ في العقلِ وجودُهُ وعدمُهُ يقالُ لهُ الجائزُ العقليُّ ويقالُ لهُ الممكنُ العقليُّ أيْ يُمكِنُ وُجودُه بعدَ عدمٍ وإعدامُهُ بعدَ وُجودِهِ بالنَّظرِ لذاتهِ في حكمِ العقلِ، وهوَ هذا العالمُ.

والله تَعالى أعلَمُ وأحكمُ

(١) انظر غاية المرام في علم الكلام لسيف الدين الآمدي. ج١ ص٢٥٠، نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني. ج١ ص٥.

المحاضرة الثامنة

بيانُ الدّليل النقليّ
عَلى تَنزيهِ اللّه عَن مُشابَهةِ المخلوقينَ

بسم الله الرحمنِ الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

• أصرحُ الأَدلّةِ النّقليّةِ في تَنـزيهِ الله التّنـزيهَ الكلّيَّ هوَ قولُه تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[1] لأنَّ الله تَباركَ وتَعالى ذكرَ في هذهِ الآيةِ لفظَةَ (شَىءٍ) في سِياقِ النّفي ومَعلومٌ أنَّ النّكرةَ إذا أُوردَت في سِياقِ النّفي فهيَ للشّمولِ فالله تَباركَ وتَعالى أَطلقَ نفيَ مماثلةِ شَىءٍ منَ الخَلقِ لهُ ولم يخصَّ شيئًا دونَ شَىءٍ، فكَما أنهُ تَعالى لا يُشبهُ ذَوي الأَرواح لا يُشبهُ الجماداتِ منَ الأَجرامِ العُلويّةِ والسُّفليّةِ فإنَّ الله تباركَ وتَعالى لم يُقَيّدْ نَفيَ الشَّبَهِ عنهُ في هذهِ الآيةِ بنوعٍ مِن أنواع الحوادثِ بَل شَمَل نفيَ مُشابهتِهِ لكلّ أفرادِ الحادثاتِ، فبناءً على ذلكَ نقولُ لو كانَ الله سُبحانَهُ وتَعالى جِسمًا لكانَ لهُ أمثالٌ لا تحصَى، ولَو كانَ لهُ صُورةٌ لكانَ لهُ أَمثالٌ لا تحصَى ولَو كانَ في مكانٍ لكانَ لهُ أَمثالٌ لا تحصَى، ولَو كانَ لهُ حَدٌّ أيْ كميّةٌ لكانَ لهُ أَمثالٌ لا تحصَى، ولَو كانَ في جهةٍ لكانَ لهُ أمثالٌ لا تحصَى، ولَو كانَ ساكنًا لكانَ لهُ أَمثالٌ لا تحصَى، ولَو كانَ مُتحرّكًا لكانَ لهُ أمثالٌ لا تحصَى، ولَو كانَ ساكنًا وقتًا ومتحرّكًا وقتًا لكانَ لهُ أمثالٌ لا تحصى، ولَو كانَ متّصلًا بشىءٍ منَ الخلقِ لكانَ لهُ أمثالٌ لا تحصَى، ولَو كانَ مُنفصلًا عَن شَىءٍ منَ المخلوقاتِ لكانَ لهُ أمثالٌ لا تحصَى.

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

- أفهَمنا الله تَبارك وتَعالى بهذهِ الآيةِ أنهُ منـزّهٌ عَن هذهِ الأَوصافِ كلّها بما هوَ شاملٌ للكيفيّةِ والكميّةِ أي المقدارِ، فمَن قالَ في الله تَعالى إنَّ لهُ حَدًّا فقَد شبّهَهُ تَعالى بخَلقهِ وذلكَ يُنافي الأُلوهيّةَ لذلكَ قالَ الإمامُ الطّحاويُّ رضي الله عنه في عَقيدتهِ المشهورة المسماة بالعقيدة الطحاوية «ومَن وَصَفَ الله بمَعنًى مِن مَعاني البَشرِ فقَد كفرَ»اهـ.

- فإنْ قالتِ المشبّهةُ عُقولُنا لا تَتصوَّرُ مَوجودًا مُنتَفِيًا عنهُ هذهِ الأَوصاف قُلنا ليسَ مِن شَرطِ الوجودِ أَن يُمكنَنا تَصوُّرُه ففِي المخلوقِ ما لا يُمكنُ تَصوُّرُهُ وهوَ الوقتُ الذي لم يَكُن فيهِ نُورٌ ولا ظلامٌ والإيمانُ بذلكَ واجبٌ لقولِ الله تَعالى ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[1] أيْ أوجدَ الظّلماتِ والنورَ بعدَ أَن كَانا مَعدومَينِ كَما هوَ مَنصوصٌ في الآيةِ وذلكَ أنَّ أوّلَ المخلوقاتِ الماءُ والعرشُ ثم القلمُ واللوحُ بدَليلِ حَديثِ عِمرانَ بنِ حُصَينٍ رضي الله عنهُ أنهُ عليه الصلاةُ والسلامُ قالَ «**كانَ الله ولَم يَكُن شَيءٌ غَيرُهُ وكانَ عرشُهُ عَلى الماءِ وكتبَ في الذّكرِ كلَّ شَيءٍ**» رواهُ البُخاريُّ[2]، والذّكرُ هوَ اللوحُ المحفوظُ.

- يُعلَمُ مما تقدّمَ أنَّ النورَ والظّلامَ لم يَكونا قبلَ الماءِ والعَرشِ والقَلمِ واللوحِ المحفوظِ إنما وُجِدا بعدَها ولا يُمكنُ لأحدٍ أَن يَتصوّرَ هَيئةَ وقتٍ ليسَ فيهِ نورٌ ولا ظلامٌ، أيُّ وهم يتصور حقيقة ذلك؟ إنما يَتصوّرُ العَقلُ وقتًا يُوجدُ فيهِ أحدُهما دونَ الآخرِ، فنَقولُ كذلكَ يَصحُّ وُجودُ الله تَعالى معَ انتفاءِ هذهِ الأَوصافِ كلّها عنهُ وإنْ عَجزنا عَن تَصوّرِ ذلكَ.

- ثم ليسَ محورُ الاعتقادِ عَلى الوَهمِ بَل على ما يَقتضيهِ العَقلُ السّليمُ الذي هوَ

---

(١) سورة الأنعام/ آية ١.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق. ج٤ ص٢٢٢.

شاهدُ الشّرعِ فالله تَعالى لا تُطلَبُ مَعرفتهُ بالتّصوّرِ بل نُهينا عَن ذلكَ ولهذا قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهُما «تَفكَّروا في كلّ شىءٍ ولا تَفكَّروا في ذاتِ الله عزَّ وجلّ»اهـ. رواهُ البَيهقيُّ في الأَسماءِ والصّفاتِ[1] بإسنادٍ جيّدٍ، ومِن هُنا قالَ أئمةُ أهلِ السّنةِ كالإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ والإمام ذي النّونِ المصريّ وغيرِهما «مهما تصوَّرتَ ببَالكَ فالله بخِلافِ ذلك» لأنهُ لا يمكنُ تَصويرُ الله في النّفسِ روَى ذلكَ الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق[2] عنِ الإمامِ ذي النّونِ المصريّ ورواهُ عنِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ أبو الفضلِ التميميُّ في كتابهِ اعتقادِ الإمامِ المبجّلِ أحمدَ بنِ حنبلٍ[3].

وفي هذا المعنى ما رُويَ عنِ الصّديقِ [البسيط]

العَجْزُ عن دَرَكِ الإدراكِ إدراكُ ... والبحثُ عَن ذاتـهِ كفرٌ وإشراكُ

رواهُ المحدّثُ الأُصوليُّ بدرُ الدّينِ الزّركشيُّ[4].

- وروَى البيهقيُّ[5] عَن أبي سُليمانَ الخطّابيّ رحمهُ الله تعالى قالَ «إنَّ الذي عَلينا وعلى كلّ مُسلمٍ أَن يَعلمَهُ أنَّ ربّنا ليسَ بذِي صُورةٍ ولا هيئةٍ فإنّ الصّورةَ تَقتضِي الكيفيّةَ وهيَ عنِ الله وعَن صفاتهِ مَنفيةٌ» اهـ كما تقدم.

- وقالَ الإمامُ أبو القاسمِ الأنصاريُّ في شرحِ الإرشادِ لإمامِ الحرمينِ بعدَ كلامٍ في الاستدلالِ عَلى نَفي التّحيّزِ في الجهةِ عنِ الله ما نصّهُ[6] «فإذا زالتِ الأوهامُ عَن كثيرٍ منَ الموجوداتِ فكيفَ يُطلَبُ بها القَديمُ سُبحانهُ الذي لا تُشبهُهُ المخلوقاتُ

---

(١) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما ذكر في الذات. ص٣٦٠.

(٢) ابن عساكر. تاريخ دمشق بالإسناد من طريق السلمي. ج١٧ ص٤٠٤.

(٣) أبو الفضل التميمي. اعتقاد الإمام أحمد. ج١ ص٣٠١.

(٤) الزركشي. تشنيف المسامع. ص٨١-٨٢.

(٥) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما ذكر في الصورة. ص ٣٧٦.

(٦) أبو القاسم الأنصاري. شرح الإرشاد. ص ٥٨-٦٠.

فهوَ سُبحانهُ لا يُتصوَّرُ في الوَهمِ فإنهُ لا يُتصوّرُ إلا صُورةٌ ولا يُتَقَدَّرُ إلا مُقَدَّرٌ قالَ تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[1] ومَن لا مِثلَ لهُ لا يَتمَثَّلُ في الوَهمِ» اهـ ثم قالَ[2] «وقَد قيلَ في قوله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾[3] إليهِ انتهَى فِكرُ مَنْ تفكَّرَ» هذا قولُ أُبَيّ بنِ كَعبٍ وعبدِ الرّحمنِ بنِ أَنْعُمٍ، وروَى أُبَيُّ بنُ كعبٍ عَنِ النبيّ ﷺ أنه قال «**لا فِكرةَ في الرّبّ**» اهـ.

والله تعالى أعلم وأحكم

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

(٢) أبو القاسم الأنصاري. شرح الإرشاد. ص ٥٨-٦٠.

(٣) سورة النجم/ آية ٤٢.

المحاضرة التاسعة

الآياتُ المحكماتُ والمتشابهاتُ
الجزء الأول

بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- قالَ الله تَعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[1]. بيّنتْ هذهِ الآيةُ أنَّ القُرآنَ فيهِ آياتٌ محكماتٌ وآياتٌ متشابهاتٌ.

قال الحافظ ابنُ حجرٍ في «الفتحِ»[2] «المحكمُ من القرآنِ ما وضحَ معناهُ والمتشابهُ نقيضُه، وسميَ المحكمُ بذلك لوضوحِ مفرداتِ كلامِه وإتقانِ تركيبِه»اهـ. وقالَ التهانويُّ في «كشافِ اصطلاحاتِ الفنونِ والعلوم» ما نصُّه[3] «المحكمُ ما وضحَ معناهُ والمتشابهُ نقيضُه. وقيلَ المحكمُ ما لا يحتملُ من التأويلِ إلّا وجهًا واحدًا والمتشابهُ ما احتملَ أوجهًا» اهـ.

- فأما الآياتُ المحكمةُ فهيَ ما لا يحتملُ منَ التأويلِ بحسبِ وَضعِ اللغةِ

(١) سورة آل عمران/ آية ٧.

(٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٨ ص٢١٠.

(٣) التهانوي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ج٢ ص٧١١.

إلا وجهًا واحدًا[١]، أو ما عُرفَ بوُضوحِ المعنى المرادُ منهُ كقولهِ تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[٢] فإنَّ المرادَ منهَا واضحٌ وهوَ نَفيُ المثلِ عَنِ اللهِ، وقَولِهِ تَعالى ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[٣].

• وأما الآياتُ المتشابهةُ فهيَ التي دِلالتُها عَلى المرادِ غيرُ واضحةٍ أو تحتملُ أوجُهًا عديدةً واحتيجَ إلى النظرِ لحملِها عَلى الوَجهِ المطابقِ كقولهِ تَعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٤] فإنها تحتمِلُ منَ التّأويلِ بحسبِ وَضعِ اللغةِ العربيّةِ أوجُهًا عديدةً واحتيجَ لمعرفةِ المعنى المرادِ منهَا إلى نَظرِ أهلِ العِلمِ الذينَ لهم درايةٌ بالنّصوصِ ومَعانِيها ولهم درايةٌ بلغةِ العَربِ فلا تخفَى عليهِم المعاني لحمْلِها على الوَجهِ المطابقِ للآياتِ المحكمَةِ كقَولهِ تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[٥]. فقولُ اللهِ تَعالى ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾[٦] أيْ أنَّ الكَلمَ الطّيّبَ كَلا إلـٰهَ إلا اللهُ يَصعدُ إلى المكانِ المشرّفِ عندَ اللهِ وهوَ السّماءُ أيْ يَتقبّلُهُ اللهُ[٧] قالَ النسفيُّ في تفسيرِه[٨] «إلى محلِ القبولِ والرضا، وكلُّ ما اتّصفَ بالقبولِ وُصفَ بالرفعةِ والصعودِ، أو إلى حيثُ لا ينفذُ فيه إلا حكمُه، والكلمُ الطيبُ كلماتُ التوحيدِ أي لا إلـٰه إلا الله» اهـ. وقالَ البيهقيُّ في كتابِه «الأسماءُ والصفاتُ»[٩] «العملُ

(١) النسفي. تفسير النسفي. ج١ ص١٤٦.

(٢) سورة الشورى/ آية ١١.

(٣) سورة الإخلاص/ آية ٤.

(٤) سورة طه/ آية ٥. ذكر الرازي في تفسيره أنَّ هذه الآية متشابهة. ج٢٢ ص٨، ٩.

(٥) سورة الشورى/ آية ١١.

(٦) سورة فاطر/ آية ١٠.

(٧) النسفي. تفسير النسفي. ج٣ ص١٦٣، وقال محمد بن جرير الطبري في تفسيره «الكلم الطيب: لا إلـٰه إلا الله والله أكبر والحمد لله» اهـ. ج١٦ ص٥٠٠

(٨) النسفي. تفسير النسفي. ج٣ ص١٦٣.

(٩) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٥٣٧.

الصالحُ هو الذي يرفعُ الكلمَ الطيبَ. وصعودُ الكلمِ الطيبِ والصدقةِ الطيبةِ إلى السماءِ عبارةٌ عن حسنِ القبولِ لهما» اهـ. وهذا مُنطبقٌ ومُنسجمٌ معَ الآيةِ المحكمةِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] فلا بدَّ مِن تأويلِ الآياتِ المتشابهةِ وردّها إلى الآياتِ المحكماتِ.

- وكذلكَ قولُه تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[2]، قال النسفيُّ[3] «يخافونَه أن يرسلَ عليهم عذابًا من فوقِهم، وإن علقْتَه بربّهم حالًا منه فمعناهُ يخافونَ ربَّهم غالبًا لهم قاهرًا» اهـ. وقالَ أبو حيان الأندلسيُّ في تفسيرِه «البحرُ المحيطُ»[4] ما نصُّه «والفوقيةُ المكانيةُ مستحيلةٌ بالنسبةِ إليه تعالى، فإن علقتَهُ بـيخافونَ كانَ على حذفِ مضافٍ أي يخافونَ عذابَه كائنًا من فوقِهم، لأنَّ العذابَ إنما ينزلُ من فوق، وإنْ علَّقْتَهُ بـربّهم كان حالًا منه أي يخافونَ ربَّهم غالبًا لهم قاهرًا لقوله ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾[5]» اهـ. وكذلك قولُه تعالى ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾[6] فمعنى ﴿وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ رافعُك إلى سمائي ومقرّ ملائِكَتي كما فسّرَه النسفيُّ[7].

ومثلُ ذلك قولُه تعالى ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[8]، قالَ السمرقنديُّ في كتابِه «بحرُ العلومِ»[9] «يعني أنزلَ اللهُ تعالى جبريلَ عليه السلامُ على محمَّدٍ ﷺ

---

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

(٢) سورة النحل/ آية ٥٠.

(٣) النسفي. تفسير النسفي. ج٢ ص١٦٢. وقد تقدم.

(٤) أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج٦ ص٥٤١.

(٥) سورة الأنعام/ آية ١٨.

(٦) سورة آل عمران/ آية ٥٥.

(٧) النسفي. تفسير النسفي. ج١ ص١٥٩.

(٨) سورة الواقعة/ آية ٨٠.

(٩) السمرقندي. بحر العلوم. ج ٣ ص ٤٩٢.

بهذا القرآنِ يقرؤُه عليه من ربّ العالمينَ» اهـ.

• والعجبُ العجاب من المشبهةِ التي تستدلُّ على عقيدتِها الفاسدةِ بفرعونَ، فهي تتمسكُ بقوله تعالى ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ﴾[1] قالَ الفخرُ الرازيُّ في تفسيره[2] «علمنا أنَّ وصفَ الإلهِ بالخَلّاقِيّةِ وعدمَ وصفِه بالمكانِ والجهةِ دينُ موسى وسائرِ جميعِ الأنبياءِ، وجميعُ وصفِه تعالى بكونِه في السماءِ دينُ فرعونَ وإخوانِه من الكفرةِ» وقالَ في موضعٍ آخرَ[3] «احتجَّ الجمعُ الكثيرُ من المشبهةِ بهذه الآيةِ في إثباتِ أن اللهَ في السمٰوات وقرروا ذلك من وجوهٍ:

- الأولُ: أنَّ فرعونَ كان من المنكرينَ لوجودِ اللهِ، وكلُّ ما يذكرُه في صفاتِ اللهِ تعالى فذلك إنما يذكرُه لأجلِ أنه سمعَ أن موسى يصفُ اللهَ بذلكَ، فهو أيضًا يذكرُه كما سمعَه، فلولا أنه سمعَ موسى يصفُ اللهَ بأنه موجودٌ في السماءِ لما طلبَه في السماءِ.

- الوجهُ الثاني: أنه قالَ ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾[4]، ولم يبين أنه كاذبٌ في ماذا، والمذكورُ السابقُ متعيّنٌ لصرفِ الكلامِ إليه فكأنَّ التقديرَ فأطَّلِعَ إلى الإلهِ الذي يزعمُ موسى أنه موجودٌ في السماءِ، ثم قالَ ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا﴾ أي وإني لأظنُّ موسى كاذبًا في ادّعائِه أنَّ الإلهَ موجودٌ في السماءِ، وذلك يدلُّ على أن دينَ موسى هو أنَّ الإلهَ موجودٌ في السماءِ.

- الوجهُ الثالثُ: العلمُ بأنَّه لو وُجِدَ إلـٰهٌ لكانَ موجودًا في السماءِ علمٌ بديهيٌّ متقرّرٌ في كلّ العقولِ ولذلكَ فإن الصبيانَ إذا تضرَّعوا إلى اللهِ رفعُوا وجوهَهُم

(١) سورة غافر/ آية ٣٦، ٣٧.

(٢) الرازي. التفسير الكبير. ج١٤ ص٢٦٨.

(٣) الرازي. التفسير الكبير. ج٢٧ ص٥١٤-٥١٥.

(٤) سورة غافر/ آية ٣٧.

وأيديَهُم إلى السماءِ، وإنَّ فرعونَ مع نهايةِ كفرِه لما طلبَ الإلهَ فقد طلبَهُ في السماءِ، وهذا يدلُّ على أنَ العلمَ بأنَ الإلهَ موجودٌ في السماءِ علمٌ متقررٌ في عقلِ الصّديقِ والزنديقِ والملحدِ والموحّدِ والعالِـمِ والجاهلِ، فهذا جملةُ استدلالاتِ المشبهةِ بهذه الآيةِ.

والجوابُ أنَّ هؤلاءِ الجهالَ يكفِيهم في كمالِ الخزيِ والضلالِ أن جعلوا قولَ فرعونَ اللعينِ حجةً لهم على صحةِ دينِهم، وأما موسى عليه السلامُ فإنه لم يزدْ في تعريفِ إلـٰهِ العالَمِ على ذكرِ صفةِ الخَلّاقِيّةِ فقالَ في سورةِ طهَ ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[١] وقالَ في سورةِ الشعراءِ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٢] ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾[٣] فظهرَ أن تعريفَ ذاتِ اللهِ بكونه في السماءِ دينُ فرعونَ وتعريفَه بالخَلّاقِيّةِ والموجوديةِ دينُ موسى، فمن قالَ بالأوّلِ كانَ على دينِ فرعونَ، ومن قال بالثاني كانَ على دينِ موسى، ثم نقولُ لا نسلّمُ أنَّ كلَ ما يقولُه فرعونُ في صفاتِ اللهِ تعالى فذلك قد سمعَه من موسى عليه السلامُ، بل لعلَّه كان على دين المشبهةِ فكان يعتقدُ أنَّ الإلهَ لو كان موجودًا لكان حاصلًا في السماء، فهو إنما ذكرَ هذا الاعتقادَ من قبلِ نفسِه لا لأجلِ أنه قد سمعَه من موسى عليه السلامُ» اهـ. وقال القرطبيُّ في تفسيرِ هذه الآيةِ «توهَّمَ أنه جسمٌ تحويه الأماكنُ» اهـ.

- ولا يجوزُ تركُ التأويلِ للآياتِ المتشابهةِ التي يُوهِمُ ظاهِرُها نسبةَ ما لا يليقُ باللهِ إليهِ سبحانهُ والحملُ عَلى الظّاهرِ لأنهُ يَلزمُ مِن ذلكَ ضربُ القُرآنِ بعضه ببَعضٍ وذلكَ لأنَّ ظاهرَ قولهِ تَعالى ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٤]

(١) سورة طه/ آية ٥٠.

(٢) سورة الشعراء/ آية ٢٦.

(٣) سورة الشعراء/ آية ٢٨.

(٤) سورة طه/ آية ٥.

وقولِه تَعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾[1] تحيّزُ الله تَعالى في جهةِ فوق وظاهِرُ قولِه تَعالى ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾[2] وقولِهِ تعالى في حقّ إبراهيمَ لما ذَهبَ إلى فِلسطينَ ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾[3] تحيّزُ الله في جهةِ تحت، وظاهِرُ قولِهِ تَعالى ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾[4] أنَّ الله داخلُ رَقبةِ الإنسانِ لأنَّ الوَريدَ عرقانِ مِن جَانِبَي الرّقبةِ يَنْزِلانِ منَ الرّأسِ ويتّصلانِ بعرقِ القلبِ فإن حُمِلَت هذهِ الآياتُ على ظَواهرها كانَ ذلكَ تناقضًا ولا يجوزُ وقوعُ التّناقضِ في القُرآنِ لقَولهِ تَعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾[5] فوجبَ تركُ الأخذِ بظَواهرِ هذهِ الآياتِ والرجوعُ إلى الآيةِ المحكمَةِ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾[6]. وأما معنى قولِهِ تَعالى في حقّ إبراهيمَ ﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾[7] أيْ إنّي ذاهبٌ إلى حيثُ وَجّهني ربّي، أو إنّي ذاهبٌ إلى فلسطينَ الأَرضِ المباركةِ عندَ ربّي لأنَّ فلسطينَ أرضُ الأنبياءِ[8].

وقَد سمّى الله الآياتِ المحكمةَ أمَّ الكتابِ أيْ أمَّ القرآنِ لأنها الأَصلُ الذي تُردُّ إليهِ الآياتُ المتشابهةُ، فتفسيرُ الآياتِ المتشابهةِ يجبُ أن يكونَ موافقًا للآياتِ المحكمَةِ كتفسيرِ الاستواءِ بالقَهرِ فإنهُ موافقٌ للآيةِ المحكمَةِ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ

(١) سورة فاطر/ آية ١٠.

(٢) سورة البقرة/ آية ١١٥.

(٣) سورة الصافات/ آية ٩٩.

(٤) سورة ق/ آية ١٦.

(٥) سورة النساء/ آية ٨٢.

(٦) سورة الشورى/ آية ١١.

(٧) سورة الصافات/ آية ٩٩.

(٨) قال الطبري في جامع بيان التأويل ج٢١ ص٧١ «﴿ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ أي إلى الأرض المقدسة» اهـ وقال القرطبي في تفسيره ج١٤ ص٨٨ «أراد أرض الشام» اهـ

شَىۡءٞۚ ﴾[1]. فليستْ كلُّ آياتِ الصفاتِ محكمةً، قال السيوطيُّ في «الإتقانِ»[2] «من المتشابهِ آياتُ الصفاتِ ولابن اللبانِ فيها تصنيفٌ مفردٌ نحو ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾[3] ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾[4] ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ﴾[5] ﴿ وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ﴾[6] ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[7] ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[8]، وجمهورُ أهلِ السنةِ منهم السلفُ وأهلُ الحديثِ على الإيمانِ بها وتفويضِ معناها المرادِ منها إلى اللهِ تعالى ولا نفسرُها مع تنزيهِنا له عن حقيقتِها»اهـ.

- وذمَّ الله تَعالى الذينَ في قُلوبهم زَيغٌ أيْ مَيلٌ عنِ الحقّ فيَتّبعونَ ما تشابهَ منهُ ابتغاءَ الفِتنةِ لأنَّ المشبّهةَ غرضُهُم في ذِكرِ الآياتِ المتشابهةِ أن يُوقِعُوا السُّنيَّ في اعتقادِهم الباطلِ في التّشبيهِ.

- والمتشابهُ على قسمينِ:

- قِسمٌ لا يَعلمُ تأويلهُ إلا الله وهوَ ما كانَ مِن قيامِ السّاعةِ وخُروجِ الدّجالِ على التّحديدِ ونحوِ ذلكَ، وهوَ المرادُ بقولهِ تَعالى ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ ﴾[9] عَلى قراءةِ الوَقفِ عَلى لفظِ الجلالةِ[10]، وليسَ مِن هذا القِسمِ آيةُ الاستواءِ.

---

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

(٢) السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ج٢ ص١٣.

(٣) سورة طه/ آية ٥.

(٤) سورة القصص/ آية ٨٨.

(٥) سورة الرحمن/ آية ٢٧.

(٦) سورة طه/ آية ٣٩.

(٧) سورة الفتح/ آية ١٠.

(٨) سورة الزمر/ آية ٦٧.

(٩) سورة آل عمران/ آية ٧.

(١٠) رجح القراء الوقف عليها مثل الكسائي ونافع والفراء والأخفش والطبري وغيرهم. ابن الجزري. التمهيد في علم التجويد. ج١ ص١٧٩.

- وقسمٌ يعلمُ تأويلَهُ اللهُ والرّاسخونَ في العلم ومثالُهُ ما كانَ مِن مَعنى الاستواءِ المذكورِ في قَولِهِ تَعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1] فالرّاسخونَ في العلمِ أيِ المتمكّنونَ في العِلمِ كالحافظِ السّبكيّ والإمامِ أبي القاسم القُشيريّ والإمام عبدِ الله بنِ المباركِ والزّجّاجِ والإمامِ أبي مَنصورٍ الماتريديّ والزّجّاجيّ والحافظِ البَيهقيّ وإمامِ الحرمينِ الجوينيّ والإمام المتولّي الشّافعيّ والرّاغبِ الأصبهانيّ والشيخِ أبي حامدٍ الغزاليّ والمتكلّمِ أبي المعينِ النّسفيّ والإمامِ أبي نَصرٍ القُشيريّ والقاضِي ابنِ رُشدٍ الجدّ المالكيّ وحافظِ الشّام ابنِ عساكرَ والمفسّرِ فَخرِ الدّينِ الرّازيّ والمتكلّمِ سيفِ الدّينِ الآمديّ والشّيخِ عبدِ العَزيزِ بنِ عبدِ السّلامِ والشّيخِ الفَقيهِ الأُصوليّ شهابِ الدينِ القَرافيّ المالكيّ والمفسّرِ القاضي البَيضاويّ والمفسّرِ أبي البركاتِ النسفيّ واللغويّ ابنِ مَنظورٍ والقاضِي بدرِ الدّينِ بنِ جماعة والسّمينِ الحلبيّ والفيروزأبادي صاحبِ القاموسِ والفقيهِ الأُصوليّ الحنفيّ ابنِ الهمامِ وابنِ أبي شَريفٍ والحافظِ السّيوطيّ والقاضي الشّيخ زكريّا الأَنصاريّ وغيرُهم كثير فإنهم فسّروهُ بالقَهرِ والاستيلاءِ، وهوَ المرادُ بقَولِهِ تَعالى ﴿**وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ**﴾[2]. فكأنهُ قالَ والرّاسخونَ في العلمِ أيضًا يَعلمونَ تأويلَهُ ويَقولونَ آمنّا بهِ، ويُؤيّدُ هذا ما رواهُ مجاهدٌ عنِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما أنهُ قالَ «أنا منَ الرّاسخينَ في العِلمِ أنا ممن يَعلمُ تأويلَهُ»[3] اهـ.

- التأويلُ هوَ إخراجُ النّصّ المتشابهِ عَن ظاهرِهِ، وهوَ جائزٌ في الآياتِ والأحاديثِ التي يُوهمُ ظاهرُها أنَّ الله لهُ يدٌ جارحةٌ[4] أو وجهٌ جارحةٌ أو أنهُ يَسكنُ السّماءَ أَو

---

(١) سورة طه/ آية ٥.

(٢) سورة آل عمران/ آية ٧.

(٣) نقله الحافظ الزبيدي في الإتحاف عن القشيري. ج٢ ص١٠٧-١٠٩.

(٤) قال ابن منظور في لسان العرب. ج٢ ص٤٢٢ «وجَوارحُ الإنسان أَعضاؤُه وعَوامِلُ جسده كيديه ورجليه واحدتها جارحة لأَنهن يَجْرَحْن الخير والشر أَي يكسبنه» اهـ.

أنهُ جالسٌ عَلى العَرشِ أو أنهُ يُوصَفُ بصفةٍ مِن صفاتِ الخَلقِ. قالَ العسكريُّ في كتابِه «الفروقُ اللغويةُ»[1] «التأويلُ صرفُ اللفظِ عن ظاهرِه لوجودِ ما يقتضي ذلك» اهـ. وقالَ النوويُّ في «تهذيبِ الأسماءِ واللغاتِ»[2] «أما التأويلُ فقال العلماءُ هو صرفُ الكلامِ عن ظاهرِه إلى وجهٍ يحتملُه أَوْجَبَهُ برهانٌ قطعيٌّ في القطعياتِ، وظنيٌّ في الظنياتِ» اهـ. قالَ الإمامُ أحمدُ الرفاعيّ رضي الله عنهُ «صُونوا عقائدكُم منَ التمسّكِ بظاهرِ ما تشابهَ منَ الكتابِ والسّنةِ فإنَّ ذلكَ مِن أصولِ الكفرِ»[3] اه. ولا يكونُ التأويلُ إلا بدليلٍ، فلا يجوزُ إخراجُ النصّ عن ظاهرِه إلا بدليلٍ عقليّ قاطعٍ أو سمعيّ ثابتٍ كما قالَ الرازيُّ في المحصولِ[4].

- وللتأويلِ مَسلكانِ[5] كلٌّ منهُما صحيحٌ:

- الأوّلُ مَسلكُ السّلفِ وهُم أهلُ القُرونِ الثلاثةِ الأُولى قَرنُ الصّحابةِ وقَرنُ التابعينَ وقَرنُ أتباعِ التابعينَ فإنَّ أكثرَهُم يُؤوّلونَ الآياتِ المتشابهةَ تأويلًا إجماليًّا بالإيمانِ بها واعتقاد أنَّ المعنى المرادَ منهَا ليسَ مِن مَعاني الأَجسامِ بَل أنَّ لها مَعنى يَليقُ بجلالِ الله وعَظمتهِ ولم يُعيّنوا ذلكَ المعنى، وردُّوا تلكَ الآياتِ إلى الآياتِ المحكمةِ كقَولهِ تَعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[6].

- والثاني مَسلكُ الخلفِ أَي أغلبِ الخلفِ وهُم مَن جاءَ بعدَ السّلفِ فإنهم يُؤوّلونَ الآياتِ المتشابهةَ تأويلًا تفصيليًّا بالإيمانِ بها واعتقادِ أنَّ المعنى المرادَ منهَا ليسَ مِن مَعاني الأَجسام بَل أنَّ لها مَعنى يليقُ بجلالِ الله وعَظمتهِ وعيّنوا

(١) أبو هلال العسكري. الفروق اللغوية. ج١ ص١٣٣.

(٢) النووي. تهذيب الأسماء واللغات. ج١ ص٩٨٦.

(٣) الرفاعي. البرهان المؤيد. ص ٢٢.

(٤) الرازي. المحصول في علم الأصول. ج٤ ص٣٩٥. قال ما معناه ذلك.

(٥) القرطبي. تفسير القرطبي. ج٤ ص ١٤، النووي. شرح النووي على مسلم. ج١ ص١٤٨.

(٦) سورة الشورى/ آية ١١.

ذلكَ المعنى الذي تَقتضيهِ لغة العَربِ، وردّوا تلكَ الآياتِ إلى الآياتِ المحكمَةِ ولم يحمِلوها على ظواهِرِها أيضًا كالسّلفِ، ولا بأسَ بسُلوكهِ ولاسيّما عندَ الخوفِ مِن تزلزُلِ العَقيدةِ حفظًا منَ التشبيهِ.

- وقَد صحَّ التأويلُ الإجماليُّ عنِ الإمامِ الشّافعيّ رضي الله عنهُ وهوَ منَ السّلفِ فقَد ثبتَ عنهُ أنهُ قالَ «آمنتُ بما جاءَ عَنِ الله عَلى مُرادِ الله وبما جاءَ عَن رَسولِ الله ﷺ عَلى مُرادِ رسولِ الله» اهـ نقلَهُ عنهُ الحافظُ الحصنيُّ في كتابهِ دَفع شُبهِ مَن شبّهَ وتمرّدَ[1]، يَعني رَضي الله عنهُ لا عَلى ما قَد تَذهبُ إليهِ الأوهامُ والظّنونُ منَ المعاني الحسّيّةِ والجسميّةِ التي لا تجوزُ في حقّ الله تَعالى.

- وثبتَ عنِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رضي الله عنهُ تأويلهُ آيةَ الاستواءِ بقولهِ «استوَى كما أخبرَ لا كما يَخطرُ للبَشرِ» اهـ. نقلَهُ عنهُ الحافظُ الحصنيُّ في كتابهِ «دَفعِ شُبهِ مَن شبّهَ وتمرّدَ»[2].

- وثبتَ عنِ الإمامِ مالكٍ رضي الله عنهُ التأويلُ الإجماليُّ في ما رواهُ عنهُ البَيهقيُّ قال «أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أحمد بن محمد بن إسماعيل بن مهران حدثنا أبي حدثنا أبو الربيع ابن أخي رشدين بن سعد قال سمعت عبد الله بن وهب يقول كنّا عندَ مالكِ بنِ أنسٍ فدخلَ رجلٌ فقالَ يا أبا عَبدِ الله الرّحمنُ عَلى العَرشِ استوَى كيفَ استواؤُه؟ قالَ فأطرقَ مالكٌ وأَخذتهُ الرُّحَضاءُ -وهوَ عَرَقٌ يغسلُ الجلد لكثرتهِ- ثم رفعَ رأسَهُ فقالَ «الرّحمنُ على العَرشِ استوَى كما وصفَ نفسَهُ ولا يُقالُ كيفَ وكيفَ عنهُ مرفوعٌ وأنتَ رجلُ سوءٍ صاحبُ بدعةٍ أخرجوهُ» قالَ فأُخرِجَ الرجلُ[3] اهـ. قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ في

---

(١) تقي الدين الحصني. دفع شبه من شبّه وتمرد. ص٥٦.

(٢) تقي الدين الحصني. دفع شبه من شبّه وتمرد. ص١٧. الرفاعي. البرهان المؤيد. ص٢٤.

(٣) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾. ص٥١٥.

«الفتحِ»[١] «وأخرجَه البيهقيُّ بسندٍ جيّد» اهـ.

• أما نفيُ التأويلِ التفصيليّ عَنِ السّلفِ كما زَعمَ بَعضٌ فمَردودٌ بما في صَحيح البخاريّ في كتابِ تفسيرِ القُرآنِ وعبارتهُ هناكَ «﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[٢] إلا مُلكَهُ ويقالُ إلا ما أريد به وجه الله»[٣] اه. فمُلكُ الله صفةٌ مِن صفاتهِ الأزليّةِ ليسَ كالملكِ الذي يُعطيهِ للمَخلوقينَ، وفيهِ غيرُ هذا الموضعِ كتأويلهِ الضّحكَ الواردَ في حقّ الله في الحديثِ بالرّحمةِ. وهو حديثُ أبي هريرةَ رضي الله عنه[٤] أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ فبعثَ إلى نسائهِ فقُلنَ ما معنا إلا الماءُ فقالَ رسولُ الله ﷺ «**مَن يَضمُّ** – أو – **من يُضيفُ هذا**» فقالَ رجلٌ من الأنصارِ «أنا»، فانطلقَ إلى امرأتِهِ فقال «أكرمي ضيفَ رسولِ الله ﷺ» فقالت «ما عندنا إلا قوتُ صبياني» فقال «هيئي طعامَك وأصبحي سِراجَك ونَوّمي صبيانَك إذا أرادوا عشاءً»، فهيأت طعامَها وأصبحت سراجَها ونوّمت صبيانَها ثم قامتْ كأنها تصلحُ سراجَها فأطفأتْه، فجعلا يُريانِه أنهما يأكلان فباتا طاويينْ، فلما أصبح غدَا إلى رسولِ الله ﷺ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ «**ضَحِكَ الله الليلةَ** – أو – **عَجِب مِن فِعالِكُما**» فأنزل الله ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ**﴾[٥] قالَ ابنُ حجر في «فتحِ الباري»[٦] «ونسبةُ الضحكِ والتعجّبِ إلى اللهِ مجازِيّةٌ والمرادُ بهما الرضا بصنيعِهما» اه.

---

(١) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١٣ ص٤٠٧.

(٢) سورة القصص/ آية ٨٨.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب تفسير القرآن: باب تفسير سورة القصص. ج١٤ ص٤٣٧.

(٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب مناقب الأنصار: باب قول الله عز وجل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. ج٥ ص١١٤.

(٥) سورة الحشر/ ٩.

(٦) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٧ ص١٢٠.

- وصحَّ أيضًا التأويلُ التفصيليُّ عَنِ الإمامِ أحمدَ رضي الله عنه وهوَ منَ السّلفِ فقَد ثبتَ عنهُ أنهُ قالَ في قولهِ تَعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾[1] «إنما جاءَ أمرُ ربّكَ»[2] اهـ. رواهُ الحافظُ البيهقيُّ في «مَناقبِ أحمد» وصحّحَ سندَهُ، أي ليسَ مجيءَ الحركةِ والانتقالِ والزّوالِ وإفراغِ مكانٍ وملءِ آخَر بالنسبةِ إلى اللهِ ومَنِ اعتقدَ ذلكَ يكفرُ. فاللهُ تَعالى خلقَ الحَركةَ والسّكونَ وكلَّ ما كانَ مِن صفاتِ الحوادثِ فلا يُوصَفُ اللهُ تَعالى بالحركةِ ولا بالسّكونِ، ولو كانَ الإمامُ أحمدُ يعتقدُ في اللهِ الحركةَ والسكونَ والانتقالَ لتركَ الآيةَ على ظاهرِها وحملَها على المجيءِ بمعنى التنقّلِ من علوٍ إلى سفلٍ كمجيءِ الملائكةِ ولمَا تكلّمَ بهذا التأويلِ.
- وصحَّ أيضًا التأويلُ التفصيليُّ عنِ الإمامِ مالكٍ رضي الله عنه وهوَ منَ السّلفِ فقَد ثبتَ عنهُ أنهُ قالَ في حديثِ «**يَنزلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى السّماءِ الدّنيا فيقولُ هَل مِن داعٍ فيُستجابَ لهُ هَل مِن مُستغفرٍ فيُغفرَ لهُ هَل مِن سائلٍ فيُعطى**» إنما يَنزلُ الملَكُ بأمرِ ربّنا فيُنادِي مُبلّغًا عنِ الله تلكَ الكلماتِ، نقلَهُ الزّرقانيُّ في شَرحِهِ عَلى الموطّأ[3]. قالَ البيهقيُّ في «الأسماءِ والصفاتِ»[4] «وقد زلَّ بعضُ شيوخِ أهلِ الحديثِ ممن يرجعُ إلى معرفتِه بالحديثِ والرجالِ، فحادَ عن هذهِ الطريقةِ حين روى حديثَ النزولِ، ثم أقبلَ على نفسِه، فقالَ إن قال قائلٌ كيف ينزلُ ربُّنا إلى السماءِ؟ قيل له ينزلُ كيفَ يشاءُ. فإن قالَ هل يتحركُ إذا نزلَ؟ فقالَ إن شاءَ يتحركُ وإن شاءَ لم يتحركْ. وهذا خطأٌ فاحشٌ عظيمٌ، واللهُ تعالى لا يوصفُ

---

(١) سورة الفجر/ آية ٢٢.

(٢) ابن كثير في البداية والنهاية ج١٠ ص٣٢٧ ولفظه: وروى البيهقي عن الحاكم عن أبي عمرو بن السماك عن حنبل أن أحمد بن حنبل تأوّل قول الله ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ أنه جاء ثوابه، ثم قال البيهقي «هذا إسناد لا غبار عليه» اهـ. وهذا تأويل تفصيلي.

(٣) أبو عبد الله محمد الزرقاني. شرح موطأ الإمام مالك. كتاب الصلاة: باب ما جاء في الدعاء. ج٢ ص٢١٨.

(٤) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٥٧٠.

بالحركةِ لأنَّ الحركةَ والسكونَ يتعاقبان في محلٍ واحدٍ، وإنما يجوزُ أن يوصفَ بالحركةِ من يجوزُ أن يوصفَ بالسكونِ، وكلاهما من أعراضِ الحَدَثِ وأوصافِ المخلوقين، واللهُ تبارك وتعالى متعالٍ عنهما، ليسَ كمثلِه شيءٌ» ثم قال -أي البيهقي- «وقد اختلفَ العلماءُ في قولِهِ «**ينزلُ الله**» فسئلَ أبو حنيفةَ عنه فقالَ ينزلُ بلا كيفٍ». ثم قال: «وقال بعضُهم ينزلُ نزولًا يليقُ بالربوبيةِ بلا كيفٍ، من غيرِ أن يكونَ نزولُه مثلَ نزولِ الخلقِ بالتجلي والتملي لأنه جلَّ جلالُه منزهٌ عن أنْ تكونَ صفاتُه مثلَ صفاتِ الخلقِ، كما كان منزهًا عن أن تكونَ ذاتُه مثلَ ذاتِ الغيرِ، فمجيئُه وإتيانُه ونزولُه على حسبِ ما يليقُ بصفاتِه من غيرِ تشبيهٍ وكيفيةٍ» اهـ.

وقالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «فَتح البَاري شَرحِ صَحيحِ البُخاريّ»[1] «قولُه ﷺ «**ينزلُ ربُّنا إلى السماءِ الدنيا**» استدلَّ به من أثبتَ الجهةَ وقال هي جهةُ العلوِ وأنكرَ ذلك الجمهورُ لأنَّ القولَ بذلك يفضي إلى التحيّزِ تعالى الله عن ذلك، وقد اختلفَ في معنى النزولِ على أقوالٍ: فمنهم من حملَه على ظاهرِه وهمُ المشبهةُ تعالى الله عن قولِهم، ومنهم من أنكرَ صحةَ الأحاديثِ الواردةِ وهمُ الخوارجُ والمعتزلةُ» ثم قال: «ومنهم من أجراهُ على ما وردَ مؤمنًا به على طريقِ الإجمالِ منزّهًا الله تعالى عن الكيفيةِ والتشبيهِ وهم جمهورُ السلفِ، ونقلَه البيهقيُّ وغيرُه عن الأئمةِ الأربعةِ والسُّفيانَيْن والحمَّادَين والأوزاعيّ والليثِ وغيرِهم، ومنهم من أوَّلَهُ على وجهٍ يليقُ مستَعْمَل في كلامِ العربِ» ثم قال: «وهو منقولٌ عن مالكٍ» ثم قال: «والحاصلُ أنه تأوَّله بوجهين إما بأنَّ المعنى ينزلُ أمرُه أو الملكُ بأمرِه وإما بأنه استعارةٌ بمعنى التلطفِ بالداعين والاستجابةِ لهم، وقَد حكَى ابنُ فُورك أنَّ بعضَ المشايخِ ضَبطَ حديثَ النّزولِ بضَمّ أوّلِهِ عَلى حَذفِ المفعولِ أَي يُنْزِل الملَكَ» اه.

(١) ابن حجر العسقلاني. فتح البَاري شرح صحيح البخاري. كتاب التهجد: باب الدعاء والصلاة من آخر الليل. ج٣ ص ٣٧.

ويقويه ما رواهُ النسائيُّ[١] أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال «**إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُمهلُ حتى يمضيَ شطرُ الليلِ الأولُ ثم يأمرُ مناديًا ينادي**» الحديثَ وكذلك رواهُ الطبرانيُّ[٢] بلفظِ «**تفتحُ أبوابُ السماءِ نصف الليلِ فينادي منادٍ هل من داعٍ فيستجابَ له هل من سائلٍ فيُعطَى هل من مكروبٍ فيفرج**» قال الهيثميُ في «مجمعِ الزوائد»[٣] «رواهُ الطبرانيُّ ورجالُهُ رجالُ الصحيحِ» اهـ.

قال النووي[٤] في شرحِ هذا الحديثِ «هذَا الحديث من أحاديث الصّفَات، وفيه مذهبانِ مَشْهُورَانِ لِلعلَماء سبقَ إيضَاحهما فِي كتاب الإِيمان ومختصرهما أَنَّ أَحدهمَا وهو مَذهَب جُمهُور السّلف وَبعض الـمُتكلّمِينَ أنهُ يُؤْمَن بأَنَّها حقّ على مَا يَليق بِالله تعالى، وأنَّ ظاهرهَا المتَعَارَف في حَقّنا غير مُرَاد، ولا يُتكلَّم في تَأويلها مع اعتقاد تَنْزِيه الله تعالى عن صفَات المخْلُوق، وعن الانتقَال وَالحركَات وسائر سمات الخلق. وَالثَّاني: مَذْهَب أَكثَر المتكَلّمِينَ وجماعات من السّلف وهوَ محكِيّ هنا عن مالِك والأوزَاعِيّ أَنَّهَا تتأول على ما يلِيق بها بحسب مواطِنهَا. فعلى هذا تَأَوّلُوا هذَا الحدِيث تَأوِيلَيْن أحدهما: تَأويل مالك بن أنس وغيره معناهُ تَنْزِل رَحْمَته وَأَمْره وَملائِكته كمَا يُقال فعلَ السّلطان كذا إِذا فعله أتباعه بأمرِهِ. والثانِي: أنه على الاستعارَة، ومعناهُ الإقبال على الدَّاعينَ بالإِجابةِ وَاللُّطْف. وَالله أعلم» اهـ.

- وصحَّ أيضًا التأويلُ التفصيليُّ عَنِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهما وهوَ منَ السّلفِ فقَد ثبتَ عنهُ أنهُ قالَ في قولِه تَعالى ﴿**يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ وَيُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ**﴾[٥] عَن شدّةٍ منَ الأمرِ، ذكرَهُ الحافظُ ابنُ حَجرٍ في «فَتحِ البَاري شرحِ

---

(١) النسائي. السنن الكبرى. ج٦ ص١٢٤.

(٢) الطبراني. المعجم الأوسط. ج٣ ص١٥٤.

(٣) نور الدين الهيثمي. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ج١١ ص٩٠.

(٤) النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج٣ ص٩٦.

(٥) سورة القلم/ آية ٤٢.

صَحيح البُخاريّ»[1]. وكذلكَ رواهُ الحاكمُ في «المستدركِ» وصححَه ووافقه الذهبيُّ[2]، وقال أبو حيان الأندلسيُّ في تفسيره «البحرُ المحيط»[3] «الدعاءُ إلى السجودِ ليسَ على سبيلِ التكليفِ، بل على سبيلِ التقريعِ والتخجيلِ، وعندما يُدعوْن إلى السجودِ سُلِبوا القدرةَ عليه وحيلَ بينهم وبينَ الاستطاعةِ حتى يزدادَ حزنُهم وندامتُهم على ما فرَّطوا فيه حينَ دُعُوا إليه وهم سالمو الأطرافِ والمفاصل» ثم قال: «وكشفُ الساقِ كنايةٌ عن شدةِ الأمرِ وتفاقمِهِ» اهـ.

- وصحَّ أيضًا التأويلُ التفصيليُّ عَن مجاهدٍ تلميذِ ابنِ عبّاسٍ وهوَ منَ السّلفِ فقَد ثبتَ عنهُ أنهُ قالَ في قولهِ تَعالى ﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾[4] «أيْ قبلةُ الله» اهـ. رواهُ الحافظُ البيهقيُّ في «الأَسماءِ والصّفاتِ»[5] والطبري في تفسيره[6]، أيْ فأَينما تُوجّهُوا وُجوهَكُم في صَلاةِ النّفلِ في السّفرِ عَلى الرّاحلةِ فتِلكَ الوُجهةُ التي تَوجّهتُم إليها هيَ قِبلةُ الله، ولا يُرادُ بالوَجهِ الجارحةُ، وحكمُ مَن يعتقدُ الجارحةَ للهِ التكفيرُ لأنهُ لَو كانَت لهُ جَارحةٌ لكانَ مِثلًا لَنا يجوزُ عليهِ ما يجوزُ عَلينا منَ التّعبِ والمرضِ والفَناءِ. وقَد يُرادُ بالوَجهِ قصدُ التّقرّبِ إلى اللهِ تَعالى، كأَن يقولَ أحدُهم «فَعلتُ كَذا وكَذا لوَجهِ الله»، ومَعنى ذلكَ «فَعلتُ كَذا وكَذا تقرّبًا إلى اللهِ أي امتثالًا لأمرِ الله تَعالى».

- فعُلِمَ مما ذُكرَ أنَّ السّلفَ والخلفَ مُتّفقونَ عَلى وُجوبِ تأويلِ ما يُوهمُ ظاهرُهُ ما لا يَليقُ بالله عزَّ وجلَّ ومنهُم مَن أوّلَ تأويلًا إجماليًّا ولم يحمِل تلكَ النّصوصَ

---

(١) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١٣ ص٤٢٨.

(٢) الحاكم. المستدرك. ج٢ ص٥٤٢.

(٣) أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج١٠ ص٢٤٧.

(٤) سورة البقرة/ آية ١١٥.

(٥) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما جاء في إثبات الوجه صفة لا من حيث الصورة. ص٣٩١.

(٦) الطبري. تفسير الطبري. ج٢ ص٤٥٧.

عَلى ظَواهِرِها ومنهُم مَن أوّلها تأويلًا تفصيليًّا ولم يحمِل تلكَ النّصوصَ عَلى ظواهِرِها. قالَ الحافظ النوويُّ في شرح مسلمٍ[١] عندَ الكلامِ على حديثِ الجاريةِ قال القاضي عياضٌ[٢] «لا خلافَ بين المسلمين قاطبةً فقيهِهِم ومحدثِهم ومتكلمِهم ونُظَّارِهم ومقلدِهم أن الظواهرَ الواردةَ بذكرِ الله تعالى في السماءِ كقولِهِ تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾[٣] ونحوِه ليستْ على ظاهرِها بل متأولةٌ عندَ جميعِهم» اهـ.

- وقد مالَ الحافظُ العراقيُّ إلى تفسيرِ قولِه تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ بالملائكة وذلك في تفسيرِ حديثِ «**ارحموا من في الأرضِ يرحمْكم مَن في السماء**» فقد روى بالإسنادِ إلى عبدِ الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه قال «**الراحمونَ يرحمُهمُ الرحيمُ ارحموا مَن في الأرضِ يرحمْكم أهلُ السماءِ**»[٤] قال واستُدِلَّ بهذه الرواية «**أهلُ السماءِ**» على أنَّ المرادَ بقولِه : «**من في السماء**» الملائكةُ[٥]» اهـ فهذه الروايةُ تُبيِّن المرادَ بقولِه ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ﴾ فمَن في الآيةِ واقعةٌ على الملائكةِ لأنَّ الملائكةَ قادرون على أن يخسِفوا بأولئك المشركينَ الأرضَ فلو أُمِروا بذلك لفعلوه. وكذلك يقالُ في الحديثِ الذي رواه مسلمٌ[٦] «**والذي نفسي بيدِه ما مِن رجلٍ يدعو امرأتَه إلى فراشِه فتأبى عليه إلا كان الذي في السماءِ ساخطًا عليها حتى يرضى عنها**»

(١) النووي. شرح النووي لصحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب تحريم الكلام في الصلاة. ج٥ ص٢٤.

(٢) القاضي عياض. إكمال المعلم شرح صحيح مسلم. كتاب المساجد: باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته. ج٢ ص٢٥٩.

(٣) سورة الملك/ آية ١٦.

(٤) أحمد. مسند أحمد. ج٢ ص ٥٥٤.

(٥) العراقي. الأمالي. ص٧٧.

(٦) مسلم. صحيح مسلم. كتاب النكاح: باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها. ج١٠ ص٧.

فيُحمَلُ أيضًا على الملائكةِ بدليلِ الروايةِ الثانيةِ الصحيحةِ التي رواها ابنُ حبانَ وغيرُه والتي هي أشهرُ من هذه وهي «**لعنَتْها الملائكةُ حتى تُصبِح**»[1].

- قال البيهقيُّ في «الأسماءِ والصفاتِ»[2] في قولِه تعالى ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾[3] «ولم يُرِد به إتيانًا من حيثُ النُّقْلةُ وإنما أراد إحداثَ الفعلِ الذي خرب بُنيانهم وخَرَّ عليهم السقفُ من فوقهم فسمى ذلك الفعلَ إتيانًا» اهـ وقال المفسرُ النحويُّ اللغويُّ الزجاجُ في تفسيرِه[4] «قولُه عزَّ وجلّ ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾[5] قالَ أهلُ اللغةِ معناه يأتيهمُ الله بما وعدَهم من العذابِ والحسابِ كما قالَ ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ﴾[6] أي أتاهم بخذلانه إياهم» اهـ.

- وقال البيهقيُّ في «الأسماءِ والصفاتِ»[7] «قال أبو سليمانَ الخطّابيُّ رحِمه الله قولُه ﷺ «**فإن الله تعالى قِبَلَ وجهه**» تأويلُه أن القبلةَ التي أمرَه الله تعالى بالتوجهِ إليها للصلاة قِبَلَ وجهه فليَصُنْها عن النُّخامة» اهـ.

- وقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[8] أي هادي أهل السمٰواتِ وأهل

(١) أحمد. مسند أحمد. ج٣ ص٣٤٨.

(٢) البيهقي. الأسماء والصفات. ص ٤٤٨-٤٤٩.

(٣) سورة النحل/ آية ٢٦.

(٤) أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج٢ ص١٣٣.

(٥) سورة البقرة/ آية ٢١٠.

(٦) سورة الحشر/ آية ٢.

(٧) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما روي أن الله سبحانه وتعالى قبل وجه المصلي. ص ٥٨٨.

(٨) سورة النور/ آية ٣٥.

الأرضِ إلى نورِ الإيمانِ، رواه البيهقيُّ عن عبدِ الله بن عباسٍ رضي الله عنهما[١].

- وقولُه تعالى ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ﴾[٢] أي بحفظي وحراستي، قاله القرطبيُّ في تفسيرِه[٣].
- وقولُه تعالى ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾[٤] أي اعملِ السفينةَ لتركبَها أنت ومن آمنَ معك ﴿بِأَعۡيُنِنَا﴾ أي بمرأى منا وحيثُ نراك، وقال الربيعُ بن أنس «بحفظنا إياك حفظ من يراك»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما «بحراستنا»اهـ ذكره القرطبي في تفسيره[٥].
- قالَ القرطبيُ في تفسيرِه عند الكلام على اليدِ في لغةِ العربِ ما نصُّه[٦] «وتكونُ لإضافةِ الفعلِ إلى المخبرِ عنه تشريفًا له وتكريمًا قالَ الله تعالى ﴿يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾[٧] فلا يجوزُ أن يحملَ على الجارحةِ لأن البارئ جلَّ وتعالى واحدٌ لا يجوزُ عليه التبعيضُ، ولا على القوةِ والملكِ والنعمةِ والصلةِ، لأن الاشتراكَ يقعُ حينئذٍ بين وليه آدم وعدوِه إبليسَ ويبطلُ ما ذكرَ من تفضيلِه عليه لبطلانِ معنى التخصيصِ فلم يبقَ إلا أن تحملَ على صفتين تعلَّقتا بخلقِ آدمَ تشريفًا له دون خلقِ إبليسَ تعلقَ القدرةِ بالمقدورِ لا من طريقِ المباشرةِ ولا من حيثُ المماسة» اهـ.

---

(١) البيهقي. الأسماء والصفات. باب جماع أبواب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات التدبير له دون ما سواه. ص١٠٢.

(٢) سورة طه/ آية ٣٩.

(٣) القرطبي. تفسير القرطبي. تفسير سورة الطور. ج١٧ ص٧٨.

(٤) سورة هود/ آية ٣٧.

(٥) القرطبي. تفسير القرطبي. تفسير سورة هود. ج٩ ص٣٠.

(٦) القرطبي. تفسير القرطبي. تفسير سورة المائدة. ج٦ ص٢٣٨.

(٧) سورة ص/ آية ٧٥.

• وأما قوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1] فقد قالَ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما «عالمٌ بكم أينما كنتم» اهـ ذكرَه السيوطيُ في «الدرِ المنثور»[2].

• وقولُه عليه الصلاةُ والسلامُ[3] «**إن قلوبَ بني آدمَ كلَّها بين إصبعين من أصابعِ الرحمنِ**» فقد قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في فتحِ الباري[4] ما نصُّه «وكذا قولُه «**إن قلبَ ابنِ آدمَ بين إصبعين من أصابعِ الرحمنِ**» فإن المرادَ به إرادةُ قلبِ ابن آدمَ مصرّفة بقدرةِ الله وما يوقعُه فيه وكذا قولُه تعالى ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾[5] معناه خربَ الله بنيانهم وقولُه ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[6] معناه لأجلِ الله وقسْ على ذلك» اهـ.

• وكذلكَ الحديثُ الذي رواه البخاريُّ[7] «جاءَ حَبْرٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال يا محمدُ إن اللهَ يضعُ السماءَ على إصبعٍ والأرضَ على إصبعٍ والجبالَ على إصبع والشجرَ والأنهارَ على إصبع وسائرَ الخلقِ على إصبعٍ ثم يقولُ بيدِه أنا الملكُ فضحكَ رسولُ اللهِ ﷺ وقالَ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾[8]» قال ابنُ الجوزيّ في كتابِه «كشفِ المشكلِ»[9] ما نصُّه «قالَ أبو سليمانَ الخطابيُّ يحتملُ أن يكونَ

(١) سورة الحديد/ آية ٤.

(٢) السيوطي. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. تفسير سورة الحديد. ج١٤ ص٢٦١.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء. ج٨ ص٥١.

(٤) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١٣ ص٣٨٣.

(٥) سورة النحل/ آية ٢٦.

(٦) سورة الإنسان/ آية ٩.

(٧) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾. ج٩ ص١٦٤-١٦٥.

(٨) سورة الزمر/ آية ٦٧.

(٩) ابن الجوزي. كشف المشكل من حديث الصحيحين. ج١ ص١٨٢.

ضحك رسول اللهِ إنكارًا» ثم قال «وقولُ من قالَ تصديقًا ظنٌّ منه، والظاهرُ أنَّ ذلك من تخليطِ اليهودِ وتحريفِهم وأن ضحكَ رسولِ اللهِ إنما كان تعجبًا وإنكارًا، ثم لو صحّتِ الروايةُ بإثباتِ ذلك كان المعنى أنَّ سهولةَ الأمرِ عليه كمنْ جمعَ شيئًا في كفّه فاستخفَّ حملَه فلم يشتملْ بجميعِ كفِهِ عليه لكنه أقله ببعضِ أصابعِهِ، يقالُ إن فلانًا ليفعلُ كذا بخنصرِهِ»اهـ.

- ومثلُ ذلك قولُه عليه الصلاةُ والسلامُ الذي رواهُ البخاريُّ[1] ومسلمٌ[2] «**لا تزالُ جهنمُ تقولُ هل من مزيدٍ حتى يضعَ ربُّ العزةِ فيها قدمَه فتقولُ قط قط وعزتك ويزوى بعضُها إلى بعضٍ**» فقد قالَ بدرُ الدينِ العينيُّ في كتابِه «عمدةُ القاري»[3] «اعلمْ أن هذه الأحاديثَ من مشاهير أحاديثِ الصفاتِ والعلماءُ فيها على مذهبين، أحدُهما: مذهبُ المفوضةِ وهو الإيمانُ بأنها حقٌّ على ما أرادَ اللهُ ولها معنى يليقُ به وظاهرُها غيرُ مرادٍ وعليه جمهورُ السلفِ وطائفةٌ من المتكلّمين، والآخرُ: مذهبُ المؤوّلةِ وهو مذهبُ جمهورِ المتكلمين، على هذا اختلفوا في تأويلِ القَدمِ والرِجلِ فقيلَ المرادُ بالقَدم هنا المتقدمُ وهو سائغٌ في اللغةِ، ومعناهُ حتى يضعَ اللهُ فيها مَنْ قدَّمَهُ لها من أهلِ العذابِ، وقيلَ المرادُ قدمُ بعضِ المخلوقينَ فيعودُ الضميرُ في قدمِه إلى ذلك المخلوقِ المعلومِ أو ثَمَّ مخلوقٌ اسمُه القدمُ، وقيلَ المرادُ به الموضعُ لأنَ العربَ تطلقُ اسمَ القدمِ على الموضعِ قالَ تعالى ﴿قَدَمَ صِدۡقٍ﴾[4] أي موضعَ صدقٍ فإذا كان يوم القيامةِ يلقي في النارِ من الأممِ والأمكنةِ التي عُصِيَ اللهُ عليها فلا تزالُ تستزيدُ حتى يضعَ الربُّ

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الأيمان والنذور: باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته. ج٨ ص١٦٨.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء. ج٨ ص١٥٢.

(٣) بدر الدين العيني الحنفي. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. ج٢٨ ص٢٧٤.

(٤) سورة يونس/ آية ٢.

موضعًا من الأمكنةِ ومن الأممِ الكافرةِ في النارِ فتمتلِئ، وقيلَ القدمُ قد يكونُ اسمًا لما قُدّمَ من شيءٍ كما تُسمّي ما خبَطْتَ من الورقِ خَبَطًا فعلى هذا من لم يقدمْ إلا كفرًا أو معاصي على العنادِ والجحودِ فذاك قدَمُه وقدَمُه ذلك هو ما قدَّمَه للعذابِ والعقابِ الحالين به والمعاندون من الكفارِ هم قدَمُ العذابِ في النارِ، وقيلَ المرادُ بوضعِ القدمِ عليها نوعٌ من الزجرِ عليها والتسكين لها كما يقولُ القائلُ لشيءٍ يريدُ محوَه وإبطالَه جملتهُ تحتَ رجلي ووضعتُه تحتَ قدمي، وقال الكرمانيُّ يحتملُ أن يعودَ الضميرُ إلى المزيدِ ويرادُ بالقدمِ الآخرُ لأنه آخرُ الأعضاءِ أي حتى يضعَ اللهُ آخرَ أهلِ النارِ فيها» اهـ.

- والحديثُ الذي فيه أنَّ النبيَ ﷺ أشارَ في حجةِ الوداعِ بإصبعِه إلى السماءِ، قال الأنصاريُّ في كتابهِ «المفهمُ لما أشكلَ من تلخيصِ مسلم»[١] ما نصُّه «هذه الإشارةُ منه ﷺ إمَّا إلى السماءِ لأنها قبلةُ الدعاءِ، وإما لعلوِّ اللهِ تعالى المعنويّ لأن الله تعالى لا يحويهِ مكانٌ، ولا يختصُّ بجهةٍ» اهـ.

- وقد أوَّلَ الحافظُ ابنُ حجرٍ قولَ زينب بنتِ جحشٍ[٢] «زوجكن أهاليكن وزوجني اللهُ تعالى من فوقِ سبع سموات» فقال ما نصُّه[٣] «أي نزلَ تزويجها من فوق ولا يستحيلُ وصفُه تعالى بالفوقِ على المعنى الذي يليقُ بجلالِه لا على المعنى الذي يسبقُ إلى الوهمِ من التحديدِ الذي يفضي إلى التشبيهِ» اهـ.

- وقولُه ﷺ «**لَـلَّهُ أشدُّ أَذَنًا**»[٤] قال الحافظُ ابنُ حجرٍ[٥] في شرحِه «الأَذَنُ

---

(١) الأنصاريُّ القرطبيّ. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم. ج١٠ ص٨٣.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب وكان عرشه على الماء. ج٩ ص١٥٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٧ ص٤١٣.

(٤) الحاكم. المستدرك. ج١ ص٧٦٠.

(٥) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٩ ص٦٩.

الاستماعُ»اهـ. وكذلكَ أوَّلَه الأوزاعيُّ بالاستماعِ [(١)].

- وقولُه ﷺ «**إن اللهَ خلقَ آدمَ على صورتِه**»[(٢)] أي على الصورةِ المشرَّفةِ عنده. قال البيهقيُّ في كتابِه «الأسماءُ والصفاتُ»[(٣)] ما نصُّه «المعنى أن ذريةَ آدمَ إنما خُلِقوا أطوارًا، كانوا في مبدأِ الخلقةِ نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً، ثم صاروا صورًا أجنةً إلى أن تتمَّ مدةُ الحملِ، فيولدون أطفالًا، وينشؤون صغارًا، إلى أن يكبروا فتطولَ أجسامُهم يقولُ إنَّ آدمَ لم يكنْ خلقُه على هذه الصّفةِ لكنَّه لما تناولتْهُ الخلقةُ وُجِدَ خَلْقًا تامًّا طُولُه ستُّونَ ذِراعًا»اهـ.

- وكذلكَ حديثُ[(٤)] «**إن اللهَ خلقَ آدمَ على صورةِ الرحمنِ**»، فقد قالَ النوويُّ[(٥)] في شرحِه «ليس بثابتٍ عندَ أهلِ الحديثِ، وكأنَّ من نقلَه رواهُ بالمعنى الذي وقعَ له، وغلطَ في ذلك. قال المازريُّ وقد غلطَ ابنُ قتيبةَ في هذا الحديثِ، فأجراهُ على ظاهرِه، قال للهِ تعالى صورةٌ لا كالصورِ. وهذا الذي قالَه ظاهرُ الفسادِ، لأنَّ الصورةَ تفيدُ التركيبَ، وكلُّ مركَّبٍ محدثٌ، واللهُ تعالى ليسَ هو مركَّبًا، فليسَ مصوَّرًا. قال -أي المازري- وهذا كقولِ المجسم جسمٌ لا كالأجسامِ لما رأَوْا أهلَ السنةِ يقولون البارئ سبحانَه وتعالى شيءٌ لا كالأشياءِ طردوا الاستعمالَ فقالوا جسمٌ لا كالأجسامِ، والفرقُ أن لفظَ شيءٍ لا يفيدُ الحدوثَ، ولا يتضمنُ ما يقتضيه، وأما جسمٌ وصورةٌ فيتضمنانِ التأليفَ والتركيبَ وذلك دليلُ الحدوثِ» اهـ.

---

(١) الآجري. أخلاق حملة القرآن ص ١٠٨.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والأدب: باب النهي عن ضرب الوجه. ج٨ ص٣٢.

(٣) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٣٧٠.

(٤) الطبراني. المعجم الكبير. ج١٢ ص٣٢٩.

(٥) النووي. شرح صحيح مسلم. ج٨ ص٤٤٠.

- وأما الحديثُ القدسيُّ[١] الذي فيه «**إذا تقربَ إليَّ عبدي شبرًا اقتربتُ إليه ذراعًا**» فقد قالَ البيهقيُّ في شرحِه[٢] «قالَ أبو سليمان الخطابيُّ رحمهُ اللهُ قوله «**إذا تقرَّب العبدُ إليَّ شبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعًا**» هذا مثلٌ ومعناه حسنُ القبولِ ومضاعفةُ الثوابِ على قدرِ العملِ الذي يتقربُ به العبدُ إلى ربّه، حتى يكونَ ذلك ممثلًا بفعلِ من أقبلَ نحوَ صاحبِهِ قدرَ شبرٍ، فاستقبلَهُ صاحبُه ذراعًا، وكمن مشى إليه فهرولَ إليه صاحبُه قبولًا له وزيادةً في إكرامِه، وقد يكونُ معناه التوفيقَ له والتيسيرَ للعمل الذي يقربُه منه واللهُ أعلمُ» اهـ.
- وقالَ الفخرُ الرازيُّ في تفسيرِ قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٣] بعد أن أوردَ أدلةً على أنه ليس المرادُ من الاستواءِ الجلوسَ ما نصُّه[٤] «فثبتَ بهذه الدلائلِ أن الاستقرارَ على الله تعالى محالٌ» ثم قال «وروى الشيخُ الغزاليُّ عن بعض أصحابِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ أنه أولَ ثلاثةً من الأخبار:

- قوله عليه السلامُ «**الحجرُ الأسودُ يمينُ الله في الأرضِ**»[٥].
- وقوله عليه السلامُ «**قلبُ المؤمنِ بين إصبعين من أصابعِ الرحمن**»[٦].

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه. ج٩ ص١٩٢.

(٢) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٢٧٢.

(٣) سورة طه/ آية ٥.

(٤) الرازي. التفسير الكبير. ج٢٢ ص٨.

(٥) البغوي. شرح السنة. ج٧ ص١١٤. قال ابن حجر في شرح هذا الحديث «**يمين الله في الأرض**»: ومعاذ الله أن يكون لله جارحة، وقال الخطابي: معنى يمين الله في الأرض أن من صافحه في الأرض كان له عند الله عهد». اهـ فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٣ ص٤٦٣.

(٦) مسلم. صحيح مسلم. كتاب القدر: باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء. ج٨ ص٥١. قال ابن حجر: «وكذا قوله إن قلب ابن آدَمَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحمن فَإِنَّ المرادَ بِهِ إِرَادَة قلب ابن آدَمَ مُصَرَّفَةٌ بِقُدْرَةِ اللهِ»اهـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٣ ص ٣٨٣.

- وقوله عليه السلام «**إني لأجد نفس الرحمـٰن من قبل اليمن**»[1]» اهـ.

واعلم أنّ صفاتِ الله تعالى لا تثبُتُ بقولِ صحابيّ أو تابعيّ إنما تثبتُ الصفةُ لله تعالى بالكتابِ والأحاديثِ المرفوعةِ الصحاحِ فهذه القاعدة تريح من تكلّفَ الجوابَ عن بعض ما يُروى عن أفرادِ الصحابةِ والتابعين قال ابن الجوزي في كتابه «دفعُ شُبَهِ التشبيهِ بأكُفّ التنزيه»[2] «قال أبو سليمان الخطابي لا تثبت لله صفة إلا بالكتاب أو خبر مقطوع بصحته يستند إلى أصل في الكتاب أو في السنة المقطوع على صحتها وما بخلاف ذلك فالواجب التوقف عن إطلاق ذلك ويتأول على ما يليق بمعاني الأصول المتفق عليها من أقوال أهل العلم من نفي التشبيه» اهـ. ومثل ذلك نقل الحافظ البيهقي في «الأسماء والصفات»[3] عن أبي سليمان الخطابي. وقال الخطيب البغدادي في كتابه «الفقيه والمتفقه»[4] «وإذا روى الثقةُ المأمونُ خبرًا متصلَ الإسناد رُدَّ بأمور أحدها أن يُخالِفَ موجَبات العقول فيُعلم بُطلانه لأن الشرع إنما يَرِدُ بمجَوَّزات العقول وأما بخلاف العقول فلا» اه وقد ذكرَ علماءُ الحديثِ أن الحديثَ إذا خالفَ صريحَ العقلِ أو النصَّ القرآنيَّ أو الحديثَ المتواترَ ولم يقبل تأويلًا فهو باطلٌ، ذكره الفقهاءُ والأصوليون في كتبِ أصولِ الفقهِ كتاج الدينِ السبكي في جمعِ الجوامعِ وغيره.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(١) البغوي. شرح السنة. ج١٤ ص٢٠٢. وقال ابن فورك «ومَعْنَاه إني لأجدُ تفريجَ الله عني وتنفيسَه عَن كُربتي بنصرته إيَّايَ من قبل أهل اليمن»اهـ. مشكل الحديث وبيانه. محمد بن حسن ابن فورك. ص ١٩٨.

(٢) ابن الجوزي. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه. ج١ ص٩٧.

(٣) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٣٣٥.

(٤) الخطيب البغدادي. الفقيه والمتفقه. ج١ ص٣٩٢.

المحاضرة العاشرة

الآياتُ المحكماتُ والمتشابهاتُ
الجزءُ الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

أمّا بعدُ فقد أجمعَ أهلُ الحقّ على أنّ من نفى صفةً من الصّفاتِ الثّلاثَ عشرةَ الواجبةِ لله تعالى لا ينبغي التّوقّفُ في تكفيرِهِ لأنّ أهلَ الحقّ من علماءِ الإسلام لم يختلفوا في تكفيرِ المخالفِ في ذلك، فالقائلُ إنّ الله جسمٌ لطيفٌ أو كثيفٌ لا يُتوقّفُ في تكفيرِهِ مهما كان غارقًا في الجهلِ لأن ثبوتَ الصّفاتِ الثّلاثَ عشرةَ لله تعالى يدلّ عليهِ العقلُ لو لم يسمعْ ذِكرهُ في علم الدّين، فمن سمعَ ومن لم يسمعْ في هذا سواءٌ، ولا يُنظرُ إلى عددِ الجاهلين المخالفين للحقّ في هذا سواءٌ قلّوا أم كثروا، أمّا من أنكرَ الصّفاتِ التي لا يدلُّ عليها العقلُ لكن وردَت في القرآنِ كالوجهِ واليدِ والعينِ -التي ليستْ بمعنى الجارحةِ ولكن لها معانٍ تليقُ بالله- لجهلِه بورودِها في القرآنِ فلا يكفرُ، كما في قولِه تعالى في سورة القصص ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[5] وقولِه تعالى في سورة الفتح ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[6] وقولِه تعالى في سورة القمر ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾[7] فمن أنكرها لا يُكفَّرُ إلا أن يكونَ علمَ ورودَها

---

(٥) سورة القصص/ آية ٨٨.

(٦) سورة الفتح/ آية ١٠.

(٧) سورة القمر/ آية ١٤.

في القُرآنِ ومع ذلكَ أنكرَ فعندئذٍ يكفَّرُ، أمّا من قال الله ليس له يدٌ ليسَ له عينٌ ليس له وجهٌ لأنّهُ لم يعلمْ أنّ هذا في القُرآنِ فأنكرَ فلا يكفّرُ لكن يقالُ له هذا واردٌ في القرآنِ فإن أنكرتَ بعد هذا تكفرُ وقد ذكرَ الشّافعيُّ رضي الله عنه فيما رواه ابن أبي حاتم عنه وقد سئل عن صفات الله فقال: «لله تعالى أسماءٌ وصفات، جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيُّه صلى الله عليه وسلم أمتَه، لا يسعُ أحدًا من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردُّها، لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم القول بها في ما روى عنه العدول، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالرؤية والفكر، ولا نكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وتثبت هذه الصفات، وننفي عنها التشبيه، كما نفى التشبيه عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]»[2].

صفة الوجه

• قالَ البيهقي في «الأسماء والصّفات»[3] «ما جاءَ في إثباتِ الوجهِ صفةً لا من حيثُ الصّورةُ لورودِ خبرِ الصّادقِ بهِ» ثم قالَ «عن عبدِ الله بن عمرَ رضي الله عنهما أنهُ رأى رجلًا يصلّي يلتفتُ في صلاتِه فقال له إنّ الله عزّ وجل مُقبلٌ على عبده بوجهه ما أقبلَ إليه فإذا التفتَ انصرفَ عنه اهـ قُلتُ ليسَ في صفاتِ ذاتِ الله عزّ وجلّ إقبالٌ ولا إعراضٌ ولا صرفٌ وإنّما عبّرَ عن إقبالِ الرّحمةِ وصرفِها بإقبالِ الوجهِ وصرفِه لتعلّقِ الوجهِ الذي هو صفةٌ بها والله أعلمُ، والذي يبيّنُ صحّةَ هذا التّأويلِ ما أخبرنا أبو طاهرٍ الفقيهُ أخبرَنا أبو حامدٍ ثنا يحيى بنُ الرّبيعِ

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

(٢) ابن قدامة. إثبات صفة العلو. ص ١٨١.

(٣) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٣٨٣.

المكيُّ ثنا سفيانُ بنُ عيينةَ عن الزّهريّ عن أبي الأحوصِ عن أبي ذرٍ رضي الله عنه يَبْلُغُ به النّبيَّ ﷺ قالَ إذا قامَ أحدُكم إلى الصّلاةِ فإنّ الرّحمةَ تواجهُهُ فلا يمسَّ الحصا اهـ قلتُ وشائعٌ في كلامِ الناسِ «الأميرُ مُقبلٌ على فلانٍ» وهُم يُريدونَ به إقبالَه عليه بالإحسانِ، «ومعرضٌ عن فلان» وهم يُريدون به تركَ إحسانِهِ إليه وصرفَ إنعامِهِ عنهُ والله أعلمُ» اهـ

• قالَ البغويُّ في تفسيرِه[1] «﴿كُلُّ شَىۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾[2] أي إلا هو وقيل إلا مُلكَهُ، قال أبو العالية إلا ما أريدَ به وجهُه» اهـ. وقال ابنُ الجوزيّ في «زادِ المسير»[3] «﴿كُلُّ شَىۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ فيه قولانِ أحدُهما إلا ما أُريدَ به وجهُه رواهُ عطاءٌ عن ابنِ عبّاسٍ وبه قال الثّوريُّ، والثّاني إلا هو قالَه الضّحاكُ وأبو عبيدةَ» اهـ. وقالَ أبو حيانَ الأندلسيُّ في «النّهرِ الماد»[4] «﴿كُلُّ شَىۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ﴾ أي إلا إيّاه» اهـ. ومِثلهُ قال الماتريديُّ في تأويلاتِه[5].

• قال ابنُ فورك[6] في شرحِ حديثِ عمارِ بنِ ياسرٍ[7] الذي فيه «**وأسألكَ لذةَ النظرِ إلى وجهِك**» ما نصُّه «اعلَمْ أن إطلاقَ وصفِ اللهِ عزَّ وجلَّ بأنَّ له وجهًا قد وردَ به نصُّ الكتابِ والسنةِ وذلك من الصفاتِ التي لا سبيلَ إلى إثباتِها إلا من جهةِ النقلِ»اهـ. ثم قال: «وذهبت المشبهةُ إلى وجهِ الجارحةِ والآلةِ وقد بيَّنَّا في أولِ هذا الكتابِ أنه لا يصحُّ وصفُ اللهِ تعالى بالجوارحِ والآلاتِ وأنَّ ذلك يؤدي

(١) سورة القصص/ آية ٨٨.

(٢) البغوي. تفسير البغوي. ج٦ ص٢٢٨.

(٣) ابن الجوزي. زاد المسير في علم التفسير. ج٥ ص٥٦.

(٤) أبو حيان الأندلسي. النهر الماد. ج٢ ص٦٦٤.

(٥) الماتريدي. تأويلات أهل السنة. ج٨ ص٢٠٦.

(٦) ابن فورك. مشكل الحديث وبيانه. ج١ ص٣٥٦.

(٧) البيهقي. الأسماء والصفات. ص١٤٩.

إلى نقضِ توحيدِه وإلى القولِ بأنه أجزاءٌ مبعضةٌ وأجسامٌ مركبةٌ وذلك محالٌ في وصفِه، فأما الذي يجبُ أن يكشفَ عنه من تأويلِ هذا الخبرِ على أصلِنا إذا وجهَ السؤالُ إليه فقيلَ كيف خصَّ النظر إلى وجهِه وعلقَ بذكرِ الوجهِ وكيف قال: **لذةَ النظرِ إلى وجهِه**، والجوابُ عن ذلك أنه قد يذكرُ صفةُ الشيءِ والمرادُ به الموصوفُ توسعًا كما يقولُ القائلُ رأيتُ عِلمَ فلانٍ اليومَ ونظرتُ إلى علمِه وإنما يريدُ بذلك رأيتُ العالمَ به ونظرتُ إلى العالمِ كذلك إذا ذكرَ الوجهُ ههنا فالمرادُ به من له الوجهُ وعلى هذا يتأولُ قولُه تعالى ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾[1] أن المرادَ به الله» اهـ.

- وقولُه ﷺ الذي رواه مسلمٌ[2] «**وما بين القومِ وبين أن ينظروا إلى ربّهم إلا رداءُ الكبرياءِ على وجهِه في جنةِ عدنٍ**» قالَ البيهقيُّ[3] في شرحِه «يريدُ به صفةَ الكبرياءِ فهو بكبريائِه وعظمتِه لا يريدُ أن يراه أحدٌ من خلقِه بعدَ رؤيةِ يوم القيامة حتى يأذنَ لهم بدخولِ جنةِ عدنٍ فإذا دخلوها أرادَ أن يروْه وهم في جنةِ عدنٍ» اهـ.

صفة العين

- قال البيهقيُّ في «الأسماءِ والصّفاتِ»[4] «ما جاءَ في إثباتِ العينِ صفةً لا من حيثُ الحدقةُ» ثم قال «عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[5] قال بعين الله تباركَ وتعالى قلتُ ومن أصحابِنا من حملَ العين

(١) سورة الإنسان/ آية ٩.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم. ج١ ص١١٢.

(٣) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٣٨٤.

(٤) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٣٩٥.

(٥) سورة هود/ آية ٣٧.

المذكورةَ في الكتابِ على الرّؤيةِ وقالَ قولُه ﴿ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾[١] معناه بمرأى منّي وقوله ﴿ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[٢] أي بمرأى مِنّا وكذلك قولُه ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾[٣]» اهـ.

• قال البغويُّ في تفسيرِه[٤] «﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي بِمَرأى مِنَّا وقال مُقاتلُ بن حيان بحفظِنا ومنه قولُهم عينُ الله عليكَ وقال سفيانُ بأمرِنا» اهـ قال ابنُ الجوزيّ في «زادِ المسيرِ»[٥] «﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي بِمَنظرٍ ومرأى مِنّا» اهـ وقال أبو حيانَ الأندلسيُّ في «النّهرِ الماد»[٦] «﴿ بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي بمرأى مِنّا» اهـ وقال الماتريديُّ في تأويلاتِه[٧] «﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ أي بتقديرنا وبِحفظنا» اهـ.

صفة اليد

• قال البيهقيُّ في «الأسماءِ والصّفاتِ»[٨] «ما جاءَ في إثباتِ اليدين صفتين لا من حيثُ الجارحةُ لورودِ الخبرِ الصّادقِ به» وقال «عنْ أبي هُريرةَ رضي الله عنه قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ «**كتبَ ربُّكم تبارك وتعالى على نفسِهِ بيدٍ قبلَ أن يخلقَ الخلقَ إنّ رحمتي تسبقُ** أو قال **سبقتْ غضبي**». قُلتُ وقد قالَ بعضُ أهلِ النّظرِ في معنى اليدِ في غيرِ هذه المواضعِ إنّها قد تكون بمعنى القوّةِ قال الله عزّ وجلّ

(١) سورة طه/ آية ٣٩.

(٢) سورة الطور/ آية ٤٨.

(٣) سورة القمر/ آية ١٤.

(٤) البغوي. تفسير البغوي. ج٧ ص٤٢٩.

(٥) ابن الجوزي. زاد المسير.ج٥ ص٤٥٢.

(٦) أبو حيان الأندلسي. النهر الماد. ج٢ ص١٠٣٠.

(٧) الماتريدي. تأويلات أهل السنة. ج٩ ص٤٤٧.

(٨) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٤٠٤.

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِ ﴾[1] أي ذا القوّةِ، وقد يكونُ بمعنى الملكِ والقُدرةِ قال الله عزّ وجلّ ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾[2]، وقد يكونُ بمعنى النّعمةِ تقولُ العربُ «كم يد لي عند فلانٍ» أي كم من نعمةٍ لي قد أسديتُها إليه، وقد تكونُ بمعنى الصّلةِ قالَ الله تعالى ﴿ مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمًا ﴾[3] أي مِمّا عملنا نحن، وقال جلّ وعلا ﴿ أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِ ﴾[4] أي الّذي لهُ عُقدةُ النِكاح، وقد يكون بمعنى الجارحةِ قالَ الله تعالى ﴿ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثًا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡ ﴾[5] فأمّا قولُهُ عزّ وجلّ ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾[6] فلا يجوزُ أن يُحملَ على الجارحةِ لأنّ البارئ جلّ جلالُهُ واحدٌ لا يجوزُ عليه التّبعيضُ، ولا على القُوّةِ والملكِ والنّعمةِ والصّلةِ لأنّ الاشتراكَ يقعُ حينئذٍ بين ولِيّهِ آدم وعَدُوّهِ إبليسَ فيبطلُ ما ذكرَ من تفضيلِهِ عليه لبُطلانِ معنى التّخصيصِ فلم يبقَ إلا أن يُحملا على صفتين تعلّقتا بخلقِ آدمَ تشريفًا له دون خلقِ إبليسَ تعلّقَ القدرةِ بالمقدورِ لا مِن طريق المُباشرةِ ولا من حيثُ المُماسّةُ، وكذلك تعلّقَتْ بما رَويْنا في الأخبار مِنْ خطّ التّوراةِ وغرسِ الكرامةِ لأهلِ الجنّةِ وغيرِ ذلك تعلُّقَ الصّفةِ بِمُقتضاها، وقد روينا ذكرَ اليدِ في أخبارٍ أُخر إلا أنّ سياقَها يدلُّ على أنَّ المرادَ بها المُلْكُ والقُدرةُ والرّحمةُ والنّعمةُ أو جرى ذِكرُها صلةً في الكلامِ فأمّا في ما قدَّمْنا ذكرَهُ فإنّهُ يُوجبُ التّفضيلَ، والتّفضيلُ إنّما يحصلُ بالتّخصيصِ فلم يَجُزْ حملُها فيه على غيرِ الصّفةِ وكذلك في كُلّ موضعٍ جرى ذِكرُها على طريقِ التّخصيصِ فإنّهُ يقتضي تعلّق الصّفةِ

(١) سورة ص/ آية ١٧.

(٢) سورة آل عمران/ آية ٧٣.

(٣) سورة يس/ آية ٧١.

(٤) سورة البقرة/ آية ٢٣٧.

(٥) سورة ص/ آية ٤٤.

(٦) سورة ص/ آية ٧٥.

التي تسمّى بالسّمعِ يدًا بِالكائن فيما خُصَّ بذكرِ ما فيه تَعلُّقَ الصّفةِ بِمُقتضاها ثُمّ لا يكونُ في ذلك بُطلانُ موضعِ تفضيلِ آدمَ عليه السّلامُ على إبليسَ لأنّ التّخصيصَ إذا وُجِدَ لهُ في معنى دونَ إبليسَ لم يضرّ مُشاركةُ غيرِه إيّاه في ذلكَ المعنى بعد أنْ لم يُشاركْهُ فيه إبليسُ والله أعلمُ» اهـ.

وقال أبو حنيفةَ رضي اللهُ عنه[1] «ولا يقالُ إن يدَه نعمتُه لأنَّ فيه إبطالَ الصفةِ وهو قولُ أهلِ القدرِ والاعتزالِ، ولكنّ يدَه صفتُه بلا كيف» وقد بيّن ملا علي القاري مرادَه من ذلك فقال «إنّ مرادَ أبي حنيفة خاصٌّ بقوله تعالى ﴿ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[2] فلا يقال اليدُ هنا القدرةُ» اهـ. فإن إبليسَ خُلقَ بقدرة الله عزّ وجلّ بل معنى اليدِ هنا شدةُ العنايةِ والاختصاصِ كما قالَ الرازيُّ في تفسيرِه[3]. وأبو حنيفةَ يأولُ تأويلًا إجماليًّا فإنه ينفي الكيفيةَ عن اللهِ تعالى.

• قالَ البغويّ في تفسيره[4] «﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾[5] قالَ ابنُ عبّاسٍ رضي الله عنهما ﴿ يَدُ ٱللَّهِ ﴾ بالوفاءِ لِما وعدَهُم منَ الخيرِ ﴿ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ وقالَ السُّدّيُّ كانوا يأخذون بيدِ رسولِ الله ﷺ و﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ في المُبايعةِ قالَ الكلبيُّ نعمةُ الله عليهم في الهداية فوقَ ما صنعوا من المبايعة»اهـ. وقال ابنُ الجوزي في «زادِ المسير»[6] «﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾[7] فيه أربعةُ أقوالٍ أحدُها ﴿ يَدُ ٱللَّهِ ﴾ في الوفاء ﴿ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ ﴾ والثّاني ﴿ يَدُ ٱللَّهِ ﴾ في

---

(١) ملا علي القاري. شرح الفقه الأكبر. ص٦٧.

(٢) سورة ص/ آية ٧٥.

(٣) الرازي. التفسير التفسير الكبير. ج٢٦ ص٤١٣.

(٤) البغوي. تفسير البغوي. ج٧ ص٣٠٠.

(٥) سورة الفتح/ آية ١٠.

(٦) ابن الجوزي. زاد المسير. ج٥ ص٣٨٥.

(٧) سورة الفتح/ آية ١٠.

الثّوابِ ﴿ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ والثّالث ﴿ يَدُ ٱللَّهِ ﴾ عليهم في المِنّةِ بالهِداية ﴿ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ بالطّاعةِ، ذَكَرَ هذه الأقوال الزّجّاج، والرّابع قُوّةُ الله ونُصرتُهُ فوقَ قوّتهم ونصرتهم ذكرهُ ابنُ جريرٍ وابنُ كيسان»اهـ.

وقال أبو حيان الأندلسي في تفسيره نقلًا عن بعضهم[1]«﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[2] والله تعالى مُنزّهٌ عنِ الجوارحِ وعن صفاتِ الأجسامِ وإنّما المعنى تقريرُ أنّ عقدَ الميثاقِ مع الرّسولِ كعقدِهِ مع الله تعالى كقوله تعالى ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾»[3] اهـ.

وقال الماتريديّ في تأويلاته «﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾[4] قال بعضُهم ﴿ يَدُ ٱللَّهِ ﴾ في جزاءِ المبايعةِ ﴿ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ في المبايعةِ أو كلامًا نحوه وجائزٌ أن يكونَ قولُه تعالى ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ أي ﴿ يَدُ ٱللَّهِ ﴾ في الجزاءِ إذا وفّوا بالعهدِ ﴿ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾ عندَ رسولِ الله ﷺ لأنّهُ لَمّا بايعوا رسولَ الله ﷺ كانت لهم عنده يدٌ فيُخبِرُ أنّ جزاءَ الله الّذي يجزيهم بوفاء تلك المبايعة فوق أيديهمُ الّتي عندَ رسول الله ﷺ»اهـ.

- وقولُه تعالى ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ ﴾[5] أي بقوةٍ كما أوّلها ابنُ عباسٍ ذكر ذلك عنه البيهقي رحمه الله[6].

---

(١) أبو حيان. البحر المحيط. ج ٩ ص ٤٨٧.

(٢) سورة الفتح/ آية ١٠.

(٣) سورة النساء/ آية ٨٠.

(٤) أبو حيان. البحر المحيط. ج ٩ ص ٤٨٧.

(٥) سورة الذاريات/ آية ٤٧.

(٦) البيهقي. الأسماء والصفات. ص١٦١.

- وقد قال البيهقيُّ[١] في شرحِ حديثِ[٢] رسولِ اللهِ ﷺ «**كلتا يديه يمينٌ**» ما نصُّه «فإنه أرادَ بذلك التمامَ والكمالَ، وكانت العربُ تحبُّ التيامنَ وتكره التياسرَ لما في التياسرِ من النقصانِ وفي التيامنِ من التمامِ. وقال أبو سليمان الخطابيُّ رحمَه الله ليس فيما يضافُ إلى اللهِ عز وجل من صفةِ اليدين شمالٌ لأن الشمالَ محلُّ النقصِ والضعفِ، وقد رويَ «**كلتا يديه يمينٌ**»، وليس معنى اليد عندنا الجارحة، إنما هو صفةٌ جاءَ بها التوقيفُ فنحن نطلقُها على ما جاءتْ ولا نُكيِّفُها، وننتهي إلى حيثُ انتهى بنا الكتابُ والأخبارُ المأثورةُ الصحيحةُ وهو مذهبُ أهلِ السنةِ والجماعةِ» اهـ
- قال الرازيُّ في تفسيرِه[٣] «اختلفتِ الأمةُ في تفسيرِ يدِ اللهِ تعالى، فقالتِ المجسمةُ إنها عضوٌ جسمانيٌّ كما في حقّ كلّ أحدٍ، واحتجّوا عليه بقولِه تعالى ﴿ **أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا** ﴾[٤] وجهُ الاستدلالِ -بزعمهم- أنه تعالى قدحَ في إلـٰهيةِ الأصنامِ لأجلِ أنها ليسَ لها شيءٌ من هذه الأعضاءِ، فلو لم تحصلْ لله هذه الأعضاءُ لزم القدحُ في كونهِ إلـٰهًا، ولما بطلَ ذلك وجبَ إثباتُ هذه الأعضاءِ له -بزعمهم-، قالوا وأيضًا اسمُ اليدِ موضوعٌ لهذا العضوِ، فحملُه على شيءٍ آخرَ تركٌ للغةِ، وإنه لا يجوزُ.

واعلمْ أنَّ الكلامَ في إبطالِ هذا القولِ مبنيٌّ على أنه تعالى ليس بجسمٍ، والدليل عليه أن الجسمَ لا ينفكّ عن الحركةِ والسكونِ، وهما محدثان، وما لا ينفك عن المحدثِ فهو محدثٌ، ولأنَّ كلَّ جسمٍ فهو متناهٍ في المقدارِ، وكلُّ ما كان متناهيًا في المقدارِ فهو محدثٌ، ولأنَّ كلَّ جسمٍ مؤلفٌ من الأجزاءِ، وكلُّ ما كان كذلك كان

(١) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٤١٩.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإمارة: باب فضل الإمام العادل وعقوبة الجائر. ج٦ ص٧.

(٣) الرازي.التفسير الكبير. ج١٢ ص٣٩٥.

(٤) سورة الأعراف/ آية ١٩٥.

قابلًا للتركيبِ والانحلالِ، وكلُّ ما كانَ كذلك افتقرَ إلى ما يركّبُه ويؤلّفُه، وكلُّ ما كان كذلك فهو محدثٌ، فثبتَ بهذه الوجوهِ أنه يمتنعُ كونُه تعالى جسمًا، فيمتنعُ أن تكونَ يدُه عضوًا جسمانيًا. وأما جمهورُ الموحّدِين فلهم في لفظِ اليدِ قولان: الأولُ: قولُ من يقولُ: القرآنُ لما دلَّ على إثباتِ اليدِ لله تعالى آمنَّا به، والعقلُ لما دلَّ على أنه يمتنعُ أن تكونَ يدُ اللهِ عبارةً عن جسمٍ مخصوصٍ وعضوٍ مركبٍ من الأجزاء والأبعاض آمنا به، فأما أن اليدَ ما هي وما حقيقتُها فقد فوضنا معرفتَها إلى اللهِ تعالى، وهذا هو طريقةُ السلفِ. وأما المتكلّمون فقالوا اليدُ تذكرُ في اللغةِ على وجوهٍ: أحدُها: الجارحةُ وهو معلومٌ، وثانيها: النعمةُ، تقولُ لفلان عندي يدٌ أشكرُه عليها، وثالثها: القوةُ قالَ تعالى ﴿أُوْلِي ٱلْأَيْدِي وَٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[1] فسَّروه بذوي القوى والعقولِ، وحكى سيبويهِ أنهم قالوا لا يدَ لك بهذا، والمعنى سلبُ كمالِ القدرةِ، ورابعُها: الملكُ، يقالُ: هذه الضيعةُ في يدِ فلانٍ، أي في مِلكِه. قالَ تعالى ﴿ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ﴾[2] أي يملكُ ذلك، وخامسُها: شدةُ العنايةِ والاختصاصِ، قالَ تعالى ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[3] والمرادُ تخصيصُ آدمَ عليه السلامُ بهذا التشريفِ، فإنه تعالى هو الخالقُ لجميعِ المخلوقاتِ. ويقالُ: يدي لك رهنٌ بالوفاءِ إذا ضمِن له شيئًا. إذا عرفتَ هذا فنقولُ: اليدُ في حقّ اللهِ يمتنعُ أن تكونَ بمعنى الجارحةِ» اهـ.

• يتبيّن لكَ مما تقدم أنّ العلماءَ والمفسّرين من أهل السُّنة لَمْ يُفسّر واحدٌ منهم قطُّ اليدَ والوجهَ والعينَ بالجسم في حقّ الله تعالى بل كفّروا القائلَ بذلكَ لأنّ الله تعالى ما أراد بها وجهًا جسمًا كوجه الخلق ولا يدًا كيد الخلقِ ولا عينًا كعينِ الخلقِ لأنّ الوجهَ واليدَ والعينَ في حقّ المخلوقِ أجسامٌ إمّا لطيفةٌ وإمّا كثيفةٌ

(1) سورة ص/ آية ٤٥.

(2) سورة البقرة/ آية ٢٣٧.

(3) سورة ص/ آية ٧٥.

فوجهُ الملَكِ ويدُهُ وعينهُ جسمٌ لطيفٌ ووجهُ الإنسانِ ويدُه وعينُه جسمٌ كثيفٌ فمن فسّرَ الوجهَ واليدَ والعينَ المضافاتِ إلى اللهِ تعالى بمعنى الجسمِ كفرَ لأنهُ شبّه خالقَه بخلقِه لأن العالمَ جسمٌ لطيفٌ وجسمٌ كثيفٌ والله هو الذي أنشأ الجسمَ اللطيفَ والجسمَ الكثيفَ وأوجدَه بعد أن كان معدومًا فكيف يكونُ الله جسمًا لطيفًا كالملائكةِ والنّور أي الضّوءِ أو جسمًا كثيفًا كالبشرِ والبهائم. لو كانَ الله جسمًا لطيفًا أو كثيفًا لكان مِثلًا لنا يجوزُ عليه التّغيّرُ والمرضُ والضّعفُ والزّيادةُ والنّقصانُ وهذا يمنعهُ العقلُ والشّرعُ، أمّا العقلُ فإنّهُ يستحيل عقلًا أن يشبهَ الخالقُ مخلوقَه بوجهٍ من الوجوهِ، وأمّا الشّرعُ فقد قال الله تعالى في القرآنِ في سورة الشّورى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[1] فإنّ هذه الآيةَ صريحةٌ في أنّ الله لا يُشبه العالمَ اللطيفَ ولا العالمَ الكثيفَ بوجهٍ من الوجوه.

• وقد ثبتَ عنِ السّلفِ التّأويلُ الإجماليُّ والتّفصيليُّ كما مرَّ، فمن تمسّك بالمتشابهِ وتركَ التّأويلَ في موضعِهِ جُملةً وتفصيلًا فقد هلَكَ، وأنت ترى أنَّ علماءَ أهلِ السّنةِ في مصنّفاتهم وتفاسيرِهم ودروسهم قرّروا التّنْزيهَ ونصروه وردُّوا التّشبيهَ وحاربوهُ لأنّ عقيدتَهم مُنبثِقةٌ من قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ وهي العقيدةُ الّتي كانَ عليها الرّسولُ ﷺ والصّحابةُ من بعدهِ، وأمّا من خاضَ وسلك مسلكَ الـمُشبّهةِ من حشويةٍ وكرّاميةٍ وتيميَّةٍ وأذنابهم كالوهّابيةِ وغيرِهم في هذا الزّمانِ فليسوا على مذهب السّلفِ الصّالح في شيءٍ بلِ السّلفُ منهُم بَراء.

• فالحاصلُ أنّ السّلفَ والخلفَ اتّفقوا على تنْزيهِ الله سبحانه وتعالى عن مُشابهة خلقه وليسَ هناك إلا طريقانِ **التّنزيهُ معَ التّفويضِ** أي التّأويلِ الإجماليّ كقولهم أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف أوِ **التّنزيهُ مع التّأويلِ** أي التّفصيليّ كقولهم استوى بمعنى حَفِظَ وقهَرَ وأبقى، وعلى هذا مشى أهلُ الحقّ سلفًا وخلفًا، فمن كانَ

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

على عقيدتِهم فهو على عقيدةِ الهدى والرّشاد وأمّا مَنْ خرجَ عنْها فشبّه الله تعالى بخلقه فقد خرج عن دائرةِ الإسلامِ لأنّهُ لم يعرفِ الله ولم يعبدْهُ ولو قال بلسانه في كلّ صباحٍ ومساءٍ لا إلـٰه إلا الله محمدٌ رسول الله ألفَ مرّة، لأنّهُ ناقض معناها وكذّب مُقتضاها فشذّ عنها ومن شذّ شذّ في النّار.

- فنحنُ لا ننكرُ هذه الصفاتِ كالجهميةِ، الجهميةُ أنكرَتْ هذه الآياتِ وفسرتها على غيرِ ما فسرَها أهلُ العلمِ. فنحنُ نقولُ كما قالَ أهلُ العلمِ نثبتُ اليدَ والعينَ والوجهَ ولا يقالُ كيف، وكيف عنه مرفوعٌ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة الحادية عشرة

الكلامُ على حَديث الجارِية وحَديثِ «ارحموا مَن في الأرضِ»

بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- إنَّ غالبَ ما يَتمسّكُ بهِ الوهّابيّةُ لإثباتِ أنَّ الله ساكنٌ في السّماءِ بزعمهم هو ما يُعرفُ بحديثِ الجاريةِ الذي رَواهُ مُسلمٌ[1] وفيه أنَّ رَجلًا جاءَ إلى رَسولِ الله ﷺ فسألَهُ عَن جاريةٍ لهُ قالَ قلتُ يا رسولَ الله أفلا أُعتِقُها، قالَ «**ائْتِني بها**»، فأتاهُ بها فقالَ لها «**أينَ الله**»، قالَت في السّماءِ، قالَ «**مَن أنا**»، قالَت أنتَ رسولُ الله، قال «**أعتِقها فإنّها مؤمنةٌ**».

هذا الحديثُ إن صحَّ ليسَ مَعناهُ أنَّ الله يَسكنُ السّماءَ كما توهّمَ بَعضُ الجهلةِ بَل مَعناهُ أنَّ الله عالي القَدرِ جدًّا.

فَما في هذهِ الرّوايةِ من أنهُ ﷺ قالَ لها «**أينَ الله**» إنما هو سؤالٌ عَن تَعظيمِها للهِ فإنَّ «أينَ» تأتي للسّؤالِ عَنِ المكانِ وتأتي للسّؤالِ عَنِ المكانةِ أي القَدرِ.

ومَعنى قولِ الجاريةِ «في السّماءِ» أنَّ الله عَالي القَدرِ جدًّا وهذا يُوافقُ اللغةَ

(١) مسلم. صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته. ج٢ ص٧١.

قالَ النابغةُ الجَعْدِيُّ[١] (الطويل)

بَلغْنا السَّماءَ مَجدُنا وسَناؤُنا وإنّا لنَرجُو فوقَ ذلكَ مَظْهَرا

أيْ بلغَ مَجدُنا المكانةَ العاليةَ الرّفيعةَ ولا شَكَّ لم يرِد بذلكَ أنهُ وصلَ إلى السّماءِ.

• هذا الحديثُ أوّلَهُ النّوويُّ في شَرحهِ عَلى صَحيحِ مسلمٍ عَلى هذا الوجهِ[٢].

• وأما البيهقيُّ فقَد حكَم عَلى حديثِ الجاريةِ بالضّعفِ كما في «الأَسماءِ والصّفاتِ»[٣]. وفي «تلخيصِ الحبيرِ»[٤] لابن حجرٍ العسقلانِي «وفي اللفظِ مخالفةٌ كبيرةٌ» اهـ. وأشارَ إلى اضطرابه الحافظُ البزّارُ فقال[٥] «وهذا الحديثُ قد رُوِيَ بنحو معناه عن النّبيّ ﷺ من وجوهٍ بألفاظٍ مختلفةٍ» اهـ.

• فحَديثُ الجاريةِ ليسَ بصَحيحٍ لأَمرينِ للاضطرابِ[٦]، فإنَّ مسلمًا رواهُ بهذا اللفظِ ورواهُ ابنُ حبّانَ بلَفظِ «**مَن ربّكِ**»[٧]، فقالَتِ الله، ورواهُ البيهقيُّ بلفظِ

---

(١) البيهقي. دلائل النبوة. ج٦ ص٢٣٢. الألوسي. روح المعاني. ج٨ ص٤٢٣.

(٢) النووي. شرح صحيح مسلم. كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته. ج٥ ص٢٤.

(٣) البيهقي. الأسماء والصفات. باب قول الله عز وجل ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾. ص٥٣٣.

(٤) ابن حجر العسقلاني. تلخيص الحبير. ج٣ ص٤٨٠.

(٥) البزار. مسند البزار. ج١١ ص٢٤١.

(٦) الحديث المضطرب هو ما روي من طرق مختلفة متساوية لا يمكن الجمع بينها ولا الترجيح، قال النووي في «التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث» ج١ ص٦: «المضطرب هو الذي يروى على أوجه مختلفة متقاربة، فإن رجحت إحدى الروايتين بحفظ راويها أو كثرة صحبته المروي عنه أو غير ذلك فالحكم للراجحة، ولا يكون مضطربًا، والاضطراب يوجب ضعف الحديث لإشعاره بعدم الضبط، ويقع في الإسناد تارة وفي المتن أخرى وفيهما من راو أو جماعة» اهـ وقال ابن الصلاح «المضطرب من الحديث هو الذي تختلف الرواية فيه فيرويه بعضهم على وجه وبعضهم على وجه آخر مخالف له، وإنما نسميه مضطربًا إذا تساوت الروايتان» اهـ. ابن الصلاح. علوم الحديث. ص٩٤.

(٧) ابن حبان. صحيح ابن حبان. كتاب الإيمان: باب فرض الإيمان. ج١ ص٤١٩.

«**أينَ الله**»[١]، فأشارَت إلى السّماءِ، ورواهُ مالكٌ[٢] بلفظِ «**أَتشهدينَ أَن لا إلـهَ إلا الله**»، فقالَت نَعم، قالَ «**أتشهدينَ أَنّي رسولُ الله**»، قالَت نعَم.

والأمرُ الثاني أنَّ ما رواهُ مسلمٌ مِن أنَّ الرّسولَ ﷺ حكمَ على الجاريةِ بالإسلام بقولها الله في السّماءِ مخالفٌ للأُصولِ لأنَّ مِن أصولِ الشّريعةِ أنّ الشّخصَ لا يُحكَمُ لهُ بقَولِ «الله في السّماءِ» بالإسلام لأنَّ هذا القولَ ليسَ قولَ التوحيدِ بَل هوَ قولٌ مُشتَركٌ بينَ فِرقٍ مِن غَيرِ المسلمينَ وإنما الأَصلُ المعروفُ في شَريعةِ الله ما جاءَ في الحديثِ المتواترِ الذي رَواهُ البخاريُّ[٣] ومُسلمٌ[٤] والذي فيهِ «**حتى يَشهدوا أَن لا إلـهَ إلا الله وأَنّي رَسولُ الله**».

وروايةُ مالكٍ «**أتشهدينَ**» هيَ الصّحيحةُ الموافِقةُ للأُصولِ لأَنها في مَعنى الحديثِ المشهورِ فتُرَجَّحُ عَلى روايةِ مسلمٍ.

- وقد قالَ تقيُّ الدين السبكيُّ المتوفى سنة ٧٥٦ هـ في كتابه «السيفُ الصقيلُ» ما نصُّه[٥] «فقولهُ ﷺ للجارية «**أينَ الله؟**» قالت «في السماءِ» تكلمَ الناسُ عليه قديماً وحديثًا والكلامُ عليه معروفٌ ولا يقبلُه ذهنٌ، فإنه لم يصحَّ عن النبي ﷺ في تلقينِ الإيمانِ طول أداءِ رسالتِه السؤالُ بأين أو ذكرُ ما يوهمُ المكانَ ولا مرة واحدة في غيرِ هذه القصةِ المضطربةِ بل الثابتُ هو تلقينُ كلمةِ الشهادةِ». ثم قال «قال ابنُ الجوزي قد ثبتَ عند العلماءِ أن الله لا تحويه السماءُ ولا الأرضُ ولا تضمُّه الأقطارُ وإنما عَرف بإشارتها تعظيمَ الخالقِ جلَّ جلالُه

---

(١) البيهقي. الأسماء والصفات. باب قول الله عز وجل ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾. ص٥٣٢.

(٢) مالك. الموطأ. كتاب العتق والولاء: باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة. ج٢ ص ٧٧٦.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة. ج٢ ص٢١٦.

(٤) مسلم. صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله محمد رسول الله ﷺ. ج١ ص٣٨.

(٥) السبكي. السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل. ص٩٤-٩٥-٩٦.

عندها» اهـ.

- وقال فخرُ الدين الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ في كتابه «أساسُ التقديسِ في علم الكلام» ما نصه[١] «وأما الخبرُ الثالث -وهو حديثُ الجارية- فجوابه أن لفظ (أين) كما يجعلُ للمكان فقد يجعلُ سؤالًا عن المنزلةِ والدرجة، يقال أين فلانٌ من فلان» اهـ.

- وقال أبو عبدِ الله القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ في كتابه «التذكارُ» ما نصه[٢] «كلُّ من في السمٰوات والأرضِ وما فيهما وما بينهما خلقُ الله تعالى وملكٌ له، ويستحيلُ على الله أن يكونَ في السماءِ أو في الأرضِ، إذ لو كانَ في شىء لكان محصورًا أو محدودًا ولو كان ذلك لكان محدثًا، وهذا مذهبُ أهلِ الحقّ والتحقيقِ، وعلى هذه القاعدةِ قولُه تعالى ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾[٣]، وقولُه ﷺ للجارية «**أينَ الله ؟**» قالت «في السماء» ولم ينكرْ عليها، وما كان مثلَه ليس على ظاهرِه بل هو مؤوّلٌ تأويلاتٍ صحيحةً، وقد أبداها كثيرٌ من أهل العلمِ في كتبهم» اهـ.

- وقال الأديبُ اللغويُّ أبو بكرٍ الخوارزميُّ المتوفى سنة ٣٨٣ هـ في كتابِهِ «مفيدُ العلومِ ومبيدُ الهموم»[٤] ما نصُّه «قولُه للجاريةِ المنذورِ عتقُها «**أينَ اللهُ**» فأشارتْ إلى السماءِ فقال **أعتقْها فإنها مؤمنةٌ**، هذا سؤالٌ عن المكانةِ لا عن المكانِ كما يقالُ أينَ فلانٌ من فلانٍ يرادُ به المكانةُ والمنزلةُ لا المكانُ» اهـ.

- فإنْ قيلَ كيفَ تكونُ روايةُ مسلم مردودةً وكلُّ ما رَواهُ مُسلمٌ في صَحيحهِ فهوَ صَحيحٌ، فالجوابُ أنَّ عددًا مِن أَحاديثِ مُسلمٍ ردّها عُلماءُ الحديثِ وذكَرها

---

(١) الرازي. أساس التقديس في علم الكلام. ص١٢٦.

(٢) القرطبي. التذكار في أفضل الأذكار. ص٢٢-٢٣.

(٣) سورة الملك/ آية ١٦.

(٤) أبو بكر الخوارزمي. مفيد العلوم ومبيد الهموم. ص ٨٥.

المحدّثونَ في كُتبهِم كحَديثِ «**إنَّ أبي وأباكَ في النار**»[1] وحديثِ أنسٍ «صلّيتُ خلفَ رَسولِ الله وأَبي بَكر وعُمرَ فكَانوا لا يَذكُرونَ بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيم»[2] فأما الأَوّلُ فضَعّفهُ الحافظُ السّيوطيُّ[3] والثاني ضعّفهُ الإمامُ الشّافعيُّ[4] وعَددٌ منَ الحفّاظِ.

• **تنبيهٌ** حمَلَ المشبهةُ روايةَ مُسلم عَلى ظاهِرها فضَلّوا ولا يُنجيهِم منَ الضّلالِ قولُهم إنّنا نحمِلُ كلمةَ «في السّماءِ» بمعنى أنهُ فوقَ العَرشِ لأنهم بقَولهم ذلكَ أثبتُوا لهُ مِثلًا وهوَ الكتابُ الذي كتبَ الله فيهِ «**إنّ رَحمتي سَبقَت غَضَبي**» رواهُ البُخاريُّ[5]، وهذا الكتاب موجود فوقَ العَرشِ فيَكونونَ أثبتُوا المماثلةَ بينَ الله وبينَ ذلكَ الكتابِ لأنهم جَعلوا الله وذلكَ الكتابَ مُستقِرَّينِ فوقَ العَرشِ فيَكونونَ كذّبوا قولَ الله تَعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[6].

– ومَعنى «**إنَّ رَحمتي سَبقَت غضَبي**» أنَّ مَظاهِرَ الرّحمةِ أكثرُ مِن مَظاهرِ الغَضبِ، الجنةُ مِن مَظاهرِ الرّحمةِ وهيَ أكبرُ مِن جَهنّمَ بآلافِ المراتِ. قالَ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ في الفتحِ[7] «المرادُ بالرحمةِ إرادةُ إيصالِ الثوابِ وبالغضبِ إرادةُ إيصالِ العقوبةِ» اهـ. وقال النوويُّ[8] «والمرادُ بالسبقِ والغلبةِ هنا كثرةُ الرحمةِ وشمولها، كما يقالُ غلبَ على فلانٍ الكرمُ والشجاعةُ إذا كَثُرا منه» اهـ.

---

(١) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار. ج١ ص١٣٢.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الصلاة: باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة. ج٢ ص١٢.

(٣) السيوطي. الحاوي للفتاوى. ج ٢ ص ٢٧٣.

(٤) السيوطي. الحاوي للفتاوى. ج ٢ ص٢٧٤.

(٥) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب وكان عرشه على الماء وهو رب العرش العظيم. ج٩ ص٢٢٣.

(٦) سورة الشورى/ آية ١١.

(٧) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١٣ ص٤٤١.

(٨) النووي. شرح النووي على مسلم. ج٩ ص١١٥.

• فلَو قالَ المشبّهُ ليسَ في قَولنا إنَّ الله فوقَ العَرشِ إثباتُ مماثلةٍ بينَهُ وبينَ الكتابِ الذي فوقَ العَرشِ لأنَّ المرادَ بكونِ الكِتابِ فوقَ العَرشِ ليسَ فَوقيّةً حقيقيّةً، يقالُ لهُ الحديثُ في لَفظٍ لمسلم[1] «**فهوَ موضوعٌ عندَهُ عَلى العرشِ**» فهذا صريحٌ في أنَّ ذلكَ الكتابَ فوقَ العَرشِ فَوقيّةً حقيقيّةً لا تحتملُ التأويلَ.

- وكلمةُ «عندَ» للتشريفِ لا لإثباتِ تحيّزِ الله فوقَ العَرشِ لأنَّ «عندَ» تُستعمَلُ أيضًا لغيرِ المكانِ قالَ تَعالى ﴿**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ۝٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ**﴾[2] الآيَةَ -أي مُعلَّمَةً أيْ كلُّ حجر عليهِ اسمُ صاحبِهِ- فعند في هذه الآية إنما تدلُّ على أنَّ ذلكَ بعلمِ الله وليسَ المعنى أنَّ تلكَ الحجارةَ التي أنزلها الله علَى أولئكَ الكَفرةِ نزلَت منَ العرشِ إليهِم وكانَت مجموعةً بمكانٍ في جنبِ الله فوقَ العرشِ بناء على زعمهم.

• وروَى البخاريُّ[3] أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ «**إذا كانَ أحدكُم في صلاتهِ فإنهُ يُناجي ربَّه فلا يَبصُقَنَّ في قِبلتهِ ولا عَن يَمينهِ فإنَّ ربَّهُ بينَهُ وبينَ قِبلتهِ**»، فمَعنى قولهِ ﷺ «**فإنَّ ربَّهُ بينَهُ وبينَ قِبلتهِ**» أنَّ رحمةَ الله الخاصةَ التي تنزْلُ علَى المصلّي تكونُ بينَ المصلّي وقِبلتهِ. قال ابنُ حجرٍ في الفتح[4] «قال الخطابيُّ معناه أن توجهَه إلى القبلةِ مُفْضٍ بالقصدِ منه إلى ربه فصارَ في التقدير: فإن مقصودَه بينه وبين قبلتِه، وقيلَ هو على حذفِ مضافٍ أي عظمة الله أو ثوَاب الله، وقالَ ابنُ عبدِ البرّ (المجسّم) هو كلامٌ خرجَ على التعظيم لشأنِ القبلةِ وقد نزعَ به بعضُ المعتزلةِ القائلين بأن اللهَ في كلِ مكانٍ وهو جهلٌ واضحٌ لأنَّ في الحديثِ أنه يبزقُ تحتَ قدمِه وفيه نقضُ

---

(١) مسلم. صحيح مسلم. كتاب التوبة: باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه. ج٨ ص٩٥.

(٢) سورة هود/ آية ٨٢-٨٣.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الصلاة: باب حك البزاق باليد من المسجد. ج١ ص١٧٩.

(٤) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١ ص٥٠٨.

ما أصلوه وفيه الردُّ على من زعمَ أنه على العرشِ بذاتِه» اهـ.

- وأخرجَ البخاريُّ[1] أيضًا عَن أبي موسَى الأشعريّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ «**ارْبَعُوا عَلى أنفُسِكُم**[2] **فإنكُم لا تَدعُوْنَ أصمَّ ولا غائبًا، إنكُم تَدعُونَ سميعًا قريبًا، والذي تدعونَهُ أقربُ إلى أحدِكُم مِن عُنقِ راحلةِ أحدِكُم**» فمَعنى قولِهِ ﷺ «**أقربُ إلى أحدِكُم مِن عُنقِ راحلةِ أحدِكُم**» أنَّ الله أعلَمُ بالعبدِ مِن نَفسهِ. قال ابنُ حجرٍ في الفتح[3] «قوله «**اربعوا**» بهمزةٍ وصلٍ مكسورةٍ ثم موحَّدةٍ مفتوحةٍ أي ارفُقوا ولا تُجْهِدوا أنفسَكم» اهـ.

- فيقالُ للمُعترضِ إذا أخذتَ حديثَ الجاريةِ على ظاهرهِ ففسَّرتَهُ بأنَّ الله بذاتهِ في السّماءِ وأخذتَ هذينِ الحديثَينِ على ظاهِرهما لبَطلَ زَعمُكَ أنَّ الله في السّماءِ لأنَّ هَذينِ الحديثَينِ ظاهِرُهما أنَّ الله بذاتهِ في أُفُقِ الأرضِ وهما أقوَى إسنادًا مِن حَديثِ الجاريةِ. وإنْ أوَّلْتَ هَذينِ الحديثَينِ ولم تُأوّلْ حديثَ الجاريةِ فهذا تحكُّمٌ أيْ قولٌ بلا دليلٍ، ويَصدقُ عليكَ قولُ الله في اليهودِ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَـٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[4]. وكذلكَ ماذا تقولُ في قولهِ تَعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[5] فإنْ أوّلتَهُ فلِمَ لا تُؤوّلُ حديثَ الجاريةِ. وقَد تقدم أن مجاهدًا تلميذَ ابنِ عبّاسٍ[6] قال في تفسيرِ هذهِ الآيةِ «قِبلةُ الله»، ففسَّرَ الوجهَ بالقِبلةِ، أيْ لصلاةِ النفلِ في السّفرِ على الراحلةِ.

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير: باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير. ج٣ ص١٣٩.

(٢) أي لا تجهدوها برفع الصوت.

(٣) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١١ ص١٨٨.

(٤) سورة البقرة/ آية ٨٥.

(٥) سورة البقرة/ آية ١١٥.

(٦) البيهقي. الأسماء والصفات. باب:ما جاء في إثبات الوجه صفة لا من حيث الصورة. ص٣٩١.

• وأما الحديثُ الذي رواهُ الترمذيُّ وهوَ «**الرّاحمونَ يَرحَمُهم الرّحمنُ ارحَموا مَن في الأَرضِ يَرحَمْكُم مَن في السّماءِ**»[١]. فله روايةٌ أخرَى رَواها الحافظُ العراقيُّ وهيَ «**الراحمونَ يَرحمهُم الرحيمُ ارحموا أهلَ الأَرضِ يَرحَمْكُم أهلُ السّماءِ**»[٢] وكذلكَ الحاكمُ في المستدركِ[٣] رواهُ بلفظِ «**الراحمونَ يرحمهم اللهُ ارحموا أهلَ الأرض يرحَمْكم أهلُ السماءِ**» وأهلُ السّماءِ هُم الملائكةُ فهُم سكّانُ السّمواتِ، فرواية الحافظِ العراقيّ «**يَرحمكُم أهلُ السّماءِ**» تُفسّرُ روايةَ الترمذيّ «**يَرحمكُم مَن في السّماءِ**» لأنَّ خيرَ ما يُفسَّرُ بهِ الحديثُ الواردُ بالواردِ كما قالَ الحافظُ العراقيُّ في ألفيّتهِ[٤] وخيرُ ما فسرّتَهُ بالواردِ.

• ويؤكد أنَّ المرادَ بأهلِ السّماءِ الملائكةُ ما ذكره الحافظُ العراقيُّ في أماليّهِ[٥] عَقيبَ هذا الحديثِ، ونصُّ عبارتهِ «واستُدِلَّ بقولهِ ﷺ «**أهلُ السّماءِ**» على أنَّ المرادَ بقولهِ «**من في السماء**» الملائكةُ» اهـ، لأنهُ لا يقالُ للهِ «أهلُ السّماءِ». و«مَن» تَصلُحُ للمُفردِ وللجَمعِ قالَ تَعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾[٦]، وقالَ تَعالى ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾[٧]. قال النسفيُّ[٨] «﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٩] أي مَن ملكوتُه في السماءِ لأنها مسكنُ ملائكتِه ومنها تنزلُ قضاياه وكتبُه وأوامرُه ونواهيه» اهـ.

---

(١) الترمذي. سنن الترمذي. ج٣ ص٣٧١.

(٢) أحمد بن حنبل. مسند الإمام أحمد. ج٢ ص٥٥٤.

(٣) الحاكم. المستدرك. ج٤ ص١٧٥.

(٤) العراقي. شرح ألفية الحديث. ص٣٢٥.

(٥) العراقي. الأمالي. ص٧٧.

(٦) سورة الأنعام/ آية ٢٥.

(٧) سورة يونس/ آية ٤٢.

(٨) النسفي. تفسير النسفي. ج٣ ص٤٥١.

(٩) سورة الملك/ آية ١٦.

وفي تفسيرِ القرطبيِ[١] «قيلَ تقديرُه أأمنتم مَن في السماءِ قدرتُه وسلطانُه وعرشُه ومملكتُه، وخصَّ السماءَ وإن عمَّ ملكُه تنبيهًا على أن الإلهَ الذي تنفذُ قدرتُه في السماءِ لا مَنْ يعظّمونه في الأرض. وقيل هو إشارةٌ إلى الملائكةِ. وقيلَ إلى جبريلَ وهو الملكُ الموكَّلُ بالعذابِ» اهـ.

- ثم لَو كانَ الله ساكنَ السّماءِ كما يزعمُ البعضُ لكانَ الله يُزاحمُ الملائكةَ وهذا محالٌ، فقَد ثبتَ حديثُ «**ما في السمٰوات مَوضعُ أربعِ أصَابع إلا وفيهِ مَلكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجدٌ**» رواهُ الترمذيُّ[٢].
- وكذلكَ الحديثُ الذي رواهُ مسلم[٣] وهوَ «**والذي نَفسي بيَدِهِ ما مِن رجلٍ يَدعُو امرأتَهُ إلى فِراشهِ فتأبى عليهِ إلا كانَ الذي في السّماءِ ساخطًا عليهَا**» الحديثَ، فالمقصودُ بهِ الملائكةُ أيضًا بدليلِ الرّوايةِ الثانيةِ الصّحيحةِ والتي هيَ أشهرُ مِن هذهِ وهيَ «**لعنَتها الملائكةُ حتّى تُصبحَ**» رَواها البخاري وابنُ حبّانَ[٤] وغيرهما. وقالَ ابنُ حجرٍ في الفتحِ[٥] «وهل الملائكةُ التي تلعنُها هم الحفظةُ أو غيرهم يحتملُ الأمرين قلتُ يحتملُ أن يكونَ بعضُ الملائكةِ موكّلًا بذلك ويرشد إلى التعميم قولُه في روايةِ مسلمٍ **الذي في السماءِ** إن كان المرادُ به سكّانَها» اهـ.
- أما حديثُ[٦] «**ثم دَنا ربُّ العِزّةِ فَتَدَلّى**» فقد تُكُلّمَ فيه واختُلفَ في تصحيحِه

(١) القرطبي. تفسير القرطبي. ج١٨ ص٢١٥.

(٢) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الزهد: باب في قول النبي ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم**». ج٤ ص١٤٠.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب النكاح: باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها. ج١٠ ص٧.

(٤) ابن حبان. الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج٩ ص٤٨٠.

(٥) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٩ ص٢٩٥.

(٦) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾. ج٩ ص١٨٣.

فلا تثبتُ به صفةٌ لله، قال ابنُ حجرٍ في «الفتح»[1] «قال الخطابيُّ ليس في هذا الكتابِ -يعني صحيحَ البخاري- حديثٌ أشنعُ ظاهرًا ولا أشنعُ مذاقًا من هذا الفصلِ، فإنه يقتضي تحديدَ المسافةِ بين أحدِ المذكورين وبين الآخرِ وتمييزَ مكانِ كلّ واحدٍ منهما، هذا إلى ما في التدلي من التشبيهِ والتمثيلِ له بالشيءِ الذي تعلقَ من فوق إلى أسفل» ثم قالَ «قالَ الخطابيُّ مشيرًا إلى رفعِ الحديثِ من أصلِه بأن القصةَ بطولها إنما هي حكايةٌ يحكيها أنسٌ من تلقاءِ نفسِه لم يَعْزُها إلى النبيّ ﷺ ولا نقلَها عنه ولا أضافَها إلى قولِه، فحاصلُ الأمرِ في النقلِ أنها من جهةِ الراوي إما من أنسٍ وإما من شريكٍ فإنه كثيرُ التفرُّدِ بمناكيرِ الألفاظِ التي لا يتابعُه عليها سائرُ الرواةِ» ثم قال «إنَّ الذي وقعَ في هذهِ الروايةِ من نسبةِ التدلي للجبارِ عزَّ وجلَّ مخالفٌ لعامةِ السلفِ والعلماءِ وأهلِ التفسيرِ من تقدمَ منهم ومن تأخرَ، وقد نقلَ القرطبيُّ عن ابنِ عباسٍ أنه قال دنا اللهُ سبحانَه وتعالى والمعنى دنا أمرُه وحكمُه» اهـ.

وقالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه قوله تعالى ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾[2] [3] «المقتربُ الداني إنما هو جبريلُ عليه السلامُ وهو قولُ أمّ المؤمنين عائشةَ وابنِ مسعودٍ وأبي ذرّ وأبي هريرةَ» اهـ.

وقالَ ابنُ الجوزيِ في «دفعِ شبهِ التشبيه»[4] «قال القاضي أبو يعلى المجسمُ يُقعِدُ نبيَّه على عرشِه بمعنى يُدنيه من ذاتِهِ ويقَرّبُه منها. قلتُ هذا عن جبريلَ لا عن اللهِ سبحانَه، ومن أجازَ القربَ من الذاتِ أجازَ الملاصقةَ، وما ذهبَ إليه القاضي أبو يعلى صريحٌ في التجسيمِ» اهـ.

(١) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١٣ ص٤٨٣.

(٢) سورة النجم/ آية ٩.

(٣) ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج٧ ص٤٤٧.

(٤) ابن الجوزي. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه. ج١ ص٢٤٦.

• ومن الأحاديثِ التي تحتجُّ بها المجسمةُ لإثباتِ عقيدتِها الفاسدةِ الحديثُ الذي رواهُ أبو داود[1] عن العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ قال: «كنتُ في البطحاءِ في عصابةٍ فيهم رسولُ اللهِ ﷺ فمرت بهم سحابةٌ فنظرَ إليها فقالَ «**ما تُسمُّون هذه**» قالوا السحابَ قال «**والمُزْنَ**» قالوا والمُزْنَ قال «**والعَنانَ**» قالوا والعَنانَ قال أبو داود لم أتقن العَنانَ جيدًا قال «**هل تدرونَ ما بُعْدُ ما بين السماءِ والأرضِ؟**» قالوا لا ندري قال «**إنَّ بُعدَ ما بينهما إما واحدةٌ أو اثنتان أو ثلاثٌ وسبعونَ سنةً ثم السماءُ فوقَها كذلك**» حتى عدَّ سبعَ سموات «**ثم من فوقِ السابعةِ بحرٌ بين أسفلِهِ وأعلاه مثلُ ما بينَ سماءٍ إلى سماءٍ ثم فوقَ ذلك ثمانيةُ أوعالٍ بين أظلافِهِم وركبِهِم مثلُ ما بينَ سماءٍ إلى سماءٍ ثم على ظهورِهِم العرشُ بين أسفلِهِ وأعلاه مثلُ ما بينَ سماءٍ إلى سماءٍ ثم اللهُ تبارك وتعالى فوقَ ذلك**». قال البوصيريُّ في كتابِهِ «إتحافُ الخيرةِ المهرة بزوائدِ المسانيدِ العشرة»[2] «هذا إسنادٌ ضعيفٌ ومنقطعٌ، عبدُ اللهِ بنُ عميرةَ لم يدركِ العباسَ، ويحيى بنُ العلاءِ ضعيفٌ» اهـ.

وقال ابنُ الجوزي في كتابه «العللُ المتناهيةُ»[3] «هذا حديثٌ لا يصحُّ تَفرَّدَ به يحيى بن العلاءِ، قال أحمدُ هو كذابٌ يضعُ الحديثَ، وقالَ يحيى بنُ معين ليسَ بثقةٍ، وقالَ ابنُ عديّ أحاديثُه موضوعةٌ، وقال الدارقطنيُّ متروكٌ، وقالَ الأزديُّ كذابٌ ذاهلٌ، قلتُ وبمثلِ هذه يثبتُ للهِ صفةٌ! أينَ العقولُ؟» اهـ.

حتى شيخُهم الألبانيُّ قال في كتابِهِ المسمَّى «صحيحَ وضعيفَ سننِ أبي داود»[4] ما نصُّه «**ضعيف**» اهـ.

---

(١) أبو داود. سنن أبي داود. ج٤ ص٣٦٨.

(٢) البوصيري. إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة. ج٦ ص٥٣.

(٣) ابن الجوزي. العلل المتناهية. ج١ ص٢٣.

(٤) الألباني. الكتاب المسمى صحيح وضعيف سنن أبي داود. ج١٠ ص٢٢٣.

- كذلكَ من الأحاديثِ التي يحتجونَ بها ما رواهُ الترمذيُّ[١] عن عمرانَ ابنِ الحصينِ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال لأبي «**يا حصينُ كم تعبدُ اليوم إلـٰهًا**»؟ قال أبي سبعةً ستةً في الأرضِ وواحدًا في السماءِ قال «**فأيُّهم تعد لرغبتِك ورهبتِك؟**» قال الذي في السماءِ، قال «**يا حصينُ أما إنك لو أسلمتَ علمتُك كلمتين تنفعانك**»، قال فلما أسلمَ حصينٌ قالَ يا رسولَ اللهِ علمني الكلمتين اللتينِ وعدتني فقالَ «**قل اللهم ألهمْني رشدي وأعذني من شرِ نفسي**» قال الذهبيُّ في كتابِه «العلوُّ للعليّ الغفّارِ»[٢] «شبيبة ضعيفٌ»اهـ وهو أحد رواة هذا الحديث، ومثلُ ذلك قال شيخُهم الألبانيُّ في كتابِه المسمَّى «صحيحَ وضعيفَ سننِ الترمذيِ»[٣].
- والحديثُ الذي أخرجَه البيهقيُّ في الدلائلِ[٤] عن عمرو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جدِه قالَ قال رسولُ اللهِ ﷺ «**أيُّ الخلقِ أعجبُ إليكم إيمانًا**» قالوا الملائكةُ قال «**وما لهم لا يؤمنون وهم عندَ ربهم**» قالوا فالنبيونَ قال «**وما لهم لا يؤمنونَ والوحيُ ينزلُ عليهم**» قالوا فنحنُ قال «**وما لكم لا تؤمنونَ وأنا بين أظهرِكم**» قال فقال رسولُ اللهِ ﷺ «**إن أعجبَ الخلقِ إلي إيمانًا لَقومٌ يكونون بعدكم يجدونَ صحفًا فيها كتابٌ يؤمنونَ بما فيها**» هذا الحديثُ فيه عمرو بنُ شعيبٍ ومعلومٌ عند أهلِ الحديثِ حكمُ روايتِه، فقد قالَ ابنُ حبان في كتابِه «المجروحين»[٥] «فلا تخلو روايةُ عمرو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جدّه من أن يكونَ مرسلًا أو منقطعًا، والمرسلُ والمنقطعُ من الأخبارِ لا يقومُ بها حجةٌ لأنَ اللهَ جلَّ وعلا لم يكلف عبادَه أخذَ الدينِ عمَّن لا يُعرفُ، والمرسلُ والمنقطعُ ليسَ يخلو ممن لا يُعرفُ»اهـ.

---

(١) الترمذي. سنن الترمذي. ج٧ ص٤٨٣.

(٢) الذهبي. العلو للعلي الغفار. ج١ ص٢٥.

(٣) الألباني. الكتاب المسمى صحيح وضعيف سنن الترمذي. ج٧ ص٤٨٣.

(٤) البيهقي. دلائل النبوة. ج٦ ص٥٣٨.

(٥) ابن حبان. كتاب المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين. ج٢ ص٧٢.

وإن قيلَ بصحتِه فالعنديةُ للمكانةِ كما في الآيةِ ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ﴾[1] فهلْ يقولُ مسلمٌ إنَّ امرأةَ فرعونَ التي ضربَ اللهُ بها مثلًا للذين آمنوا كانت تعتقدُ أنَّ اللهَ في الجنةِ وتطلبُ منه أن يبنيَ لها بيتًا بجوارِه.

- وأما ما يُروَى عن مالكٍ في ما نقلَه ابنُ عبدِ البرّ في «التمهيدِ»[2] أنه قالَ «اللهُ في السماءِ وعلمُه في كلِ مكانٍ» فهو غيرُ ثابتٍ عنه، ففي كتابِ «إيضاحِ الدليلِ في قطعِ حججِ أهلِ التعطيلِ»[3] «وما يرويه سريجُ بنُ النعمانِ عن عبدِ اللهِ بن نافع عن مالكٍ أنه كانَ يقولُ اللهُ في السماءِ وعلمُه في كلّ مكانٍ لا يثبتُ، قال الإمامُ أحمدُ: عبدُ اللهِ بنُ نافعِ الصايغُ لم يكنْ صاحبَ حديثٍ وكان ضعيفًا فيه، قال ابنُ عديّ يروي غرائبَ عن مالكٍ، وقال ابنُ فرحون كان أصمَّ أمّيًّا لا يكتبُ، وبمثلِ هذا السندِ لا يُنسبُ إلى مثلِ مالكٍ» اهـ. فالحديثُ غيرُ ثابتٍ عن مالكٍ كما قال الإمامُ المحدثُ الهرريُّ في كتابِه الصراطُ المستقيمُ[4].

- ومما تحتجُّ به المشبهةُ لإثباتِ عقيدتِها قولُ عبدِ اللهِ بنِ رَواحةَ[5] (الوافر)

شهدْتُ بأنَّ وعدَ اللهِ حقٌّ ... وأنّ النارَ مَثْوى الكافرينا
وأنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طافٍ ... وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا

وليسَ لهم فيه حجةٌ لأنه لا تثبتُ صفةٌ للهِ بقولِ صحابيّ أو تابعيّ ولأنَّ

---

(١) سورة التحريم/ آية ١١.

(٢) ابن عبد البر. التمهيد لما في موطأ مالك من الأسانيد. ج٧ ص١٣٨.

(٣) بدر الدين بن جماعة. إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل. ج١ ص٨٢.

(٤) عبد الله الهرري. الصراط المستقيم. ص٥٨.

(٥) الدارمي المجسم. المسمى الرد على الجهمية. ج١ ص٦٥.

إسنادَه ضعيفٌ كما قالَ عبدُ الحقّ[1] «ولا يُروى من وجهٍ صحيحٍ يحتجُّ به لأنه منقطعٌ وضعيفٌ» اهـ.

وقال السبكيُّ في كتابِه «طبقاتُ الشافعيةِ الكبرى»[2] «ما أحسنَ قولَ الإمامِ الرافعيّ في كتابِ «الأمالي» وقد أوردَ هذه الأبياتَ: هذه الفوقيةُ فوقيةُ العظمةِ والاستغناءِ في مقابلة صفة الموسومين بصفةِ العجزِ والفناءِ» اهـ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(١) مغلطاي. شرح سنن ابن ماجه. ج١ ص٧٥٨.

(٢) السبكي. طبقات الشافعية الكبرى. ج١ ص٢٦٤.

المحاضرة الثانية عشرة

تفسيرُ الآية
﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1]

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- احتجَّ المشبهةُ قديماً وحديثًا لإثباتِ تحيّزِ الله عَلى عَرشهِ بآيةِ الاستواءِ ولا حجّةَ لهم في ذلكَ لكونِ هذا الاعتقادِ مخالفًا لنصّ القرآنِ والحديثِ وإجماع الأمّةِ فوجبَ أن يكونَ تفسيرُ الاستواءِ المذكورِ في قولهِ تَعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[2] بغيرِ الجلوسِ والاستقرارِ والمحاذاةِ من فَوق لأنَّ هذه المعاني مِن صفاتِ الأجسامِ، بل يُفسَّرُ بالاستيلاءِ أيِ القَهرِ وهوَ صفةُ كمالٍ للهِ تَعالى وقَد وصفَ الله تَعالى نفسَهُ بذلكَ، قالَ تَعالى ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[3].

- ومَعنى تفسيرِ أهلِ السّنةِ هذه الآية بأنَّ الله قاهرٌ للعرشِ أنَّ الله هوَ الذي أبرزَ العرشَ منَ العدمِ إلى الوجودِ وهوَ الذي يحفظُ عليهِ وجودَهُ في جهةِ العُلْوِ مِن أَن يَهوِيَ عَلى السّمواتِ والأرضِ فيُحطّمَها. ولو كانَ الله مستقرًّا على العرشِ كما تزعمُ المشبّهةُ لكانَ الله محتاجًا لشيءٍ مِن خَلقهِ، تَعالى الله عَن ذلكَ بَل لكانَ

(١) سورة طه/ آية ٥.

(٢) سورة طه/ آية ٥.

(٣) سورة الرعد/ آية ١٦.

محمولًا مِنَ الملائكةِ الذينَ يحملونَ العرشَ سبحانهُ وتَعالى عمّا يقولُ الظّالمونَ عُلوًّا كبيرًا، وقَد قالَ الإمامُ أبو الحسنِ الأشعريُّ في «الإبانةِ»[1] «العرشُ وحَملتُهُ محمولون بلُطفِ قدرةِ الله» اهـ.

• قالَ الفخرُ الرازيُّ في تفسيرِ هذهِ الآيةِ[2] «المشبهةُ تعلقتْ بهذهِ الآيةِ في أنَّ معبودَهم جالسٌ على العرشِ وهذا باطلٌ بالعقلِ والنقلِ من وجوهٍ.

- أحدُها: أنه سبحانه وتعالى كانَ ولا عرشَ ولا مكانَ، ولما خلقَ الخلقَ لم يحتجْ إلى مكانٍ بل كان غنيًّا عنه فهو بالصفةِ التي لم يزلْ عليها إلا أن يزعمَ زاعمٌ أنه لم يزلْ مع الله عرشٌ.

- وثانيها: أن الجالسَ على العرشِ لا بدَّ وأن يكونَ الجزءُ الحاصلُ منه في يمينِ العرشِ غيرَ الحاصلِ في يسارِ العرشِ فيكونُ في نفسِه مؤلَّفًا مركَّبًا وكل ما كان كذلك احتاجَ إلى المؤلّفِ والمركّبِ وذلك محالٌ.

- وثالثُها: أن الجالسَ على العرشِ إما أن يكونَ متمكّنًا من الانتقالِ والحركةِ أو لا يمكنهُ ذلك فإن كانَ الأول فقد صارَ محلَّ الحركةِ والسكونِ فيكونُ محدَثًا لا محالةَ وإن كان الثاني كان كالمربوطِ بل كانَ كالزَّمِنِ بل أسوأَ منه فإن الزَّمِنَ إذا شاءَ الحركةَ في رأسِهِ وحدقتِه أمكنَهُ ذلك وهو غير ممكنٍ على معبودِهم.

- ورابعُها: هو أن معبودَهم إما أن يحصلَ في كلّ مكانٍ أو في مكانٍ دونَ مكانٍ فإن حصلَ في كل مكانٍ لزمَهم أن يحصلَ في مكانِ النجاساتِ والقاذوراتِ وذلك لا يقولُه عاقلٌ، وإن حصلَ في مكانٍ دون مكانٍ افتقر إلى مخصّصٍ يخصّصُه بذلك المكان فيكون محتاجًا وهو على الله محال».

---

(١) أبو الحسن الأشعري. الإبانة عن أصول الديانة. فصل في إبانة قول أهل الحق والسنة ج١ ص٢٠. ملاحظة: كتاب الإبانة المطبوع فيه دسّ.

(٢) الرازي. التفسير الكبير. ج٢٢ ص٨-٩.

- ثم قال: «وسادسها: قولُه تعالى ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾[1] فإذا كانوا حاملين للعرشِ والعرشُ مكانُ معبودِهم فيلزمُ أن تكونَ الملائكةُ حاملين لخالِقِهم ومعبودِهم وذلك غيرُ معقولٍ لأن الخالقَ هو الذي يحفظُ المخلوقَ أما المخلوقُ فلا يحفظ الخالق ولا يحمله.

- وسابعها: أنه لو جاز أن يكونَ المستقِرُّ في المكان إلـٰهًا فكيف يُعلمُ أن الشمسَ والقمرَ ليسا بإلـٰهٍ لأن طريقَنا إلى نفيِ إلـٰهيةِ الشمسِ والقمرِ أنهما موصوفان بالحركةِ والسكونِ وما كان كذلك كان محدَثًا ولم يكن إلـٰهًا، فإذا أبطلتم هذا الطريقَ انسدَّ عليكم بابُ القدحِ في إلـٰهيةِ الشمسِ والقمرِ» اهـ.

- قالَ الحافظُ أبو بكرِ بنُ العَربيِّ[2] «وللاستواءِ في كلام العربِ خمسةَ عشَرَ مَعنى ما بين حقيقةٍ ومجازٍ: منها ما يجوزُ على الله وهو معنى الآية، ومنها ما لا يجوزُ على الله بحال، وهو ما إذا كان الاستواءُ بمعنى التمكُّنِ أو الاستقرارِ أو الاتصالِ أو المحاذاةِ، فإن شيئًا من ذلك لا يجوزُ على البارئِ تعالى ولا نضربُ له الأمثالَ في المخلوقات» اهـ.

- كذلك لفظة «على» لها عدةُ معانٍ كما قالَ ابنُ هشامٍ في «مغني اللبيبِ»[3].

- ومِن مَعاني الاستواء الاستقرارُ والجلوسُ والاستقامةُ والتّمامُ والاعتدالُ والاستعلاءُ والعُلوُّ والاستيلاءُ أيِ القهرُ والنُّضْجُ والتساوِي وغيرُ ذلكَ.

- وقَد جاءَ لفظُ الاستواءِ في القرآنِ على بَعضِ هذه المعاني كالاستواءِ بمعنى الاستقرارِ ومنهُ قولهُ تَعالى ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾[4] أَي أَنَّ سفينةَ نوحٍ

---

(١) سورة الحاقة/ آية ١٧.

(٢) ابن العربي. العارضة. ج٢ ص ٢٣٢.

(٣) ابن هشام. مغني اللبيب. ج١ ص١٩٠.

(٤) سورة هود/ آية ٤٤.

استقرّت عَلى جبلِ الجودي[١]، والاستواءُ بمعنى الاستقامةِ منهُ قولهُ تَعالى ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾[٢] أيِ استقامَ الزرعُ عَلى قَصبهِ[٣]، والاستواءُ بمعنى التّمامِ منهُ قولهُ تَعالى في حقّ موسَى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ﴾[٤] أَي تمت قوّتهُ البدنيةُ[٥].

• ويأتِي الاستواءُ بمعنى الاستيلاءِ أيِ القهرِ[٦]، ففي لغةِ العربِ يقالُ استوَى فلانٌ على الممالكِ إذا احتوَى على مقاليد الملكِ واستَولى عَلى أهلِ البلدِ كقولِ الشاعرِ[٧] (الرجز)

قـدِ اسـتـوَى بِـشرٌ عَـلى الـعِـراقِ   مِـن غـيـرِ سـيـفٍ ودَمٍ مُـهـراقِ

ومعناهُ أنهُ سَيطرَ على العِراقِ وملَكَها مِن غيرِ حربٍ وإراقةِ دماءٍ فليسَ مدحُ بشرِ بنِ مروانَ في هذا البيتِ مِن حيثُ إنهُ جالسٌ في هذا البلدِ لأنَّ الجلوسَ في

---

(١) الفيروزآبادى. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. ج٢ ص١٠٦، السمرقندي. بحر العلوم. ج٢ ص١٢٨، الخازن. لباب التأويل. ج٣ ص٢٣٤، النسفي. تفسير النسفي. ج٢ ص ١٨٩، البغوي. تفسير البغوي. ج٣ ص٢١٣.

(٢) سورة الفتح/ آية ٢٩.

(٣) أبو حيان الأندلسي. البحر المحيط. ج٨ ص١٠٣، الخازن. لباب التأويل. ج٤ ص٢١٥، البغوي. تفسير البغوي. ج٥ ص١٩١.

(٤) سورة القصص/ آية ١٤.

(٥) الفيروزآبادي. القاموس المحيط ص١٦٧٣، مرتضى الزبيدي. تاج العروس. ج١٠ ص١٨٩، الرازي. مختار الصحاح. ص١٣٦، ابن منظور. لسان العرب. ج١٤ ص٤١٤، الفيروزآبادي. بصائر ذوي التمييز ج٢ ص ١٠٦.

(٦) الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. ص٢٥١، ابن المبارك. غريب القرآن وتفسيره ص١١٣، الطبري. تفسير الطبري. ج١ ص١٩٢.

(٧) ابن منظور. لسان العرب. ج٤ ص٤٠٨. مادة (س و ا). والشاعر هو الأخطل بن غياث بن غوث وهو تغلبي عربي. وقد قال الذهبي في ترجمته: «الأخطل شاعر زمانه»اهـ. الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج٨ ص١٦٠.

العراقِ يشتركُ فيهِ الإنسانُ الشّريفُ والإنسانُ الدّنيءُ، إنما كانَ المدحُ لهُ لأنهُ استولى أيْ قهَرَ وسيطَرَ على العراقِ، والله تمدّحَ بقولهِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[1] بالاستيلاءِ أيِ القهرِ للعرشِ الذي هوَ أعظمُ المخلوقاتِ حجمًا فيُعلمُ شمولُ الاستيلاءِ أيِ القهرِ لما دونهُ مِن بابِ الأَولى، لأننا إذا قُلنا الله قهرَ العرشَ معناهُ قهرَ كلَّ شيءٍ فكلُّ المخلوقاتِ لما كانَت دونَ العَرشِ في الحجمِ كانَ الاستيلاءُ عليهِ استيلاءً على جميعِها لهذا خَصَّ الله العرشَ بالذّكرِ لا ليَجلسَ عليهِ، ولذلكَ وردَ الاستواءُ عَلى العَرشِ في القرآنِ في عدّةِ مواضِع. وبما تقدّم يجاب على من يقول: لماذا قالَ الله بأنهُ استوَى على العرشِ بمعنى قهَرَ على تفسيركُم وهوَ قاهرُ كلّ شيءٍ؟، ويؤيد ذلك أنَّ الله تَعالى قالَ ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[2] معَ أنهُ ربُّ كلّ شيءٍ.

- قالَ الإمامُ عليٌّ رضي الله عنهُ «إنَّ الله تَعالى خلقَ العرشَ إظهارًا لقُدرتهِ، ولم يتّخذهُ مكانًا لذاتهِ» اهـ رواهُ الإمامُ المحدّثُ الفقيهُ اللغويُّ أبو منصورٍ التميميُّ في كتابهِ «الفرق بين الفرق»[3].
- وفي كتابِ «نجم المهتدِي» لابنِ المعلّم القُرشيّ[4] «وهذا مُنتظمٌ[5] مَن كُفرُه مُجمعٌ عليهِ» إلى أن قال «وكذا مَن يعتقدُ أنَّ الله جالسٌ على العَرشِ كما حكاهُ القاضِي حسينٌ -مِن أكابرِ أصحابِ الشّافعيّ- هنا عَن نصّ الشّافعيّ» اهـ.

(١) سورة طه/ آية ٥.

(٢) سورة التوبة/ آية ١٢٩.

(٣) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص٣٣٣. وقد وصف الذهبي أبا منصور البغدادي بالحفظ في كتابه سير أعلام النبلاء. ج٣٤ ص٧٦.

(٤) ابن المعلم القرشي. نجم المهتدي. ج٢ ص ٤٣٠.

(٥) أي ما نظمتُه في بيان كذا. مثل قولهم هذا فصل.

• ولعلماءِ أهلِ السّنةِ في تأويلِ آيةِ الاستواءِ مَسلكانِ صحيحانِ:

الأولُ **مسلكُ السّلفِ** (أي غالبهم) وهُم يُؤوّلونها تأويلًا إجماليًّا بالإيمانِ بها واعتقادِ أنَّ المعنى المرادَ منها ليسَ مِن مَعاني الأَجسامِ بَل أنَّ لها مَعنى يليقُ بجلالِ اللهِ وعَظمتهِ مِن غيرِ تَعيينٍ لذلكَ المعنى فيقولونَ استوَى بلا كيفٍ أو استوَى استواءً يليقُ بهِ معَ تنْزيهِهِ عَنِ استواءِ المخلوقينَ كالجلوسِ والاستقرارِ.

ومِن جملةِ مَن تأوّلَ الآيةَ تأويلًا إجماليًّا:

- الإمامُ الشافعيّ رضي الله عنهُ وهوَ منَ السّلفِ، فقد ثبت عنه أنهُ سُئلَ عنِ الاستواءِ فقالَ «آمنتُ بلا تشبيهٍ وصَدّقتُ بلا تمثيلٍ» اه ذكرهُ الإمامُ أحمدُ الرفاعيُّ في «البرهانِ المؤيَّدِ»[1].

- وسُئلَ الإمامُ أحمدُ بن حنبل رضي الله عنه أيضًا عنِ الاستواءِ فقالَ «استوَى كمَا أخبرَ لا كما يخطُرُ للبَشرِ» اه ذكرهُ الإمامُ تقيُّ الدّينِ الحصنيّ في «دفع شبهِ مَن شبّهَ وتمرّدَ»[2]. يعني رضيَ الله عنهُ لا عَلى ما قَد تذهبُ إليهِ الأوهامُ والظنونُ منَ المعاني الحسيّةِ والجسميّةِ التي لا تجوزُ في حقّ الله تَعالى كالجلوسِ والاستقرارِ والمحاذاةِ.

- وممن صرّحَ بنفي الجلوسِ والاستقرارِ عَلى العرشِ في حقّ الله مِن أئمةِ السّلفِ الإمامُ أبو حنيفةَ رضي الله عنه فقَد قالَ في «الوصيّةِ»[3] «نُقرُّ بأنَّ الرّحمنَ على العَرشِ استوَى مِن غيرِ أن يَكونَ لهُ حاجةٌ إليهِ واستقرارٌ عليهِ» اه.

- وقَد ثبتَ عنِ الإمامِ مالكٍ رضي الله عنهُ بإسنادٍ قويّ جيّدٍ أنهُ قالَ في استواءِ

---

(١) أحمد الرفاعي. البرهان المؤيد. ص٢٤.

(٢) الحصني. دفع شبه من تشبه وتمرد. ص ١٧.

(٣) جميل حليم. معجم الأصول الجامع لمتون عقيدة الرسول، كتاب الوصية. ج ١ص ١٢٢. ملا علي القاري. شرح الفقه الأكبر. ص٧٠.

الله[١] «استوَى كما وصفَ نفسَهُ ولا يقالُ كيفَ وكيف عنهُ مرفوعٌ»[٢] اهـ.

- تنبيهٌ: لم يَثبُت مِن حيثُ الإسنادُ عَن مالكٍ ولا عَن غَيرِهِ منَ السّلفِ أنهُ قالَ «الاستواءُ معلومٌ والكيفيّةُ مجهولةٌ» وهذهِ العبارةُ كثيرةُ الدَّوَرانِ عَلى ألسنةِ المشبّهةِ والوهابيّةِ لأنهم يَعتقدونَ أنَّ المرادَ بالاستواءِ الجلوسُ والاستقرارُ أيْ عندَ أغلبِهم وعندَ بعضِهم المحاذاةُ فوقَ العرشِ مِن غيرِ مماسّةٍ ولا يَدرُونَ أنَّ هذا هوَ الكَيفُ المنفيُّ عنِ الله عندَ السّلفِ، وهذهِ العبارةُ أيْ «والكيفيّةُ مجهولةٌ» قالها بعضُ الأشاعرةِ ولا يَفهمونَ هذا المعنى بَل يفهمونَ أنَّ حقيقةَ الاستواءِ غيرُ معلومٍ للخَلقِ، ولا يُغتَرَّ بوجودِ هذهِ العبارةِ في كتابِ «إحياءِ علومِ الدّينِ» ونحوهِ ولا يريدُ مؤلّفهُ الغَزاليُّ ما تفهمهُ المشبّهةُ لأنهُ مصرّحٌ في كتبهِ بأنَّ الله منزّهٌ عنِ الجسميّةِ والتحيّزِ في المكانِ وعَنِ الحدّ والمقدارِ[٣].

ومن السلفِ من أوّلَ هذه الآيةَ تأويلًا تفصيليًّا ومنهم:

- اللغويُّ الأديبُ أبو عبد الرحمن عبدُ الله بنُ يحيى بن المباركِ المتوفّى سنةَ ٢٣٧هـ قالَ في كتابهِ «غريبُ القرآنِ وتفسيرهُ» ما نصُّه[٤] «قولهُ تَعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٥] استولى» اهـ.

- قال ابنُ جريرٍ الطبريُّ المتوفى سنة ٣١٠هـ في تفسيرِه[٦] «قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[٧] علا وارتفعَ عليها علوَّ ملكٍ وسلطانٍ لا علوَّ انتقالٍ

---

(١) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما جاء في قوله تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾. ص٥١٥.

(٢) معناهُ لا يجوزُ على اللهِ الهيئةُ والكيفيّةُ والشّكلُ.

(٣) انظر كتاب الغزاليّ إحياء علوم الدين. ج١ ص١٢٧-١٢٨.

(٤) ابن المبارك. غريب القرآن وتفسيره. ص ١١٣.

(٥) سورة طه/ آية ٥.

(٦) الطبري. تفسير الطبري. ج١ ص٤٥٧.

(٧) سورة البقرة/ آية ٢٩.

وزوالٍ»اهـ.

- والإمامُ اللغويُّ أبو إسحاقَ إبراهيمُ الزجّاجُ المتوفى سنة ٣١١هـ الذي قالَ فيه الذهبيُّ «نحويُّ زمانِه»[١] اهـ قال في كتابِه «معاني القرآن» ما نصُّه[٢] «معنى استوى استولى» اه.

- وقالَ إمامُ أهلِ السّنةِ أبو منصورٍ الماتريديُّ المتوفّى سنةَ ٣٣٣هـ في كتابهِ «تأويلاتُ أهلِ السّنة»[٣] في تفسيرِ قولهِ تبارك وتَعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٤] «استَولى عَليهِ» اهـ.

الثاني **مَسلكُ الخلفِ** وهُم يؤوّلونها تأويلًا تفصيليًّا بتَعيينِ مَعنى لها مما تَقتضيهِ لغةُ العَربِ ولا يحمِلونها عَلى ظاهِرها أيضًا كالسّلفِ، فيقولونَ ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾ أيْ قهرَ أو استَولى، ومنهم:

- الحافظُ البيهقيُّ المتوفى سنة ٤٥٨هـ فقد قالَ في كتابِه «الأسماءُ والصفاتُ» ما نصُّه[٥] «إنَّ كثيرًا من متأخري أصحابِنا ذهبوا إلى أنَّ الاستواءَ هو القهرُ والغلبةُ» اهـ.

- وإمامُ الحرمينِ الجوينيُّ المتوفّى سنةَ ٤٧٨هـ فقد قال في كتابِه «الإرشادُ» ما نصه[٦] «الاستواءُ هوَ القهرُ» اهـ.

- وقالَ الإمامُ عبدُ الرحمن بنُ محمد الشافعيُّ المعروفُ بالمتولي المتوفى سنة

---

(١) الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج١٤ ص٣٦٠.

(٢) الزجاج. معاني القرآن. ج٣ ص٣٥٠.

(٣) الماتريدي. تأويلات أهل السنة. ج١ ص٨٥.

(٤) سورة طه/ آية ٥.

(٥) البيهقي. الأسماء والصفات. ص٥١٩.

(٦) الجويني. الإرشاد. ص ٥٩، وقال مثل ذلك في كتابه لمع الأدلة. ص١٠٩.

٤٧٨هـ في كتابه «الغنية» ما نصُّه[١] «فإن قيلَ الاستواءُ إذا كان بمعنى القهرِ والغلبةِ يقتضي منازعةً سابقةً وذلك محالٌ في وصفِه، قلنا والاستواءُ بمعنى الاستقرارِ يقتضي سبقَ الاضطرابِ والاعوجاجِ وذلك محالٌ في وصفِه» اهـ.

- وقالَ اللغويُّ أبو القاسمِ الحسينُ بنُ محمدٍ المعروفُ بالراغبِ الأصبهانيّ المتوفى سنة ٥٠٢هـ في كتابِه «المفردات»[٢] «ومتى عُدّي -أي الاستواءُ- بعلى اقتضى معنى الاستيلاءِ كقولِه تعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٣]» اهـ.

- وقال الفقيهُ أبو حامدٍ الغزاليُّ الشافعيُّ المتوفى سنة ٥٠٥هـ في كتابِه «إحياء علوم الدين» عندما تكلمَ عن الاستواءِ ما نصُّه[٤] «وليس ذلك إلا بطريقِ القهرِ والاستيلاءِ» اهـ.

- وأبو نصرٍ القشيريُّ المتوفّى سنةَ ٥١٤هـ الذي وصفَه الحافظُ عبدُ الرزاقِ الطبسيُّ بإمامِ الأئمةِ[٥]، قال في كتابِه «التذكرةُ الشرقيّةُ»[٦] «قولُه تَعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٧] قهرَ وحفِظَ وأبقَى» اهـ.

- وقالَ بدرُ الدّينِ بنُ جماعَةَ المتوفّى سنةَ ٧٣٣ هـ في كتابِه «إيضاحُ الدّليلِ»[٨] «قَولهُ تَعالى ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[٩] يتعين فيهِ مَعنى الاستيلاءِ والقهرِ

(١) المتولي. الغنية. ص ٧٨.
(٢) الأصبهاني. المفردات في غريب القرآن. ص٢٥١.
(٣) سورة طه/ آية ٥.
(٤) الغزالي. إحياء علوم الدين. ج١ ص ١٢٨.
(٥) نقل ذلك الحافظ ابن عساكر في كتابه تبيين كذب المفتري. ص١٦٧.
(٦) نقله الحافظ مرتضى الزبيدي في الإتحاف. ج٢ ص١٠٨.
(٧) سورة طه/ آية ٥.
(٨) بدر الدين بن جماعة. إيضاح الدليل. ص١٠٣.
(٩) سورة طه/ آية ٥.

لا القُعودِ والاستقرارِ» اهـ.

- وقالَ تقيُّ الدّينِ السبكيُّ المتوفّى سنةَ ٧٥٦هـ في كتابهِ «السّيفُ الصّقيلُ»[١] «الاستواءُ هوَ الاستيلاءُ» اهـ. وغيرُهم كثيرٌ.

• فبعدَ كلِ هذه الأقوالِ لا يلتفتُ لقولِ الوهابيةِ «لا يوجدُ في اللغةِ استوى بمعنى استولى» إذ القاعدةُ تقولُ مَنْ حَفِظَ حجةٌ على مَنْ لم يحفظْ. فالوهابيةُ ليسُوا عَلى ما كانَ عليهِ السّلفُ ولا الخلفُ بل هُم عَلى مَسلكِ المجسّمةِ المشبّهةِ لأنَّ الوهابيةَ حمَلوا الاستواءَ على الاستقرارِ ومنهُم مَن حمَلَهُ على الجلوسِ ومنهُم مَن حملَهُ على المحاذاةِ مِن فَوق فوقَعوا في تَشبيهِ اللهِ بخلقهِ فلا يُقالُ عنهُم سلفيّةٌ فإنهم ليسُوا مِنَ السّلفِ زمانًا ولا اعتقادًا بَل عقيدتُهم عَقيدةُ الكرّاميّةِ الذينَ عُرفوا بالمجسّمةِ فيما مضَى. ومَنِ اعتقدَ أنَّ اللهَ خلقَ العرشَ ليَجلسَ عليهِ فقَد شبّهَ اللهَ بالملوكِ الذينَ يَعملونَ الأَسِرّةَ الكبارَ ليجلِسوا عليها ومَنِ اعتقدَ هذا لم يَعرفِ اللهَ. قالَ الشيخُ عبدُ الغنيّ النابلسيُّ في «الفتحِ الرّبانيّ»[٢] «منِ اعتقدَ أنَّ اللهَ ملأ سمٰواته وأرضه أو أنه جسمٌ قاعدٌ فوقَ العرشِ فهوَ كافرٌ وإنْ زعمَ أنهُ مسلمٌ» اه.

• إنَّ ادّعاءَ الوهابيةِ أنهُ لا يُعقَلُ مَوجودٌ إلا في مكانٍ محتجّينَ بذلكَ على ما يعتقدونَهُ مِن نسبةِ التحيّزِ والجهةِ للهِ تَعالى ادّعاءٌ باطلٌ وحجّةٌ داحضةٌ، والذي يَدحَضُ شُبَهَهُم كما قالَ الحافظُ مرتضَى الزّبيديُّ في «إتحافِ السّادةِ المتّقينَ شرح إحياءِ عُلومِ الدّينِ»[٣] «أن يقالَ لهم قبلَ أَن يخلقَ اللهُ العرشَ والمكانَ هَل كانَ اللهُ موجودًا أم لا؟ فمِن ضَرورةِ العَقلِ أَن يقُولوا بلَى، فيلزمهُ لَو صحَّ قولهُ لا يُعلم موجودٌ إلا في مكانٍ أحدُ أمرين إما أن يقولَ المكانُ والعرشُ والعالم قديمٌ وإما أن يقولَ الرّبُّ محُدَثٌ، وهذا مآلُ الجهلةِ الحَشْوِيّةِ. ليسَ القديمُ بالمحدَثِ

(١) السبكي. السيف الصقيل. ص٨٧.

(٢) عبد الغني النابلسي. الفتح الرباني. ص ١٢٤.

(٣) مرتضى الزبيدي. إتحاف السادة المتقين. ج٢ ص ١٠٩.

والمحدَثُ بالقديمِ» اهـ.

- وكذلك قولهم إن لم يكن اللهُ جالسًا على العرشِ لم يكنْ حملةُ العرشِ يومَ القيامةِ ثمانيةً، قالَ ابنُ عادلٍ في كتابِه «اللبابُ في علوم الكتاب»[1] «قال ابنُ الخطيبِ قالتِ المشبِهةُ لو لم يكن اللهُ في العرشِ لكان حملُ العرش عبثًا لا فائدةَ فيه، لا سيَّما قد أكّدَ ذلك بقولِه ﴿يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ﴾[2] والعرش إنَّما يكونُ لو كانَ الإلهُ حاضرًا في العرش. وأجابَ بأنه لا يمكنُ أن يكونَ المرادُ أنَّ اللهَ تعالى جالسٌ في العرشِ لأنَّ كلَّ مَن كان حاملًا للعرشِ كان حاملًا لكلّ ما كانَ في العرشِ، فلو كان الإلهُ على العرشِ لزمَ كونُ الملائكةِ حاملين للهِ تعالى وذلك محالٌ لأنه يقتضي احتياج اللهِ إليهم، وأن يكونوا أعظمَ قدرًا من الله، وكلُّ ذلك كفرٌ، فعلمْنا أنه لا بدَّ فيه من التأويلِ» اهـ.

- فإن قيلَ أليسَ الله يقولُ ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[3] فمعناهُ استقرَّ على العرش بعدَ أَن خلقَ السّمواتِ والأرضَ؟ يقالُ لهم ذكرَ الإمامُ أبو منصورٍ الماتريديُّ في تأويلاتهِ[4] في قولهِ تَعالى «﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[5] «أي وقَدِ استوَى عَلى العَرشِ» اهـ. ومعناهُ أنَّ الله كانَ مستويًا عَلى العرشِ قبلَ وُجودِ السّمواتِ والأَرضِ.

- قَالَ علماءُ اللغةِ إنَّ لفظةَ «ثم» تأتي للتراخِي أيْ للتأخّرِ في الزّمنِ وتأتي للإخبارِ، قالَ المفسرُ القرطبيُّ في تفسيرِ قولِه تعالى ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[6] ما

(١) ابن عادل. اللباب في علوم الكتاب. ج١٩ ص٣١٩.

(٢) سورة الحاقة/ آية ١٨.

(٣) سورة الأعراف/ آية ٥٤.

(٤) الماتريدي. تأويلات أهل السنة. ج٤ ص٤٥١-٤٥٣.

(٥) سورة الأعراف/ آية ٥٤.

(٦) سورة البقرة/ آية ٢٩.

نصُّه[1] «ثم لترتيبِ الإخبارِ لا لترتيبِ الأمرِ نفسِه» اه. وقالَ أبو نُوَاس[2] (الخفيف)

إنَّ مَــن ســادَ ثــم ســادَ أبــوهُ ثــم قَــد ســادَ قبــلَ ذلــكَ جــدُّهْ

فإنَّ «ثم» هنا بمعنى ترتيب الإخبارِ، والمرادُ أنَّ الجدَّ وابنَهُ وابنَ ابنهِ حصلَت لهم السّيادةُ.

وقَد نقلَ الحافظُ الزبيديُّ في الإتحافِ كلامَ السّبكيّ في تفسيرِ هذهِ الآيةِ فقالَ ما نصّهُ[3] «واعلَم أنَّ الله تعالى كاملُ الملكِ أزلًا وأبدًا والعَرشُ وما تحتَ العرشِ حادثٌ فأتى قولهُ تعَالى ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[4] لحدوثِ العرشِ لا لحدوثِ الاستواءِ» اه.

- وقد قالَ الإمامُ أبو نصرٍ القشيريُّ[5] «فإنْ قيلَ أليسَ الله يقولُ ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[6] فيجبُ الأخذُ بظاهرهِ، قُلنا الله يقولُ أيضًا ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[7]، ويقولُ ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾[8] فينبغي أيضًا أن نأخذَ بظاهرِ هذهِ الآياتِ بزعمهم حتى يكونَ عَلى العرشِ وعندَنا ومعنا ومحيطًا بالعالمِ محدقًا بهِ بالذاتِ في حالةٍ واحدةٍ، والواحدُ يستحيلُ أن يكونَ بذاتهِ في حالةٍ واحدةٍ بكلّ مكانٍ، قالوا قولُه ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ يعني بالعلمِ، و﴿بِكُلِّ

(١) القرطبي. تفسير القرطبي. ج١ ص٢٥٤.

(٢) السمرقندي. الموضح في التفسير ص١٢٠، الأهدل. الكواكب الدرية. ص٥٥٤.

(٣) مرتضى الزبيدي. إتحاف السادة المتقين. ج٢ ص١٠٧.

(٤) سورة الأعراف/ آية ٥٤.

(٥) نقله الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في الإتحاف. ج٢ ص١٠٨.

(٦) سورة طه/ آية ٥.

(٧) سورة الحديد/ آية ٤.

(٨) سورة فصلت/ آية ٥٤.

﴿شَيۡءٖ مُّحِيطٗا﴾ إحاطة العلمِ، قلنا وقولهُ ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ قهرَ وحفِظَ وأبقَى» اهـ.

يعني أنكُم قَد أوّلتم هذهِ الآياتِ ولم تحمِلوها على ظواهِرها فكيفَ تَعيبونَ على غيركُم تأويلَ آيةِ الاستواءِ بالقهرِ، فما هذا التحكّم؟!

- كذلك قولُه تعالى ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾[1] ليسَ فيه دليلٌ على أنَّ اللهَ يسكنُ بذاته فوق السمٰوات. قال الغزاليُّ في كتابِه «إلجامُ العوامّ من علمِ الكلامِ» عند ذكرِ الأمورِ التي لا بدَّ من الإمساكِ عنها أي عدم الخوضِ فيها ما نصُّه «السادسُ: التفريقُ بين المجتمِعاتِ، فكما لا يُجمَعُ بين متفرّقِه لا يُفرَقُ بين مجتمعِه كقولِه تعالى ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦ﴾ ليسَ لقائلٍ أن يقولَ هو فوق لأنَّ ذكرَ القاهرِ قبلَه يدلُّ على الفوقيةِ التي هي للقاهرِ مع المفهومِ وهي فوقيةُ القهرِ والغلبةِ» اهـ.
- وقولُه تعالى ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾[2] لا يفيدُ العلوَّ المكاني، قال ابنُ عجيبةَ في تفسيرِه «البحرِ المديدِ» «والأعلى صفةُ الربّ وهو الأظهرُ، وعلوُّه تعالى قهريتُه وتعاليه عن سِمةِ الحدوثِ وعن مَدارِكِ العقولِ فلا يحيطُ به وصفُ واصفٍ أو علمُ عارفٍ لا علوُّ مكان» اهـ.
- وقولُ المشبهةِ إن اللهَ استوى بذاتِه على العرشِ معناهُ أنَّ اللهَ حالٌّ فوقَ العرشِ أي اتخذَه حيزًا لذاتِه. قالَ ابنُ الجوزيّ في «دفعِ شبهِ التشبيهِ»[3] «إن هذه العبارةَ ابتدعَها المشبهةُ المجسمةُ لحملِهم الآياتِ على الظاهرِ» اهـ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) سورة الأنعام/ آية ١٨.

(٢) سورة الأعلى/ آية ١.

(٣) ابن الجوزي. دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه. ج١ ص١٢٧.

المحاضرة الثالثة عشرة

علمُ الكلامِ ليسَ مَذمومًا

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- العلمُ باللهِ تَعالى وصفاتهِ أجلُّ العلومِ وأعلاها وأوجبُها وأولاهَا وقَد خصَّ النبيُّ ﷺ نفسَهُ بالتّرقّي في هذا العلمِ فقَالَ «**أنا أعلمُكُم باللهِ وأخشاكُم لهُ**» رواهُ البخاريُّ[1]، فكانَ هذا العلمُ أهمَّ العلومِ تحصيلًا وأحقَّها تبجيلًا وتَعظيمًا. قالَ تَعالى ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[2] قدّمَ الأمرَ بمعرفةِ التوحيدِ على الأمرِ بالاستغفارِ لتعلُّقِ التوحيدِ بعلمِ الأصولِ وتعلُّقِ الاستغفارِ بعلمِ الفروعِ. قالَ البخاريُّ في صحيحِه[3] «بابُ العلمِ قبلَ القولِ والعملِ لقولِه تعالى ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ فبدأَ بالعلمِ» اهـ.
- ويُسمَّى هذا العلمُ علمَ الأصولِ وعلمَ التوحيدِ وعلمَ العقيدةِ ويُسمّى أيضًا معَ أدلتهِ العقليّةِ والنقليّةِ منَ الكتابِ والسّنّةِ علمَ الكلامِ، والسّببُ في تسميتهِ بهذا الاسمِ كثرةُ المخالفينَ فيهِ منَ المنتسبينَ إلى الإسلامِ وطولُ الكلامِ فيهِ مِن أهلِ السنّةِ لتقريرِ الحقّ وقيلَ لأنَّ أشهرَ الخلافاتِ فيهِ مسألةُ كلامِ اللهِ تَعالى أنهُ قديمٌ -وهوَ الحقُّ- أو حادثٌ.

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله**». ج١ ص٢٠.

(٢) سورة محمد/ آية ١٩.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل. ج١ ص٢٦.

- فالحشويّةُ قالَت كلامُهُ تعَالى صوتٌ وحرفٌ، حتى بالغَ بعضُهم فقالَ إنَّ صوتَ القارئ للقرآن أزليٌّ قديمٌ وإنَّ أشكالَ الحروفِ التي في المصحفِ أزليّةٌ قديمةٌ فخَرجوا عَن دائرةِ العَقلِ.
- وقالَت طائفةٌ أخرى إنَّ الله تَعالى متكلّمٌ بمعنى أنهُ خالقُ الكلامِ في غيرِهِ كالشّجرةِ التي سمعَ عندَها موسَى كلامَ الله لا بمعنى أنهُ قامَ بذاتِ الله كلامٌ هوَ صفةٌ مِن صفاتِهِ وهُم المعتزلةُ قبّحهُم الله.
- وقالَ أهلُ السّنةِ إنَّ الله متكلّمٌ بكلام ذاتيّ أزليّ أبديّ ليسَ حرفًا ولا صوتًا ولا يختلفُ باختلافِ اللغاتِ. قال ابنُ عساكر في كتابِهِ «تبيينُ كذبِ المفتري»[1] «قالتِ المعتزلةُ كلامُ اللهِ مخلوقٌ مخترَعٌ مبتدَعٌ، وقالتِ الحشويةُ المجسمةُ الحروفُ المقطعةُ والأجسامُ التي يكتبُ عليها والألوانُ التي يكتبُ بها وما بينَ الدفتينِ كلُّها قديمةٌ أزليةٌ فسلكَ رضي الله عنه -أي أبو الحسنِ الأشعريُّ- طريقةً بينهما فقالَ القرآنُ كلامُ الله قديمٌ غيرُ مغيرٍ ولا مخلوقٍ ولا حادثٍ ولا مبتدعٍ» اهـ.

• موضوعُ علمِ الكلامِ[2] هوَ النظرُ أيِ الاستدلالُ بخلقِ الله تَعالى لإثباتِ وجودِهِ وصفاتِهِ الكماليّةِ وبالنصوصِ الشّرعيةِ المستخرَجِ منها البراهينُ وهوَ على قانونِ الإسلامِ لا على أصولِ الفلاسفةِ فإنَّ لهم كلامًا في ذلكَ يُعرَفُ عندَهُم بالإلهيّاتِ، وعلماءُ التوحيدِ لا يتكلّمونَ في حقّ الله وفي حقّ الملائكةِ وغيرِ ذلكَ اعتمادًا على مجرّدِ النّظرِ بالعقلِ بل يتكلّمونَ في ذلكَ مِن بابِ الاستشهادِ بالعقلِ على صحّةِ

---

(١) ابن عساكر. تبيين كذب المفتري. ص١٥٠.

(٢) قال الغزالي في إحياء علوم الدين «وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التي نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير» اهـ. ج١ ص٤٠ وقال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الحديثية ما نصه: «وأما تعلم الحجج الكلامية والقيام بها للرد على المخالفين فهو فرض كفاية» اهـ. ج١ ص٤٨٩.

ما جاءَ عَن رَسولِ الله ﷺ فالعقلُ عند علماءِ التوحيدِ شاهدٌ للشّرعِ ليسَ أصلًا للدّين وأما الفلاسفةُ فجعلوهُ أصلًا مِن غيرِ التفاتٍ إلى ما جاءَ عنِ الأنبياءِ على أنَّ النَّظرَ العقليَّ السَّليمَ لا يخرجُ عمّا جاءَ بهِ الشّرعُ ولا يَتناقضُ معهُ[1].

- وقد حثَّ الله عبادَهُ في القُرآنِ على النّظرِ في مَلكوتهِ لمعرفةِ جبروتهِ فقالَ تَعالى ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2] وقالَ تَعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾[3].

- فإنْ قيلَ لم يُنقَل أنهُ ﷺ علّمَ أحدًا مِن أصحابهِ هذا العلمَ ولا عَن أحدٍ مِن أصحابهِ أنهُ تعلّمَ أو علّمَ غيرَهُ وإنما حدَثَ هذا العلمُ بعدَ انقراضِهم بزمانٍ فلو كانَ هذا العلمُ مُهمًّا في الدّينِ لكانَ أَولى بهِ الصّحابةُ والتابعونَ.

- قُلنا إنْ عُنيَ بهذا المقالِ أنهم لم يَعلموا ذاتَ الله وصفاتهِ وتوحيدَهُ وتنْزيهَهُ وحقيَّةَ رسولِهِ وصحّةَ معجزاتهِ بدلالةِ العقلِ بل أقرّوا بذلكَ تقليدًا فهوَ بعيدٌ منَ القولِ شنيعٌ منَ الكلامِ، وقَد ردَّ الله عزَّ وجلَّ في كتابهِ على مَن قلّدَ آباءَهُ في عبادةِ الأصنامِ بقولِه ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[4] أيْ أنَّ أولَئكَ اقتدوا بآبائِهم في إشراكِهم بغيرِ دليلٍ يقومُ على صحّةِ ذلكَ الدّينِ، وهذا يُفهَمُ منهُ أنَّ علمَ الدّليلِ مطلوبٌ. قالَ أبو حنيفةَ رضي الله عنهُ [5] جوابًا على مَن يقولُ لِمَ تتكلّمون بعلمِ الكلامِ والصّحابةُ لم يتكلّموا فيهِ؟ «إنّما مَثَلُهُم كأُناسٍ لَيسَ بحضرَتِهم مَن يُقاتِلُهُم فَلَم يَحتاجُوا إلى إبرازِ السّلاحِ ومَثَلُنا كَـأُناسٍ بحضرَتِهم مَن يُقاتِلُهُم فاحتَاجُوا إلى إبرازِ

(١) انظر كشاف اصطلاحات الفنون للتهاوني وكتاب المواقف للإيجي.

(٢) سورة الأعراف/ آية ١٨٥.

(٣) سورة فصلت/ آية ٥٣.

(٤) سورة الزخرف/ آية ٢٣.

(٥) البياضي. إشارات المرام. ص٣٢.

السلاحِ»[1] اهـ.

- وإنْ أُريدَ أنَّ الصّحابةَ لم يتلفَّظُوا بهذهِ العباراتِ المصطلحةِ عندَ أهلِ هذهِ الصّناعةِ نحو الجوهرِ والعرضِ والجائزِ والمحالِ والحدثِ والقدمِ فهذا مُسَلَّمٌ بهِ لكنّنا نعارضُ هذا بمثلهِ في سائرِ العلومِ، فإنهُ لم يُنقَل عنِ النبيِّ ﷺ ولا عَن أصحابهِ التلفّظُ بالناسخِ[2] والمنسوخِ والمجملِ[3] والمتشابهِ[4] وغيرِها كما هوَ المستعملُ عندَ أهلِ التفسيرِ ولا بالقياسِ[5] والاستحسانِ[6]

(١) وقال الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه في إشارات المرام ممزوجًا بكلام الشارح البياضي ص٣٢ وما بعدها ما نصه: «[وأصحاب رسول الله ﷺ إنما لم يدخلوا فيه] أي فيما فيه اختلاف الأمة من الاعتقادات [لأن مثلهم] بإفنائهم الزائغين بعد كشف شبههم لإصرارهم في اللجاج لم يحوج إلى التوغل في الاحتجاج، وصار مثلهم فيه وحالهم [كقوم ليس بحضرتهم من يقاتلهم] ويبرز لهم [فلا يتكلفون] ولا يظهرون الكلفة والمشقة في تعاطيهم [السلاح] لدفع من لم يقاتلهم» اهـ. ثم قال «[ونحن قد ابتلينا] في عصرنا [بمن يطعن] في الاعتقاديات [علينا] من أهل البدع والأهواء [ويستحلّ الدماء منا] ويستطيلون علينا لشيوع بدعتهم، ونصرة بعض ملوك السوء لهم، كيزيد ابن الوليد ومروان بن محمد من الأموية كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي وغيره، [فلا يسعنا أن لا نعمل] بإقامة البراهين اليقينية [من المخطئ منا] أي من المتخالفين [ومن المصيب، وأن لا نذب] ونمنع المخالفين بإقامة الحجج عليهم وإبطال نِحَلِهِم [عن] الاستطالة على [أنفسنا وحرمنا، فقد ابتلينا بمن يقاتلنا] من أهل الأهواء بإظهار الشبه والإغراء الذي هو القتال المعنوي [فلا بد لنا] في دفعهم وإزالة شبههم [من] إقامة الحجج الساطعة والبراهين القاطعة التي في معنى [السلاح] فقد أشار إلى أن البحث فيه والمحاجة صارت من الفروض على الكفاية دون البدع المنهية، وصرّح به في «الملتقط» و«التتار خانية» اهـ.

(٢) النَّسخ معناه الإزالة، وحَدّه هو الخطابُ الدالّ على رفع الحكم الثابت بالخطابِ المتقدّم على وجه لولاه لكان ثابتًا مع تراخيه عنه، ويقال رفع حكم شرعي سابق بحكم شرعي لاحق.

(٣) المجمل ما لا يعقل معناه من لفظه عند سماعه ويفتقر في معرفة المراد منه إلى غيره.

(٤) المتشابه هو ما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدًا من خلقه كوجبة قيام الساعة.

(٥) القياس هو رد الفرع إلى الأصل بعلة تجمعهما في الحكم.

(٦) الاستحسان هو العدول بحكم المسألة عن حكم نظائرها لدليل يخصها.

والمعارضةِ[١] والمناقضةِ[٢] والطّردِ[٣] والشّرطِ[٤] والسّببِ والعلّةِ[٥] وغيرها كما هوَ المستعملُ عندَ الفقهاءِ ولا بالجرحِ والتعديلِ والآحادِ والمشهورِ والمتواترِ[٦] والصّحيحِ[٧] والغريبِ[٨] وغيرِ ذلكَ كما هوَ مستعملٌ عندَ أهلِ الحديثِ فهَل لقائلٍ أن يقولَ يجبُ رفضُ هذهِ العلومِ لهذهِ العلّةِ، على أنهُ في عصرِ النبيِّ ﷺ لم تظهَرِ الأهواءُ والبِدعُ فلَم تَدعُ الحاجة إلى الدّخولِ في التفاصيلِ والاصطلاحاتِ.

- وهذا العلمُ أصلُهُ كانَ موجودًا بينَ الصّحابةِ متوفّرًا بينَهُم أكثرَ ممن جاءَ بعدَهُم والكلامُ فيهِ بالردّ على أهلِ البدعِ بدأَ في عصرِ الصّحابةِ فقَد ردَّ ابنُ عبّاسٍ[٩] وابنُ عمرَ على المعتزلةِ[١٠]، ومنَ التابعين ردَّ عليهِم عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ[١١] والحسنُ بنُ محمّدِ ابن الحنفيّةِ وغيرُهما. وقَد قطعَ عليٌّ كرّمَ الله وجهَهُ الخوارجَ بالحجّةِ وقطعَ دَهريًّا[١٢] وأقامَ الحجّةَ على أربعين رجلًا منَ اليهودِ المجسّمةِ

---

(١) المعارضة هي إقامة الدليل للخصم على خلاف ما أقام عليه الدليل.

(٢) المناقضة هي منع بعض مقدمات الدليل أو كلها مفصلًا.

(٣) الطرد وجود الحكم عند وجود الوصف.

(٤) الشرط هو ما لا يصح المشروط إلا به.

(٥) العلة هي المعنى الذي يقتضي الحكم.

(٦) الحديث المتواتر هو الحديث الذي نقله من يحصل العلم بصدقهم ضرورة عن مثلهم من أوله إلى آخره.

(٧) الحديث الصحيح هو الحديث الذي اتصل إسناده بنقل عدل ضابط من غير شذوذ وعلة وقدح.

(٨) الحديث الغريب هو الحديث الذي ينفرد به بعض الرواة.

(٩) قال ابن عباس رضي الله عنهما كلام القدرية كفر اهـ ابن أبي حاتم. تفسير ابن أبي حاتم. سورة القمر. ج١٢ ص ٢٦١، اللالكائي. اعتقاد أهل السنة. ج٤ ص٦٤٤.

(١٠) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ج١ ص٢٨.

(١١) القرطبي. تفسير القرطبي. تفسير سورة يس. ج١٥ ص ١١.

(١٢) الدهرية هم القائلون بأن هذا العالم وجد صدفة أو بفعل الطبيعة وأنه ليس له خالق.

بكلام نفيسٍ مُطنَبٍ[١] وقطعَ الحبْرُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهُما الخوارجَ بالحجّةِ أيضًا[٢] وقطعَ إياسُ بنُ مُعاويةَ القاضي القَدريةَ[٣] وقطعَ الخليفةُ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ أصحابَ شَوْذَب الخارجيّ وألّفَ رسالةً في الردّ على المعتزلةِ وهيَ رسالةٌ وَجيزةٌ وقطعَ ربيعةُ الرأيِ شَيخُ الإمام مالكٍ غيلانَ بنَ مُسلِمٍ أبا مروانَ القَدَريّ[٤]. وكذلكَ اشتغلَ بهذا العلمِ الحسنُ البِصريُّ وهوَ مِن أكابرِ التابعين.

- فإن قيلَ روَى البيهقيُّ بإسنادٍ صحيح عنِ ابنِ عبّاسٍ أنهُ قالَ «تفكّروا في كلّ شيءٍ ولا تفكّروا في ذاتِ الله»[٥] اهـ فهوَ مَنهيٌّ عنهُ. فالجوابُ أنَّ النهيَ وردَ عنِ التفكّرِ في الخالقِ معَ الأمرِ بالتفكّرِ في الخلقِ فإنهُ يُوجبُ النظرَ وإعمالَ الفكرِ والتأمّلَ في ملكوتِ السمٰوات والأرضِ ليستدلَّ بذلكَ على وجودِ الصّانع وعلى أنهُ لا يُشبهُ شيئًا مِن خَلقهِ ومَن لم يَعرفِ الخالقَ منَ المخلوقِ كيفَ يَعمل بهذا الأثرِ الصّحيح. وقَد أمرَ القُرآنُ بتعلّم الأدلّةِ عَلى العقائدِ الإسلاميّةِ عَلى وُجودهِ تَعالى وعَلى ثُبوتِ العِلمِ لهُ والقُدرةِ والمشيئةِ والوحدانيّةِ وغيرِ ذلكَ. ولم يَطعن إمامٌ مُعتبرٌ في هذا العلمِ الذي هوَ مَقصدُ أهلِ السّنةِ والجماعةِ منَ السّلفِ والخلفِ.

- وما يُروَى عنِ الشّافعيّ أنهُ قالَ «لأَن يَلقى اللهَ العَبدُ بكلّ ذنبٍ ما عَدا الشّرك خَيرٌ لهُ مِن أَن يَلقاهُ بعِلمِ الكَلام» بهذا اللفظِ فهوَ غيرُ ثابتٍ عنهُ، واللفظُ الثابتُ عنهُ هوَ «لأَن يَلقى اللهَ عزَّ وجلَّ العبدُ بكلّ ذنبٍ ما خَلا الشّركَ خيرٌ

(١) الأسفراييني. التبصير في الدين. ص٤٦-٤٧.

(٢) الأسفراييني. التبصير في الدين. ص٩٣.

(٣) البيهقي. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد. ص ١٥٠.

(٤) الزرقاني. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك. النهي عن القول بالقدر. ج٤ ص٣٠٩.

(٥) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما ذكر في الذات. ص٣٦٠.

لهُ مِن أن يلقَاهُ بشَىءٍ مِن هذهِ الأَهواءِ[١]» اه[٢] والأهواءُ جمعُ هوًى وهوَ ما مالَت إليهِ نفوسُ المبتدعةِ الخارجينَ عمّا كانَ عليهِ السّلفُ أيْ ما تعلّقَ بهِ البدعيّونَ في الاعتقادِ كالخوارجِ والمرجئةِ والنجّاريّةِ[٣] وغيرِهم وهمُ الاثنتانِ والسّبعونَ فرقة كمَا وردَ في الحديثِ المشهورِ «**وإنَّ هذهِ الملّةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقة اثنتانِ وسبعونَ في النارِ وواحدة في الجَنةِ وهيَ الجماعةُ**» رواهُ أبو داودَ[٤]. فليسَ كلامُ الشافعيّ على إطلاقهِ إنما هوَ في المبتدعةِ القدريّةِ وغيرِهم الذينَ جانَبوا نصوصَ الشّريعةِ كتابًا وسنةً وتعمّقوا في الأهواءِ الفاسدةِ، وأما الكلامُ الموافقُ للكتابِ والسّنةِ الموضحُ لحقائقِ الشّريعةِ عندَ ظهورِ الفتنةِ فهوَ محمودٌ عندَ العلماءِ قاطبةً لم يَذمّهُ الشافعيُّ وقَد كانَ يُحْسِنُهُ ويَفهمهُ وقَد ناظرَ بشرًا المريسيّ وحفصًا الفردَ فقطعَهُما[٥].

- قالَ الحافظُ ابنُ عساكر في كتابهِ الذي ألّفهُ في الدّفاعِ عن الإمامِ الأشعريّ وبيّنَ فيهِ كذبَ مَنِ افترَى عليهِ ما نصّهُ[٦] «والكلامُ المذمومُ كلامُ أصحابِ الأهويةِ وما يُزخرفهُ أربابُ البدَعِ المرديةِ فأما الكلامُ الموافقُ للكتابِ والسّنةِ الموضحُ لحقائقِ الأُصولِ عندَ ظهورِ الفتنةِ فهوَ محمودٌ عندَ العلماءِ ومَن يعلمهُ وقَد كانَ الشافعيُّ يحسنهُ ويَفهمهُ وقَد تكلَّمَ معَ غيرِ واحدٍ ممن ابتدعَ وأقامَ الحجّةَ عليهِ» اه.

---

(١) قال الفيومي اللغوي: «والهوى مقصور مصدر هَوِيْتُه من باب تعب إذا أحببته وعلقت به ثم أطلق على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء ثم استعمل في ميل مذموم فيقال اتبع هواه وهو من أهل الأهواء» اهـ. الفيومي. المصباح المنير. ص ٢٤٦.

(٢) ابن عساكر. تبيين كذب المفتري. ص٣٣٧.

(٣) النجارية هم أتباع محمد النجار ويوافقون القدرية في بعض الأصول مثل نفي الرؤية ونفي الحياة والقدرة عن الله ويقولون بحدوث الكلام. الأسفراييني. التبصير في الدين. ج١ ص١٠١.

(٤) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب السنة: باب شرح السنة. ج٤ ص١٩٨.

(٥) مناقب الشافعي ج١ ص٤٠٧، ابن عساكر. تبيين كذب المفتري. ص٣٣٩-٣٤٠.

(٦) ابن عساكر. تبيين كذب المفتري. ص ٣٣٩.

• وللإمامِ أبي حنيفةَ رضي الله عنهُ «الفقهُ الأكبرُ» و«الرّسالةُ» و«الفقهُ الأبسطُ» و«العالمُ والمتعلّمُ» و«الوصيّةُ»[١].

• والإمامُ أبو حنيفةَ وصاحباهُ أوّلُ مَن تكلّمَ في أصولِ الدّينِ بالتوسّعِ وأتقَنها بقواطعِ البراهينِ على رأسِ المائةِ الأُولى وقَد ناظرَ الإمامُ أبو حنيفةَ فرقةَ الخوارجِ والرّوافضِ والقدريّةِ والدّهريّةِ وكانَت دُعاتهم بالبَصرةِ فسافرَ إليها نيّفًا وعشرينَ مرّة وفضَّهُم بالأدلّةِ الباهرةِ وبلغَ في الكلامِ -أي علمِ التوحيدِ- إلى أنهُ كانَ المشار إليهِ بينَ الأنامِ واقتدَى بهِ تلامذتهُ الأعلامُ.

• وعنِ الإمامِ أبي عبدِ الله الصيمريّ أنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ كانَ مُتكلّم هذةِ الأمةِ في زمانهِ وفقيههم في الحلالِ والحرامِ[٢] اهـ.

• وقالَ الزركشيُّ في تشنيفِ المسامعِ[٣] «إنَّ الأئمةَ انتدبُوا للردّ على أهلِ البدعِ والضّلالِ وقَد صنّفَ الشافعيُّ كتابَ «القياسِ» ردَّ فيهِ على مَن قالَ بقِدمِ العالمِ منَ الملحدينَ وكتابَ «الردّ على البراهمةِ[٤]» وغيرَ ذلكَ، وأبو حَنيفةَ كتابَ «الفقهِ الأكبرِ» وكتابَ «العالمِ والمتعلّم» ردَّ فيهِ على المخالفينَ، وكذلكَ مالكٌ سُئلَ عن مسائلَ في هذا العلمِ فأجابَ عنها بالطّريقِ القويمِ وكذلكَ الإمامُ أحمدُ» اهـ.

• وقَد صنّفَ سيّدُ المحدّثينَ في زمانهِ محمّدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ المتوفّى سنةَ ٢٥٦هـ كتابَ «خلقِ أفعالِ العبادِ» وصنّفَ المحدّثُ نعيمُ بنُ حمّادٍ الخُزاعيُّ

---

(١) قال مرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: «إنها ثابتة بالإسناد الصحيح» اهـ. ج٢ ص١٣-١٤.

(٢) مرتضى الزبيدي. إتحاف السادة المتقين. ج٢ ص١٤.

(٣) الزركشي. تشنيف المسامع. ج٢ ص٣٥٣.

(٤) البراهمة طائفة ينكرون جميع الأنبياء لكنهم يقولون بحدوث العالم وتوحيد الصانع. الأسفراييني. التبصير في الدين. ج١ ص١٥٠.

وهوَ مِن أقرانِ الإمامِ أحمدَ المتوفّى في حبسِ الواثقِ سنةَ ٢٢٨هـ كتابًا في الردّ على الجهميّةِ وغيرِهِم وصنّفَ المحدّثُ محمّدُ بنُ أسلَم الطّوسيّ المتوفّى سنةَ ٢٤٢هـ وهوَ مِن أقرانِ الإمامِ أحمدَ أيضًا في الردّ على الجهميّةِ وقَد ردّ على المعتزلةِ فأجادَ بالتأليفِ ثلاثةٌ مِن علماءِ السّنةِ مِن أقرانِ الإمامِ أحمدَ بنِ حنبلٍ الحارثُ المحاسِبيُّ والحسينُ الكرابيسيُّ وعبدُ الله بنُ سَعيدِ بنِ كُلّابٍ المتوفّى بعدَ الأربعينَ ومائتينِ بقليلٍ ويمتازُ الأولُ بإمامتهِ أيضًا في التصوّفِ.

- وقَد صنّفَ إماما أهلِ السّنةِ والجماعةِ في عصرِهما وبعدَهُ إلى يومنا هذا أبو الحسنِ الأشعريُّ وأبو منصورٍ الماتريديُّ المصنّفاتِ العظيمةَ في الردّ على طوائفِ المبتدعةِ والمخالفينَ للإسلام مملوءةً بحججِ المنقولِ والمعقولِ وامتازَ الأولُ بمناظراتهِ العديدةِ للمعتزلةِ بالبصرةِ التي فل بها حَدَّهم[1] وقللَ عددَهُم. وكانَت وفاةُ الأشعريّ في سنةِ أربعٍ وعشرينَ وثلاثمائةٍ للهجرةِ وتوفّي الشيخُ أبو منصورٍ بعدَ وفاةِ الأشعريّ بقليلٍ.

- وصنّفَ أتباعُهما مِن بعدِهما المئات مِنَ المجلّداتِ في الردّ على المبتدعةِ والمخالفينَ للإسلام بالحججِ الدّامغةِ الكثيرةِ والمناظراتِ العديدةِ قطعُوا بها المعتزلةَ الذينَ هُم أفحل طوائفِ المبتدعةِ كما قطعُوا غيرهُم منَ المبتدعةِ والدّهريينَ والفلاسفةِ والمنجّمينَ ورفعوا لواءَ مذهبِ الأشعريّ في الخافقَيْنِ[2] وأبرزُهم في نشرهِ ثلاثةٌ الأستاذُ أبو بكرِ بنُ فُورك وأبو إسحاقَ الأسفرايينيّ والقاضِي الإمامُ أبو بكرٍ الباقلانيُّ، فالأوّلانِ نشراهُ في المشرقِ والقاضي نشرهُ في المشرقِ والمغربِ فما جاءَتِ المائةُ الخامسةُ إلا والأمةُ الإسلاميّةُ أشعريّةٌ وماتريديّةٌ لم يشذَّ عنها سوَى نَزْرٍ منَ المعتزلةِ وشِرذمةٍ منَ المشبّهةِ وطائفةٍ منَ الخوارجِ فلا تجد عالـمًا محقّقًا أو فقيهًا مدقّقًا إلا وهوَ أشعريٌّ أو ماتريديٌّ.

---

(١) معناه كسر قوتهم.

(٢) المشرق والمغرب.

• وإنّ حالَ هؤلاءِ المنكرينَ لعلمِ الكلامِ لهو الموصوفُ بقولِ الشاعرِ فيهِم[1] (البسيط)

عابَ الكلامَ أُنـاسٌ لا عقولَ لهم ... ومـا عليهِ إذا عـابـوهُ مِـن ضررِ

ما ضرَّ شمسَ الضّحى في الأفْقِ طالعةً ... أن لا يَرى ضَوْءَها مَن ليسَ ذا بَصرِ

والله تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

(١) ابن حجر الهيتمي. الفتاوى الحديثية. ج١ ص٤٨٩.

المحاضرة الرابعة عشرة

الصفات الثلاث عشرة

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

تجبُ معرفة ثلاثَ عَشرَة صفةً واجبةً للهِ على كلّ مكلّفٍ ولا يجبُ عليهِ حفظُ ألفاظِها بلِ الواجبُ اعتقادُ معانيها، وقَد تكرّرَ ذِكرُها إما باللفظِ الظّاهرِ وإما بالمعنى الواردِ في النصوصِ أيْ في القرآنِ والحديثِ وهيَ:

١- الوجودُ، قالَ الله تَعالى ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[١] أيْ لا شكَّ في وُجودِ الله. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ «**كان الله ولم يكن شىء غيره**»[٢] والدّليلُ العقليُّ على وُجودهِ تَعالى وُجودُ هذا العَالم فالبناءُ لا بدَّ لهُ مِن بانٍ والكتابُ لا بدَّ لهُ مِن كاتبٍ وكذلكَ هذا العالَمُ لما ثبتَ حُدوثهُ عُلِمَ أنهُ لا بدَّ لهُ مِنْ خالقٍ أوجدَهُ وهوَ الله تَعالى إذْ لا يصحُّ في العقلِ أن يَخلُقَ الشّيءُ نفسَهُ ولا أن يُوجَدَ مُصادَفَةً مِن غَيرِ مُوجِدٍ ولا يَصحُّ أن يَكونَ الموجِدُ للعَالم طَبيعةً لأنَّ الطّبيعةَ لا إرادةَ لها فكيفَ تُخصّصُ المعدومَ بالوجودِ بدلَ العَدمِ ثم بحالةٍ دونَ أخرَى.

٢- الوحدانيةُ، قالَ الله تَعالى ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[٣] أيْ لَو

(١) سورة إبراهيم/ آية ١٠.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق. ج٤ ص٢٢٢.

(٣) سورة الأنبياء/ آية ٢٢.

كانَ للسّمـٰواتِ والأَرضِ آلهةٌ غيرُ الله لما وُجِدَتا فجَرَتا على انتظام. وكانَ النبيُّ عليه الصلاةُ والسلامُ إذا تعارَّ[1] من الليلِ يقولُ «**لا إلـٰهَ إلا الله الواحدُ القهارُ ربُّ السمٰوات والأرض وما بينهما العزيزُ الغفّارُ**»[2] إذْ لو كانَ للعَالمِ مُدَبّرانِ لوَجبَ أنْ يكونَ كلّ منهُما حيًّا عالِمًا قادرًا مختارًا غيرَ مجبَرٍ فلَو أَرادَ أحدُهما وجودَ شيءٍ وأرادَ الآخرُ عدمَهُ لم يُعقَل إلا نفاذُ مُرادِ أحدِهما دونَ الآخرِ لاستحالةِ نَفاذِ مُرادَيْهما في وقتٍ واحدٍ واستحالةِ عدم نَفاذِ مُرادَيْهما في الوَقتِ نفسهِ فالذي لم يَنفُذ مُرادُهُ عاجِزٌ والعاجزُ لا يكون إلـٰهًا ولا قديمًا.

٣- القِدَمُ أيِ الأزليةُ، قالَ الله تَعالى ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾[3]، وكان عليه الصلاةُ والسلامُ إذا أوى إلى فراشِهِ يقولُ «**اللهم ربَّ السمٰوات وربَّ الأرضِ ربَّ كلّ شيءٍ فالِقَ الحَبّ والنوى مُنَزّلَ التوراةِ والإنجيل والقرآنِ أعـوذُ بك من شرّ كلّ ذي شرّ أنت آخذٌ بناصيتِه، أنتَ الأولُ فليسَ قبلك شيءٌ وأنت الآخِرُ فليسَ بعدَك شيءٌ وأنت الظاهِرُ فليس فوقك شيءٌ وأنت الباطِنُ فليسَ دونك شيءٌ**»[4] فالله تباركَ وتعالى وحدَهُ الأولُ الذي لا ابتداءَ لوُجودهِ إذْ لو كانَ لوُجودهِ ابتداءٌ لكانَ محتاجًا لمن أوجدَهُ والمحتاجُ لا يكونُ إلـٰهًا ولا قَديمًا.

٤- البَقاءُ، قالَ الله تَعالى ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[5] أيْ يَبقَى ذاتهُ تَعالى. وقالَ عليه الصلاةُ والسلامُ «**وأنتَ الآخرُ فليس بعدَك شيءٌ**»[6]

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب ج٤ ص٩١: «تعار: هب من نومه واستيقظ» اهـ.

(٢) النسائي. السنن الكبرى. كتاب النعوت. ج٧ ص ١٣٥.

(٣) سورة الحديد/ آية ٣.

(٤) مسلم. صحيح مسلم. باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. ج٨ ص٧٨.

(٥) سورة الرحمن/ آية ٢٧.

(٦) مسلم. صحيح مسلم. باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع. ج٨ ص٧٨.

فيَستحيلُ عليهِ الفَناءُ لأنهُ ثبتَ لهُ تَعالى القِدَمُ فاستحالَ عليهِ العَدمُ عقلًا.

٥- القيامُ بالنفسِ، أي أن الله لا يحتاج لغيره وكل ما سواه يحتاج إليه سبحانه قالَ الله تَعالى ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[(١)]، وروى مسلم[(٢)] عَنْ أبي ذَرّ عَن النَّبىّ ﷺ في ما روى عن الله تباركَ وتعالى أنّهُ قالَ «**يا عبادِي إنّي حرَّمْتُ الظّلْـمَ على نفسِي وجعلتُهُ بينكُمْ محرَّمًا فلا تَظالَـمُوا، يا عِبادِي كلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا من هديتُهُ فاستهدُونِي أَهدِكمْ، يا عبادي كلّكُمْ جائعٌ إلا مَن أَطعمتُهُ فاستَطعمُونِي أُطعمْكُمْ، يا عبادِي كلُّكُمْ عارٍ إلَّا مَنْ كسوتُهُ فاستكسونِي أكسُكُمْ، يا عبادي إنكمْ تخطئُونَ بالليلِ والنَّهارِ وأنا أغفرُ الذّنوبَ جميعًا فاستغفرُونِي أَغفرْ لكم، يا عبادِي إنكم لـن تبلغُوا ضَرّي فتضرّونِي ولن تبلغوا نفعي فتنفعُونِي، يا عبادِي لو أنَّ أوّلكمْ وآخرَكُمْ وإنسَكُمْ وجنَّكُمْ كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكمْ ما زادَ ذلك في مُلكي شيئًا، يا عبادِي لو أنّ أوّلَكُمْ وآخرَكُمْ وإنسَكُمْ وجنَّكُمْ كانوا على أفجرِ قلبِ رجلٍ واحدٍ ما نقصَ ذلِك من مُلكي شيئًا، يا عبادِي لو أنَّ أوّلَكمْ وآخرَكُم وإنسَكُمْ وجِنَّكُم قاموا في صعيدٍ واحدٍ فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَهُ ما نقصَ ذلك مما عندي إلَّا كما ينقصُ المِخْيَطُ**[(٣)] **إذا أُدخلَ البحرَ، يا عبادي إنما هي أعمالُكُم أحصيها لكم ثـمّ أُوَفّيكُمْ إيّاها، فمن وجدَ خيرًا فليحمَدِ الله ومن وجدَ غيرَ ذلك فلا يلُومَنَّ إلَّا نفسَهُ**» إذْ لَو كانَ محتاجًا لم يكُنْ إلـٰهًا ولا قَديمًا.

٦- القدرةُ، قالَ الله تعالى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[(٤)]. وكان النبيُّ ﷺ يُعلّمُ أصحابَه الاستخارةَ كما يعلمُهم القرآنَ يقولُ «**اللهم إنّي أستخيرُكَ بعِلمِك**

(١) سورة آل عمران/ آية ٩٧.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. باب تحريم الظلم. ج٨ ص١٦.

(٣) أي لا ينقص شيئًا.

(٤) سورة المائدة/ آية ١٢٠.

وأَستَقدِرُك بقُدرَتِك وأسأُلُك مِن فضلِك العظيم فإنّك تقدِرُ ولا أقدِر وتعلمُ ولا أعلم وأنت عَلّام الغيوب» الحديثَ [١]، ولو لم يكن الله متصفًا بالقدرة لكان عاجزًا وهي صفةُ نقصٍ تعالى الله عن ذلك، ولو لم يكن متصفًا بالقدرةِ لما وُجِدَ شيءٌ مِن هذا العالمِ. والقدرةُ هيَ صفةٌ أزليةٌ أبديةٌ قائمةٌ بذاتِ الله أيْ ثابتةٌ لذاتِهِ بها يُؤثّرُ في المَمكناتِ العَقليةِ إيجادًا وإعدامًا.

٧- الإرادةُ أيِ المشيئةُ، قالَ الله تَعالى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]. وروى أبو داودَ في سننهِ[٣] أنّ النبيَّ ﷺ عَلَّمَ بعضَ بناتِه «**ما شاءَ الله كان وما لم يشأْ لم يكن**» والمشيئةُ هيَ صفةٌ أزليّةٌ أبديّةٌ قائمةٌ بذاتِ الله أي ثابتةٌ له بها يُخصّصُ الممكناتِ العقليّةَ ببَعضٍ ما يجوزُ عليهَا دونَ بَعضٍ ووقتٍ دونَ آخر.

٨- العلمُ، قالَ الله تَعالى ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾[٤]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ في حديث الاستخارةِ «**اللهم إنّي أستخيرُك بعلمِك**» الحديث[٥]. فالله يعلمُ بعلم واحدٍ أزليّ أبديّ لا يتجدّدُ ولا يزيدُ ولا ينقصُ. والجهلُ نقصٌ لا يليقُ بالله تعالى.

٩- السّمعُ، قالَ الله تَعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[٦]. وقال عليه الصلاةُ والسلامُ «**اِرْبَعوا على أنفسكم فإنكم لا تَدْعُون أصمَّ ولا غائبًا**

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾. ج٩ ص٢١١.

(٢) سورة التكوير/ آية ٢٩.

(٣) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الأدب: باب ما يقول إذا أصبح. ج٤ ص٣١٩.

(٤) سورة الطلاق/ آية ١٢.

(٥) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ﴾. ج٩ ص٢١١.

(٦) سورة غافر/ آية ٢٠.

وإنما تدعون سميعًا قريبًا» الحديثَ[١]. فالله تَعالى يَسمَعُ بسَمعٍ أزليّ أبديّ ليسَ كسَمعِنا يَسمَعُ بلا أُذنٍ ولا آلةٍ أخرَى. ولو لم يكن الله تَعالى متصفًا بالسمع لكان متصفًا بالصمم وهو نقص محال على الله.

١٠- البصرُ، قالَ الله تَعالى ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٢]. وفي حديث جبريل أنه قال يا محمد أخبرني عن الإحسان فقال عليه الصلاةُ والسلامُ «**أَنْ تعبُدَ الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» اهـ[٣]. فالله تَعالى يَرى برؤيتهِ الأزلية الأبديّةِ لا كأبصارِنا يرَى بلا حدقةٍ ولا آلةٍ أخرَى. ولو لم يكن الله متصفًا بصفة البصر لكان متصفًا بالعمى وهو نقص والنقص محال على الله.

١١- الحياةُ، قالَ الله تَعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[٤]. وروى مسلم في صحيحه[٥] وأحمد في مسنده[٦] أنّ النبي ﷺ كان يقول «**اللهم لك أسلمتُ وبك آمنتُ وعليك توكّلتُ وإليك أَنَبْتُ وبك خاصَمْتُ وأعوذ بعزّتك لا إلـٰه إلا أنت أن تُضِلّني أنت الحيُّ الذي لا يموت والجنُّ والإنسُ يموتون**» اهـ. فهوَ تَعالى حيٌّ بحياةٍ أزليّةٍ أبديّةٍ ليسَت برُوحٍ ولحمٍ ودمٍ وعصبٍ ومخّ، والعَصَبُ من أطناب المفاصل والمخُّ هوَ ما في دَاخلِ العَظمِ. ولو لم يكن الله متصفًا بالحياة لما صح اتصافه بالعلم والقدرة والمشيئة.

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجهاد والسير: باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير. ج٣ ص١٣٩.

(٢) سورة الشورى/ آية ١١.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. ج١ ص ٢٨.

(٤) سورة البقرة/ آية ٢٥٥.

(٥) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الصلاة: باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه. ج٢ ص١٨٤.

(٦) أحمد. مسند أحمد. باب مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. ج١ ص٣٠٢.

١٢- الكلامُ، قالَ الله تَعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[١] أيْ أسمَعَه كلامَه الأزليَّ الأبديَّ فتكليمُ الله أزليٌّ وموسَى وسماعُه لكلامِ الله حادثٌ[٢]. وقال رسول الله ﷺ «**ما منكم من أحدٍ إلا سيكلمه ربُّه يوم القيامة ليس بينه وبينه تَرجُمانٌ ولا حاجِبٌ يَحجُبُه**»[٣] وكلامُ الله ليسَ حَرفًا ولا صَوتًا ولا لغةً، وكلامُهُ تَعالى واحدٌ ليسَ مُتجزّئًا ولا مُتبعّضًا. ولو لم يكن الله متصفًا بصفةِ الكلامِ لاتّصف بالبَكَمِ وهو نقصٌ والنقصُ على الله محالٌ.

١٣- المخالفةُ للحوادثِ، قالَ الله تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[٤] معناهُ أنَّ الله تَعالى لا يُشبهُ شيئًا بوَجهٍ منَ الوجوهِ. ويروى أنه عليه الصلاةُ والسلامُ قال «**لا فِكرةَ في الربّ**» رواهُ أبو القاسمِ الأنصاريُّ كما تقدم[٥]. ولو كانَ الله يُشبهُ شيئًا من خلقِهِ بوجهٍ من الوجوهِ لجازَ عليه ما يجوزُ عليهم من حدوثٍ وفناءٍ وتطوّرٍ أي تنقّلٍ من حالٍ إلى حالٍ وتغيّرٍ من حالةِ القوةِ إلى الضعفِ أو من صفةِ الحياة إلى الموتِ وكلُّ ذلك من صفاتِ الحادثاتِ والألوهيةُ والحدوثُ لا يجتمعان.

- وصفاتُ الله الثابتةُ لذاتهِ تعالى أزليّةٌ أبديّةٌ فلا يُوصَفُ الله بصفةٍ حادثةٍ لم يَكُن مُتّصفًا بها في الأزلِ لأنَّ حدوثَ الصّفةِ بالذّاتِ يَستلزمُ حُدوثَ الذّاتِ المتصفِ بها لأنَّ مَعنى ذلكَ أنَّ الذاتَ لم يكُن متّصفًا بها ثم اتّصفَ بها أيْ تغيّرَ مِن حالٍ

(١) سورة النساء/ آية ١٦٤.

(٢) قال الثعالبي في تفسيره ج١ ص٣٨١: «وكلّم الله سبحانه موسى بكلام دون تكييف ولا تحديد ولا حرف ولا صوت» اهـ. وقال الرازي في تفسيره: «قال الأشعري إن الله تعالى أسمعه الكلام القديم الذي ليس بحرف ولا بصوت» اهـ. ج٢٢ ص١٧.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾. ج٩ ص ٢٣٧.

(٤) سورة الشورى/ آية ١١.

(٥) أبو القاسم الأنصاري. شرح الإرشاد. ص ٥٨-٦٠.

إلى حالٍ والمتغيّرُ مِن حالٍ إلى حالٍ محتاجٌ لمن غيّرَهُ والمحتاجُ لا يكونُ إلـٰهًا أزليًّا بَل مخلوقًا حادثًا.

ولأهميّةِ هذا البحثِ قالَ الإمامُ أبو حنيفةَ رضي الله عنه في «الوَصيةِ» «مَن قالَ بحدوثِ صفاتِ الله أو شكَّ أو توقّفَ فهوَ كافرٌ»[1] اهـ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

(١) ملا علي القاري. شرح الفقه الأكبر. ص٤٧.

المحاضرة الخامسة عشرة

صفةُ الوجودِ

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- الأصلُ الذي تُبنى عليهِ العقيدةُ الإسلاميةُ مَعرفةُ الله ومعرفةُ رسولِهِ، فمَعرفةُ الله هوَ العلمُ بأنهُ تَعالى موجودٌ، فيجبُ اعتقادُ أنهُ تَعالى مَوجودٌ في الأزلِ أيْ لا ابتداءَ لوجودِهِ.

- وقدِ استنكرَ بعضُ الناسِ قول «الله موجودٌ» لِكَونِ «موجود» على وزنِ مَفعول، والجوابُ أنَّ مَفعولًا قَد يُطلقُ على مَن لم يَقع عليهِ فِعلُ الغَيرِ كَما نقولُ الله معبودٌ، وهؤلاءِ ظنّوا بأنفسِهم أنَّ لهم نَصيبًا مِن علمِ اللغةِ وليسُوا كما ظنّوا. قالَ اللغويُّ الكبيرُ شارحُ القاموسِ الزبيديُّ في شرحِ الإحياءِ ما نصُّهُ[1] «والبارئ تَعالى موجودٌ فصحَّ أن يُرى» اهـ. ذكرَ ذلكَ في أكثرَ مِن موضعٍ مِن هذا الشرحِ وذكرهُ أيضًا في شرحِ القاموسِ. وقَد نقلَ الإجماعَ عَلى جوازِ تسميةِ الله موجودًا سعدُ الدّينِ التفتازانيُّ[2]، وقد ذكرَ الجوهريُّ وغيرهُ منَ اللغويين أنَّ العربَ قَد تُطلِقُ لفظَ المفعولِ بمعنى الفاعِلِ في كلماتٍ عديدةٍ[3]، مِن ذلكَ يقال عُنيَ

---

(١) مرتضى الزبيدي. إتحاف السادة المتقين. ج٢ ص١١٩. وقال ذلك أيضًا أبو المعالي الجويني في كتابه لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة. ج١ ص١١٦.

(٢) التفتازاني. شرح العقيدة النسفية. ص٧٠.

(٣) بدر الدين العيني الحنفي. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. ج١٧ ص٢٥٤.

بالشّيءِ فهوَ مَعنيٌّ بهِ أي مُعتنٍ بهِ، وزُهِيَ الرجلُ فهوَ مزهُوٌّ بمعنى تكبَّرَ فهوَ متكبّرٌ.

وليَعلَم هؤلاءِ المتهوّرونَ أنهم خالفوا الإجماعَ، وما خالفَ الإجماعَ فهوَ باطلٌ. ولو هُدُوا لمعرفةِ الصّوابِ لعَلموا أنَّ اللفظَ الذي يُعطي المعنى الذي لا يَليقُ بالله هوَ «مُوجَدٌ» بفتحِ الجيمِ اسمُ مفعولِ أوجَدَ يوجدُ. فالعَالمُ مُوجَدٌ بإيجادِ الله والله مُوجِدُهُ بكسرِ الجيمِ.

بيانُ إثباتِ الوجودِ للهِ

- قالَ تَعالى ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾[1] وقالَ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾[2] أيْ هوَ الذي لا ابتداءَ لوجودِهِ.
- ومن الحديث ما روى البخاريُّ في الصّحيح[3] والبيهقيُّ[4] وأبو بكرِ بنُ الجارودِ عَن عمرانَ بنِ الحُصينِ أنَّ رسولَ الله ﷺ جاءَه قومٌ مِن أهل اليَمنِ فقالوا «يا رسولَ الله جئناكَ لنَتفقَّهَ في الدّينِ ولنسألَكَ عَن بدءِ هذا الأمرِ ما كانَ»، وفي لفظٍ «عَن أولِ هذا الأمرِ»، قال «**كانَ الله ولم يكُن شيءٌ غيرُهُ وكانَ عرشُهُ على الماءِ وكتَبَ في الذّكرِ كُلَّ شيءٍ**». ورِوايةُ ابن الجارودِ فأنبِئنا عَن أوّلِ هذا الأمرِ، وهيَ عندَ البخاريّ أيضًا. وروايةُ البيهقيّ «**كانَ الله قبلَ كلّ شيءٍ**»، وذلكَ في كتابهِ «الأسماءِ والصفاتِ»[5]. فقد كانَ سؤالُهُم عَن أوّلِ العالَمِ ثم الرّسولُ ﷺ

(١) سورة إبراهيم/ آية ١٠.

(٢) سورة الحديد/ آية ٣.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق. ج٤ ص٢٢٢.

(٤) البيهقي. سنن البيهقي. كتاب السير: باب مبتدإ الخلق. ج٩ ص٢.

(٥) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ذكر الأسماء التي تتبع إثبات البارئ جل ثناؤه والاعتراف بوجوده جل وعلا. ص٢٥.

أجابَهُم بما هوَ أهَمُّ مِن ذلِك وهوَ قولهُ «**كانَ اللهُ ولم يكُن شَىءٌ غيرُهُ**» أيْ أنَّ اللهَ مَوجودٌ في الأزلِ لا ابتداءَ لوجودِهِ ولم يكُن في الأزلِ معهُ شَىءٌ أيْ لا زمانٌ ولا مكانٌ ولا أجرامٌ، وأتبَعَ ذلكَ جَوابَهُم بأنَّ الماءَ والعرشَ وُجِدا قبلَ غيرِهِما منَ المخلوقاتِ فأعلمَهُم أنّ الماءَ قبلَ العرشِ لأنهُ لما قالَ لهم «**وكانَ عَرشُهُ على الماءِ**» أفهمَهُم أنَّ الماءَ خُلقَ قبلَ العرشِ.

بيانُ الدّليلِ العقليّ على وجودِ الله

- وجودُ العالمِ دليلٌ على وجودِ الله. لأنهُ لا يصحُّ في العقلِ وجودُ فِعلٍ ما بدونِ فاعلٍ كَما لا يصحُّ وجودُ ضَربٍ بِلا ضاربٍ ووجودُ نَسخٍ وكتابة بِلا ناسخٍ وكاتبٍ.
- ولا يَصحُّ كونُ ذلكَ الفاعلِ طَبيعةً لأنَّ الطّبيعةَ لا إرادةَ لها فكيفَ تَخلُقُ؟ كيفَ تُخَصّصُ المعدومَ بالوجودِ بَدَلَ العَدَمِ ثمَّ بِحالةٍ دونَ حالةٍ؟
- ولا يصحُّ في العقلِ أن يكونَ الشّىءُ خالقَ نفسِهِ لأنَّ في ذلكَ جمعًا بينَ مُتنافيينِ لأنكَ إذا قُلتَ خَلَقَ زيدٌ نفسَهُ جَعلتَ زيدًا قبلَ نَفسِهِ بِاعتبارٍ ومُتأخّرًا عَن نفسِهِ بِاعتبارٍ، فباعتبارِ خَالِقيَّتِهِ جَعَلتَهُ متقدّمًا وباعتبارِ مخلوقِيَّتِهِ جعلته متأخّرًا وذلكَ مُحالٌ عقلًا.
- ولا يصحُّ في العقلِ أن يَخْلُقَ الشّىءُ مِثلَهُ أيْ مُشابِهَهُ لأنَّ أحدَ المِثلَيْنِ ليسَ بِأولى بأنْ يخلقَ مثلهُ منَ الآخرِ فالأبُ والابنُ لا يَصحُّ أن يخلقَ أحدُهُما الآخرَ لأن كُلًّا منهُما كانَ مَعدومًا ثُمَّ وُجِدَ.
- فمَن فكَّرَ بعقلِهِ عَلِمَ أنهُ كانَ بعدَ أن لم يَكُن، ومَن كانَ بعدَ أن لم يَكُن فلا بُدَّ لهُ مِن مُكَوِّنٍ أيْ مُحدِثٍ منَ العَدمِ فيَستَنْتِج قائلًا: أنا لا بُدَّ لي مِن مُكَوِّنٍ. وإيضاحُ ذلكَ أنكَ تعلَمُ أنَّ الإنسانَ يُخلَقُ في بَطنِ أُمهِ ثم يخرجُ وهوَ لا يَعلمُ

شيئًا ولا يتكلّمُ ولا يمشِي فيأخذُ في النّموِ شيئًا فشيئًا فيَتطوَّرُ فتحصلُ لهُ قوةُ مَشـي وكـلامٍ ويحصلُ لهُ عِلمٌ يَتجدَّدُ لهُ شيئًا فشيئًا حتى نشَأ طفلًا ثم صارَ شابًّا ثم كَهلًا ثم شيخًا ثم هَرِمًا. فانتقلَ مِن ضَعفٍ إلى قوةٍ ثم إلى ضَعفٍ فلا يُعقلُ أن يكونَ طَوَّرَ نَفْسَهُ بِنفسِهِ ولا يُعقلُ أن يكونَ الأبُ طوَّرَ الابنَ ولا يُعقَل أن تكونَ الطّبيعةُ مُطوّرتَهُ ولا يصحُّ في العقلِ أيضًا أن يكونَ تَطوّرُهُ بدونِ مُطَوّرٍ فثبتَ بطلانُ هذهِ التَّقديراتِ ووجبَ أن يكونَ بتطويرِ مُطَوّرٍ موصوفٍ بالحياةِ والعلمِ والقدرةِ والإرادةِ وُجودُهُ قديمٌ أيْ أزليٌّ وذلكَ المطوّرُ هوَ المسمّى الله. فإنْ قيلَ ما هوَ، قلنا مَوجودٌ لا كالموجوداتِ، ويُعَبَّرُ عنهُ بقولِ «شَيءٌ لا كالأشياءِ» أيْ مَوجودٌ حيٌّ لا كالأحياء، عالمٌ لا كالعُلماءِ، وقادرٌ لا كالقادرينَ، ومريدٌ لا كالمريدينَ، وذلكَ لأنهُ لَو كانَت حياتهُ تُشبهُ حياةَ غيرِهِ أو علمُهُ عِلمَ غيرِهِ أو قُدرتُهُ قُدرَةَ غيرِهِ أو إرادتهُ إرادةَ غيرِهِ لكانَ مُتَطوّرًا كغيرِهِ منَ الإنسانِ وسائرِ الأجسامِ ولاحتاجَ إلى مُطوّرٍ كما احتاجَت سائرُ المتطَوّراتِ لأنَّ المتماثلاتِ يجوزُ عليها عقلًا ما يجوزُ على بعضِها.

- والأجسامُ كُلُّها لَطائفها وكثائِفها حادثةٌ بإحداثِ مُحدِثٍ فاعلٍ مُختارٍ.

- فقَد ثبتَ وجودُ الحوادثِ بالعِيانِ فهيَ جائزةُ الوجودِ إذ يجوزُ عقلًا أن تَستمرَّ في العدمِ ولا توجدُ كما جازَ وجودُها بعدَ أَن كانَت مَعدومةً وجودًا حادثًا فإذا اختصّت بالوجودِ الممكنِ افتقرَت إلى مُخصّصٍ.

- ثم يستحيلُ أن يكونَ المخصّصُ طبيعةً لا اختيارَ لها ولا إرادةَ فلا يتأتّى منهَا تخصيصُ الجائزِ بالوجودِ بدلَ العدمِ وبوقتٍ دونَ وقتٍ أو بصفةٍ دونَ صفةٍ كتخصيصِ الإنسانِ بالمشي على رجليهِ بدلَ المشي على البَطنِ كالحيّةِ، فإنْ قالَ الملحدُونَ إنها قديمةٌ أزليّةٌ قلنا لا تَصحُّ الأزليّةُ إلا لموجودٍ ذي حياةٍ وعلمٍ وإرادةٍ وقدرةٍ، والطّبيعةُ ليسَت كذلكَ، وإن قالوا حادثةٌ، قلنا الحادثُ محتاجٌ لمحدِثٍ فهيَ تحتاجُ في وجودِها لمحدِثٍ أزليّ فاعلٍ بالإرادةِ والاختيارِ وإلا

لَزِمَ احتياجُ ذلكَ المحدِثِ إلى محدِثٍ، ومُحدِثُهُ إلى محدِثٍ إلى غيرِ نهايةٍ وذلكَ قولٌ بوجودِ حوادثَ لا أولَ لها وقَد تبيّن بطلانُ ذلكَ بالدّليلِ العقليّ. فوضحَ أنَّ مخصّصَ الحوادثِ فاعلٌ مختارٌ موصوفٌ بالإرادةِ والقدرةِ.

- وثبتَ أنَّ صانعَ العَالمِ لا يجوزُ عقلًا أن يكونَ فاعلًا بالإيجابِ، كقولِ الفلاسفةِ إنَّ وجودَ الله الأزليّ اقتضَى وجودَ العالمِ كاقتضاءِ وجودِ الشّمسِ وجود ضوئِها وسمَّوهُ علّةً للعالمِ.
- ولا يصحُّ أن يكونَ وجودُ العالمِ بالصُّدفةِ لأنَّ العقلَ يحيلُ وجودَ شيءٍ ما بدونِ فاعلٍ لأنهُ يلزمُ على ذلكَ محالٌ وهوَ ترجُّحُ وجودِ الجائزِ على عَدمهِ بدونِ مرجّحٍ وذلكَ لأنَّ وجودَ الممكنِ وعدَمهُ متساويانِ عقلًا فلا يترجّحُ أحدُهما عَلى مُقابلهِ إلا بمرجّحٍ.
- وتبيّنَ بما تقدّمَ استحالةُ استنادِ وجودِ الممكنِ العقليّ إلى ممكنٍ حادثٍ قبلهُ بالتسلسلِ إلى غيرِ نهايةٍ. فقولُ الملحد إنَّ وجودَ المحدَثاتِ الجزئيّةِ يتوقفُ على وجودِ أصولها ووُجودُ أُصولها يتوقّفُ علَى وجودِ أصولها حتى تنتهي إلى المادةِ الأولى؛ قالوا فينَتهي إليهَا وجودُ ما دونها، يُنْقَض عليهِ بأن يُقالَ تلكَ المادة على زعمِكَ قَد تطوّرَت وما تطوّرَ يجبُ عقلًا أن يكونَ لهُ مُطوّرٌ والمتطوّرُ حادثٌ والحادثُ لا بُدَّ لهُ مِن مُحدِثٍ فلا بُدَّ للمادةِ مِن مُحدِثٍ غيرِ حادثٍ. فإذًا مُحدِثُ المادةِ هوَ مُحدِثُ جميعِ ما انحلَّ منهَا مهما كثُرتِ الوسائطُ، فإذا قالَ الملحدُ الإنسانُ خلقَتهُ النطفَةُ والنطفةُ خلقَتْهَا الأغذيةُ النباتيةُ مِن حبوبٍ وغيرِها، قلنا الأغذيةُ مِن جملةِ الحوادثِ والحوادثُ لا يَصحُّ عقلًا استغناؤُها عَن فاعلٍ بالإرادةِ والاقتدارِ فلا يجوزُ عقلًا أَن تَخْلُق.

- واختلفَ المتكلّمونَ هل العلمُ بافتقارِ الحادثِ إلى مُحْدِثٍ ضَروريٌّ لا يفتقرُ إلى

دليلٍ ونظرٍ أم نظريٌّ، منهُم مَن قالَ ضَروريٌّ لا يفتقرُ إلى تفكّرٍ ونظرٍ حتى قالَ فخرُ الدّينِ الرازيُّ في «المعالم»[1] «إنَّ العلمَ بذلكَ مركوزٌ في فطرةِ طباعِ الصّبيانِ فإنكَ إذا لطَمتَ وجهَ الصَّبيّ مِن حيثُ لا يراكَ وقلتَ إنهُ حَصلتِ اللطمةُ مِن غيرِ فاعلٍ ألبتةَ لا يُصدّقُكَ بَل وفي فطرةِ البهائمِ فإنَّ الحمارَ إذا أحسَّ بصَوتِ الخشبةِ فزعَ لأنهُ تقرّرَ في فِطرتهِ أنَّ حصولَ صوتِ الخشبةِ بدونِ الخشبةِ محالٌ» اهـ. ثم قال: «ومنهُم مَن قالَ إنَّ العلمَ بذلكَ نظريٌّ وهوَ الصّحيحُ إلا أنهُ يحصلُ بنظرٍ قريبٍ ولأجلِ قُربهِ ظنَّ بعضُهم أنهُ ضروريٌّ» اهـ.

- ثم القولُ الصّحيحُ الاكتفاءُ بالاستدلالِ الطبيعيّ الذي في قلبِ كلّ مؤمنٍ، فهذا القدرُ لا بُدَّ منهُ في حقّ كلّ مؤمنٍ. وأما الاستدلالُ التفصيليُّ فهوَ واجبٌ وجوبًا كِفائيًّا.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(1) محمد ميارة. الدر الثمين والمورد المعين. ج1 ص26-27.

المحاضرة السادسة عشرة

صفةُ الإرادةِ

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- الإرادةُ صفةٌ قديمةٌ قائمةٌ بذاتِ اللهِ أيْ ثابتةٌ لذاتِهِ يخصّصُ بها الممكنَ العقليَّ بالوجودِ بدلَ العدمِ وبصفةٍ دونَ صفةٍ لأنَّ الممكناتِ العقليّةَ كانَت مَعدومةً ثم دخلَت في الوُجودِ بتخصيصِ اللهِ تَعالى لوُجودِها إذ كانَ في العقلِ جائزًا ألّا تُوجدَ فوُجودُها بتَخصيصِ اللهِ تَعالى، فلَولا تخصيصُ اللهِ تَعالى لَمَا وجِدَ منَ الممكناتِ العقليّةِ شيءٌ.
- فيُعلم مِن ذلكَ أنَّ اللهَ تَعالى خصَّصَ كلَّ شيءٍ دخلَ في الوجودِ بوجودِهِ بدلَ أن يبقَى معدومًا وبالصّفةِ التي هوَ عليها دونَ غيرِها، فتخصُّصُ الإنسانِ بصورتِهِ وشكلِهِ حاصلٌ بتخصيصِ اللهِ تَعالى لأنهُ كانَ في العقلِ جائزًا أَن يكونَ الإنسانُ عَلى غيرِ هذهِ الصّفةِ وعلى غيرِ هذا الشّكلِ ثم تخصّصُ الإنسانِ بوُجودِهِ في الوَقتِ الذي وجِدَ فيهِ هوَ بتخصيصٍ منَ اللهِ تَعالى لأنهُ لو شاءَ لجعلَ الإنسانَ أوّلَ العَالمِ لكنهُ لم يجعلْهُ أوّلَ العَالمِ بَل جَعلَهُ آخِر جنس العَالمِ فالفردُ الواحدُ منَّا يَعلمُ أنهُ ما أوجَدَ نفسَهُ عَلى هذا الشّكلِ ولا هوَ أَوجدَ نفسَهُ في هذا الزّمنِ الذي وُجِدَ فيهِ فوَجبَ أَن يكونَ ذلكَ بتخصيصِ مخصّصٍ وهوَ الموجودُ الأزليُّ المسمّى اللهُ.
- بُرهانُ وُجوبِ الإرادةِ للهِ أنهُ لو لم يَكُن مريدًا لم يُوجَد شيءٌ مِن هذا العالمِ، لأنَّ

العَالَم ممكنُ الوجودِ فوجودهُ ليسَ واجبًا لذاتهِ عقلًا، والعالمُ موجودٌ فعَلِمنا أنهُ ما وُجِدَ إلا بتخصيصٍ لوجودهِ وترجيحٍ لهُ على عَدمهِ، فثبتَ أنَّ الله تَعالى مريدٌ شاءٍ.

- ولا يجوزُ عقلًا عدمُ شمولِ إرادةِ الله لجَميعِ الممكناتِ وإلا لاحتاجَ إلى مُخصّصٍ خصّصهُ والمحتاجُ لا يكونُ إلـهًا.
- ثم الإرادةُ تابعةٌ للعلم فما عَلِمَ الله وُقوعَهُ فقَد أرادَ وُقوعَهُ وكلُّ ما عَلمَ الله عدمَ وقوعِهِ لم يُرد وقوعَهُ أَيْ لم يَشأه[1].
- والبرهانُ النّقليُّ على وجوب الإرادةِ للهِ قولُه تَعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾[2] أيْ أنهُ تباركَ وتَعالى يُوجِدُ ويَفعلُ المكوَّناتِ بإرادتهِ الأزليّةِ، وغيرُ ذلكَ منَ الأدلةِ الكثيرةِ.
- والإرادةُ بمعنى المشيئةِ عندَ أهلِ الحقّ شاملةٌ لأعمالِ العبادِ جميعِها الخيرِ منها والشرّ، فكلُّ ما دخلَ في الوجودِ مِن أعمالِ الشرّ مِن كفرٍ أو معاصٍ فبمشيئةِ الله وقعَ وحصلَ، وهذا كمالٌ في حقّ الله تَعالى لأنَّ شُمولَ القدرةِ والمشيئةِ لائِقٌ بجلالِ الله. فلو كانَ يقعُ في ملكهِ ما لا يشاءُ لكانَ ذلكَ دليلَ العجزِ والعجزُ مُستحيلٌ على الله.
- ثم ليسَتِ المشيئةُ تابعةً للأمرِ بدليلِ أنَّ الله تَعالى أمرَ إبراهيمَ بذبح ولدهِ إسماعيلَ ولكنهُ لم يَشأ ذبحَهُ. فإنْ قيلَ كيفَ يأمرُ بما لم يَشأ وُقوعَهُ، قلنا قد يأمرُ بما لم يَشأ كَما أنهُ عَلمَ بوُقوعِ شيءٍ منَ العبدِ ونهاهُ عَن فعلهِ.

---

(١) الإرادة على وجهين إرادة تكوين وإرادة محبة:
- فإرادة التكوين هي بمعنى المشيئة ومعناها التخصيص.
- وإرادة المحبة كقوله تعالى ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ سورة الأنفال/ آية ٦٧.

(٢) سورة هود/ آية ١٠٧.

- قد وردَ عنِ النبيّ ﷺ أنهُ عَلّمَ بعضَ بناتِهِ أن تقولَ «**ما شاءَ اللهُ كانَ وما لَمْ يَشأْ لَمْ يكُنْ**» رواهُ أبو داودَ في السّننِ[1] كما تقدم ورَوَى غيرُهُ ما في معناهُ.

مسألةٌ مهمةٌ تتعلقُ بمسألةِ الإرادةِ

الأمورُ على أربعةِ أقسامٍ:

الأوَّلُ شيءٌ شاءه اللهُ وأمرَ به وهو إيمانُ المؤمنين وطاعةُ الطائعين.

والثاني شيءٌ شاءه اللهُ ولم يأمرْ به وهو عِصيانُ العُصاةِ وكفرُ الكافرين، إلا أن اللهَ لا يحبُّ الكفرَ مع أنه خلقَه بمشيئتِهِ ولا يرضاهُ لعِبادِه.

والثالث أمرٌ لم يشأْه اللهُ وأمرَ به وهو الإيمانُ بالنسبةِ للكافرين الذين علمَ اللهُ أنّهم يمُوتون على الكفرِ أُمرُوا بالإيمان ولم يشأْه لهم.

والرابع أمرٌ لم يشأْه اللهُ ولم يأمرْ به وهوَ الكفرُ بالنسبةِ للأنبياءِ والملائكةِ.

- وخالفَ في ذلكَ المعتزلةُ فقالوا ما أمرَ بهِ فقَد شاءَهُ وإن لم يقَع، وما لم يأمُر بهِ لم يَشأ وقوعَهُ وإن وقعَ. فقَولهم هذا يؤدّي إلى نسبةِ العَجزِ إلى اللهِ حيثُ إنهم حَكموا أنهُ يجري في ملكِه ما لم يَشأ فجعلوه مغلوبًا مقهورًا.
- يحكَى أنهُ اجتمعَ معتزليٌّ ومجوسيٌّ في سفينةٍ فقالَ المعتزليُّ للمجوسيّ لماذا لا تُسلِم؟ فقالَ المجوسيُّ الله ما شاءَ لي، فقالَ المعتزليُّ إنَّ الله شاءَ لكَ ولكنَّ الشّيطانَ مَنعكَ، فقالَ المجوسيُّ إذًا أنا معَ الغالبِ.
- وحُكيَ[2] أنَّ أبا إسحاقَ الأسفراييني إمامَ أهلِ السّنةِ في وقتِهِ اجتمعَ عندَ الصّاحبِ بنِ عبّادٍ بالقاضي عبدِ الجبّارِ المعتزليَّينِ فقالَ عبدُ الجبّارِ سبحانَ

---

(١) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الأدب: باب ما يقول إذا أصبح. ج٤ ص٣١٩.

(٢) الرازي. التفسير الكبير. تفسير سورة الإسراء. ج٢١ ص٦١.

مَن تنزَّهَ عنِ الفَحشاءِ – يريد بزعمه أنّ الله منزّه عن خلق الشر–، فقالَ أبو إسحاقَ سُبحانَ مَن لا يجرِي في ملكهِ إلا ما يَشاءُ – يريد أنتم جعلتم الله مغلوبًا –، فقالَ عبدُ الجبّارِ أيُحبُّ ربُّنا أن يُعصى؟ – يريد بزعمه إذا قلنا الله شاء الشر معناه يحب الشر– فقالَ أبو إسحاقَ أيُعصَى ربُّنا قهرًا؟ فقالَ عبدُ الجبّارِ أرأيتَ إنْ مَنعني الهدَى وقضَى عَليَّ بالرَّدى أحسنَ إليَّ أم أساءَ؟ فقالَ أبو إسحاقَ إنْ منعكَ ما هوَ لكَ فقَد أساءَ وإلا فهوَ يَفعلُ في ملكهِ ما يَشاءُ. فسَكتَ عبدُ الجبّارِ وانقطعَ.

يعني الإمامُ أبو إسحاقَ أنهُ لا يكونُ ظُلمًا من الله ولا قَبيحًا منهُ أن يُعاقبَ العبدَ الكافرَ على كفرهِ الذي انساقَ إليهِ باختيارهِ لأنَّ الله تَعالى شاءَ في الأزلِ أن يَنساقَ هذا العبدُ باختيارهِ إلى الكفرِ وقَد أمرهُ بالإيمانِ.

- الحاصلُ أنَّ كلَّ ما وقعَ منَ العبادِ مِن أعمالهم حَسَنِها وقبيحِها إنما وقعَ ووُجدَ بمشيئةِ الله في الأزلِ لا فرقَ في ذلكَ بينَ ما كانَ مِن أعمالهم الاختياريّةِ أو غيرِ الاختياريّةِ.
- فمَن شاءَ الله لهُ السّعادةَ في الأزلِ لا بدَّ أن يختارَ الإيمانَ فيَسعدَ بفَضلِ الله وعَونهِ، ومَن شاءَ الله لهُ الشّقاوةَ فلا بدَّ أن يَكفُرَ باختيارهِ فيشقَى، فمَن قالَ إنَّ الله شاءَ السّعادةَ لجميعِ خلقهِ فخالفَ بعضُ العبادِ مَشيئتَهُ فضَلُّوا على رغم مشيئةِ الله فقَد كفرَ لأنهُ جعلَ الله مَغلوبًا حيثُ لم تتنفّذ مَشيئتهُ فيهم، ولأنهُ خالفَ قولَ الله تعالى ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[1] وقولَه تعالى ﴿وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(١) سورة السجدة/ آية ١٣.

(٢) سورة المائدة/ آية ٤١.

المحاضرة السابعة عشرة

صفةُ القُدرةِ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- يجبُ للهِ تَعالى القدرةُ على كلّ شيءٍ وهيَ صفةٌ أزليّةٌ ثابتةٌ لذاتِ الله تَعالى ويَصحُّ أن يُقالَ قائمةٌ بذاتِ الله تَعالى لأنَّ المعنى وَاحدٌ يُؤثّرُ الله تَعالى بها في الممكناتِ العقليّةِ إيجادًا وإعدامًا أيْ هي صفةٌ يتأتّى بها الإيجادُ والإعدامُ أَي يُوجِدُ بها المعدومَ منَ العدمِ ويُعدِمُ بها الموجود.

- والبرهانُ العَقليُّ على وُجُوبِها للهِ تَعالى هوَ أنهُ لو لم يَكن قادرًا لكانَ عاجزًا، ولو كانَ عاجزًا لم يُوجَد شيءٌ منَ المخلوقاتِ، والمخلوقاتُ مَوجودةٌ بالمشاهَدَةِ، والعَجزُ نَقصٌ، والنقصُ مُستَحيلٌ على الله إذْ مِن شَرطِ الإلهِ الكمالُ.

- وأما البرهانُ النقليُّ فقد وَرَدَ ذكرُ صفةِ القدرةِ للهِ تَعالى في القرآنِ الكريمِ في عدّةِ مواضعَ كقولِهِ تَعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾[1] والقوّةُ هيَ القدرةُ، وقولِه تَعالى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

- وقدرةُ الله تَعالى لا تتعلّقُ إلا بما يُجوّزُ العَقلُ وُجودَهُ وهوَ الممكناتُ العقليّةُ ويقالُ بعبارةٍ أخرى الجائزاتُ العقليّةُ، والمرادُ بالشّيءِ في الآيةِ السّابقةِ

---

(١) سورة الذاريات/ آية ٥٨.

(٢) سورة المائدة/ آية ١٢٠.

الممكناتُ العقليّةُ، والممكنُ العَقليُّ ما يَصحُّ وُجُودُهُ تارةً وعدَمُهُ تارةً أخرى فلا تتعلّقُ القُدرةُ بالواجبِ العَقليّ وهو ذاتُ الله وصِفاتُه ولا بالمستحيلِ العَقليّ أيْ ما لا يَقْبَلُ الوجودَ أصلًا لذاتِهِ، لذلكَ يَمتَنعُ أن يُقالَ هلِ الله قادرٌ على أن يَخْلُقَ مِثلَهُ أو عَلى أن يُعدِمَ نَفسَهُ فلا يُقالُ إنهُ عاجزٌ عَن ذلكَ ولا يُقالُ قادرٌ عَلى ذلكَ ولكن يُقالُ قدرةُ الله لا تتعلَّقُ بالواجبِ العقليّ ولا بالمستحيلِ العقليّ.

- وعدمُ تعلّقِ القدرةِ بالشّىءِ تارةً يكونُ لقصُورها عنهُ وذلكَ في المخلوقِ وتارةً لعدمِ قبولِ ذلكَ الشّىءِ الدّخولَ في الوجودِ أي حُدُوثَ الوُجود لِكونهِ مستَحيلًا عَقليًّا وتارةً يكونُ لعدم قَبولِ ذلكَ الشّىءِ العَدَمَ لكونِهِ واجِبًا عَقليًّا. أما المستحيلُ العَقليُّ فعَدَمُ قَبولهِ الدّخولَ في الوُجودِ ظاهِرٌ وأما الواجبُ العقليُّ فلا يَقبلُ حُدُوثَ الوجودِ لأنَّ وجودَهُ أزليٌّ.

- فرقٌ بينَ الوجودِ وبينَ الدّخولِ في الوجودِ، فالوجودُ يَشمَلُ الوجودَ الأزليَّ والوجودَ الحادِثَ وكلٌّ يُسمّى وجودًا، أما الدّخولُ في الوجودِ فهوَ الوجودُ الحادِثُ. فالواجبُ العقليُّ هوَ الله وصِفاتُهُ فالله وجودُهُ أزليٌّ وصفاتُهُ أزليّةٌ ولا يُقالُ للهِ ولا لصفاتِهِ داخلٌ في الوجودِ لأنَّ وجودَ الله وصفاته أزَليٌّ فقولُنا إنَّ الواجبَ العقليَّ لا يَقبلُ الدّخولَ في الوجودِ صَحيحٌ لكن يَقْصُرُ عنه أفهامُ المبتَدئينَ في العقيدةِ أما عندَ مَنْ مارسَ فهيَ واضحةُ المرادِ.

- وعدمُ تعلُّقِ القدرةِ بالشىء لقُصور القُدرةِ يسمّى عجزًا وهو منفيٌّ عن قدرة الله عزّ وجلّ، وأما عدم تعلق القدرة بالشىء لعدم قبولِه الوجودَ أو العدمَ فليس عجزًا وهذا ليس منفيًّا، بل نقولُ قدرةُ الله لا تتعلقُ بالواجبِ العقليّ ولا بالمستحيل العقلي، فلا يجوزُ أن يُقالَ عن واجبٍ عقليّ أو مستحيلٍ عقليّ إنَّ الله قادرٌ على ذلكَ ولا عاجزٌ، قالَ بعضُهم كما لا يقالُ عنِ الحجرِ عالمٌ أو جاهلٌ. وبما تقدم يجاب على قول بعض الناس والعياذ بالله: هَل يَقدِرُ الله عَلى أن يَخْلُقَ مثلَهُ فالجوابِ أن يقال قدرةُ الله لا تتعلّقُ بالمستحيلاتِ العقليَّةِ، فإنَّ

هذا القولَ فيهِ إثباتُ المحالِ العقليّ. بيانُ ذلكَ أنَّ اللهَ أزليٌّ فلو كانَ لهُ مثلٌ لكانَ هذا المثلُ أزليًّا أيضًا والأزليُّ لا يُخلقُ بلِ الحادثُ يُخلَقُ، وذلكَ السّؤالُ يَتضمّنُ كُفرًا وفيهِ محاولةٌ لتصحيحِ المحالِ العقليّ وذلكَ محالٌ إذ قلبُ الحقائقِ العقليّةِ محالٌ وخُروجٌ عَن دَائرةِ العقلِ.

- ونقلَ الزركشيُّ في تشنيفِ المسامعِ[1] ما ذكرهُ الأستاذُ أبو إسحاقَ الأسفراييني في كتابهِ «الترتيبِ في أصولِ الفقهِ» قولهُ «إنَّ أوّلَ مَن أُخِذَ منهُ مَعنى المحالِ وتحقيقهُ إدريسُ صلواتُ اللهِ وسلامه عليهِ حيثُ جاءهُ إبليسُ في صورةِ إنسانٍ وهوَ كانَ يَخِيط وفي كلّ دخلةٍ وخَرجةٍ يقولُ سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ فجاءهُ بقِشرةٍ وقالَ آللهُ تَعالى يقدرُ أن يجعلَ الدّنيا في هذهِ القشرةِ؟ فقالَ اللهُ تَعالى قادرٌ أن يجعلَ الدّنيا في سَمّ هذهِ الإبرةِ، ونخسَ بالإبرةِ في إحدَى عينيهِ وجعلهُ أعوَر. قالَ وهذا وإنْ لم يرد عَن رسولِ اللهِ ﷺ فقَدِ انتشرَ وظهرَ ظهورًا لا يُرَدّ. قالَ وقَد أخذَ الأشعريُّ من جوابِ إدريسَ أجوبةً في مسائلَ كثيرةٍ مِن هذا الجنسِ، وأوضحَ هذا الجوابَ فقالَ إنْ أرادَ السّائلُ بقولهِ إنَّ اللهَ يقدرُ أن يجعلَ الدّنيا في قشرةٍ أنَّ الدّنيا على ما هيَ عليهِ والقشرةُ على ما هيَ عليهِ فلَم يقُل ما يُعقلُ فإنَّ الأجسامَ الكثيرةَ يَستحيلُ أن تكونَ في هذهِ القشرةِ، وإنْ أرادَ أنه يُصَغِّرُ الدّنيا قَدرَ القِشرةِ ويجعلها فيها أو يُكَبّر القشرةَ قدرَ الدّنيا أو أكبرَ فيَجعلها في القشرةِ فلعَمرِي اللهُ قادرٌ على ذلكَ وعَلى أكثرَ منهُ. قلتُ وإنما لم يُفَصّل لهُ إدريسُ عليه الصلاة والسلام فكانَ الجوابُ هكذا لأنهُ مُعانِدٌ فلهذا عاقبهُ على هذا السّؤالِ بنخسِ العينِ وهوَ عقوبةُ كلّ سائلٍ مثلِه» اهـ.

- وخالفَ في ذلكَ ابنُ حَزمٍ فقالَ[2] «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ قادرٌ على أَن يتخذَ ولدًا إذ لَو لم يقْدِرْ عليهِ لكانَ عاجزًا» اهـ. وهذا الذي قالهُ غيرُ لازمٍ لأنَّ اتخاذَ الولَدِ

(١) الزركشي. تشنيف المسامع. ج٢ ص٢٥٨.

(٢) انظر المحلى لعلي بن حزم الظاهري. ج١ ص٣٣.

مُحالٌ على الله والمحالُ العقليُّ لا يَدْخُلُ تحتَ القدرةِ وكلامُ ابنِ حزم هذا تكذيبٌ للدّينِ والعياذُ بالله لأنَّ مَعنى كلامِهِ أنهُ يَجوزُ أن يَكونَ الأزليُّ حادثًا لأنَّ الذي يَنحلُّ منهُ شيءٌ يَكونُ حادِثًا مخلوقًا والله ليسَ كذلكَ فلا يُقالُ إنَّ الله قادرٌ على أن يتّخذَ ولدًا ولا يُقالُ إنهُ عاجزٌ عَن ذلكَ بل يَكْفُرُ مَنْ قالَ ذلكَ.

- فيُعلَمُ بما أسلَفنا أنَّ الله سبحانهُ وتَعالى مُتصفٌ بالقُدرةِ التامّةِ فلا يُعجزهُ شيءٌ ولا يمانعهُ أحدٌ فالله تَعالى قادرٌ عَلى كلّ شيءٍ وقدرةُ الله سبحانهُ تتعلّقُ بالممكنِ العقليّ ولا تتعلّقُ بالواجبِ العقليّ ولا بالمستحيلِ العقليّ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

المحاضرة الثامنة عشرة

كلامُ اللهِ تَعالى

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- كلامُ الله الذاتيُّ صفةٌ أزليةٌ أبديَّةٌ هو بها آمرٌ ناهٍ واعدٌ متوعدٌ، واللفظُ المنـزَّلُ يقالُ عنه أيضًا كلامُ الله لأنه عبارةٌ عن كلامِ الله الذاتيّ الأزليّ لا لأنه عينُ كلامِ الله الذاتيّ الذي هو صفتُهُ.
- قالَ الله تَعالى ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾[1]، الله سبحانهُ وتَعالى أزالَ الحجابَ المعنويَّ المانعَ مِن سماعِ كلامهِ الذاتيّ عَن سمعِ موسَى عليهِ السّلامُ فسمعَ كلامَ الله الذاتيّ الأزليّ الذي ليسَ حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً ولا يُبتدأ ولا يُختتمُ مِن غيرِ أن يَحُلّ في أذنِ موسَى ففهِمَ منهُ موسَى عليه السلام ما فهمَ فتكليمُ الله أزليّ وموسَى وسمعهُ لكلامِ الله حادثٌ.
- وكلامُ الله تَعالى الذي هوَ صفةٌ مِن صفاتهِ الثابتةِ لذاتهِ الأزليّ الأبديّ أزليٌّ لا ابتداءَ لهُ كباقي صفاتهِ تَعالى منَ الحياةِ والعلمِ والقدرةِ والسّمعِ والبصرِ فإنها أزليّةٌ وذلكَ لأنَّ الذاتَ الأزليَّ لا تقومُ بِهِ صفة حادثةٌ فيُعلمُ مِن ذلكَ أنَّ كلامَ الله الذاتيَّ لا يُبتدأُ ولا يختتمُ وليسَ حروفًا متعاقبةً يَسبقُ بعضُها بعضًا لأنَّ الذي يَسبقُ بعضُهُ بعضًا يكونُ حادثًا، وكلام الله ليسَ صوتًا يحدثُ مِن تصادُمِ الأجرامِ وليسَ لغةً عربيّةً ولا غيرها منَ اللغاتِ لأنَّ اللغاتِ حادثةٌ.

---

(١) سورة النساء/ آية ١٦٤.

• أما اللفظُ المنزّلُ على سيّدنا محمّدٍ ﷺ باللغةِ العربيّةِ المكتوبُ في المصاحفِ فهوَ حادثٌ مخلوقٌ لكنهُ ليسَ مِن تأليفِ ملكٍ ولا بَشرٍ، وجبريلُ سمعَ كلامَ الله الذاتيَّ الذي ليسَ حرفًا ولا صوتًا ففهمَ منهُ الأمرَ بأخذِ القرآنِ منَ اللوحِ المحفوظِ ثم النزولِ بهِ عَلى محمّدٍ وقراءته عليهِ ويدلُّ على ذلكَ قولهُ تَعالى ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾[1] أي جبريلَ بإجماعِ المفسّرينَ[2] أيْ مقروءُ جبريلَ، قال القرطبيُّ[3] «والرسول الكريم جبريل، قاله الحسن وقتادة والضحّاك. والمعنى إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ عن الله كَرِيم على الله» اهـ، فلو كانَ الله قرأَ القرآنَ على محمّدٍ بالحرفِ والصّوتِ لم يقُل إنهُ لَقولُ رسولٍ كريمٍ بل لقالَ إنهُ لقولُ ربِّ العالمينَ.

• ففي «الإتقانِ في علومِ القرآن»[4] «قال القطبُ الرازيُّ في «حواشي الكشّافِ» الإنزالُ لغةً بمعنى الإيواءِ وبمعنى تحريكِ الشيءِ من علوٍ إلى أسفل وكلاهما لا يتحققانِ في الكلامِ فهو مستعملٌ فيه في معنى مجازيّ فمن قالَ القرآنُ معنى قائمٌ بذاتِ الله تعالى فإنزالُه أن يوجِدَ الكلماتِ والحروفَ الدالّةَ على ذلك المعنى ويثبتَها في اللوحِ المحفوظِ ومن قالَ القرآنُ هو الألفاظُ فإنزالُه مجردُ إثباتِه في اللوحِ المحفوظِ وهذا المعنى مناسبٌ لكونه منقولًا عن المعنيَيْن اللغويَّيْن ويمكنُ أن يكونَ المرادُ بإنزالِه إثباتَهُ في السماءِ الدنيا بعد الإثباتِ في اللوحِ المحفوظِ وهذا مناسبٌ للمعنى الثاني» اهـ.

(١) سورة التكوير/ آية ١٩.

(٢) السيوطي. تفسير السيوطي. ج١٥ ص٢٣٠، الطبري. تفسير الطبري. ج٢٤ ص١٦٣، الرازي.التفسير الكبير. ج٢ ص٢٦٤.

(٣) القرطبي. تفسير القرطبي. ج١٩ ص٢٤٠.

(٤) السيوطي. الإتقان في علوم القرآن. ج١ ص١٢٥.

معنى قولِ اللهِ تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾

• أما قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ﴾[1] فمَعنى ﴿قَرَأۡنَٰهُ﴾ جمعناهُ لكَ في صَدرِكَ[2] لأنهُ عليهِ الصلاةُ والسّلامُ كانَ يحرّكُ لسانَهُ بالقُرآنِ وجبريلُ يقرأُ عليهِ لئَلا يتفلّتَ منهُ شيءٌ وليسَ معناهُ أنَّ الله قرأَ القرآنَ عَلى محمّدٍ بالحرفِ والصوتِ.

بيانُ أنَّ القرآنَ لهُ إطلاقانِ

- القرآنُ لهُ إطلاقانِ أيْ مَعنيانِ الأولُ إطلاقهُ على الكلامِ الذاتيّ الذي ليسَ حرفًا ولا صوتًا ولا لغةً، والثاني إطلاقُهُ على اللفظِ المنَزَّل وهوَ عبارةٌ عن الكلامِ الذاتيّ وليسَ هوَ عينَ الكلامِ الذاتيّ وتقريبُ ذلكَ أنَّ لفظَ الجلالةِ الله عبارةٌ عن الذاتِ الأزليّ الأبديّ فإذا كُتِبَ هذا اللفظُ فقيلَ ما هذا يقالُ الله بمعنى أنَّ هذهِ الحروفَ تدلُّ على ذلكَ الذاتِ الأزليّ الأبديّ لا بمعنى أنَّ هذهِ الحروفَ هيَ الذاتُ الذي نَعبدهُ.

وكلٌّ يُطلقُ عليهِ كلامُ الله أيْ أنَّ الكلامَ الذاتيَّ يقالُ لهُ كلامُ الله واللفظَ المنزّلَ يقالُ لهُ كلامُ الله ويدلُّ على ذلكَ قولهُ تَعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[3] لأنَّ الكفارَ يُريدونَ تبديلَ اللفظِ المنزّلِ.

فائدةٌ مهمّةٌ إنَّ مما استدلَ بهِ أهلُ الحقّ على أنَّ الكلامَ الذاتيَّ ليسَ حرفًا ولا

---

(١) سورة القيامة/ آية ١٨.

(٢) عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية: فإذا بيّناه فاعمل بما فيه، وحكي عنه أيضًا أنه قال: فإذا أنزلناه فاستمع قرآنه اهـ وقال قتادة فإذا تلي عليك فاتبع شرائعه وأحكامه اهـ الماوردي. النكت والعيون. ج٦ ص١٥٦.

(٣) سورة الفتح/ آية ١٥.

صوتًا ولا لغةً آياتٍ منها قولُه تَعالى ﴿ **ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ** ﴾[١] وذلكَ لأنَّ اللهَ يُكلّمُ كلَّ إنسانٍ يومَ القيامةِ فيُسْمِعُهُ كلامَهُ ويحاسبُ مَن يحاسبهُ منهُم بهِ، كما دلَّ على ذلكَ قولهُ عليهِ السّلامُ «**ما منكُم مِن أحدٍ إلا سيُكلّمهُ ربُّهُ يومَ القيامةِ ليسَ بينَهُ وبينَهُ تَرجمانٌ ولا حاجبٌ يحجبُه**» رواهُ البخاريُّ[٢]، فيَفهَمُ العبدُ مِن كلامِ الله السّؤالَ عَن أفعالهِ وأقوالهِ واعتقاداتهِ ويَنتهي الله مِن حِسابهم في وقتٍ قصيرٍ مِن مَوقفٍ مِن مَواقفِ يومِ القيامةِ. فلو كانَ حسابُ الله لخلقهِ مِن إنسٍ وجنّ بحرفٍ وصوتٍ ما كانَ يَنتهي مِن حِسابهم بمائةِ ألفِ سنةٍ لأنَّ الخلقَ كثيرٌ يأجوجُ ومأجوجُ وحدَهُم يومَ القيامةِ البشرُ كلّهم بالنسبةِ لهم كواحدٍ مِن مائةٍ وقيلَ كواحدٍ مِن ألفٍ، وبعضُ الجنّ يعيشونَ آلافًا منَ السّنينِ، وكذلكَ الناسُ منهُم مَن عاشَ ألفَ سنةٍ ومنهُم مَن عاشَ مئاتٍ منَ السّنينِ فلو كانَ حِسابهم بالحرفِ والصّوتِ لاستغرقَ حسابهم زمنًا طويلًا جدًّا ولم يَكُنِ الله أسرعَ الحاسبين بَل لكانَ أبطأَ الحاسبينَ، والله تَعالى يقولُ ﴿ **وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ** ﴾.

- وأما أحاديثُ الصوتِ فليس فيها ما يحتجُّ به في العقائدِ وقد ورد حديثٌ مختلَفٌ في بعضِ رواتِه وهو عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ عقيل، روى حديثَهُ البخاريُّ[٣] بصيغةِ التمريضِ قال «ويُذكر» وفيه «**فينادى بصوتٍ فيسمعُه من بَعُدَ كما يسمعُه من قَرُبَ أنا الملك أنا الديّانُ**» وإنما ذكرَهُ البخاريُّ بصيغةِ التمريضِ من أجل راويه

(١) سورة الأنعام/ آية ٦٢.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴾. ج٩ ص ٢٣٧.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾. ج٩ ص١٧٢.

هذا، قال الحافظُ ابنُ حجرٍ[١] «ونظرُ البخاريّ أدقُّ من أن يُعترَض عليه بمثلِ هذا فإنه حيثُ ذكرَ الارتحالَ فقط جزمَ به لأن الإسنادَ حسنٌ وقد اعتضدَ، وحيثُ ذكرَ طرفًا من المتنِ لم يجزم به لأن لفظَ الصوتِ مما يتوقفُ في إطلاقِ نسبتِه إلى الربّ ويحتاجُ إلى تأويلٍ فلا يكفي فيه مجيءُ الحديثِ من طريقٍ مختلفٍ فيها ولو اعتضدَتْ» اهـ.

- **تنبيهٌ** قولهُ تَعالى ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٢] ليسَ مَعناهُ كلَّما أرادَ الله خلقَ شيءٍ يقولُ كُن كُن كُن، وإلا لكانَ مَعنى ذلكَ أنَّ الله كلَّ الوقتِ يقولُ كُن كُن كُن وهذا محالٌ لأنَّ الله يخلقُ في اللحظةِ الواحدةِ ما لا يدخلُ تحت الحصرِ إنما معناهُ أنَّ الله يُوجِدُ الأشياءَ بدونِ تعبٍ ومشقّةٍ وبدونِ ممانعةِ أحدٍ لهُ أيْ أنهُ يخلقُ الأشياءَ التي شاءَ أَن يخلُقَها بسرعةٍ بلا تأخّرٍ عنِ الوقتِ الذي شاءَ وجودَها فيهِ، فقولُه ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ يدلُّ على سرعةِ الإيجادِ[٣].

والله تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

(١) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. قوله باب الخروج أي السفر في طلب العلم. ج١ ص١٧٤.

(٢) سورة يس/ آية ٨٢.

(٣) السيوطي. تفسير السيوطي. ج١٢ ص٣٨٢، الطبري. تفسير الطبري. ج١٩ ص٤٩٠.

المحاضرة التاسعة عشرة

الكلامُ على أحاديثِ الصّوتِ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

وبعدُ فإنَّ المشبّهةَ قديمًا وحديثًا نسبوا إلى اللهِ ما لا يليقُ بهِ بالإجماعِ فشبّهوهُ بخلقهِ فردَّ عليهِم علماءُ أهلِ السّنةِ والجماعةِ بما يَدحضُ حُجَجَهُم ويَهدمُ عليهِم عقيدَتهم ومِن جملةِ ما خالفَ فيه المشبّهةُ نسبةُ الصّوتِ إلى كلام الله تَعالى محتجّينَ بأمورٍ منها أحاديثُ توهّموا مَعانِيَها على ما يوافقُ زيغَهُم فردَّ العلماءُ على أهلِ البدعِ مزاعِمَهُم وبيّنوا مَعانيَ هذهِ الأحاديثِ عَلى ما يوافقُ ما جاءَ بهِ النبيُّ ﷺ.

فأحاديثُ الصّوتِ ليسَ فيها ما يحتجُّ بهِ في العقائدِ فقد قالَ الكوثريُّ في مقالاتهِ ما نصّهُ[1] «ولم يصحَّ في نسبةِ الصّوتِ إلى اللهِ حديثٌ» اهـ. ثم قالَ «وقَد أفاضَ الحافظُ أبو الحسنِ المقدسيُّ شيخُ المنذريّ في رسالةٍ خاصّةٍ في تبيينِ بطلانِ الرواياتِ في ذلكَ زيادةً على ما يُوجبهُ الدليلُ العقليُّ القاضي بتنْزيهِ الله عنْ حلولِ الحوادثِ فيهِ سبحانهُ» اهـ.

وذكرَ الفقيهُ المتكلّمُ ابنُ المعلّمِ القرشيُّ في كتابهِ «نجمِ المهتدِي ورجمِ

(١) الكوثري. مقالات الكوثري. ص٣٢.

المعتدِي»[١] في ترجمةِ الحافظِ ناصِر السّنةِ أبي الحسنِ عليّ بنِ أبي المكارمِ المقدسيّ المالكيّ ما نصّهُ «كانَ صحيحَ الاعتقادِ مخالِفًا للطّائفةِ التي تزعمُ أنها أثريةٌ صنّفَ كتابَهُ المعروفَ بكتابِ الأصواتِ أظهرَ فيهِ تضعيفَ رواةِ أحاديثِ الأصواتِ وأوهامهم» اهـ.

وقَد وردَ حديثٌ مختلفٌ في بعضِ رواتهِ وهوَ عبدُ الله بنُ محمّدِ بنِ عَقيلٍ، روى حديثهُ البخاريُّ[٢] بصيغةِ التمريضِ قالَ «ويُذكرُ» وفيهِ «**فينُادى بصوتٍ فيَسمعهُ مَن بَعُدَ كما يَسمعهُ مَن قَرُبَ أنا الملكُ أنا الديّانُ**» وإنما ذكرهُ البخاريُّ بصيغةِ التمريضِ مِن أجلِ راويهِ هذا، قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ[٣] «ونَظر البخاريّ أدقّ مِن أن يُعترضَ عليهِ بمثلِ هذا فإنهُ حيثُ ذكرَ الارتحالَ فقَط جزمَ بهِ لأنَّ الإسنادَ حسنٌ وقَدِ اعتضدَ، وحيثُ ذكرَ طرفًا منَ المتنِ لم يجزِم بهِ لأنَّ لفظَ الصّوتِ مما يتوقّفُ في إطلاقِ نسبتهِ إلى الربّ ويحتاجُ إلى تأويلٍ فلا يكفي فيهِ مجيءُ الحديثِ مِن طريقٍ مختلفٍ فيها ولوِ اعتضدَت» اهـ. كما تقدَّم.

وأما حديثُ أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنهُ الذي رواهُ البخاريُّ[٤] قالَ قالَ النبيُّ ﷺ «**يقولُ الله يومَ القيامةِ يا آدمُ، فيقولُ لبّيكَ وسعديكَ، فيُنادى بصَوتٍ إنَّ الله يأمركَ أن تُخرجَ مِن ذريتكَ بَعثًا إلى النارِ**»، قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «فتحِ

(١) ابن المعلم القرشي. نجم المهتدي ورجم المعتدي. ج ١ ص ٥٤٨.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾. ج٩ ص١٧٢.

(٣) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. قوله باب الخروج أي السفر في طلب العلم. ج١ ص١٧٤.

(٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب المبعث النبوي: باب ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ﴾. ج٦ ص١٢٢.

الباري»[١] «ووقعَ **فينادِي** مَضبوطًا للأكثرِ بكسرِ الدالِ وفي روايةِ أبي ذرّ بفتحِها على البناءِ للمجهولِ ولا محذورَ في روايةِ الجمهورِ فإنَّ قرينةَ قولِهِ «**إنَّ الله يأمُرُكَ**» تدلُّ ظاهِرًا على أنَّ المنادِيَ ملَكٌ يأمرهُ الله بأنْ يُنادِيَ بذلكَ» اهـ. وهذا الحديثُ رواهُ البخاريُّ موصولًا مُسنَدًا لكنهُ ليسَ صَريحًا في إثباتِ الصّوتِ صفةً للهِ فلا حجّةَ فيهِ للصّوتيةِ.

وقالَ ابنُ حجرٍ في «فتحِ الباري»[٢] «قالَ البيهقيُّ اختلفَ الحفّاظُ في الاحتجاجِ برواياتِ ابنِ عقيلٍ لسُوءِ حفظهِ ولم يثبُت لفظُ الصّوتِ في حديثٍ صحيحٍ عن النبيّ غيرُ حديثِهِ فإنْ كانَ ثابتًا فإنهُ يرجعُ إلى غيرهِ كما في حديثِ ابنِ مَسعودٍ[٣] وفي حديثِ أبي هريرةَ[٤] أنَّ الملائكةَ يسمعونَ عندَ حُصولِ الوَحيِ صَوتًا، فيحتملُ أن يكونَ الصّوتُ للسّماءِ أو للملكِ الآتي بالوحيِ أو لأجنحةِ الملائكةِ، وإذا احتملَ ذلكَ لم يكُن نصًّا في المسألةِ، وأشارَ -يعني البيهقيّ- في موضعٍ آخرَ إلى أنَّ الرّاويَ أرادَ فينادي نِداءً فعبّرَ عنه بصوتٍ» اهـ.

وقالَ الكوثريُّ في تعليقهِ على السّيفِ الصّقيلِ ما نصّهُ[٥] «وحديثُ جابرٍ المعلّقُ في صحيحِ البخاريّ معَ ضعفهِ في سياقِ ما بعدهُ مِن حديثِ أبي سعيدٍ ما يدلُّ على أنَّ المنادِيَ غيرُ الله حيثُ يقولُ «**فينادَى بصَوت إنَّ الله يأمركَ**» فيكونُ

---

(١) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١٣ ص٤٦٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١٣ ص٤٥٨.

(٣) يعني به قوله «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات شيئًا فإذا فُزّعَ عن قلوبهم وسكن الصوت عرفوا أنه الحق ونادوا ماذا قال ربكم قالوا الحقَّ» اهـ رواه البخاري ج٩ ص١٧٢.

(٤) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كأنه سلسلة على صفوان، قال علي وقال غيره «صفوانٌ يُنفِذُهم ذلك» فإذا فزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير» اهـ البخاري. صحيح البخاري. كتاب التفسير: باب تفسير سورة الحجر. ج٦ ص١٠١.

(٥) تعليق الكوثري على السيف الصقيل. ص٥٢.

الإسنادُ مجازيًا، على أنَّ الناظمَ -يعني ابن قيّم الجوزيةِ المجسّم- ساقَ في «حادي الأرواحِ» بطريقِ الدارقطنيّ حديثًا فيهِ «**يبعثُ الله يومَ القيامةِ مناديًا بصوتٍ**» وهكذا يخربُ الناظمُ بيتَهُ بيدهِ وبأيدِي المسلمينَ» اهـ.

وهناكَ حديثٌ آخر أخرجهُ البخاريُّ في صحيحهِ[٦] «**إذا تكلّمَ الله بالوحيِ سمعَ أهلُ السمٰوات شيئًا**» ورواهُ أبو داودَ[٧] بلفظِ «**سمعَ أهلُ السّماءِ للسّماءِ صَلصلةً كجرّ السّلسلةِ على الصّفوانِ**» وهذا قَد يحتجُّ بهِ المشبّهةُ وليسَ لهم فيهِ حجّةٌ لأنَّ الصّوتَ خارجٌ منَ السّماءِ فالحديثُ فسّرَ الحديثَ بأنَّ الصّوتَ للسّماءِ.

فإذا قالَ قائلٌ إنَّ بعضَ اللغويينَ قالَ النداءُ الصّوتُ، قلنا ليسَ مرادُ مَن قالَ ذلكَ أنَّ النداءَ لا يكونُ في لغةِ العربِ في جميع المواردِ إلا بالصّوتِ، وإنما المرادُ أنهُ في غالبِ الاستعمالِ يكونُ بالصّوتِ. وقَد قالَ آخرونَ منَ اللغويينَ النداءُ طلبُ الإقبالِ.

وقالَ القرطبيُّ في التذكرةِ[٨] ما نصّهُ «فَصلٌ قولهُ في الحديثِ «**فيناديهم بصوتٍ**» استدلَّ بهِ مَن قالَ بالحرفِ والصّوتِ وأنَّ الله يتكلمُ بذلكَ، تَعالى عمّا يقولُ المجسّمونَ والجاحدونَ علوًّا كبيرًا وإنما يُحملُ النداءُ المضافُ إلى اللهِ تَعالى على نداءِ بعضِ الملائكةِ المقرّبينَ بإذنِ الله تَعالى وأمرِه، ومثلُ ذلكَ سائغٌ في الكلامِ غيرُ مُستنكرٍ أن يقولَ القائلُ نادى الأميرُ وبَلغني نداءُ الأميرِ كما قالَ تَعالى ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ﴾[٩] وإنما المرادُ نادَى المنادي عَن أمرهِ وأصدرَ نداءهُ،

(٦) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ﴾. ج٩ ص١٧٢.

(٧) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب السنة: باب في القرآن. ج٤ ص٣٧٨.

(٨) القرطبي. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة. ص٣٢٨-٣٢٩.

(٩) سورة الزخرف/ آية ٥١.

وهوَ كقولهم أيضًا قتلَ الأميرُ فلانًا وضَربَ فلانًا وليسَ المرادُ تَولّيَهُ لهذهِ الأفعالِ وتصدّيَهُ لهذهِ الأعمالِ ولكنَّ المقصودَ صدورُها عَن أمرهِ. وقَد وردَ في صحيحِ الأحاديثِ أنَّ الملائكةَ يُنادُونَ على رُؤوسِ الأشهادِ فيُخاطبونَ أهلَ التقى والرّشادِ ألا إنَّ فلانَ ابنَ فلانٍ كما تقدّمَ» اهـ.

ومثلهُ ما جاءَ في حديثِ النزولِ مفسّرًا في مَا أخرجهُ النسائيُّ(١) عَن أبي هريرةَ رضي الله عنهُ وأبي سعيدٍ قالا قالَ رسولُ الله ﷺ «**إنَّ الله عزَّ وجلَّ يمهلُ حتى يَمضي شطرُ الليلِ الأولُ ثمَّ يأمرُ مناديًا يقولُ هَل مِن داعٍ يُستجاب لهُ، هَل مِن مُستغفرٍ يُغفر لهُ، هَل مِن سائلٍ يُعطى**» صحّحهُ أبو محمّدٍ عبدُ الحقّ، وكلُّ حديثٍ اشتملَ على ذكرِ الصّوتِ أو النداءِ فهذا التأويلُ فيهِ، وأنَّ ذلكَ مِن بابِ حذفِ المضافِ.

فإنْ قالَ بعضُ المشبهة لا وجهَ لحملِ الحديثِ على ما ذكرتموهُ فإنَّ فيهِ «**أنا الديّان**»، وليسَ يصدرُ هذا الكلامُ حقًّا وصِدقًا إلا مِن ربّ العالمينَ. قيلَ لهُ إنَّ الملَكَ إذا كانَ يقولُ عنِ الله تَعالى ويُنبئ عنهُ فالحكمُ يرجعُ إلى اللهِ ربّ العالمينَ، والدليلُ عليهِ أنَّ الواحدَ منّا إذا تلا قولَ الله تعالى ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾(٢) فليسَ يرجعُ إلى القارئ وإنما القارئ ذاكرٌ لكلامِ الله تَعالى ودالٌّ عليهِ بأصواتهِ وهذا بَيّنٌ.

وهذا لهُ أيضًا دليلٌ قويٌّ في الصّحيح(٣) في حديثِ المعراجِ الذي ذُكرَ فيهِ تخفيفُ الخمسينَ صلاة إلى خمسٍ قولهُ ﷺ «**فلمّا جاوزتُ ناداني منادٍ أمضيتُ فريضَتي وخفّفتُ عَن عبادي**»، فما أرادَ رسولُ الله ﷺ بقولهِ «**ناداني**» إلا الملَك. فإذا ثبتَ هذا النداءُ منَ الملَكِ مبلّغًا عنِ الله فلا يمتنعُ أن يُنادي الملَكُ بتلكَ الجملِ

---

(١) النسائي. سنن النسائي. ج٩ ص١٧٩.

(٢) سورة طه/ آية ١٤.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب الإسراء بالرسول إلى السموات وفرض الصلوات. ج١ ص٩٩.

الثلاثِ «**هَل مِن داعٍ يُستجاب لهُ، هَل مِن مُستغفِرٍ يُغفر لهُ، هل مِن سائلٍ يُعطى**»، فبطَلَ استنكارُ أن يكونَ هذا اللفظُ منَ الملَكِ في حديثِ النزولِ، فأينَ تذهبُ المشبّهةُ.

فائدةٌ قالَ الشّيخُ الإمامُ المتكلّمُ ابنُ المعلّمِ القرشيُّ في كتابِهِ «نجم المهتدي» ما نصّهُ[1] «قالَ الشيخُ الإمامُ أبو عليّ الحسنُ بنُ عَطاءٍ في أثناءِ جوابٍ عَن سؤالٍ وجّهَ إليهِ سنةَ إحدى وثمانينَ وأربعمائةٍ الحروفُ مسبوقٌ بعضُها ببعضٍ، والمسبوقُ لا يتقرّرُ في العقولِ أنهُ قديمٌ، فإنَّ القديمَ لا ابتداءَ لوجودِهِ وما مِن حرفٍ وصوتٍ إلا ولهُ ابتداءٌ، وصفاتُ البارئ جلّ جلالهُ قديمةٌ لا ابتداءَ لوجودِها، ومَن تكلّمَ بالحروفِ يترتّبُ كلامهُ ومَن ترتّبَ كلامهُ يَشغلُه كلامٌ عَن كلامٍ، والله تباركَ وتَعالى لا يَشغلهُ كلامٌ عَن كلامٍ، وهوَ سبحانهُ يحاسبُ الخلقَ يومَ القيامةِ في ساعةٍ واحدةٍ، فدفعةً واحدةً يَسمعُ كلُّ واحدٍ مِن كلامهِ خطابهُ إياهُ، ولو كانَ كلامهُ بحرفٍ، ما لم يتفرغ عن «يا إبراهيمُ» لا يقدرُ أن يقولَ «يا محمّدُ» فيكونُ الخلقُ محبوسينَ ينتظرونَ فراغهُ مِن واحدٍ إلى واحدٍ وهذا محالٌ» اهـ.

- فالحاصلُ أنهُ ليسَ في إثباتِ الصّوتِ للهِ تَعالى حديثٌ معَ الصّحةِ المعتبرةِ في أحاديثِ الصّفاتِ لأنَّ أمرَ الصّفاتِ يُحتاطُ فيهِ ما لا يحتاطُ في غيرِهِ، ويدلُّ على ذلكَ روايةُ البخاريّ القَدْرَ الذي ليسَ فيهِ ذكرُ الصّوتِ مِن حديثِ جابرٍ بصيغةِ الجزمِ، وروايتهُ للقدرِ الذي فيهِ ذكرُ الصّوتِ بصيغةِ التمريضِ.

وليعلم أنَّ في أحاديثِ الصّفاتِ مذهبينِ:

- **أحدهما** اشتراطُ أن يكونَ في درجةِ المشهورِ، وهوَ ما رواهُ ثلاثةٌ عَن ثلاثةٍ فأكثرَ، وهوَ ما عليهِ أبو حنيفةَ وأتباعهُ منَ الماتريديةِ، وقدِ احتجَّ أبو حنيفةَ رضي الله عنهُ في رسائلهِ التي ألّفها في الاعتقادِ بنحوِ أربعينَ حَديثًا مِن قبيلِ

(١) ابن المعلم القرشي. نجم المهتدي ورجم المعتدي. ج ٢ ص ٤٤١.

المشهورِ.

- **والثاني** ما ذهبَ إليهِ أهلُ التنزيهِ منَ المحدّثينَ، وهوَ اشتراطُ أن يكونَ الرّاوي متّفقًا على ثقتهِ.

فهذانِ المذهبانِ لا بأسَ بكلَيهما، وأما الثالثُ وهوَ ما نزلَ عَن ذلكَ فلا يحتجُّ بهِ لإثباتِ الصّفاتِ.

وهناكَ قاعدةٌ تناسبُ هذا المطْلَبَ وقد ذكَرها الحافظُ الخطيبُ أبو بكرٍ البغداديُّ[1] قالَ «يُرَدُّ الحديثُ الصّحيحُ الإسنادِ لأمورٍ أن يخالفَ القُرآن أوِ السّنةَ المتواترة أوِ العقلَ» قالَ «لأنَّ الشّرعَ لا يأتي إلا بمُجَوَّزاتِ العقولِ»اهـ والخطيبُ البغداديُّ أحدُ حفّاظِ الحديثِ السّبعةِ الذينَ نوّهَ علماءُ الحديثِ في كتبِ المصطلح بهم ومنهُم البيهقيّ، وهُم غير أصحابِ الكتبِ الخمسةِ، والقاعدةُ المتقدمةُ نقلَها عنه الحافظ السيوطي في كتابِه «تدريبِ الرّاوي»[2] وأقرَّها وكذا نقلها غيرُه.

وللذهبيّ عبارةٌ موافقةٌ للمذهبِ الثاني منَ المذاهبِ الثلاثةِ، وإنْ كانَ يتساهلُ بإيرادِ أحاديثَ غيرِ ثابتةٍ وآثارٍ مِن كلامِ التابعينَ ونحوهِم مِن غيرِ تبيينٍ لحالها مِن حيثُ الإسنادُ والمتنُ في بعضِ ما يذكرهُ، وذلكَ في كتابهِ «العلوّ للعليّ الغفارِ» فليُحذَر فإنَّ ضررهُ على مطالعهِ عظيمٌ.

قالَ الإمامُ الأسفرايينيُّ ذاكرًا عقيدةَ أهلِ السنةِ والجماعةِ ما نصهُ[3] «وأن تعلمَ أنَّ كلامَ الله تَعالى ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ لأنَّ الحرفَ والصّوتَ يتضمّنانِ جوازَ التقدّمِ والتأخرِ، وذلكَ مستحيلٌ على القديمِ سبحانَهُ» اه.

---

(١) الخطيب البغدادي. الفقيه والمتفقه. ج١ص١٣٢-١٣٣.

(٢) السيوطي. تدريب الراوي. ج١ ص٢٧٦.

(٣) الأسفراييني. التبصير في الدين. ص١٦٧.

وقالَ مُلا عليّ القاري في «شرحِ الفقهِ الأكبرِ» ما نصّهُ[1] «ومبتدعةُ الحنابلةِ قالوا كلامهُ حروفٌ وأصواتٌ تقومُ بذاتهِ وهوَ قديمٌ، وبالغَ بعضُهم جهلًا حتى قالَ الجلدُ والقِرْطاسُ قديمانِ فضلًا عنِ الصّحفِ، وهذا قولٌ باطلٌ بالضّرورةِ ومكابَرةٌ للحسّ، للإحساسِ بتقدُّمِ الباءِ على السّينِ في بسمِ الله ونحوِهِ» اهـ.

وقالَ أيضًا ما نصّهُ[2] «وقَد ذكرَ المشايخُ رحمهُم الله تَعالى أنهُ يقالُ القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ، ولا يقالُ القرآنُ غيرُ مخلوقٍ لئلا يَسبقَ إلى الفهمِ أنَّ المؤلَّفَ منَ الأصواتِ والحروفِ قديمٌ كما ذهبَ إليهِ بعضُ جهلةِ الحنابلةِ» اهـ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) ملا علي القاري. شرح الفقه الأكبر. ص٣٨.

(٢) ملا علي القاري. شرح الفقه الأكبر. ص٤٩.

المحاضرة العشرون

بيانُ أنَّ الأشاعرةَ والماتريديةَ هُم أهلُ السّنةِ والجماعة

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- ليُعلَم أنَّ أهلَ السّنةِ والجماعةِ هُم جمهورُ الأمةِ المحمديّةِ وهُم الصّحابةُ ومَن تبعَهم في أصولِ الاعتقادِ وهيَ الأمورُ السّتةُ المذكورةُ في حديثِ جبريلَ الذي قالَ فيهِ الرسولُ ﷺ «**الإيمانُ أن تُؤمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلهِ واليومِ الآخرِ والقدرِ خيرهِ وشرهِ**» رواهُ مسلمٌ[1].
- وأفضلُ هؤلاءِ مِن حيثُ الإجمالُ أهلُ القرونِ الثلاثةِ الأولى قرنُ الصّحابةِ وقرنُ التابعينَ وقرنُ أتباعِ التابعينَ والقرنُ مائةُ سنةٍ كما رجّحَ ذلكَ الحافظُ أبو القاسمِ ابنُ عساكرَ[2] وهُم المرادونَ بقولِ رسولِ الله ﷺ «**خيرُ القُرونِ قَرني ثمَّ الذينَ يلونَهُم ثمَّ الذينَ يلونهم**»[3] وهُم المرادونَ أيضًا بحديثِ الترمذيّ[4] «**أُوصيكُم بأَصحابي ثمَّ الذينَ يلونهُم ثمَّ الذينَ يلونَهُم**» وفيهِ قولُه «**عليكُم بالجماعةِ وإيّاكم**

(١) مسلم. صحيح مسلم. باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر. ج١ ص ٢٨.

(٢) ابن عساكر. تبيين كذب المفتري. ص١٤٤.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الشهادات: باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد. ج٣ ص٢٢٤. ولفظ البخاري «**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**».

(٤) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في لزوم الجماعة. ج٤ ص٤٦٥.

والفُرقةَ فإنَّ الشّيطانَ معَ الواحدِ وهوَ منَ الاثنينِ أبعدُ فمَن أرادَ بحبوحةَ الجنةِ فليلزَمِ الجماعةَ» أي مَن أرادَ العيشَ الهنيءَ في الآخرةِ فليثبُت علَى ما عليهِ جمهورُ الأمةِ المحمّديّةِ في الاعتقادِ وقالَ الترمذيُّ «حسنٌ صحيحٌ» اهـ.

- وهُم المرادونَ أيضًا بالجماعةِ الواردةِ في ما رواهُ أبو داودَ[1] مِن حديثِ معاويةَ «**وإنَّ هذهِ الملةَ ستفترقُ على ثلاثٍ وسبعينَ فرقة ثنتانِ وسبعونَ في النارِ وواحدةٌ في الجنةِ وهيَ الجماعةُ**» حسّنهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ في الكافي الشّاف في تخريج أحاديث الكشاف، والحديثُ وردَ برواياتٍ متعدّدةٍ وردَ بلفظِ «**كلّهم في النارِ إلا السّواد الأَعظم**»[2] وأوردَهُ الترمذيُّ[3] بلفظِ «**ما أنا عليهِ وأصحَابي**» وكلٌّ منَ الرّواياتِ الثلاثِ في المعنى واحدٌ فجمهورُ الأمةِ أيْ معظمُهُم في أصولِ الاعتقادِ لم يخرجوا عمّا كانَ عليهِ الرّسولُ ﷺ وأصحابُهُ. فيجبُ الاعتناءُ بمعرفةِ عقيدةِ الفرقةِ الناجيةِ الذينَ هُم السّوادُ الأَعظمُ.

- ثم حدثَ بعدَ مائتينِ وستينَ سنة منَ الهجرةِ انتشارُ بدعةِ المعتزلةِ وغيرِهم فبَعثَ الله لهذهِ الأمةِ على رأسِ المائةِ الرابعةِ الإمامَ أبا الحسنِ الأشعريَّ والإمامَ أبا منصورٍ الماتريديَّ ليُجدّدا لهذه الأمةِ دينَها فقامَا بإيضاحِ عقيدةِ أهلِ السّنةِ التي كانَ عَليها الصّحابةُ ومَن تبعَهُم بإيرادِ أدلةٍ نقليّةٍ وعقليّةٍ معَ ردّ شبهِ المعتزلةِ وهُم فرقٌ عديدةٌ بلغَ عددُهُم عشرينَ فرقةً فقامَا بالردّ على كلّ هذهِ الفرقِ أتم القيامِ بردّ شبهِهم وإبطالها فنُسبَ إليهِما أهلُ السّنةِ، فصارَ يقالُ لأهلِ السّنةِ أشعريونَ وماتريديونَ. قالَ الحافظُ المحدّثُ الفقيهُ اللغويُّ محمّدُ مرتضَى

(١) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب السنة: باب شرح السنة، ج٤ ص١٩٨.

(٢) البيهقي. سنن البيهقي. كتاب قتال أهل البغي: باب الخلاف في قتال أهل البغي. ج٨ ص١٨٨.

(٣) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الإيمان عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في افتراق الأمة. ج٥ ص٢٦.

الزبيديُّ[1] «إذا أُطلِقَ أهلُ السّنةِ والجماعةِ فالمرادُ بِهم الأشاعرةُ والماتريديةُ» اهـ.

- وكانَت وفاةُ الأشعريّ سنةَ أربعٍ وعشرينَ بعدَ الثلاثمائةِ للهجرةِ، وتوفّي أبو منصورٍ الماتريديُّ بعدَهُ بقليلٍ. وصنّفَ أتباعُهما مِن بَعدِهما المئاتِ منَ المجلّداتِ في الردّ على المبتدعةِ بالحججِ الدّامغةِ الكثيرةِ والمناظراتِ العديدةِ قَطعوا بها المعتزلةَ والدّهريةَ والفلاسفةَ وغيرَهم منَ المبتدعةِ ورَفعوا لواءَ مذهب الأشعريّ والماتريديّ في المشرقِ والمغربِ فما جاءَتِ المائةُ الخامسةُ إلا والأمةُ الإسلاميّةُ أشعريّةٌ وماتريديّةٌ لم يشذَّ عنها سوَى نزرٍ منَ المعتزلةِ وشِرذمةٍ منَ المشبّهةِ وطائفةٍ منَ الخوارجِ فلا تجدُ عالـمًا محققًا أو فقيهًا مدقّقًا إلا وهوَ أشعريٌّ أو ماتريديٌّ.
- فمنَ الأشاعرةِ أبو الحسنِ الباهليُّ وأبو الحسينِ بُندار الصّوفيُّ وأبو بكرٍ القفّالُ الشّاشيُّ وأبو سهلٍ الصُّعلوكيُّ وأبو عبدِ الله بنُ خفيفٍ الشّيرازيُّ وأبو بكرٍ الجرجانيُّ المعروفُ بالإسماعيليّ وأبو الطيّبِ بنُ أبي سهلٍ الصُّعلوكيّ والقاضي أبو بكر بنُ الباقلانيّ وأبو عليّ الدّقاقُ والحافظُ أبو عبدِ الله الحاكمُ والأستاذُ أبو بكر بنُ فُورك والأستاذُ أبو إسحقَ الأَسفرايينيُّ والحافظُ أبو نعيمٍ الأَصبهانيُّ والإمامُ أبو منصورٍ البغداديُّ والحافظُ البيهقيُّ وإمامُ الحرمينِ الجوينيُّ وأبو حامد الغزاليُّ والإمامُ أبو القاسمِ القشيريُّ والإمامُ أبو إسحقَ الشّيرازيُّ والإمامُ أبو نصرٍ القُشيريُّ ومنهُم القاضي عياضٌ والحافظ النوويُّ والسلطان صلاحُ الدّينِ الأيوبيُّ وغيرُهم كثيرٌ منَ العلماءِ الأكابرِ في الفنونِ المختلفةِ.
- فالمذهبُ الحقُّ الذي كانَ عليهِ السّلفُ الصّالحُ هوَ ما عليهِ الأَشعريّةُ والماتريديّةُ وهُم مئاتُ الملايينِ منَ المسلمين.
- وأما ما يدّعيهِ بعضُ البِدعيينَ كالوهابيّةِ أنهم هُم المرادونَ بالجماعةِ معَ كونهم

(1) مرتضى الزبيدي. إتحاف السادة المتقين. ج٢ ص٦.

قلّةً قليلةً وأنَّ كلَّ مَن خالفَهم هوَ في النارِ فهوَ دَعوى بلا دليلٍ فإنهُ لو كانَ الأمرُ كذلكَ لم يكُن لهذهِ الأمةِ مزيةٌ على غيرِها منَ الأُممِ التي قالَ اللهُ تَعالى فيهَا ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1] وأخبرَ النبيُّ ﷺ أنَّ أمّتهُ لا تجتمعُ على ضلالةٍ وأنَّ صفوفَ أهلِ الجنةِ مائةٌ وعشرونَ صفًّا ثمانونَ منها مِن أمّةِ سيّدنا محمّدٍ ﷺ[2] فمنَ الوَقاحةِ دعوَى الوهابيّةِ أنهم همُ المرادونَ فكيفَ يكونُ هؤلاءِ السّوادُ الأعظَمُ على ضلالٍ وتكونُ شرذمةٌ هيَ نحوُ ثلاثةِ ملايينَ على الحقّ، والصّوابُ أنَّ الرسولَ عليهِ السّلامُ أخبرَ بأن جمهورَ أمتِهِ لا يضلّونَ ويدلُّ على ذلكَ ما رواهُ ابنُ ماجَه[3] «**إنَّ اللهَ لا يجمَعُ أمّتي على ضَلالةٍ فإذا رأيتُم اختلافًا فعليكُم بالسَّوادِ الأعظَمِ**».

- قالَ اللهُ تَعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾[4] وأخرجَ الحاكم في المستدرك[5] والحافظُ ابنُ عساكرَ في تبيين كذبِ المفتري[6] أنهُ لما نزلَت هذهِ الآيةُ قال رسول الله ﷺ «**هم قومك يا أبا موسى**» وأومأ رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري» قالَ الحاكمُ هذا حديثٌ صحيحٌ على شرطِ مسلم[7]، ورواهُ البيهقيُّ في دلائلِ النبوة[8] والسيوطيُّ[9]

---

(١) سورة آل عمران/ آية ١١٠.

(٢) ابن أبي شيبة. مسند ابن أبي شيبة. ج١ ص١٩٦، الطبراني. المعجم الكبير. ج١٠ ص١٨٤.

(٣) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب الفتن: باب السّواد الأعظم. ج٥ ص٩٦، الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الفتن عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في لزوم الجماعة. ج٤ ص٤٤٦.

(٤) سورة المائدة/ آية ٥٤.

(٥) الحاكم. المستدرك. ج٢ ص٣٤٢.

(٦) ابن عساكر. تبيين كذب المفتري. ص٤٩.

(٧) الحاكم. المستدرك. ج٢ ص٣٤٢. وقال: «قال الذهبي في التلخيص: على شرط مسلم» اهـ.

(٨) البيهقي. دلائل النبوة. باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن. ج٥ ص٣٥٢.

(٩) السيوطي. تفسير السيوطي. ج٥ ص٣٥٥.

والطبريُّ[١] في تفسيرهما وابنُ أبي حاتم[٢]، والطبرانيُّ في معجمه الكبير[٣]، وقال الهيثميُّ في مجمع الزوائد[٤] «رجالُه رجالُ الصحيح» اهـ. وأبو الحسنِ الأشعريُّ هوَ مِن قومِ أبي موسَى الأشعريّ.

وقال القشيريُّ «فأتباعُ أبي الحسن الأشعري من قومِه لأن كلَّ موضع أضيفَ فيه قومٌ إلى نبي أريدَ به الأتباعُ» اهـ. ذكره القرطبيُّ في تفسيرِه[٥] بعد أن أوردَ الحديثَ المذكورَ.

وقال البيهقيُّ «ذلك لما وجدَ فيه من الفضيلةِ الجليلةِ والمرتبةِ الشريفةِ للإمام أبي الحسن الأشعريّ رضي الله عنه، فهو من قومِ أبي موسى وأولادِه الذين أوتوا العلمَ ورُزقوا الفهمَ مخصوصًا من بينهم بتقويةِ السنةِ وقمعِ البدعةِ بإظهارِ الحجةِ وردِ الشبهة»اهـ ذكرهُ ابنُ عساكرَ في «تبيينِ كذبِ المفتري»[٦].

وقد ذكر البخاريُّ في صحيحِه[٧] «بابُ قدومِ الأشعريين وأهلِ اليمن وقال أبو موسى عن النبي ﷺ «**هم مني وأنا منهم**».

ولما نزلت هذه الآيةُ قدم بعد ذلك بيسيرٍ سفائن الأشعريين وقبائلُ اليمن، فقد روى البخاريُّ في صحيحِه[٨] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي

---

(١) الطبري. تفسير الطبري. ج٨ ص٥٢١.

(٢) ابن أبي حاتم. تفسير ابن أبي حاتم. ج٤ ص١١٦٠.

(٣) الطبراني. المعجم الكبير. ج١٧ ص٣٧١.

(٤) نور الدين الهيثمي. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ج٦ ص٣٧٩.

(٥) القرطبي. تفسير القرطبي. ج٦ ص٢٢٠.

(٦) ابن عساكر. تبيين كذب المفتري. ص٥٠.

(٧) البخاري. صحيح البخاري. كتاب المغازي: باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن وقال أبو موسى عن النبي ﷺ «**هم مني وأنا منهم**»اهـ. ج٥ ص٢١٨.

(٨) البخاري. صحيح البخاري. كتاب المغازي: باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن وقال أبو موسى عن النبي ﷺ «**هم مني وأنا منهم**»اهـ. ج٥ ص٢١٨.

ﷺ قال «**أتاكم أهلُ اليمن هم أرقُّ أفئدةً وألينُ قلوبًا، الإيمانُ يمانٍ والحكمة يمانيةٌ**».

• وأخرج البخاري في صحيحه[1] عن عمران بن الحصين أن النبي أتاه أناس من بني تميم فقال عليه الصلاة والسلام «**اقبلُوا البشرى يا بني تَميم**» قالوا قد بَشَّرتنا فأعطنا مرتين ثمّ دخل عليه ناسٌ من أهل اليمَنِ فَقالَ «**اقبَلُواا البشرَى يا أهلَ اليمنِ إذ لَم يقبلها بنو تميم**» قالوا قد قبلنَا يا رسولَ الله قَالُوا جئنَاكَ نَسألكَ عن هَذا الأمر قال «**كان الله ولَم يَكن شىء غيرُهُ، وكانَ عرشُهُ عَلَى الماءِ وَكتب فِي الذّكرِ كلَّ شىء وَخلق السمٰوات والأرض**». أجابَ الرسولُ ﷺ على هذا السّؤالِ بأنَّ الله أزليٌّ لا بدايةَ لوُجودهِ فلَم يسبِق وجودَهُ تعالى عدمٌ، فقولهُ «**كانَ الله**» أيْ في الأزلِ قبلَ كلّ شىءٍ، وقولهُ «**ولم يكُن شىءٌ غيرهُ**» أي في الأزلِ لم يكُن شىءٌ منَ العالمِ، ففي الأزلِ لم يكُن ماءٌ ولا هواءٌ، ولا أرضٌ ولا سماءٌ ولا فضاءٌ، ولا نورٌ ولاَ ظلامٌ ولا ليلٌ ولا نهارٌ، ولا كرسيٌّ ولا عرشٌ، ولا إنسٌ ولا جنٌّ ولا ملائكةٌ، ولا زمانٌ ولا مكانٌ ولا جهاتٌ. الله وحدَهُ الأزليُّ وكلُّ ما سوى الله حدثَ بخلقِ الله، فالله تَعالى خلقَ العالمَ بأسرهِ العُلويَّ والسّفليَّ، والعرشَ والكرسيَّ، والسّمواتِ والأرضَ وما فيهما وما بينَهما.

قالَ الزركشيُّ في «تشنيفِ المسامعِ»[2] «قالَ أبو بكرٍ الإسماعيليُّ أعادَ الله هذا الدّينَ بعدَما ذهبَ أي أكثرهُ بأحمدَ بنِ حنبلٍ وأبي الحسنِ الأشعريّ وأبي نعيمٍ الإستراباذيّ» اهـ. وقالَ أبو إسحاقَ المروزيُّ «سَمعتُ المَحامليّ يقولُ في أبي الحسنِ الأشعريّ لو أتى اللهَ بقرابِ الأرضِ ذنوبًا رجوتُ أن يَغفرَ الله لهُ لدفعهِ عَن دينهِ»اهـ. وقالَ ابنُ الصيمريّ «كانتِ المعتزلةُ قَد رَفعوا رُؤوسَهُم حتى أظهرَ الله الأشعريَّ فحَجَزهم في أقماعِ السَّماسمِ»اهـ. أيْ ضيّقَ عليهِم.

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق. ج٤ ص٢٢٢.

(٢) الزركشي. تشنيف المسامع. ج٢ ص٣٥٥.

• ولله الحمدُ على العقيدةِ الأشعريّةِ والماتريديّةِ السّنيّةِ التي كانَ عليها رسولُ الله ﷺ وأصحابهُ ومَن تبعَهُم بإحسانٍ والتي مدحَ الرسولُ معتنِقَها فقالَ ﷺ «**لتفتحَنَّ القُسطنطينيّةُ فلَنِعمَ الأميرُ أميرُها ولَنِعمَ الجيشُ ذلكَ الجيشُ**» رواهُ أحمدُ بسندٍ صحيحٍ[1]، ولقَد فُتِحَتِ القُسطنطينيّةُ بعدَ ثمانمائةِ عامٍ فتَحَها السُّلطانُ محمّدٌ الفاتحُ رحمهُ الله وكانَ سُنّيًّا ماتريديًّا.

والله تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

(١) أحمد. مسند أحمد. ج٤ ص٣٣٥.

المحاضرة الحادية والعشرون

الأَمرُ بالمعروفِ والنهيُ عنِ المنكرِ

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- دَعانا الشّرعُ الكريمُ إلى الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ وإحقاقِ الحقّ وإبطالِ الباطلِ.

- قالَ الله تَعالى ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾[(١)].

- ورَوَى مسلمٌ في صحيحهِ[(٢)] أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ «**مَن رأَى منكُم مُنكرًا فليغيّرهُ بيدهِ فإنْ لَم يَستطِع فبلسانهِ فإنْ لَم يَستطِع فبقلبهِ وذلكَ أضعفُ الإيمانِ**» أيْ أقلُّ ثمرةِ الإيمانِ أيْ أقلُّ ما يلزَمُ الإنسانَ عندَ العجزِ.

- ورَوَى الإمامُ أحمدُ[(٣)] أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ «**إنَّ الناسَ إذا رأَوا المنكرَ فلَم يُغيّروهُ أوشكَ أَن يَعمَّهُم اللهُ بعقابٍ**». أيْ إنَّ الناسَ إذا تركُوا النهيَ عن المنكرِ يَنتقمُ الله منهُم فيُنْزل بهِم النَّكَباتِ في الدّنيا قبلَ الآخرةِ، ولا شكَّ أنَّ النّقَمَ التي تنْزلُ بالمسلمينَ في هذهِ الأزمنةِ مِن شُؤمِ تركِ تغييرِ المنكرِ والنهيِ عنهُ، وأشدُّ المنكرِ هوَ الكفرُ.

---

(١) سورة آل عمران/ آية ١١٠.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأنّ الإيمان يزِيد وينقص وأنّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجبان. ج١ ص٥٠.

(٣) أحمد. مسند أحمد. ج ٤ ص٣٦٤.

- وقَد ثبتَ عَن رسولِ الله ﷺ أنهُ حذّرَ ممن غشَّ في الطّعام رواهُ مسلمٌ[1]، وثبتَ عنهُ أيضًا أنهُ قالَ في رجلينِ كانا يَعيشانِ بينَ المسلمينَ «**ما أظنُّ فلانًا وفلانًا يَعرفانِ مِن دِينِنا شيئًا**» رواهُ البخاريُّ[2].
- وإذا كانَ الرّسولُ ﷺ قالَ للخطيبِ الذي قالَ مَن يُطعِ الله ورسولَهُ فقَد رَشَدَ ومَن يعصِهما فقَد غوَى «**بئسَ الخطيبُ أنتَ**» رواهُ مسلمٌ[3]. وذلكَ لأنهُ جمعَ بينَ الله والرّسولِ بضميرٍ واحدٍ فقالَ لهُ «**قُل ومَن يَعصِ الله ورسولَهُ**»، فلَم يَسكُت عَن هذا الأمرِ الخفيفِ الذي ليسَ فيهِ كفرٌ فكيفَ يسكتُ عمَّن يُحرّفُ الدّينَ ويَنشرُ هذا بينَ الناسِ فهذا أجدرُ بالتحذيرِ والتنفيرِ منه.

- وليسَ ذكرُنا لبعضِ المنحرفينَ منَ الغيبةِ المحرّمةِ إنما هوَ منَ التحذيرِ الواجبِ فقَد ثبتَ أنَّ فاطمةَ بنتَ قيس قالَت لرسولِ الله ﷺ يا رسولَ الله إنهُ خَطبني معاويةُ وأبو جهم فقالَ رسولُ الله ﷺ «**أما أبو جهمٍ فلا يَضعُ العَصا عَن عَاتقِهِ وأما معاويةُ فصعلوكٌ لا مالَ لهُ انكِحي أُسامةَ**» رواه مسلمٌ[4]. فإذا كانَ الرّسولُ ﷺ حذّرَ فاطمةَ منهُما وذكَرهما في خلفِهما بما يَكرهانِ لهذينِ السّببينِ أحدُهما كونُ معاويةَ شديدَ الفقرِ لا يقومُ بحاجتِها بأمرِ النفقةِ والثاني أنَّ أبا جهمٍ يُكثرُ ضربَ النساءِ فكيفَ أناسٌ ادّعَوُا العلمَ وغَشُّوا الناسَ وجعلوا الكفرَ إسلامًا ولهذا حذّرَ الشّافعيُّ مِن حَفصٍ الفردِ أمامَ جمعٍ وقالَ لهُ: «لقَد كفرتَ بالله العَظيمِ»اهـ. رواهُ البيهقيُّ في «مناقبِ الشّافعيّ»[5].

- وقَد جرَت عادةُ الفقهاءِ على تغليطِ بعضِهم بعضًا إذا غلطَ حتى إنَّ إمام الحرمينِ

(١) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ «**من غشنا فليس منا**»**اهـ**. ج١ ص٦٩.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الأدب: باب ما يجوز من الظن. ج٨ ص٣٦.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الجمعة: باب تخفيف الصلاة والخطبة. ج٣ ص١٢.

(٤) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الطلاق: باب المطلقة ثلاثًا لا نفقة لها. ج٤ ص١٩٥.

(٥) البيهقي. مناقب الشافعي. ١/ ٤٠٧. ابن عساكر. تبيين كذب المفتري. ص٣٢٤-٣٢٥.

غلَّطَ أباهُ في غيرِ مسألةٍ، وأبوهُ مِن كبارِ أصحابِ الوجوهِ في المذهبِ الشافعيّ وهيَ الطّبقةُ التي تلي الشّافعيّ، ذكرَ ذلكَ في «طبقاتِ الشافعيّةِ»[1]، والغرضُ مِن ذلكَ كلّهِ حفظُ الدّينِ.

- وإنَّ التحذيرَ مِن أهلِ الضّلالِ بتَسميَتِهم وذِكرِ ضَلالاتِهم وبيانِ مَفاسِدهم ومساوِئهم لا يُعدُّ تفرقةً لصفّ الأمةِ لأنَّ توحيدَ الصّفّ يكونُ بتوحيدِ صفوفِ أهلِ الحقّ وبيانِ الحقّ حقًّا والباطـلِ باطلًا حتى يتميّزَ الحقُّ منَ الباطلِ ويَعرفَ الناسُ الحقَّ وأهلَهُ فيتّبعوهُ والباطلَ وأهلَهُ فيَجتنبوهُ وبذلكَ سَعادتهم.

- وقَد بيّنَ النبيُّ ﷺ فَضلَ الأمرِ بالمعروفِ والنهـيِ عن المنكرِ في حديثِ أبي ثَعلبةَ الخُشَنِيّ قالَ أبو أميّة الشعبانيّ أتيتُ أبا ثعلبةَ الخُشَنِيّ فقلتُ لهُ كيفَ تَصنعُ في هذهِ الآيةِ فقالَ أيّة آيةٍ قُلتُ قولهُ تَعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾[2] فقالَ أما واللهِ لقَد سَألتَ عنهَا خبيرًا سألتُ عنهَا رسولَ الله ﷺ فقالَ «**بلِ ائتَمروا بالمَعروفِ وتناهَوا عنِ المُنكرِ حتّى إذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا وهَوًى مُتَّبَعًا ودنيا مؤثَرة وإعجابَ كلّ ذي رأيٍ برأيِهِ فعليكَ بخاصّةِ نفسكَ ودَع عنكَ أمرَ العوامّ، فإنَّ من وَرائكُم أيامَ الصّبرِ، الصّبرُ فيهنَّ كقبضٍ على الجمرِ، للعاملِ فيهـنَّ مثـلُ أجرِ خَمسينَ**» فقالوا منّا أم منهُم يا رسولَ الله قال «**بَل منكُم**»[3] اهـ أي مِثلُ أجرِ خمسينَ منكُم في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ، فإنَّ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ حفظَ الدّينِ.

واللهُ تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) السبكي. طبقات الشافعية الكبرى. ج٥ ص٧٥.

(٢) سورة المائدة/ آية ١٠٥.

(٣) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب المهدي: باب الأمر والنّهْي. ج٤ ص٢١٥.

المحاضرة الثانية والعشرون

التعريفُ بابنِ تيميةَ

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلِهِ وصَحابتِهِ الطّاهرين

- ليُعلم أنَّ ابنَ تيميةَ هوَ أبو العبّاسِ أحمدُ بنُ عبدِ الحليمِ الحَرّانيُّ الدمشقيُّ ولدَ بحرّانَ سنةَ ٦٦١ هـ ببيتِ عِلم منَ الحنابلةِ وقَد أتى بهِ والدهُ إلى الشامِ خوفًا منَ المغولِ، وكانَ أبوهُ رجلًا هادئًا أكرمَهُ علماءُ الشامِ ورجالُ الحكومةِ حتى ولَّوهُ عدةَ وظائفَ علميّةٍ مساعدةً لهُ، وبعدَ أن ماتَ والدهُ ولَّوا ابنَ تيميةَ هذا وظائفَ والدِه بَل حضَروا درسَهُ تشجيعًا لهُ على المضيّ في وظائفِ والدهِ وأثنَوا عليهِ خيرًا كما هوَ شأنهم معَ كلّ ناشئ حقيقٍ بالرّعايةِ، لكنْ ثناءُ هؤلاءِ غرَّ ابنَ تيميةَ ولم ينتبه إلى الباعثِ على ثنائِهم فبدأَ يذيعُ بِدَعًا بينَ حينٍ وآخرَ فخابَ ظنّهُم وعلِموا أنهُ فاتِنٌ بالمعنى الحقيقيّ فتخلَّوا عنهُ واحدًا إثرَ واحدٍ على توالي فتنهِ.
- ثم إنَّ ابنَ تيميةَ وإن كانَ ذاعَ صيتهُ وكثُرت مؤلفاتهُ وأتباعهُ هوَ كما قالَ فيه المحدّثُ الحافظُ الفقيهُ وليُّ الدّينِ العراقيُّ في «الأجوبةِ المرضيّةِ على الأسئلةِ المكيّةِ» «عِلمُهُ أكبرُ مِن عقلِه»[1] اهـ. وقالَ أيضًا «إنهُ خرقَ الإجماعَ في مسائلَ كثيرةٍ قيلَ تبلغُ ستينَ مسألة بعضُها في الأصولِ وبعضُها في الفروعِ خالفَ فيها

(١) العراقي. الأجوبة المرضية على الأسئلة المكية. ص ٩٢، ٩٣.

بعدَ انعقادِ الإجماعِ عليها»[1] اهـ. وتبعهُ على ذلكَ خلقٌ منَ العَوام وغيرهم فأسرعَ علماءُ عَصرهِ في الردّ عليهِ وتبديعهِ منهُم الحافظُ تقيُّ الدّينِ السّبكيُّ حيثُ قالَ في الدرّةِ المُضِيّةِ[2] «أما بعدُ فإنهُ لما أحدثَ ابنُ تيميةَ ما أحدثَ في أصولِ العقائدِ ونقضَ مِن دَعائمِ الإسلامِ الأركانَ والمعاقدَ بعدَ أن كانَ مُستَترًا بِتبَعِية الكتابِ والسّنَّةِ مظهرًا أنّه داعٍ إلى الحقّ هادٍ إلى الجنةِ فخرجَ عنِ الاتّباعِ إلى الابتداعِ، وشذَّ عَن جماعةِ المسلمينَ بمخالفةِ الإجماعِ» اهـ.

• وهاكُم بعضَ مقالاتِ ابنِ تيميةَ التي خالفَ فيها الإجماعَ:

المقالةُ الأولى قولهُ إنَّ العالمَ قديمٌ بالنوعِ

ذكرَ هذهِ المقالةَ في سبعةٍ مِن كُتبهِ وهي موافقة صريحِ المعقولِ لصحيحِ المنقولِ[3] ومنهاج السّنةِ النبويّةِ[4] وشرح حديثِ النزولِ[5] وشرح حديثِ عِمرانَ ابنِ حصينٍ[6] ومجموع الفتاوَى[7] ونقد مراتبِ الإجماعِ[8] وفي مجموعةِ تفسير مِن ستّ سورٍ[9] وكل هذهِ الكتبِ مطبوعةٌ.

(١) العراقي. الأجوبة المرضية على الأسئلة المكية. ص ٩٣، ٩٥.

(٢) السبكي. مقدمة الدرة المضية.

(٣) ابن تيمية. موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. ج٢ ص٧٥.

(٤) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. ج١ ص٢٢٤.

(٥) ابن تيمية. شرح حديث النزول. ص ١٦١.

(٦) ابن تيمية. شرح حديث عمران بن الحصين. ص١٩٣.

(٧) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج١٨ ص٢٣٩.

(٨) ابن تيمية. نقد مراتب الإجماع. ص١٦٨.

(٩) ابن تيمية. مجموعة تفسير من ستّ سور. ص١٢-١٣.

المقالةُ الثانيةُ قولهُ بقيامِ الحوادثِ بذاتِ الله تَعالى

ذكرَ هذهِ المقالةَ في كتابهِ موافقة صريحِ المعقولِ لصحيحِ المنقولِ[١٠] وكتابهِ منهاج السّنةِ النبويّةِ[١١].

المقالةُ الثالثةُ قولُه بالجسميّةِ في حقّ الله تَعالى

ذكرَ هذهِ المقالةَ في كتابهِ شرح حديثِ النُّزولِ[١٢] وكتابهِ موافقة صريحِ المعقولِ لصحيحِ المنقولِ[١٣] وكتابهِ منهاج السّنةِ النبويّةِ[١٤].

المقالةُ الرابعةُ قولُه إنَّ الله يتكلّمُ بحرفٍ وصوتٍ

ذكرَ هذهِ المقالةَ في كتابهِ المسمى رسالة في صفةِ الكلامِ[١٥] وكتابهِ موافقة صريحِ المعقولِ لصحيحِ المنقولِ[١٦] وكتابهِ منهاج السّنةِ النبويّةِ[١٧].

المقالةُ الخامسةُ قولهُ بالانتقالِ والحركةِ والنُّزولِ على معنى النقلة والحركة في حقّ الله تَعالى

ذكرَ هذهِ المقالةَ في كتابهِ منهاج السّنةِ النبويّةِ[١٨] وكتابهِ موافقة صريحِ المعقولِ

(١٠) ابن تيمية. موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. ج١ ص٦٤.

(١١) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. ج١ ص٢١٠.

(١٢) ابن تيمية. شرح حديث النزول. ص ٨٠.

(١٣) ابن تيمية. موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. ج١ ص٦٢.

(١٤) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. ج١ ص١٩٧ ونحوه ج١ ص٢٠٤.

(١٥) ابن تيمية. الكتاب المسمى رسالة في صفة الكلام. ص ٥١.

(١٦) ابن تيمية. موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. ج٢ ص١٤٣-١٥١ و ج٤ ص١٠٧.

(١٧) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. ج١ ص٢٢١.

(١٨) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. ج١ ص٢١٠.

لصحيحِ المنقولِ[١] وكتابه شرح حديثِ النُّزولِ[٢].

المقالةُ السّادسةُ قولهُ بنسبةِ الحدّ لذاتِ الله تَعالى

ذكرَ هذهِ المقالةَ في كتابِهِ موافقة صريحِ المعقولِ لصحيحِ المنقولِ[٣] وكتابِهِ بيانِ تلبيسِ الجهميّةِ[٤].

المقالةُ السّابعةُ قولُه بالجلوسِ في حقّ الله تَعالى

ذكرَ هذهِ المقالةَ في كتابِهِ منهاج السّنة[٥] وكتابِهِ شرح حديثِ النُّزولِ[٦] وكتابِهِ بيانِ تلبيسِ الجهميّةِ[٧] وكتابه مجموع الفتاوى[٨].

المقالةُ الثامنةُ قولُه بفناءِ النارِ وانتهاءِ عذابِ الكفارِ فيهَا

ذكرَ هذهِ المقالةَ في كتابِهِ الردّ على مَن قالَ بفناءِ الجنةِ والنارِ[٩] ونقلَها عنهُ تلميذهُ ابنُ قَيّمِ الجوزيّةِ في كتابِهِ حادِي الأرواحِ إلى بلادِ الأفراحِ[١٠].

---

(١) ابن تيمية. موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. ج٢ ص٢٦ وج٢ ص٤-٥.

(٢) ابن تيمية. شرح حديث النزول. ص٢٣ وص٦٦.

(٣) ابن تيمية. موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. ج٢ ص٢٩-٣٠.

(٤) ابن تيمية. بيان تلبيس الجهمية. ج١ ص٤٤٥.

(٥) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. ج١ ص٢٦٢.

(٦) ابن تيمية. شرح حديث النزول. ص٦٦-١٠٥.

(٧) ابن تيمية. بيان تلبيس الجهمية. ج١ ص٥٧٦.

(٨) ونص عبارة ابن تيمية والعياذ بالله: «فقد حدث العلماء المرضيون وأولياؤه المقبولون أن محمدًا يجلسه ربه على العرش معه» اهـ. ابن تيمية. الفتاوى. ج٣ ص٢٢٩.

(٩) ابن تيمية. الرد على من يقول بفناء الجنة والنار. ص٦٧.

(١٠) ابن قيم الجوزية. حادي الأرواح. ص٥٧٩-٥٨٢.

المقالةُ التاسعةُ قولُه بنفيِ التأويلِ التفصيليّ عنِ السّلفِ

ذكرَ هذهِ المقالةَ في فتاويهِ[١].

المقالةُ العاشرةُ قولُه بتحريمِ التوسّلِ بالأنبياءِ والصّالحينَ والتبرّكِ بهِم وآثارِهِم

ذكرَ هذهِ المقالةَ في كتابهِ المسمى التوسّلَ والوسيلة[٢] وكتابهِ الردّ على المنطقيين[٣].

المقالةُ الحادية عَشْرةَ قولُه إنَّ إنشاءَ السّفرِ لزيارةِ قبرِ النبيّ ﷺ معصيةٌ لا تُقصَرُ فيه الصّلاةُ

ذكرَ هذهِ المقالةَ في فتاويهِ[٤] والفتاوَى الكبرى[٥].

المقالةُ الثانيةَ عَشرةَ قولهُ بإلغاءِ الطّلاقِ المحلوفِ بهِ معَ الحِنْثِ وجعلُه كالحلفِ بالله في إيجابِ الكفّارةِ

ذكرَ هذهِ المقالةَ في فتاويهِ[٦].

وقَد أوردَ كثيرًا مِن هذهِ المقالاتِ الحافظُ أبو سعيدٍ العلائيُّ شيخُ الحافظِ العراقيّ نقلَ ذلكَ الحافظُ المؤرّخُ شمسُ الدّينِ بنُ طُولُون في «ذخائرِ القصرِ».

---

(١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج٦ ص٣٩٤.

(٢) ابن تيمية. الكتاب المسمى التوسل والوسيلة. ص ٢٤-١٥٠.

(٣) ابن تيمية.الرد على المنطقيين. ص٥٣٦.

(٤) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج٤ ص٥٢٠.

(٥) ابن تيمية. الفتاوى الكبرى. ج١ ص١٤٢.

(٦) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج٣٣ ص٤٦.

- **ذِكرُ بعضِ مَن ذمَّ ابنَ تيميةَ**

- قالَ الشيخُ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ في «الفتاوَى الحديثيةِ»[1] «وإياكَ أن تُصغي إلى ما في كتبِ ابنِ تيميةَ وتلميذِهِ ابنِ قيّمِ الجوزيّةِ وغيرِهما ممَن اتخذَ إلٰهَهُ هواهُ وأضلّهُ الله على علمٍ وختمَ على سَمعِهِ وقلبِهِ وجعلَ على بَصرِهِ غِشاوةً فمَن يهدِهِ مِن بَعد الله» اهـ.

وقالَ أيضًا في «حاشيةِ الإيضاحِ في المناسكِ للنوويّ»[2] «ولا يُغترَّ بإنكارِ ابنِ تيميةَ لسنّ زيارتِهِ ﷺ فإنهُ عبدٌ أضلّهُ الله كما قالَ العزُّ بنُ جَماعة وأطالَ في الردّ عليهِ التقيُّ السّبكيُّ، ووقوعُه في حقّ رسولِ الله ﷺ ليسَ بعجيبٍ فإنهُ وقعَ في حقّ الله فنسبَ إليهِ العَظائمَ كقولِهِ إنَّ للهِ تَعالى جهةً وعينًا جارحةً ويدًا جارحةً ورِجلا وغيرَ ذلكَ منَ القبائحِ الشّنيعةِ» اهـ وقالَ أيضًا «ولقَد كفَّرهُ -أيِ ابنَ تيمية- كثيرٌ منَ العلماءِ» اهـ.

- وكانَ الذهبيُّ وهوَ مِن مُعاصِري ابنِ تيمية مدحَهُ في أوّلِ الأمرِ ثم لما انكشفَ لهُ حالهُ قالَ في رسالتِهِ «بيانِ زغلِ العلم والطّلبِ»[3] «فوالله ما رَمقَت عَيني أوسعَ علمًا ولا أقوى ذكاءً مِن رجلٍ يقال لهُ ابنُ تيمية» ثم قال: «وقَد تَعبتُ في وزنِهِ وفَتْشِه حتى مَلِلْتُ في سنينَ طويلة فما وجدتُ أخَّرَهُ بينَ أهلِ مصرَ والشامِ ومقتتهُ نفوسُهم وازدروا بِهِ وكذّبوهُ وكفّروهُ إلا الكبرَ والعجبَ وفرطَ الغرامِ في رئاسةِ المشيخةِ والازدراء بالكبار» اهـ. فتبيّنَ أنَّ الذهبيَّ ذمَّ ابنَ تيمية لأنَهُ خاضَ في الفلسفةِ وكلامِ المبتدعةِ في العقيدةِ كالمشبّهةِ وهذا القدحُ منَ الذهبيّ في ابنِ تيمية يُضعّفُ الثناءَ الذي أثنى عليهِ في «تذكرةِ

---

(١) أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي. مطلب في عقيدة الإمام أحمد رضي الله عنه وأرضاه. ص٢٠٣.

(٢) حاشية ابن حجر على مناسك النووي. ص٤٨٩.

(٣) الذهبي. بيان زغل العلم والطلب. ص٣٨.

الحفّاظِ» بقولِه «ما رأَت عينايَ مثلهُ وكأنَّ السّنة نصبَ عينيهِ» اهـ.

• وقدِ استُتيبَ ابنُ تيمية مرّاتٍ[١] وهوَ ينقضُ مواثيقَهُ وعهودَهُ في كلّ مرّةٍ حتى حُبسَ بفتوى منَ القُضاةِ الأربعةِ الشّافعيّةِ والمالكيّةِ والحنفيّةِ والحنابلةِ وحكَموا عليهِ بأنهُ ضالٌّ يجبُ التحذيرُ منهُ كما قالَ ابنُ شاكرٍ الكتبيّ في عيونِ التواريخِ[٢] وهوَ مِن تلامذةِ ابنِ تيمية.

وأصدرَ الملكُ محمّدُ بنُ قَلاوونَ مَنشورًا ليقرأَ على المنبرِ في مصرَ والشامِ للتحذيرِ منهُ ومِن أتباعِه واعتقلَ بالقلعةِ إلى أَن ماتَ سنةَ ٧٢٨هـ.

• قالَ صلاحُ الدّينِ الصّفديُّ تلميذُ ابنِ تيميةَ والتقيّ السّبكيّ في «أعيانِ العصرِ وأعوانِ النصرِ»[٣] «ما دمَّرَ عليهِ -أي ابنِ تيمية- شيءٌ كمسئلةِ الزيارةِ ولا شُنَّ عليهِ مثلُها غارة دخلَ منهَا إلى القلعةِ معتقلًا وجفاهُ صاحبهُ وقلاه وما خرجَ منها إلا على الآلةِ الحدباءِ ولا درجَ منها إلا إلى البقعةِ الجدباءِ» اهـ. قالَ ذلكَ بعدما مدحهُ مدحًا كثيرًا.

• ذِكرُ أسماءِ بعضِ العلماءِ والفقهاءِ والقضاةِ الذينَ ناظَروا ابنَ تيميةَ أو ردّوا عليهِ وذكَروا مَعايبَهُ ممن عاصروهُ أو جاءوا بعدهُ مِن شافعيّةٍ وحنفيّةٍ ومالكيّةٍ وحنابلةٍ ونذكرُ رسائلَهُم وكتبَهُم التي ردّوا عليهِ فيهَا فمنهُم:

- المفسّرُ أبو حيانَ الأندلسيّ المتوفّى سنةَ ٧٤٥هـ.

تفسيرُ النهرِ المادّ منَ البحرِ المحيطِ.

---

(١) ابن المعلم القرشي. نجم المهتدي ورجم المعتدي. ج٢ ص ٥٣٢.

(٢) ابن شاكر الكتبي. عيون التواريخ. ص١٧٩، الحصني. دفع شبه من شبه وتمرد. ص٤٣-٤٥.

(٣) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. أعيان العصر وأعوان النصر. ص٥٨.

- **مُعاصرهُ الحافظُ الذهبيُّ المتوفّى سنةَ ٧٤٨هـ.**

بيانُ زغلِ العلمِ والطّلبِ.

النصيحةُ الذهبيّةُ.

- **الحافظُ تقيُّ الدّينِ السّبكيُّ المتوفّى سنةَ ٧٥٦هـ.**

الدرّةُ المضيّةُ في الردّ على ابنِ تيميةَ.

الاعتبارُ ببقاءِ الجنةِ والنارِ.

رفعُ الشّقاقِ في مسألةِ الطّلاقِ.

- **قدحَ فيهِ الحافظُ أبو سعيدٍ العلائيُّ المتوفّى سنة ٧٦١هـ.**

ذخائرُ القصرِ في تراجمِ نبلاءِ العصرِ لابنِ طُولون. (نقل عن أبي سعيد)

أحاديثُ زيارةِ قبرِ النبيّ ﷺ.

- **الشيخ المؤرّخُ ابنُ شاكرٍ الكتبيّ المتوفّى سنة ٧٦٤هـ.**

عيونُ التواريخِ.

- **الحافظُ وليُّ الدّينِ العراقيُّ المتوفّى سنةَ ٨٢٦هـ.**

الأجوبةُ المرضيّةُ في الردّ على الأسئلةِ المكيّةِ.

- **الفقيهُ أبو بكرٍ الحصنيُّ المتوفّى سنةَ ٨٢٩هـ.**

دفعُ شُبَهِ مَن شَبَّهَ وتمرّدَ.

- **الحافظُ ابنُ حجرٍ العسقلانيُّ المتوفّى سنةَ ٨٥٢هـ.**

الدّررُ الكامنةُ في أعيانِ المائةِ الثامنةِ.

الإشارةُ بطُرقِ حديثِ الزيارةِ.

- **الشيخُ جلالُ الدّينِ الدّوانيُّ المتوفّى سنةَ ٩٢٨هـ.**

شرحُ العَضُديةِ.

- **الشيخُ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ المتوفّى سنةَ ٩٧٤هـ.**

الفتاوَى الحديثيةُ.

حاشيةُ الإيضاحِ في المناسكِ.

- **وكيلُ المشيخةِ الإسلاميةِ في دارِ الخِلافةِ العُثمانيّةِ الشّيخُ محمّدُ زاهِد الكَوثريُّ المتوفّى سنةَ ١٣٧١هـ.**

مقالاتُ الكوثريّ

التعقّبُ الحثيثُ لما ينفيهِ ابنُ تيميةَ منَ الحديثِ.

- **الشيخُ المحدّثُ عبدُ الله الغُماريُّ المغربيُّ المتوفّى سنةَ ١٤١٣هـ.**

إتقانُ الصّنعةِ في تحقيقِ مَعنى البدعةِ.

- **الشيخ المحدث عبد الله الهرري المتوفى سنة ١٤٢٩هـ.**

المقالات السنية في كشف ضلالات أحمد ابن تيمية.

وغيرهم الكثير الكثير.

فانظُر أيّها الطّالبُ للحقّ وتمعّن فكيفَ يلتفتُ بعدَ ذلكَ إلى رجل تكلّمَ فيهِ كلُّ هؤلاءِ العلماء ليبيّنوا حقيقتَهُ للناسِ وليحذّروا منهُ فهَل يكونُ بيانُ الحقّ شَيئًا يعترَضُ عليهِ، سبحانكَ هذا بهتانٌ عظيمٌ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة الثالثة والعشرون

الوهابيّةُ أتباعُ محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ النَّجْدِيّ

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- قالَ رسولُ الله ﷺ «**اللهمَّ بارِك في شامِنا ويمنِنا**» قالوا وفي نجدِنا يا رسولَ الله قالَ «**اللهمَّ بارِك في شامِنا ويمنِنا**» قالوا وفي نجدِنا يا رسولَ الله قالَ «**هناكَ يَطلعُ قرنُ الشّيطانِ**» أيْ قوّةُ الشّيطانِ، رواهُ البخاريُّ[1] ومِن نجد الحجازِ طلَع محمّدُ ابنُ عبدِ الوهّابِ النجديّ.
- وكانَ ابتداءُ ظهورِ أمرِ محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ في الشّرقِ سنةَ ١١٤٣هـ واشتهرَ أمرهُ بعدَ سنةِ ١١٥٠هـ بنجد الحجازِ وقُراها وتُوفي سنةَ ١٢٠٦هـ.

وقَد ظهرَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ بدَعوةٍ ممزوجةٍ بأفكارٍ منهُ زعمَ أنها منَ الكتابِ والسّنةِ، وأخذَ ببعضِ بدعِ ابنِ تيميةَ فأحيَاها وهيَ تحريمُ التوسّلِ بالنبيّ، وتحريمُ السّفرِ لزيارةِ قبرِ الرّسولِ ﷺ وغيرِهِ منَ الأنبياءِ والصّالحينَ بقَصدِ الدّعاءِ هناكَ رجاءَ الإجابةِ منَ الله، وتكفيرُ مَن يُنادي بهذا اللفظِ يا رسولَ الله أو يا محمّدُ أو يا عليّ أغثني أو بمثلِ ذلكَ إلا للحيّ الحاضرِ، وإلغاءُ الطّلاقِ المحلوفِ بهِ معَ الحنثِ وجعلهُ كالحلفِ بالله في إيجابِ الكفّارةِ، وعقيدةُ التجسيمِ للهِ والتحيّزِ في جهةٍ.

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الوتر: باب ما قيل في الزّلازل والآيات. ج٢ ص٤١.

- ابتدعَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ مِن عندِ نفسهِ تحريمَ تعليقِ الحروزِ[1] التي ليسَ فيهَا إلا القرآنُ أو ذكرُ الله، وتحريمَ الجهرِ بالصّلاةِ على النبيّ ﷺ عقبَ الأذانِ[2]، وأتباعهُ يحرّمونَ الاحتفالَ بالمولدِ الشّريفِ[3] خلافًا لشَيخهِم المجسّم ابنِ تيميةَ[4].

- قالَ الشيخُ أحمدُ زيني دَحلان مُفتي مكةَ في أواخرِ السَّلطنةِ العُثمانيّةِ في تاريخهِ «الفتوحاتِ الإسلاميةِ» تحتَ فصلِ «فتنة الوهّابيةِ»[5] «كانَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ في ابتداءِ أمرهِ مِن طَلبةِ العلمِ في المدينةِ المنوّرةِ على ساكِنها أفضلُ الصّلاةِ والسّلام وكانَ أبوه رجلًا صالحًا مِن أهلِ العلمِ وكذا أخوهُ الشيخُ سليمانُ وكانَ أبوهُ وأخوهُ ومشايخهُ يتفرّسونَ فيهِ أنهُ سيكونُ منهُ زيغٌ وضلالٌ لما يشاهدونهُ مِن أقوالهِ وأفعالهِ ونزغاتهِ في كثيرٍ منَ المسائلِ، وكانوا يُوبخونهُ ويحذّرونَ الناسَ منهُ، فحقّقَ الله فِراستهُم فيهِ لما ابتدعَ ما ابتدعَهُ منَ الزّيغِ والضّلالِ الذي أغوَى بهِ الجاهلينَ وخالفَ فيهِ أئمةَ الدّينِ وتوصلَ بذلكَ إلى تكفيرِ المؤمنينَ، فزعمَ أنَّ زيارةَ قبرِ النبيّ والتوسلَ بهِ وبالأنبياءِ والأولياءِ وزيارةَ قبورهِم للتبرّكِ شركٌ، وأنَّ نداءَ النبيّ عندَ التوسّلِ بهِ شركٌ وكذا نداءُ غيرهِ منَ الأنبياءِ والأولياءِ عندَ التوسّلِ بهم شركٌ، وأنَّ مَن أسندَ لغيرِ الله ولَو عَلى سبيلِ المجازِ العقليّ يكونُ مشركًا نحوُ نَفعني هذا الدواءُ، وهذا الوليُّ عندَ التوسّلِ بهِ في شيءٍ، وتمسّكَ بأدلّةٍ لا تنتجُ لهُ شيئًا مِن مَرامهِ وأتى بعباراتٍ مزورة زخرَفها ولبّسَ بها على العوامّ حتى تبعوهُ وألّفَ لهم في ذلكَ رسائلَ حتى اعتقَدوا كفرَ

---

(١) محمد بن عبد الوهاب. الكتاب المسمى معلومات من الدين. ص١٦.

(٢) ابن باز. تعليق ابن باز على فتح الباري. ج١ ص٩٢.

(٣) ابن باز. تعليق ابن باز على فتح الباري. ص٩٧.

(٤) ابن تيمية. الكتاب المسمى اقتضاء الصراط المستقيم. ص٤.

(٥) أحمد بن زيني دحلان. فتنة الوهابية. ص٤.

أكثرِ أهلِ التوحيدِ» اهـ. وقالَ أيضًا «ويمنعونَ منَ الصّلاةِ على النبيّ على المنائرِ بعدَ الأذانِ حتى إنَّ رجلًا صالحًا كانَ أعمَى وكانَ مؤذّنًا وصلَّى على النبيّ ﷺ بعدَ الأذانِ بعدَ أن كانَ المنعُ منهُم، فأتَوا بهِ إلى محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ فأمرَ بهِ أن يُقتَلَ فقُتِلَ، ولو تتبعتُ لكَ ما كانوا يفعلونهُ مِن أمثالِ ذلكَ لملأتُ الدّفاترَ» اهـ.

وقالَ أيضًا «كانَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ الذي ابتدعَ هذهِ البدعَ يخطبُ للجمعةِ في مسجدِ الدرعيةِ ويقولُ في كلّ خطبةٍ ومَن توسّلَ بالنبيّ فقَد كفرَ، وكانَ أخوهُ الشيخُ سليمانُ بنُ عبدِ الوهّابِ يُنكرُ عليهِ إنكارًا شديدًا في كلّ ما يَفعلهُ وقالَ لهُ يومًا كَم أركانُ الإسلامِ يا محمّدُ فقالَ «خمسةٌ» فقالَ «أنتَ جعلتَها ستةً السادسُ مَن لم يَتبَعك فليسَ مسلمًا» اهـ.

وقالَ أيضًا «وممن ألّفَ في الردّ على محمّدِ بنِ عبدِ الوهابِ أكبرُ مشايخهِ وهوَ الشيخُ محمّدُ بنُ سليمانَ الكُرديُّ مؤلفُ حواشِي شرحِ ابنِ حجرٍ على متنِ بافضل، وقالَ لهُ «يا ابنَ عبدِ الوهابِ إني أنصحُكَ أن تكُفَّ لسانكَ عنِ المسلمينَ» اه.

وقال أيضًا في نهاية كتابه «هذا حاصلُ ما كان في قصةِ الوهابيّ بغايةِ الاختصارِ ولو بسطَ الكلامُ في كل قضيةٍ لطالَ، وكانت فتنتُهم من المصائبِ التي أصيبَ بها أهلُ الإسلامِ فإنهم سفكوا كثيرًا من الدماءِ، وانتهبوا كثيرًا من الأموالِ، وعمَّ ضرَرُهم، وتطايرَ شررُهم فلا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، وكثيرٌ من أحاديثِ الرسولِ فيها التصريحُ بهذه الفتنةِ كقوله ﷺ «**سيماهُم التحليقُ**»[1]، لأنهم كانوا يأمرون كلَّ من اتَّبعهم أن يحلقَ رأسَه ولم يكن هذا الوصفُ لأحدٍ من طوائفِ الخوارجِ والمبتدعةِ الذين كانوا قبل زمن هؤلاء. وكانَ السيّدُ عبدُ الرحمنِ الأهدلُ مُفتي

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم. ج٩ ص١٩٨. وتتمة الحديث: «عن النبي ﷺ قال: «**يخرجُ ناسٌ من قِبَلِ المشرقِ ويقرؤون القرآنَ لا يجاوزُ تراقيَهم، يمرُقون من الدينِ كما يمرُقُ السهمُ من الرميةِ ثم لا يعُودون فيهِ حتى يعودَ السهمُ إلى فُوقِه**»، قيل: ما سيماهم قال: «**سيماهُم التحليقُ**»اهـ.

زَبيد يقولُ «لا يُحتاجُ التأليفُ في الردّ على محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ النجديّ بَل يكفي الردُّ عليهِ قولهُ ﷺ «**سيماهُم التّحليق**» فإنهُ لم يفعلهُ أحدٌ منَ المبتدعةِ غيرُهم»[1]اهـ. وذلكَ أنَّ أتباعَ محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ كانوا يأمرونَ مَنِ اتّبعهُم أن يحلقَ رأسَهُ ولا يتركونهُ يُفارقُ مجلسَهُ حتى يحلِقَ رأسَهُ.

- **محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ ليسَ عالـمًا:**

– محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ النجديّ هوَ رجلٌ لم يشهَد لهُ أحدٌ مِن علماءِ عصرِهِ بالعلمِ بَل إنَّ أخاهُ سليمانَ بنَ عبدِ الوهّابِ ردَّ عليهِ ردّينِ لمخالفتهِ ما كانَ عليهِ المسلمونَ مِن أهلِ بلدهِ وغيرِهِ أحدُ الردّينِ يُسمّى «الصواعق الإلهيّة في الردّ على الوهابيّةِ» والردُّ الآخرُ يُسمّى «فصل الخطابِ في الردّ على محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ». وكذلك حذر منه مشايخه كالشيخ محمد بن سليمان الكردي في كتابه «الفتاوى» كما تقدم.

– وكذلكَ العَالمُ الشهيرُ الحنبليُّ مُفتي مكّةَ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ حُميدٍ وكانَ تُوفّي بعدَ محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ النجديّ بنحوِ ثمانينَ سنةً كتبَ كتابًا سماهُ «السُّحب الوابلة على ضَرائحِ الحنابلةِ»[2] ذكرَ فيهِ نحوَ ثمانمائةِ عالِـم وعالِـمةٍ في المذهبِ الحنبليّ ولم يَذكُر محمّدَ بنَ عبدِ الوهّابِ النجديّ في عدادِ أهلِ العلمِ منَ الحنابلةِ بَل ذكرَ في ترجمةِ والدِ محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ فقالَ «هوَ والدُ محمّدٍ صاحبِ الدّعوةِ التي انتشرَ شررُها في الآفاقِ لكن بينَهُما تباينٌ معَ أنَّ محمّدًا لم يَتظاهَر بدَعوتهِ إلا بعدَ موتِ والدِهِ، وأخبرني بعضُ مَن لَقيتهُ عَن بعضِ أهلِ العلمِ عمّن عاصَر الشيخ عبدَ الوهّابِ أنهُ كانَ غَضبانَ عَلى ولدِهِ محمّدٍ لكونهِ لم يَرضَ أَن يشتغِلَ بالفقهِ كأسلافهِ وأهلِ جهتهِ وحذّرَ منهُ وكانَ يقولُ للناسِ «يا ما ترونَ مِن محمّدٍ مِنَ الشرّ» وقَد قدّرَ الله أَن صارَ ما صارَ»اهـ.

---

(١) أحمد بن زيني دحلان. فتنة الوهابية. ص١٨–١٩.

(٢) محمّد بن عبد الله بن حميد. السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة. ص٢٧٥.

• محمّدُ بنُ عبدِ الوهاب يدعُو إلى دينٍ غيرِ الإسلام:

وقَد أحدثَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ النجديُّ دينًا جديدًا غيرَ دينِ الإسلامِ علَّمهُ لأتباعهِ الوهابيةِ، وأصلُ هذا الدّينِ شيئانِ:

– الأولُ اعتقادُ أنَّ الله يُشبهُ البشرَ وأنهُ جسمٌ قاعدٌ على العرشِ وكذّبَ بذلك قولَ الله تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[1].

– والثاني تكفيرُ مَن يقولُ يا محمّدُ أو مَن يَزورُ قبورَ الأنبياءِ والأولياءِ للتبرّكِ أو مَن يُعلّقُ على صدرهِ حرزًا فيهِ قرآنٌ وذكرُ الله ويجعلونَ ذلكَ كعِبادةِ الصّنمِ.

فقد قالَ في كتابه المسمَّى كشفَ الشبهات[2] تحتَ عنوان «فصلٌ في إثباتِ أن شركَ الأوَّلين أخفُّ من شركِ أهلِ زمانِنا» بعد ذكره تكفيرَ المتوسلين بالأنبياءِ والصالحين ما نصُّه «فإذا عرفت أن هذا الذي يسميه المشركون في زمانِنا (الاعتقاد) هو الشركُ الذي نزلَ فيه القرآن وقاتلَ رسولُ الله – ﷺ – الناسَ عليه، فاعلم أنَّ شركَ الأولين أخفُّ من شركِ أهل زماننا بأمرين:

– أحدُهما: أنَّ الأولين يشركون ويدعون الملائكةَ والأولياءَ والأوثانَ مع الله في الرخاء، وأما في الشدةِ فيخلصونَ لله الدعاءَ. كما قال تعالى ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾[3]».

– ثم قال: «الأمرُ الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناسًا مقربين عند الله إما أنبياء، وإما أولياء، وإما ملائكة، أو يدعون أشجارًا أو أحجارًا مطيعة لله ليست عاصيةً. وأهلُ زمانِنا يدعون مع الله أناسًا من أفسقِ الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجورَ من الزنا والسرقةِ وتركِ الصلاةِ

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

(٢) محمد بن عبد الوهاب. المسمى كشف الشبهات. ص٣١-٣٢.

(٣) سورة الإسراء/ آية ٦٧.

وغيرِ ذلك». ثم قال «إذا تحققت أنَّ الذين قاتلَهم رسولُ الله -ﷺ- أصحُّ عقولًا وأخفُّ شركًا من هؤلاء» أي الذين يتوسلون بالأنبياءِ والصالحين والعياذُ بالله تعالى.

- **لا يجوزُ ولا يصحُّ تسميةُ الوهّابيةِ سلفيّةً:**

يُسمّي الوهابيةُ أنفسَهُم سلفيّةً ليُوهموا بعضَ الناسِ أنهم عَلى عقيدةِ السّلفِ وهُم كاذبونَ في ذلكَ فهُم ليسُوا سلفيّةً لا مِن حَيثُ الزّمنُ لأنَّ السّلفَ كانوا مِن أكثرَ مِن ألفِ سنةٍ وأما محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ النجديُّ فكانَ مِن نحوِ مائتينِ وثمانينَ سنةً، ولا سَلفيةً مِن حيثُ العقيدةُ لأنَّ السّلفَ الصّالحَ متّفقونَ عَلى أنَّ مَن وصفَ الله ولو بصفةٍ واحدةٍ مِن صفاتِ البشرِ فقَد كفرَ كما قالَ الإمامُ السّلفيُّ الطّحاويُّ في عقيدتهِ المشهورةِ باسمِ العقيدةِ الطّحاويةِ «ومَن وصفَ الله بمعنى مِن مَعاني البشرِ فقَد كفرَ» اهـ.

- **الوهابيّةُ يكفّرونَ المسلمينَ القائلينَ «يا محمّد»:**

ومما يشهَدُ على أنَّ الوهابيةَ يكفّرونَ مَن يقولُ يا محمّدُ ما قالوهُ في كتابهِم المسمَّى كيفَ نَفهَمُ التوحيدَ لمحمّد باشميل[1] «أبو جَهلٍ وأبو لهبٍ أكثرُ توحيدًا للهِ وأخلصُ إيمانًا بهِ منَ المسلمينَ الذينَ يقولونَ لا إلـٰهَ إلا الله محمّدٌ رسولُ الله ويتوسّلونَ بالأولياءِ والصّالحينَ» اه. وقَد خَالفوا بذلكَ ما كانَ عليهِ الصّحابةُ والسّلفُ الصّالحُ وشذّوا عن الأمة. فقَد روَى البُخاريُّ في كتابِ «الأدبِ المفردِ»[2] أنَّ الصَّحابيَّ عبدَ الله بنَ عمَرَ بنِ الخطّابِ لما خَدِرَت رجلهُ قالَ «**يا محمّد**». كما تقدّم.

- **محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ يدعُو إلى القتلِ بغيرِ حقّ:**

وبعدَ أَن أحدَثَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ النجديُّ هذا الدّينَ الجديدَ وعلّمهُ

(١) محمد باشميل. الكتاب المسمى كيف نفهم التوحيد. ص١٦.

(٢) البخاري. الأدب المفرد. باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله. ج١ ص٣٣٥.

لأتباعِهِ الوهّابيةِ وضَع لهم قاعدةً قالَ فيها «مَن دخلَ في دعوَتنا فلهُ ما لنا وعليهِ ما علينَا ومَن لم يَدخُل في دعوَتنا فهوَ كافرٌ مباحُ الدّم»[1] اهـ. فعملًا بهذهِ القاعدةِ التي وضعَها محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ لهم يَستحلّونَ تكفيرَ مَن يخالفهُم ويَستحلّونَ قتلهُ.

- **ذكرُ بعضِ الأمورِ التي تشهدُ على تكفيرِ الوهابيّةِ للمسلمينَ:**

ومِن شواهدِ تكفيرِ الوهابيةِ للمسلمينَ ما فعلوهُ سابقًا في الحبشةِ والأردنّ وما يفعلونهُ الآنَ في الصّومال وغيرِها منَ البلادِ فإنهم يقتلونَ المسلمينَ بأبشعِ الوسائلِ ويستحلّونَ نساءَهُم وأموالهم.

وأكثرُ فرقِ الضّلالِ وجودًا اليومَ المشبّهةُ الوهابيّةُ وهاهُم يصرحونَ بتشبيهِ الله بخلقهِ والمشبّهُ ليسَ مسلمًا ويَنشرونَ هذهِ العقيدةَ الفاسدةَ بينَ الناسِ فلا يجوزُ السّكوتُ عنهُم لئلّا يتوهّمَ الناسُ أنهم عَلى الإسلام فيتبعَهُم أكثرُ ممن تبعَهُم قبلُ وتهونَ مخالفتُهم لأهلِ الحقّ في العقيدةِ فيَظنَّ الجاهلُ أنهم مِن جملةِ المسلمينَ وأنَّ تشبيهَ الله هوَ ما جاءَ بهِ النبيُّ الكريمُ، فإنَّ العالِـمَ إذا داهنَ في الدينِ لَـبَّس ذلكَ على العامةِ أمرَ دينِهم وبئسَ الأمرُ ذلكَ.

- **توحيدُ الصفّ لا يكونُ بتركِ التحذيرِ منَ المتطرفينَ:**

لا يجوزُ أن نَسكتَ كما سكَت غيرُنا ممن يَعرفُ ضلالَ هؤلاءِ بدَعوى توحيدِ الصفّ الإسلاميّ بزعمهم وهَل يُوَحَّدُ الصفّ مَع مَن يَستبيحُ دمكَ ومالَكَ؟ وهَل إنكارُ المنكَرِ تفريقٌ لصفّ المسلمينَ؟ حاشَا وكَلا، فإنَّ بيانَ فسادِ الفاسدِ ليسَ تفريقًا للصفّ بل بيانٌ للحقّ، ثُمَّ توحيدُ الصفّ يكونُ مَع مَن يعتقدُ عقيدَتنا مَعشَرَ أهلِ السّنةِ لا مَع مَن يحرّفها ويدّعي أنهُ هوَ وحدَهُ المتّبعُ لمنهجِ رسولِ الله ﷺ ليوهمَ الناسَ أنهُ عَلى الحقّ وأنَّ خلافَهُ لأهلِ السّنةِ هوَ اجتهادٌ مقبولٌ بل هذا خيانةٌ مخالفةٌ لسنّةِ خيرِ الأنبياءِ، وكيفَ نوحّدُ الصّفَّ مَع مَن يُكفّرنا ويَستحلُّ

(١) أحمد بن زيني دحلان. الدرر السنية في الرد على الوهابية. ص ٤٦.

دمَنا؟! فالوهابيّةُ يَرَوننا كفارًا بل يَرونَ كلَّ مَن ليسَ وهابيًّا كافرًا.

- **ذكرُ أمثلةٍ أخرى لتكفيرِ الوهابيّةِ للمُسلمينَ:**

- قالَ الوهابيُّ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ سنان المدرّس في الجامعةِ المسمّاةِ الجامعةَ الإسلاميّةَ في كتابهِ المسمَّى «المجموع المفيد»[1] «قاتِلوا الصّوفيّة قبلَ أن تُقاتِلوا اليهودَ والمجوسَ»اهـ. والصّوفيّةُ هُم عبادُ الله الصّالحونَ منهُم الخلفاءُ الأربعةُ وكثيرٌ منَ التابعينَ وكثيرٌ مِن أتباعِ التابعينَ.

- ومما يشهدُ أيضًا على أنَّ الوهابيّةَ يكفّرونَ مَن يَزورُ قبورَ الأنبياءِ والأولياءِ للتبرّكِ أنَّ شابًّا من إثيوبيا درسَ في جامعةِ الوهابيّةِ خمسَ سنواتٍ ثم رجعَ إلى أهلِ بلدهِ وصارَ يقولُ لهم أنتُم كفّارٌ لأنكُم تقولونَ يا محمّدُ يا عبدَ القادرِ وتعبُدونَ قبورَ المشايخِ ثم قالَ لأبيهِ يا أبي أنتَ كافرٌ فلَم يَتمالكِ الأبُ نفسَهُ بَل ضَربهُ ببُندقِ الرّصاصِ فقَتلهُ ثم سلَّمَ نفسَهُ للحُكومةِ وهذهِ الحادثةُ مضَى عليها أكثر من أربعين سنة.

- وقَد حصلَ قبلَ نحو ثمانينَ سنة أَن هاجمَت الوهابيّةُ شَرقي الأُردن فقَتلوا ثلاثةَ آلافِ مسلمٍ وزيادة وهُم يَرونهم كفّارًا مستحلّينَ سفكَ دمائِهم بَل كانوا يَذبحونَ المسلمَ كما تُذبحُ الشّاةُ يقولونَ بسمِ الله كافرٌ عدوّ الله اذبحوا الكافرَ، وفي المكتباتِ الأردنيّةِ وثائقُ كثيرةٌ تشهدُ لما ذكَرنا.

نسألُ الله أن يُسلّمنا ومَشايخنا وأهلَنا ويحفظَ بلاد المسلمين مِن شرّهم.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) علي بن محمد بن سنان. المسمى المجموع المفيد من عقيدة التوحيد. ص١٠٢.

المحاضرة الرابعة والعشرون

مُلَخَّصُ فَضائح الوهّابيّة
وأنهم تكفيريّونَ شُموليّونَ منقطعُو السّندِ

بسمِ الله الرحمنِ الرحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

وبعدُ يقولُ الله تباركَ وتَعالى ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ١٠٣ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾[1]، وقال تعالى ﴿**كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ**﴾[2]. وقالَ رسولُ الله ﷺ «**أترعونَ عَن ذِكْرِ الفاجرِ اذكروهُ بما فيهِ حتَى يعرفَه الناس ويَحذَرَهُ الناسُ**» رواهُ البيهقيُّ[3]. وعَن عبدِ الله بنِ عُمرَ رضي الله عنهُما عنِ النبيّ ﷺ قالَ «**إذا رأيتَ أمّتي تهابُ أن تَقولَ للظّالمِ يا ظالمُ فقَد تُوُدّعَ منهُم**» رواهُ الحاكمُ وقالَ صحيحُ الإسنادِ[4].

وقالَ ﷺ «**مَن غشّنا فليسَ منّا**» اهـ رواهُ مسلمٌ[5]. وقال الشافعي رضي الله

(١) سورة الكهف/ آية ١٠٣ و١٠٤.

(٢) سورة آل عمران/ آية ١١٠.

(٣) البيهقي. سنن البيهقي. كتاب الشهادات: باب الرّجلِ من أَهل الفقه يسأل عن الرَّجل من أهل الحديثِ فيَقول كُفّوا عن حديثه لأنّه يغلط أو يحدّث بما لم يسمع أو أنّه لا يبصر الفتيا. ج١٠ ص٢١٠.

(٤) الحاكم. المستدرك. كتاب الأحكام. ج٤ ص١٠٨.

(٥) مسلم. صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب قول النبي ﷺ: «**من غشنا فليس منا**»اهـ. ج١=

عنه[١] «ليسَ هذَا بِعَداوةٍ ولا غِيْبَةٍ إذا كانَ يَقُولهُ لِمَن يَخَافُ أَنْ يَتْبَعَهُ فيُخْطئ بِاتّبَاعِه وهذَا مِنْ مَعَاني الشَّهَادَات» اهـ. وقالَ أبو عليّ الدّقاقُ[٢] «السّاكتُ عنِ الحقّ شيطانٌ أخرسُ»اهـ.

فبعدَ مئاتِ السّنين يعودُ الخوارجُ في القرنِ الثاني عشرَ بحملةٍ جديدةٍ على الإسلامِ ما زِلنا نُعاني منهَا حتى اليومَ، بل إنَّ خطرَها آخِذٌ بالتزايُدِ، فليسَ ببَعيدٍ إذا قُلنا إنها مِن أخطرِ الحمَلاتِ التي استهدَفتِ الإسلامَ وعقيدةَ المسلمين ألا وهيَ الحركةُ الوهابيّةُ متسترّةً باسمِ الدّعوةِ السّلفيةِ وانطلقَت مِن نجدٍ فصدَقَ فيها حَديثُ رسولِ الله ﷺ «**بهَا** -أيْ نجدٍ- **يَطلُعُ قرنُ الشّيطانِ**» رواهُ البخاريُّ[٣] وعندَ الترمذيّ[٤] «**منهَا يخَرجُ قرنُ الشّيطانِ**» وحتى يكونَ للوهابيّةِ مدُّها وبُعدُها الدّينيّ المزعومُ ارتكزَت هذهِ الدّعوةُ على التكفيرِ العامّ لكلّ مَن خالفَ دَعوتهم وجعلُوا لذلكَ مجموعةً منَ الركائزِ كتكفيرِ كلّ مَن يَتوسّلُ إلى اللهِ بالأنبياءِ والأولياءِ والصّالحينَ ونحوِ ذلكَ فكفَّروا أهلَ مصرَ والشّامِ والعِراقِ واليَمنِ وكفَّروا كلَّ مَن يتعامَلُ معَ هذهِ البلادِ بالتجارةِ مِن أهلِ نجدٍ أَوِ القرَى المجاورةِ. لقَد كانتِ الوهابيةُ كمَا يذكرُ الشيخُ أحمدُ بنُ زَيني دحلانَ فِتنةً ألمَّتْ بالمسلمين حيثُ اقترفَتِ الوهابيّةُ جرائمَ تقشعرُ لها الأبدانُ فلَم يَسلَم مِن شَرّهم شَيخٌ كبيرٌ ولا امرأةٌ ولا طفلٌ وليدٌ، فقَد أغارت الوهابيةُ على الحرمينِ وما أقاموا حُرمةً

=ص٦٩.

(١) البيهقي. سنن البيهقي. كتاب الشهادات: باب الرّجلِ من أَهل الفقه يسأل عن الرَّجل من أهل الحديثِ فيقول كُفّوا عن حديثه لأنَّه يغلط أو يحدّث بما لم يسمع أو أنّه لا يبصر الفتيا. ج١٠ ص٢٠٩.

(٢) النووي. شرح النووي على مسلم. ج١ ص١٢٨.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الاستسقاء: باب ما قيل في الزلازل والآيات. ج٢ ص٤١.

(٤) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب المناقب عن رسول الله ﷺ: باب في فضل الشام واليمن. ج٥ ص٧٣٣.

لتلكَ البِقاعِ الشّريفةِ فنَهَبوا الأموالَ وسَبَوُا النساءَ وقتلوا العلماءَ والعامّةَ وسرَقوا محتوياتِ الحجرةِ النبويّةِ الشّريفةِ في المدينةِ كلُّ ذلكَ تحتَ ستارِ محاربةِ البدَعِ والشّركِ فإنّا للهِ وإنّا إليهِ راجعونَ، وقد وقفَ الشيخُ أحمدُ بنُ زَيني دَحلانَ عَلى شيءٍ مِن جرائمِهم فقالَ[1] «ولما دخلُوا الطّائفَ قتلوا الناسَ قتلًا عامًّا واستوعَبوا الكبيرَ والصّغيرَ والمأمورَ والأميرَ والشّريفَ والوَضيعَ وصَاروا يَذبحونَ على صَدرِ الأمّ الطّفلَ الرّضيعَ وصَاروا يَصعدونَ إلى البيوتِ يخرجونَ مَن تَوارى فيهَا فيَقتلونهم، فوَجدوا جماعةً يتدارسونَ القرآنَ فقَتلوهُم عَن آخِرهم وخرجُوا إلى الحوانيتِ والمساجدِ وقتلوا مَن فيها، ويقتلونَ الرجلَ في المسجدِ وهوَ راكعٌ أو ساجدٌ، حتى أفنَوا هؤلاءِ المخلوقاتِ، فويلٌ لهم مِن جبّارِ السمٰوات»، إلى أن قال «فنهَبوا النقودَ والعُروضَ والأساسَ والفراشَ، ويَتهافتونَ على ذلكَ تهافُتَ الفَراشِ، فصارَتِ الأموالُ في مخيمِهم كأمثالِ الجبالِ إلا الكتب فإنهم نَشرُوها في تلكَ البِطاحِ وفي الأزِقَّةِ والأسواقِ، تَعصفُ بها الرياحُ وكانَ فيهَا منَ المصاحفِ والرباعِ ألوفٌ مؤلّفةٌ ومِن نُسخِ البخاريّ ومسلم وبقيّةِ كتبِ الحديثِ والفقهِ والنحوِ وغير ذلكَ مِن بقيّةِ العلومِ شيءٌ كثيرٌ، ومكَثَتْ أيامًا يَطؤُونها بأرجُلِهم لا يستطيعُ أحدٌ أن يَرفعَ منهَا ورقةً» اهـ.

- وقالَ أيضًا في كتابهِ «الدّرر السنيةِ في الردّ على الوهابيّةِ»[2] «ورأيتُ رسالةً للشّيخ محمّدِ بنِ سُليمانَ الكرديّ المدنيّ صاحبِ «الحواشِي على شرح مختصرِ بافَضل» في الفقهِ على مذهبِ الإمامِ الشافعيّ رضي الله عنهُ يُخاطبُ محمّدَ بنَ عبدِ الوهّابِ حينَ قامَ بالدّعوةِ أي الباطلة وكانَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ مِن تلامذةِ الشّيخ محمّدِ بنِ سليمانَ المذكورِ وقرأَ عليهِ بالمدينةِ المنوّرةِ قالَ في تلكَ الرسالةِ: «يا ابن عبدِ الوهّابِ سلامٌ على مَنِ اتّبعَ الهدَى فإني أنصحُكَ للهِ تَعالى أن تكفَّ

(١) أحمد بن زيني دحلان. أمراء البلد الحرام. ص٢٩٧.

(٢) أحمد بن زيني دحلان. الدرر السنية. ص٤٥-٤٦-٤٧.

لسانكَ عن المسلمينَ فإنْ سمعتَ مِن شَخصٍ أنهُ يعتقدُ تأثيرَ ذلكَ المستغاثِ بهِ مِن دونِ الله تَعالى فعرّفهُ الصّوابَ واذكُر لهُ الأدلةَ على أنهُ لا تأثيرَ لغيرِ الله تَعالى فإنْ أبى فكفّرْهُ حينئذٍ بخصوصهِ ولا سبيلَ لكَ إلى تكفيرِ السّوادِ الأعظمِ منَ المسلمينَ، أنتَ شاذٌّ عنِ السّوادِ الأعظمِ فنِسبةُ الكفرِ إلى مَن شذَّ عنِ السّوادِ الأعظمِ أقربُ لأنهُ اتّبعَ غيرَ سبيلِ المؤمنينَ قالَ تَعالى ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ ﴾[1] وإنما يَأكلُ الذئبُ مِنَ الغنَمِ القاصِيَة»اهـ ثم قال الشيخ أحمد بن زيني دحلان «وكانَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ الذي ابتدعَ هذهِ البدعةَ يخطبُ للجُمعةِ في مَسجدِ الدرعيّةِ ويقولُ في كلّ خطبةٍ ومَن توسّلَ بالنبيّ فقَد كفرَ، وكانَ أخوهُ الشّيخُ سليمانُ بنُ عبدِ الوهّابِ مِن أهلِ العلمِ فكانَ يُنكِرُ عليهِ إنكارًا شديدًا في كلّ ما يَفعلهُ أو يأمرُ بهِ ولم يتبعهُ في شيءٍ مما ابتدعَهُ وقالَ لهُ أخوهُ سليمانُ يومًا «كَم أركانُ الإسلام يا محمّدُ بنَ عبدِ الوهّابِ؟» فقالَ خمسةٌ، فقالَ «أنتَ جعلتَها ستةً السادسُ مَن لَم يَتبَعْكَ فليسَ بمسلمٍ هذا عندكَ ركنٌ سادسٌ للإسلامِ» كما تقدم.

«وقالَ رَجلٌ آخرُ يومًا لمحمّدِ بنِ عبدِ الوهاب كَم يُعتِقُ الله كلَّ ليلةٍ مِن رمضانَ فقالَ لهُ يُعتِقُ في كلّ ليلةٍ مائةَ ألفٍ وفي آخرِ ليلةٍ يُعتقُ مثلَ ما أعتقَ في الشّهرِ كلّهِ، فقالَ لهُ لم يَبلُغ مَنِ اتّبعكَ عُشرَ عُشرِ ما ذكرتَ فمَن هؤلاءِ المسلمونَ الذينَ يُعتقهُم الله تَعالى وقَد حَصرتَ المسلمينَ فيكَ وفي مَنِ اتّبعكَ؟ فبُهِتَ الذي كفرَ.

وقالَ لهُ رجلٌ آخر مرّةً وكانَ رئيسًا على قبيلةٍ بحيثُ إنهُ لا يقدرُ أن يَسطُوَ عليهِ ما تقولُ إذا أخبركَ رجلٌ صادقٌ ذو دينٍ وأمانةٍ وأنتَ تعرفُ صِدقَهُ بأنَّ قومًا كثيرينَ قصدُوكَ وهُم وراءَ الجبلِ الفُلانيّ فأرسلتَ ألفَ خَيّالٍ ينظرونَ القومَ الذينَ وراءَ الجبلِ فلَم يجدوا أثرًا ولا أحدًا منهُم بَل ما جاءَ تلكَ الأرض أحدٌ منهُم أتُصدّقُ الألفَ أمِ الواحدَ الصّادقَ عندكَ؟ فقالَ أصدّقُ الألفَ، فقالَ لهُ

---

(١) سورة النساء/ آية ١١٥.

إنَّ جميعَ المسلمين منَ العلماءِ الأحياءِ والأمواتِ في كُتبِهم يُكَذّبونَ ما أتيتَ بِهِ ويُزيّفونَهُ فنصدّقهُم ونكذّبكَ، فلَم يعرِف جوابًا لذلكَ.

وقالَ لهُ رجلٌ آخَر مرّةً هذا الدّينُ الذي جئتَ بِهِ متّصلٌ أم مُنفصلٌ؟ فقالَ -محمّدُ بنُ عبدِ الوهّاب- لهُ حتى مَشايخي ومَشايخهُم إلى ستمائةِ سنةٍ كلّهُم مشركونَ، فقالَ لهُ الرجلُ إذَن دينُكَ مُنفصلٌ لا متصلٌ فعمَّن أخذتَهُ؟ فقالَ وحيُ إلـٰهامٍ كالخضرِ، فقالَ لهُ إذن ليسَ ذلكَ محصورًا فيكَ كلُّ أحدٍ يمكنهُ أن يدّعيَ وحيَ الإلهامِ الذي تدّعيهِ». انتهَى كلامُ الشّيخِ دَحلانَ.

• وقالَ الشّيخُ الفقيهُ الحنفيُّ ابنُ عابدينَ المتوفى سنةَ ١٢٥٢هـ في حاشيتِهِ «ردّ المحتارِ على الدّرّ المختارِ» ما نصّهُ[1] «مَطلب في أتباعِ ابنِ عبدِ الوهّابِ الخوارجِ في زمانِنا» ثم قال: «كما وقعَ في زمانِنا في أتباعِ محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ الذينَ خَرجوا مِن نجدٍ وتغلّبوا على الحرَمَينِ وكانوا ينتحلُونَ مذهبَ الحنابلةِ لكنّهُم اعتقَدوا أنهم هُم المسلمونَ وأنَّ مَن خالفَ اعتقادَهُم مُشركونَ واستباحُوا بذلكَ قتلَ أهلِ السّنةِ وقتلَ علمائِهِم حتى كسرَ اللهُ شوكتَهُم وخَرَّبَ بلادَهُم وظَفِرَ بهم عساكرُ المسلمينَ عامَ ثلاثٍ وثلاثينَ ومائتينِ وألفٍ» اهـ.

أما أتباعهُ فهُم على نهجِهِ في تكفيرِ الأمةِ الإسلاميّةِ، ومِن أمثلةِ ذلكَ:

ما في كتابِهم المسمّى «فتحَ المجيدِ» ما نصّهُ[2] «كما قالَ ﷺ في مَا صحّ عنهُ «**ما بعثَ اللهُ مِن نبيّ إلا كانَ حقًّا عليهِ أن يَدلَّ أمّتهُ على خيرِ ما يُعلّمهُ لهم**»[3] الحديثَ فإذا كانَ الشّركُ الأصغرُ مخوفًا على أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ معَ كمالِ علمِهم وقوّةِ إيمانهم فكيفَ لا يخافهُ وما فوقهُ مَن هوَ دونهم في العلمِ والإيمانِ بمراتب؟ خُصوصًا

(١) ابن عابدين. رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار. ج٤ ص٢٦٢.

(٢) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ. الكتاب المسمى فتح المجيد. ص١٩٠.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإمارة: باب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل. ج٦ ص١٨.

إذا عرفَ أنَّ أكثرَ علماءِ الأمصارِ اليومَ لا يعرفونَ منَ التوحيدِ إلا ما أقرَّ بهِ المشركونَ وما عَرفوا مَعنى الإلهيّةِ التي نَفتْها كلمةُ الإخلاصِ عَن كلّ ما سوَى الله» اهـ.

ومنها قولُ تابعِهِ صديق حسن خان القنوجي المجسم في كتابهِ المسمّى «الدّينَ الخالصَ»[1] «تقليدُ المذاهبِ منَ الشرّكِ» اهـ وهلِ الأمةُ الإسلاميّةُ اليومَ إلا أهلُ المذاهبِ الأربعةِ وهُم عندَ الوهابيةِ مُشركونَ. وقالَ ذلكَ قبلَهم شيخُهم محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ.

وقالَ تابعهُ الآخرُ محمّدُ بنُ صالحِ الفَوزان في مقدّمتهِ على الكتابِ المسمّى «التوحيد» لابنِ خزيمةَ ما نصّهُ «الأشاعرةُ والماتريديةُ تلاميذُ الجهميّةِ والمعتزلةِ وأفراخُ المعطّلةِ» اهـ. فكلامهُ هذا تكفيرٌ لأهلِ السّنةِ والجماعةِ الذينَ قالَ فيهِم الحافظُ المحدّثُ الفقيهُ اللغويُّ محمّدُ مرتضَى الزبيديُّ[2] «إذا أُطلِقَ أهلُ السّنةِ والجماعةِ فالمرادُ بهِم الأشاعرةُ والماتريديةُ» اهـ كما تقدَّم، وقالَ الشيخُ الفقيهُ الحنفيُّ ابنُ عابدينَ في ردّ المحتارِ في شرحهِ ما نصّهُ[3] «(قَوْلُهُ عَنْ مُعْتَقَدِنَا) أيْ عما نَعتَقِدُ مِن غيرِ المسَائِلِ الفَرْعِيَّةِ مِمَّا يَجِبُ اعْتِقَادُهُ عَلَى كُلّ مُكَلَّفٍ بلا تَقْلِيدٍ لأحَدٍ وَهُوَ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنةِ والجماعَةِ وهُم الأشاعِرَةُ والماتُرِيدِيَّة» اهـ.

وتابعهُ الآخرُ عبدُ العزيزِ بنُ بازٍ في كتابهِ المسمّى «فتاوَى في العَقيدةِ»[4] يقولُ عنِ المستغيثينَ والمتوسّلينَ بالأنبياءِ والأولياءِ «مُشركونَ كفرةٌ لا تجوزُ مناكَحتهُم ولا دُخولهم المسجدَ الحرام ولا مُعاملتهُم معاملةَ المسلمينَ ولوِ ادّعوا الجهلَ ولا يُلتَفتُ إلى كَونهم جهّالًا بل يجبُ أن يُعامَلوا مُعاملةَ الكفّارِ» اهـ.

- وأما تكفيرهُم للصّوفيةِ فقَد قالَ عليُّ بنُ محمّدِ بنِ سنان المدرّسُ في المسجدِ

(١) القنوجي. الكتاب المسمى الدين الخالص. ج١ ص١٤٠.

(٢) مرتضى الزبيدي. إتحاف السادة المتقين. ج٢ ص٦.

(٣) ابن عابدين. رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار. ج١ ص١١٧.

(٤) ابن باز. المسمى فتاوى في العقيدة. رسائل إرشادية لرئاسة الحرس الوطني. ١٩١ ص١٣.

النبويّ وجامعةِ الوهابيّةِ المسماةِ الجامعةَ الإسلاميّةَ في كتابِهِ المسمّى «المجموعَ المفيدَ مِن عقيدةِ التوحيدِ» ما نصّهُ[1] «أيها المسلمونَ لا ينفعُ إسلامكُم إلا إذا أعلنتُم الحربَ العَشواءَ على هذهِ الطّرقِ الصّوفيةِ فقضيتُم عليهَا قاتلوهُم قبلَ أن تقاتلوا اليهودَ والمجوسَ» اهـ.

وفي كتابهم المسمّى «حلقات ممنوعة» يقولُ مؤلّفهُ حسام العقاد ما نصهُ[2] «ومنَ البدعِ في هذهِ الحلقاتِ أن يحدّدَ الشيخُ أرقامًا ليقولها الذّاكرُ، فيقولُ قُل لا إلـٰه إلا الله ألفَ مرّةٍ مثلًا أو صلى الله عليه وسلّم عشرةَ آلاف مرّةٍ أو أكثرَ، وكـلُّ هذا لم يرِد في شَرعِنا وهوَ منِ ابتداعِ الجاهلينَ، لقَد خرجَ هؤلاءِ عنِ الذّكرِ الشّرعيّ إلى ذكرٍ يُشركُ بالله تعالى» اهـ.

وفي مَا أورِد هنا كفاية لمن كشفَ الله عَن عينهِ الغِشاوةَ.

وهكذا فإنَّ الوَهابيةَ التي لبِسَت لباسَ السَّلفِ وادَّعتِ الحرصَ على التوحيدِ والعقيدةِ وإحياءِ ما كانَ عليهِ السّلفُ الصّالحُ وجدَت لنفسِها شريانًا مباشرًا إلى جسدِ الأمةِ بَل إلى قلبِها الذي يُغذّي بقيّةَ الجسدِ وكأنّ الوهابية خلايا سَرطانيّة خبيثةً دخلَت إلى القلبِ فأخذَت أنسجتهُ فصارَت كأنها جزءٌ منهُ، إنَّ مثلَ هذا الورمِ والداءِ يحتاجُ إلى مَن يحسن الطبَّ والعلاجَ ومِن فضلِ الله تَعالى عَلينا أن كشفَ لنا ضلالَ هؤلاءِ اللئام على يدِ أئمةٍ أعلام ومِن هؤلاءِ الأئمةِ محدّثُ الدّنيا الشيخُ الحافظُ أبو عبدِ الرحمنِ عبدُ الله بنُ يُوسفَ الهرريُّ الحبشيُّ رحمهُ الله تَعالى وهوَ مِن أهلِ هذا العصرِ فلِلَّه المِنّةُ والفَضلُ.

فالمتأملُ في حال الوهابيّةِ اليوم يجدُ أنهم قَد نبشُوا قبرَ محمّدِ بنِ عبدِ الوهابِ وأحمدَ ابنِ تيمية ليُخرجوا منهَا السّمومَ ليجعلُوها في جسدِ هذهِ الأمةِ فالوهابيةُ لا

(١) علي بن محمد بن سنان. المسمى المجموع المفيد من عقيدة التوحيد. ص١٠٢.

(٢) حسام العقاد. الكتاب المسمى حلقات ممنوعة. ص٢٥.

ترى للإسلامِ شُيوخًا إلا هؤلاءِ وتجعلُ كلامَهم نَصًّا لا يَقبلُ التأويلَ ويَصولونَ على الناسِ بسُيوفِ التّسفيهِ والتضليلِ للترويجِ لمن أجمعَ علماءُ عصرِهم على تكفيرِهم.

وقد تقدم أن ممن رد على محمد بن عبد الوهاب: أخاهُ الشيخَ سليمانَ بنَ عبدِ الوهَابِ رحمهُ الله فقد ألَّف كتابًا في الردّ عليهِ سماهُ «فصلَ الخطابِ في الردّ على محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ»، وكذلكَ الشيخُ أحمدُ بنُ زَيني دَحلان في كتابهِ «فتنةِ الوهّابيةِ» والشيخُ ابنُ عابدينَ الحنفيُّ في حاشيتهِ ردّ المحتارِ، والشيخُ محمّدُ بنُ سليمانَ الكرديُّ كما ينقلُ صاحبُ كتابِ «الفتوحاتِ الإسلاميّةِ»، والشيخُ ابنُ حُمَيدٍ النجديُّ الحنبليُّ مُفتي الحنابلةِ في مكةَ المكرمةَ في كتابهِ «السّحبُ الوابلةُ على ضرائحِ الحنابلةِ»، والشيخُ رضوان العدل بيبرس الشّافعيّ في كتابهِ «روضةُ المحتاجينَ لمعرفةِ قواعدِ الدّينِ»، والشيخُ توفيق سوقية الدمشقيُّ في كتابهِ «تبيينُ الحقّ والصّوابِ بالردّ على أتباعِ محمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ»، والشيخُ مصطفى الشطي في كتابهِ «النقولُ الشّرعيّةُ في الردّ على الوهابيّةِ»، والشيخُ عبدُ القادرِ بنُ محمّدِ ابنِ سليمِ الكيلانيُّ في كتابهِ «النفحةُ الزكيةُ في الردّ على شُبهِ الوهابيّةِ»، ومِن أهلِ هذا العصرِ المحدّثُ الشيخُ عبدُ الله الهرريُّ رحمهُ الله في كتابه «المقالاتُ السّنيّةُ في كشفِ ضَلالاتِ أحمدَ ابنِ تَيمية» وغيرُ هؤلاءِ كثيرٌ مِن علماءِ السّنةِ.

أما ابنُ تيميةَ فنكتفِي بما قالهُ الإمامُ تقيُّ الدينِ السّبكيُّ فيهِ في كتابهِ «الفتاوَى»[(١)] «وحُبسَ بإجماعِ العلماءِ وولاةِ الأمورِ» اهـ. وخالفَ الإجماعَ في أكثرَ مِن ستينَ مسئلةً في الأصولِ والفروعِ نذكرُ منها تحريمهُ لزيارةِ قبرِ النبيّ الأعظمِ ﷺ[(٢)]

(١) السبكي. فتاوى السبكي. ج٢ ص ٢١٠.

(٢) ذكر ذلك في كتابه الفتاوى الكبرى. ج١ ص١٤٢.

ونِسبتَهُ الحدَّ[1] والجهةَ والمكانَ[2] والجلوسَ للهِ تَعالى[3] والعياذُ باللهِ منَ الكفرِ والضّلالِ. وبَنظرةٍ سريعةٍ إلى مقالاتِ الوهابيّةِ وضَلالهم نجد أنهم يَرمونَ إلى إحداثِ دينٍ جديدٍ لكن هُم يُسمّونهُ الإسلامَ فهُم يَنفونَ نبوةَ آدمَ وشيثٍ وإدريسَ[4] ويُكفّرونَ حواءَ[5] ويقولونَ بأزليةِ العالمِ[6] وبفناءِ النارِ[7] ويُشبّهونَ الله بخلقهِ ويجسّمونَهُ فينسبونَ لهُ الجوارحَ والأعضاءَ ويحدونهُ سبحانهُ بالحدودِ والأماكنِ والجهاتِ[8] وينسبونَ للهِ تَعالى الجلوسَ[9] وغيرهُ مِن صفاتِ المحدثاتِ، أما نظرتهم لسيّدنا محمّدٍ ﷺ فهُم ينظرونَ لهُ اليومَ على أنهُ جيفةٌ لا تجوزُ زيارتهُ[10] لأنهُ لا يَنفعُ ولا يَضرُّ والعياذُ باللهِ ويحرّمونَ على المسلمينَ الفرحَ مجرَّدَ الفَرحِ أوِ الاحتفالَ بمولدهِ عليهِ السّلامُ[11] بل يَعتبرونَ الذّبائحَ التي يَذبحها المسلمون في

---

(١) ذكر ذلك في كتابه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول. ج٢ ص٢٩ - ٣٠، وكتابه بيان تلبيس الجهمية. ج١ ص٤٤٥ وغيرهما.

(٢) ذكر ذلك في كتابه منهاج السنة النبوية. ج١ ص٢١٧-٢٤٩-٢٥٠، وفي الرسالة التدمرية. ص ٤٦، وفي كتابه بيان تلبيس الجهمية. ج١ ص٥٢٦.

(٣) ذكر ذلك في كتابه مجموع الفتاوى. ج٥ ص٥١٩، وكتابه شرح حديث النزول. ص٦٦، وفي مجموع التفسير. تفسير سورة العلق. ص٣٥٤-٣٥٥.

(٤) وذلك في الكتاب المسمى ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب. وفي شرحه يقول ابن باز ص٧٧-٧٨ «أول الرسل آدم»اهـ. فما هذا التناقض؟

(٥) وذلك في الكتاب المسمى الدين الخالص. ج١ ص١٦٠.

(٦) وذلك في كتاب شرح الطحاوية لابن أبي العز المجسم. ص١٣٢.

(٧) وذلك في الكتاب المسمى القول المختار لفناء النار لعبد الكريم الحميد. ص٧، وفي شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز المجسم. ص٤٢٧.

(٨) قال ذلك ابن باز في كتابه المسمى تنبيهات في الرد على من تأوَّل الصفات. ص١٩.

(٩) وذلك في الكتاب المسمى فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب. ص٣٥٦.

(١٠) قال ذلك ابن باز في كتابه المسمى التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة.ص٨٨.

(١١) وذلك في الكتاب المسمى التوحيد لابن فوزان. ص١١٥-١١٦.

المولدِ الشّريفِ ما هيَ إلا ذبائحُ مُشركينَ لا يجوزُ أن تؤكلَ ويُحرّمونَ الصّلاةَ على النبيّ جهرًا بعدَ الأذانِ[1] ويَرونَ ذلكَ أشدَّ إثمًا ممن يَنكِحُ أمَّهُ كما قالَ قائلُهم في جامعِ الدقّاقِ في الشامِ[2]، ويُكفّرونَ كذلكَ مَن يتوسّلُ إلى اللهِ بسيّدنا محمّدٍ ﷺ أو بغيرِهِ منَ الأنبياءِ والأولياءِ والصّالحينَ[3]. أما نظرتهم للمُسلمين فهُم عندَهم كفّارٌ مُشركونَ لأنهم على غيرِ مذهَبِهم[4] واستباحوا بذلكَ دماءَهم وأموالهم، وتاريخُهُم في الجزيرةِ العربيّةِ وفي شرقِ الأردن شاهدٌ على ذلكَ كما تقدم.

ولم يَسلَم صَحابةُ رسولِ الله ﷺ مِن مكرِ ابنِ تيميةَ، فقَد قالَ عن عليّ أسلَم صَبيًّا وإسلامُ الصبيّ لا يصحُ على قولٍ[5]، وإنهُ قاتَلَ للرّياسةِ لا للدّيانةِ، وإنهُ أخطأَ في سبعةَ عشرَ شيئًا خالفَ فيها نصَّ القرآن[6] وخطّأَ عمرَ في شيءٍ، أما نظرتهم لأصحابِ المذاهبِ الأربعةِ فتتلخّصُ بقولهم هُم رجالٌ ونحنُ رجالٌ، أما جرأتهم علَى الشافعيّ ومالكٍ وأحمدَ فجليةٌ مِن خلالِ تبديعِ الوهابيّةِ لمن يتوسّلُ إلى اللهِ بالأنبياءِ والأولياءِ والصّالحينَ ويقصدُ قبورَهم معَ علمِ الوهابيّةِ أنَّ جوازَ التوسّلِ ثابتٌ بنصّ الحديثِ الشّريفِ وأما مَن يتبعُ أحدَ هذهِ المذاهبِ الأربعةِ أو يقلّدها فهَذا عندَ الوهابيّةِ عينُ الشّركِ.

- **ذكرُ حوادث حصلت مع الوهابية:**

ومنَ المفاسدِ التي حصَلت مِن دراسةِ عقيدة الوهابيّةِ أنَّ شابًّا من إثيوبيا ذهبَ إلى الحجازِ فسكنَ المدينةَ ودخلَ مدرسَتَهم التي يُقال لها الجامعةُ الإسلاميّةُ

---

(١) قال ذلك ابن باز في تعليقه على فتح الباري. ج٢ ص٩٢.

(٢) كما نقل عنهم محمد الجويجاتي إمام جامع الروضة في دمشق في كتابه الإصابة. ص٨.

(٣) وذلك في الكتاب المسمى عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري المجسم. ص ١٤٤.

(٤) محمد بن عبد الله بن حميد. السحب الوابلة. ص ٢٩، الجبرتي. عجائب الآثار. ج٧ ص١٤٦.

(٥) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. ج٤ ص٤٢.

(٦) ابن تيمية. منهاج السنة النبوية. ج٢ ص٢٠٣.

مكثَ خمسَ سنواتٍ تعلّمَ فيها عقيدَتهم أنَّ الذي يقولُ يا محمّدُ كافرٌ وأنَّ الذي يقولُ يا رسولَ الله كافرٌ وأنَّ الذي يذهَبُ إلى قبورِ المشايخِ للتبرّكِ كافرٌ فرجعَ إلى أهلِ بلدِهِ وقالَ أنتُم كفّارٌ وقالَ لأبيهِ يا أبي أنتَ كافرٌ فالأبُ ما تحمّلَ أخذَ البندقيّةَ فقتلَهُ ثم سلَّمَ نفسَهُ للحُكومةِ كما تقدم.

وحصلَ أيضًا مثلُ هذا في «توغو» في إفريقية رجلٌ كانَ يهتمُّ بالمولدِ اهتمامًا شَديدًا ثم ابنهُ تعلَّمَ عقيدةَ الوهابيّةِ ثم رجعَ إلى بلدِهِ فقالَ لأبيهِ أنتَ كافرٌ فقتلهُ الأبُ.

وحصلَ أيضًا في «جِمَّة» في الحبشةِ أنَّ رجلًا كانَ يهتمُّ بالمولدِ اهتمامًا كبيرًا فتعلَّمَ ابنهُ عقيدةَ الوهابيةِ وصارَ يقولُ لأبيهِ أنتَ كافرٌ ثم في يومٍ كانَ الوالدُ يُهيّئ الطّعامَ لإطعامِ الناسِ في المولدِ فجاءَ الولدُ فسكبَ الكازَ على الطّعامِ لأنَّ هذا مُنكرٌ بزعمهِ وكانَ الأبُ خارجَ البيتِ فلمّا رجعَ قالَ لهُ الحاضرونَ ابنكَ فعلَ كَذا وكَذا فغَضبَ الأبُ وقتل ابنه ثم سلّمَ نفسهُ للحُكومةِ.

وقَد أخبر شيخٌ مِن أهلِ الأردن مِن آلِ سعدِ الدّينِ أنَّ شَخصًا أردنيًّا كبيرًا في السّنّ أخبرهُ أنهُ رأى بعَينهِ الوهّابيةَ يومَ هجمَت على جَنوبي الأردن وكانَ الوهابيُّ يقولُ للوهابيّ الآخرِ عَنِ المسلم الأردنيّ اقتل الكافرَ فيقولُ الوهابيُّ عندَ ذبحهِ للمسلمِ الأردنيّ بسمِ الله الله أكبرُ ثم يقتلهُ.

وأخبرَ الشيخُ ذيب السّوريّ الذي كانَ يعيشُ في الأردن أنهُ ناقشَ شَيخًا وهابيًّا في مكةَ وقالَ لهُ إذا كنتُم تحرّمونَ السُّبْحةَ فكيفَ تبيعُونها في موسم الحجّ للناسِ فقالَ الوهّابيُّ نحنُ نَبيعُها لغيرِ المسلمينَ أي أنَّ كلَّ الحجّاجِ الذينَ يأخذونَ مِن هذهِ السّبحِ كفارٌ ليسُوا منَ المسلمينَ عندهم.

وقالَ إمامٌ مِن أئمةِ الوهابيّةِ في أحدِ المساجدِ جَنوبي مكةَ سنةَ ٢٠٠٢م في موسمِ الحجّ لرجلٍ مِن آلِ بَيضون مِن بيروتَ أنتُم الأشاعرةُ كفّارٌ وما أصابكُم في

لبنانَ منَ اليهودِ هوَ بعضُ ما تستحقّونَ.

وقَد ذكرَ دكتورٌ أردنيٌّ مِن آلِ حوامدة أنهُ كانَ في مسجدِ الرسولِ سنةَ ١٩٩٦م فسمعَ أبا بكرٍ الجزائريّ الوهابيّ يقولُ «والله لَن يستقيمَ أمرُ هذهِ الأمةِ حتى يُزيلوا هذا الصَّنمَ مِن هُنا» اهـ وأشارَ إلى قبرِ الرّسولِ ﷺ وقالَ «وصَنم القبةِ الخضراءِ» اهـ.

قالَ مفتي الحنابلةِ الشيخُ محمّدُ بنُ عبدِ الله بنِ حُمَيدٍ النجديّ المتوفّى ١٢٩٥هـ في كتابهِ «السّحبُ الوابلةُ على ضرائحِ الحنابلةِ»[1] عَن محمّدِ بن عبدِ الوهّابِ «فإنهُ كانَ إذا باينهُ أحدٌ وردَّ عليهِ ولم يقدِر على قتلهِ مجاهرةً يرسلُ إليهِ مَن يغتالهُ في فراشهِ أو في السّوقِ ليلًا لقولهِ بتكفيرِ مَن خالفهُ واستحلالِهِ قتلهُ» اه.

- وقالَ مُفتي الشافعيّةِ ورئيسُ المدرسينَ في مكةَ أيامَ السّلطانِ عبدِ الحميدِ الشيخُ أحمدُ زيني دَحلان في كتابهِ «الدررِ السّنيةِ في الردّ على الوهابيّةِ»[2] «وكانَ محمّدُ ابنُ عبدِ الوهّابِ يقولُ إني أدعوكُم إلى التوحيدِ وتركِ الشّركِ بالله وجميعُ ما هوَ تحتَ السّبعِ الطّباقِ مشركٌ على الإطلاقِ ومَن قتلَ مشركًا فلهُ الجنةُ، وكانَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ وجماعتهُ يحكمونَ على الناسِ بالكُفرِ واستبَاحوا دماءَهُم وأموالهم وانتهَكُوا حُرمَةَ النبيّ بارتكَابهم أنواعَ التحقيرِ لهُ وكانوا يُصرّحونَ بتكفيرِ الأمةِ منذُ ستمائةِ سنةٍ، وأوّلُ مَن صرّحَ بذلكَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ وكانَ يقولُ إني أتيتكُم بدينٍ جديدٍ، وكانَ يعتقدُ أنَّ الإسلامَ منحصرٌ فيهِ وفيمَن تبِعهُ وأنَّ الناسَ سواهُم كلهم مشركونَ» اه.

وقالَ أحمدُ بنُ زيني دَحلان[3] «قالَ السيّدُ الشّيخُ علويّ بنُ أحمدَ بنِ حسن الحَداد باعَلوي في كتابهِ «جلاءِ الظّلامِ في الردّ على النجديّ الذي أضلّ العوامّ»

(١) محمد بن عبد الله بن حميد. السّحب الوابلة. ص ٢٧٦.

(٢) أحمد بن زيني دحلان. الدرر السّنية في الردّ على الوهابيّة. ص ٤٦.

(٣) أحمد بن زيني دحلان. الدرر السّنية في الردّ على الوهابيّة. ص٩٥.

والحاصلُ أنَّ المحقَّقَ عندَنا مِن أقوالِهِ وأفعالِهِ -أي محمّد بن عبدِ الوهّابِ- ما يوجبُ خروجَهُ عنِ القواعدِ الإسلاميّةِ باستحلالِهِ أمورًا مُجمعًا على تَحريمِها معلومة منَ الدّينِ بالضّرورةِ معَ تنقيصهِ الأنبياءَ والمرسلينَ والأولياءَ والصّالحينَ، وتنقيصُهم كفرٌ بإجماعِ الأئمةِ الأربعةِ» اهـ.

فبانَ واتضحَ أنَّ محمَّدَ بنَ عبدِ الوهابِ هوَ وأتباعُه جاؤوا بدينٍ جديدٍ ليسَ هوَ الإسلام، وكانَ يقولُ مَن دخلَ في دَعوتنا فلهُ مَا لَنَا وعليهِ ما علينا ومَن لم يَدخُل مَعنا فهوَ كافرٌ حلالُ الدّمِ والمالِ كما تقدّم.

وبعدَما ذكرنا لكَ أيها المطالعُ والناظرُ المنصفُ عباراتِ ونصوصَ الوهابيّةِ مِن رأسِهم ومؤسّسِ حركتهم محمّدِ بنِ عبدِ الوهابِ ومَن بعدهُ مِن مشايخِهم إلى عصرِنا هذا مِن تكفيرِهم وتضليلِهم لكلّ الأمةِ الإسلاميّةِ منَ الصّحابةِ والتابعينَ والسيّدةِ حواء والسّلفِ والخلفِ والأشاعرةِ والماتريديةِ وأهلِ المذاهب الأربعةِ المعتبرةِ والصّوفيةِ المتمسكينَ بالشّريعةِ وكلّ أفرادِ الأمةِ الإسلاميَّةِ يثبتُ ويتأكدُ لكَ أنَّ الوهابيّةَ تزعُمُ أنهُ لا يوجدُ مُسلمٌ على وجهِ الأرضِ إلا مَن كانَ معهُم ومنهُم وأنهم يَدعونَ أتباعَهم إلى قتلِ وقتالِ أهلِ السّنةِ والجماعةِ قبلَ قتالِ المجوسِ وأهلِ الأديانِ الكفريّةِ الأخرَى بَل قالوا بكلّ وقاحةٍ وسخافةٍ كما ذكرَ الوهابيّ محمّدُ أحمدُ باشميل في كتابهِ المسمّى «كيفَ نفهمُ التوحيدَ»[1] «أبو جهلٍ وأبو لهبٍ أكثرُ توحيدًا وأخلصُ إيمانًا باللهِ منَ المسلمينَ الذينَ يقولونَ لا إلـٰهَ إلا الله محمّدٌ رسولُ الله لأنهم يَتوسّلونَ بالأولياءِ والصّالحينَ» اهـ وهذا الكتيّبُ وُزّعَ على الحجّاجِ توزيعًا عامًّا وهوَ مطبوعٌ وعليهِ اسمُ مؤسّستهم المسمّاة الدعوةَ والإرشادَ في الرياضِ وهذا يثبتُ لكَ ويؤكّدُ أنَّ الوهابيةَ جاءَت بدينٍ جديدٍ وعقيدةٍ جديدةٍ تكذّبُ الله، لأنَّ الله قالَ ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[2]. والوهابيةُ تقولُ

(١) محمد باشميل. الكتاب المسمى كيف نفهم التوحيد. ص ١٦.

(٢) سورة آل عمران/ آية ١١٠.

أهلُ المذاهبِ الأربعةِ كفّارٌ، وهلِ الأمةُ اليومَ إلا أهلُ المذاهبِ الأربعةِ فالحقُّ الواضحُ الجليُّ الظاهرُ الذي لا خفاءَ ولا لبسَ فيهِ أنَّ الوهابيّةَ همُ الكفّارُ بلا شكّ ولا ريبٍ لأنهم كفّروا مليارًا ونِصفًا منَ المسلمينَ بَل وأكثرَ مِن ذلكَ لأنهم كفّروا الأمةَ مِن زمَاننا هذا إلى عهدِ الصّحابةِ وقَد قالَ الحافظُ السّيوطيُّ والسّبكيُّ والنوويُّ والقاضِي عياضٌ وابنُ حجرٍ «مَن قالَ قولًا يتَوصّلُ بهِ لتضليلِ أمةِ محمّدٍ فهوَ كافرٌ» اهـ. فيجبُ تكفيرُ الوهابيّةِ الذينَ يُشبّهونَ الله بخلقهِ ويعتقدونهُ جِسمًا قاعدًا على العرشِ ويكفّرونَ الأمةَ لأنها تتوسّلُ بالنبيّ ﷺ والأولياءِ.

ويقالُ لمن يَعترِض على تكفِيرنا للوهابيّةِ تكفيرنا لهم بحقّ لأنهم كفّرونا بغيرِ حقّ وإنْ قالوا لا إلـٰهَ إلا الله فهُم يُكفّرونَ هذا المليارَ والنصفَ مليارٍ الذينَ يقولونَ لا إلـٰهَ إلا الله محمّدٌ رسولُ الله فَاعْتَرِض على الوهابيةِ لأنها كَفَرَت بتَشبيهها للهِ بخلقهِ ولتكفيرِها الأمةَ ولا تَعْتَرِضْ علينا لأننا كفّرناهُم بحقّ.

أما الطّرقُ الصّوفيةُ وهيَ طريقُ الأولياءِ ودربُ الأتقياءِ فتصِفُها الوهابيّةُ باليدِ الأثيمةِ التي مزّقتِ الإسلامَ. أما نظرةُ الوهابيّةِ إلى الأشاعرةِ والماتريديةِ نسبة لإمامَي أهلِ السّنةِ والجماعةِ الإمامِ أبي الحسنِ الأشعريّ والإمامِ أبي منصورٍ الماتريديّ فهيَ نَظراتُ الحقدِ والبغضِ[1] والتكفير[2] ولذلكَ نجدُ الوهابيةَ قَد بدَّعَت علماءَ الأشاعرةِ كالحافظِ العسقلانيّ والنوويّ[3] والحاكمِ[4] والقائدِ المسلمِ صلاحِ الدّينِ[5] وغيرهم ونَسبوا أفعالَ عبدِ الله بنِ عمرَ بقصدِ التبركِ بالآثارِ

---

(١) قال ذلك صالح بن فوزان في كتابه المسمى من مشاهير المجددين في الإسلام: ابن تيمية ومحمد ابن عبد الوهاب. ص ٣٢.

(٢) وذلك في كتابهم المسمى فتح المجيد لعبد الرحمن حسن بن محمد بن عبد الوهاب. ص٣٥٣.

(٣) وذلك في كتاب لقاء الباب المفتوح لمحمد بن صالح العثيمين. ص ٤٢.

(٤) وذلك في كتاب تطهير الجنان والأركان لأحمد آل بوطامي. ص ٦١.

(٥) قال ذلك أحد مشايخهم وهو جاسر الحجازي في شريط مسجل بصوته على الإنترنت.

الشّريفةِ إلى الشّركِ وكفّروا بلالَ بنَ الحارثِ المزنيّ الذي قصدَ قبرَ النبيّ ﷺ[1]، وبنفسِ هذهِ النظرةِ الماكرةِ سمّى الوهابيّةُ كلَّ ما أُحدثَ بعدَ رسولِ الله ﷺ بدعةً ضلالةً حتى لَو كانَ مما يوافقُ شرعَ الله فمَنعوا الأذانَ الثانيَ يومَ الجمعةِ[2] وحرَّموا استعمالَ السّبحةِ[3] وحرّموا حلقاتِ الذّكرِ[4] وإحضارَ المشايخِ لقراءةِ القرآنِ، ولعلَّ جهلَهم بحديثِ رسولِ الله ﷺ أدّى بهم إلى تحريم أشياءَ فعلَها رسولُ الله ﷺ كالوضوءِ بأكثرَ مِن مدّ والاغتسالِ بأكثرَ مِن صاع[5] وتلقين الميتِ[6] وقراءةِ القرآنِ على الميّتِ[7] واتّباعِ الجنائز وغير ذلكَ. أما كتابُ الله تَعالى القرآنُ الكريمُ فالوهابيّةُ تحرّمُ تأويلَ نصوصهِ المتشابهة[8] وترَى الأخذَ بالظاهرِ ولو أدّى ذلكَ إلى تناقضِ آياتِ القرآنِ لتصلَ الوهابيّةُ مِن خلالِ ذلكَ إلى استخدامِ آياتِ الله بما يوافقُ أهواءَهُم مِن تشبيهٍ للهِ تَعالى بخلقهِ وتحريفٍ للكلمِ عَن مواضعهِ.

أما المرأةُ عندَ الوهابيّةِ فكلُّها عورةٌ وصَوتها عورةٌ وخروجُها مِن بَيتها ضربٌ مِن ضُروبِ الزّنا[9]. فنعوذُ بالله مِن هذا الغلوّ.

أخي المسلم إنَّ مَن يغشّ الناسَ في الدّينِ لا يجوزُ السّكوتُ عنهُ، فلأجلِ هذا وانتصارًا لدينِ محمّدٍ ﷺ قدَّمنا بينَ يديكَ بحثًا يكشفُ شيئًا مِن ضلالاتِ الوهابيّةِ

---

(١) ذكر ذلك محب الدين الخطيب في تحقيق فتح الباري. ص٥٥٧.

(٢) وذلك في الكتاب المسمى معالم الهدى إلى فهم الإسلام لمروان القيسي. ص٤٩.

(٣) وذلك في الكتاب المسمى الهدية السنية لعبد الله بن محمد بن عبد الوهاب. ص٤٧.

(٤) وذلك في الكتاب المسمى حلقات ممنوعة لحسام العقاد. ص٢٥.

(٥) مجلة التمدن. مقال لناصر الألباني. سنة ١٣٧٥هـ بدمشق.

(٦) المسمى معالم الهدى إلى فهم الإسلام. ص٥٣.

(٧) وذلك في كتابهم المسمى توجيهات إسلامية. ص١٣٧.

(٨) كتاب التنبيهات. ص٣٤-٧١.

(٩) انظر الكتاب المسمى حجاب المرأة ولباسها في الصلاة لابن تيمية، والكتاب المسمى جلباب المرأة المسلمة للألباني وغيرهما.

التي أخذنَاها مِن كُتبهم ونُقولهم وأفواههِم وما تسطرهُ أقلامُهم ولم نكتفِ بمجرّدِ الادّعاءِ بلا بيانٍ بل عَمِلنا على توثيقِ كلّ نقطةٍ مما بيناهُ في فساد الوهابيّةِ وقَد ضمَّنّا هذا البحثَ ردًّا محكمًا موجزًا مُستندِينَ فيهِ إلى كتابِ الله وسنةِ رسولهِ ﷺ وإجماعِ الأمةِ وأقوالِ علماءِ أهلِ السّنةِ والجماعةِ حتى لا نتركَ لذي حيرةٍ مجالًا للشكّ في فسادِ الوهابيةِ وخطرِهم. وبحثُنا هذا لم يأتِ على كلّ ضلالاتِ الوهابيّةِ وإنما عَلى شيءٍ منهَا ولذلكَ سيَعقبهُ بإذنِ الله بحوثٌ أخرى تكشفُ مَزيدًا مِن ضلالاتِ هؤلاءِ وزيادةَ ردّ لشُبَهِهم مما يَسَّرَ الله مِن مخزونٍ هائلٍ لأهلِ السنةِ والجماعةِ لنصرةِ السنةِ المحمديةِ وردّ بدعةِ الوهابيةِ (خوارج الزمان).

نسألُ الله أن يَكونَ هذا العملُ خالصًا لوجههِ الكريمِ وأَن يُوفّقنا لما فيهِ خيرُ المسلمين والحمدُ للهِ ربّ العالمينَ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة الخامسة والعشرون

الردُّ على الوهّابيّةِ في جعلِهم التوحيدَ ثلاثةَ أنواعٍ

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

وبعدُ فإنَّ جَعْلَ الوهابيَّةِ التوحيدَ توحيدَ ربوبيةٍ وتوحيدَ ألوهيّةٍ وتوحيدَ أسماءٍ وصفاتٍ وزعمَهُم أنَّ توحيدَ الربوبيةِ هوَ الذي أقرَّ بهِ المشركونَ وتوحيدَ الألوهيّةِ هوَ الذي أقرَّ بهِ الموحّدونَ وهوَ الذي يُدخِلُ الشخصَ في دينِ الإسلامِ وأنَّ توحيدَ الربوبيةِ لا يكفي بدعةٌ باطلةٌ منكرةٌ، فإنَّ ذلكَ لم يَرِد في القرآنِ ولا في السّنةِ الثابتةِ ولا وردَ ذلكَ على لسانِ أحدٍ منَ العلماءِ المعتبرينَ منَ السّلفِ الصّالحِ ولا مَن جاءَ بعدَهم. وهذهِ البدعةُ انفردَ بها مُشبّهةُ هذا العَصرِ وهم الوهابيةُ تَبَعًا لابنِ تيميةَ في ذلكَ رغمَ زعمِهم أنهم يحاربونَ البدعةَ. ومرادُ الوهابيةِ بجعلِهم التوحيدَ على ما ذكروا نسبةُ المسلمينَ الذينَ يتوسّلونَ بالنبيّ محمّدٍ ﷺ وغيرِهِ منَ الأنبياءِ والأولياءِ والصّالحينَ ويزورون قبرَهُ ﷺ وينادونه بقولهم يا رسولَ الله إلى الشّركِ فجعلوهُم مثلَ المشركينَ الذينَ كانوا في زمنِ النبيّ ﷺ، فإنهم حملوا الآياتِ القرآنيةَ التي نزلَت في المشركينَ على خواصّ المسلمينَ وعوامّهم كقولِهِ تَعالى ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[1] وقولِهِ تعالى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ

(١) سورة الجن/ آية ١٨. ومعنى هذه الآية أن المساجد بنيت لعبادة الله فلا تعبدوا فيها غير الله لأنها بنيت لعبادته. القرطبي. تفسير القرطبي. ج١٢ ص١٢٩.

ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴾[1] [2] وقولِهِ تَعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[3] [4] وأمثالُ هذهِ الآياتِ في القرآنِ كثير فهم حملوا الدّعاءَ فيها على النداءِ ثم حملوها على المؤمنينَ الموحّدينَ وقالوا إنَّ مَنِ استغاثَ بالنبيّ ﷺ أو بغيرِهِ منَ الأنبياءِ والصّالحينَ أو ناداهُم في غيرِ حَضرتهم أو بعدَ وَفاتهم أو سألهُ الشّفاعةَ فإنهُ يكونُ مثلَ هؤلاءِ المشركينَ ويكونُ داخلًا بزعمِهم في عموم هذهِ الآياتِ فقالوا إنهم مثلُ المشركينَ الذينَ كانوا يقولونَ ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[5] فإنَّ المشركينَ كانوا يعتقدونَ أنَّ الخالقَ هوَ الله تعالى بدليلِ قولهِ تَعالى ﴿ وَلَئِن

---

(١) سورة الأحقاف/ آية ٥.

(٢) قال الطبري في تفسيره: «يقول تعالى ذكره: وآلهتهم التي يدعونهم عن دعائهم إياهم في غفلة، لأنها لا تسمع ولا تنطق ولا تعقل وإنما عنى بوصفها بالغفلة تمثيلها بالإنسان الساهي عما يقال له، إذ كانت لا تفهم مما يقال لها شيئًا، كما لا يفهم الغافل عن الشىء ما غفل عنه وإنما هذا توبيخ من الله لهؤلاء المشركين لسوء رأيهم، وقبح اختيارهم في عبادتهم من لا يعقل شيئًا ولا يفهم» اهـ. ج٢١ ص١١٦.

(٣) سورة فاطر/ آية ١٣-١٤.

(٤) قال القرطبي في تفسيره: «﴿ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ ﴾ يعني الأصنام، ﴿ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾ لا يقدرون على ما تدعونهم ولا على خلقه. والقطمير القشرة الرقيقة البيضاء التي بين التمرة والنواة؛ قاله أكثر المفسرين، ﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ ﴾ لأنها جمادات لا تبصر ولا تسمع ﴿ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾ إذ ليس كل سامع ناطقًا. وقال قتادة: المعنى لو سمعوا لم ينفعوكم. وقيل: أي لو جعلنا لهم عقولًا وحياة فسمعوا دعاءكم لكانوا أطوع لله منكم، ولما استجابوا لكم على الكفر ﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ﴾ أي يجحدون أنكم عبدتموهم، ويتبرؤون منكم ﴿ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ هو الله عز وجل، أي لا أحد أخبرُ بخلق الله من الله، فلا ينبئك مثله في عمله» اهـ. ج١٤ ص٣٣٧.

(٥) سورة الزمر/ آية ٣.

سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] فما حكمَ الله عليهم بالكُفرِ والإشراكِ إلا لقولهم ليُقرّبونا إلى اللهِ زُلفى، فهؤلاءِ مثلُهم. وقالوا إنَّ التوحيدَ توحيدُ الربوبيةِ وهوَ ما أقرَّ بِهِ المشركونَ وتوحيدُ الألوهيّةِ وهوَ ما أقرَّ بِهِ الموحّدونَ وإنَّ هذا التوحيدَ أيْ توحيدُ الألوهيّةِ هوَ الذي يُدخلُكَ في دينِ الإسلامِ وأما توحيدُ الربوبيّةِ فلا يكفي. هذهِ خلاصةُ كلامِهِم وهوَ باطلٌ مردودٌ لأنَّ الدّعاء الذي في الآياتِ هو بمعنى العبادةِ والوهابيّةُ لَبَّسوا على الخلقِ وجعلوهُ بمعنى النداءِ، ولو كانَ الأمرُ كما يقولونَ إنَّ النداءَ دعاءٌ وكلّ دعاءٍ عبادةٌ لامتنعَ نداءُ الحيّ والميّتِ، فإنْ قالوا إنَّ نداءَ الحيّ الحاضرِ والطلبَ منهُ لشيءٍ منَ الأشياءِ إنما أذنَ اللهُ به مِن بابِ السّببِ بدعاءِ الله لهُ في قضاءِ حاجتِهِ فيقال الحيُّ والميّتُ مُستويانِ في أنَّ كليهما لا تأثيرَ لهُ أيْ لا يخلقُ نفعًا ولا ضرًّا، ويَلزمُ مِن تفريقِ الوهابيّةِ في ذلكَ نسبةُ التأثيرِ للحيّ وهوَ القولُ بأنَّ العبدَ يخلقُ أفعالَ نفسهِ الاختياريةَ وهوَ قولُ المعتزلةِ قبّحَهُم الله وقَد أجمعَ المسلمونَ على تكفيرِ المعتزلةِ لهذا القولِ. وإنما يكونُ شِركًا طلبُ ما انفردَ بِهِ الله تعالى كطلبِ خَلقِ شيءٍ أيْ إحداثِهِ منَ العَدمِ، وكطلبِ مغفرةِ الذنوبِ قالَ تعالى ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾[2] وقالَ تَعالى ﴿ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[3]، ومما يردُّ به عليهم ما ورد في القرآن الكريم أنَّ جبريلَ عليه السلام قال لمريم عليها السلام ﴿ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾[4] فواهِبُ الغلامِ الذي هوَ عيسَى لمريم في الحقيقةِ هوَ الله ولكنَّ الله جعلَ جبريلَ سببًا فأضافَ جبريلُ الهبةَ إلى نفسهِ. وقصةُ جبريلَ هذهِ يُعلمُ منها عظمُ شططِ هؤلاءِ في تكفيرِ المتوسّلينَ والمستغيثينَ لمجرّدِ قولِ أحدِهم

---

(١) سورة الزخرف/ آية ٩.

(٢) سورة فاطر/ آية ٣.

(٣) سورة آل عمران/ آية ١٣٥.

(٤) سورة مريم/ آية ١٩.

يا رسولَ الله ضاقَت حِيلتي أغِثني يا رسولَ الله وما شابهَ ذلكَ منَ العباراتِ التي يُطلقونها ولا يَعنونَ بها أنَّ رسولَ الله يخلقُ أو أنهُ يَستحقُّ العبادةَ التي هي غايةُ التذللِ بل يَعنونَ أنهُ سببٌ لنيلِ المقصودِ والبركةِ منَ الله وقَد أجرَى الله العادةَ بربطِ المسبباتِ بالأسبابِ فالله تباركَ وتَعالى كانَ قادرًا على أن يُعطيَ مريم ذلكَ الغُلامَ الزكيَّ مِن دونِ أن يكونَ لجبريل سببيةٌ في ذلكَ. فافهَمهُ يرحمكَ الله.

وكذلك جعلهُم التوحيدَ نوعينِ توحيدَ الربوبيةِ وتوحيدَ الألوهيّةِ باطلٌ أيضًا، فإنَّ توحيدَ الربوبيةِ هوَ توحيدُ الألوهيّةِ وذلكَ أنَّ مَن ثبتَت لهُ الربوبيةُ فهوَ للعبادةِ مستحقٌّ ومنِ انتفَت عنهُ الربوبيةُ فهوَ غيرُ مستحقّ للعبادةِ، فثبوتُ الربوبيةِ واستحقاقُ العبادةِ متلازمانِ لا ينفكُّ أحدُهما عنِ الآخرِ في الوجودِ وفي الاعتقادِ فمنِ اعترفَ بأنهُ لا ربَّ إلا الله كانَ مُعترِفًا بأنهُ لا يَستحقُّ العبادةَ غيرُهُ ومَن أقرَّ بأنهُ لا يَستحقُّ العبادةَ غيرُهُ كانَ مُذعنًا بأنهُ لا ربَّ سواهُ، وهذا هوَ مَعنى لا إلـٰهَ إلا الله وهو في قلوبِ جميع المسلمينَ، فتوحيدُ الربوبيةِ هوَ توحيدُ الألوهيةِ ألا ترى أنَّ الله تعالى قال لذريةِ آدمَ لما أخذَ عليهِم الميثاقَ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ﴾[1] ولم يقُل ألستُ بإلهكُم فاكتفَى منهُم بتوحيدِ الربوبيةِ. ومنَ المعلوم أنّ مَن أقرَّ للهِ بالربوبيةِ فقَد أقرَّ لهُ بالألوهيّةِ إذ ليسَ الربُّ غيرَ الإلهِ بل هوَ الإلهُ. وفي الحديثِ إنَّ الملَكَيْنِ يسألانِ الميّتَ «**مَن ربُّك**»[2] ولا يقولان مَن إلـٰهك فدلَّ على أنَّ توحيدَ الربوبيةِ هوَ توحيدُ الألوهيّةِ.

ومنَ العَجبِ أنَّ هؤلاءِ الوهابيةَ يأتيهم المسلمُ الذي يَشهدُ أن لا إلـهَ إلا الله ويشهدُ أنَّ محمّدًا رسولُ الله فيقولونَ لهُ أنتَ لم تعرفِ التوحيدَ وتوحيدُكَ هذا توحيدُ الربوبيةِ وما عَرفتَ توحيدَ الألوهيّةِ فيَستحلّونَ دَمَهُ ومالَهُ. وهَل سَمِعَ المسلمونَ في الأحاديثِ والسّيَرِ أنَّ الرّسولَ ﷺ كان إذا قدِمَتْ عليهِ أجلافُ

(١) سورة الأعراف/ آية ١٧٢.

(٢) الترمذي. سنن الترمذي. ج٣ ص٣٨٣.

العَربِ ليُسلِموا على يدهِ يُفصّلُ لهم توحيدَ الربوبيةِ والألوهيّةِ ويخبرهُم أنَّ توحيدَ الألوهيّةِ هوَ الذي يُدخلهُم في دينِ الإسلامِ أو يكتفِي منهُم بمجرّدِ الشّهادتينِ وظاهِرِ اللفظِ ويحكمُ بإسلامهِم فما هذا الافتراءُ والزّورُ على الله ورسولهِ فإنَّ مَن وَحّدَ الربَّ فقَد وَحّدَ الإلهَ ومَن أشركَ بالربّ فقَد أشركَ بالإلهِ فليسَ للمُسلمينَ إلـٰهٌ غيرُ الربّ، فإذا قالوا لا إلـهَ إلا الله إنما يَعتقدونَ أنهُ هوَ ربهم فينفونَ الألوهيّةَ عَن غيرهِ كما ينفونَ الربوبيةَ عَن غيرهِ أيضًا ويُثبتونَ لهُ الوحدانيةَ في ذاتهِ وصفاتهِ وأفعالهِ. ويدلّ أيضًا على دَحضِ عقيدةِ الوهابيةِ قولُ الله تعالى حكايةً عَن يوسفَ عليهِ السّلامُ لصَاحبي السّجنِ حينَ دعاهما إلى التوحيدِ ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾[1] فيوسفُ عليهِ السّلامُ دعاهُم إلى توحيدِ الربّ المستحقّ للعبادةِ الذي هوَ الله تَعالى.

والذي أوقعَ المشركينَ في الشّركِ والكفرِ ليسَ مجردَ قولهم ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[2] فقَط كما زعمَ القائلُ بَل لأنهم اعتقَدوا أنَّ غيرَ الله يَستحقُّ العبادةَ وإنْ زعَموا أنهم يعتقدونَ أنَّ الخالقَ والمؤثّرَ هوَ الله تَعالى، فلمّا اعتقدُوا ألوهيّةَ غيرِ الله واستحقاقَهُ العبادةَ أُقيمَت عليهِمُ الحجّةُ بأنهم لا يملكُونَ لكُم ضرًّا ولا نفعًا ولا يَخلقونَ وهُم يُخلَقون فقالوا ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[3]. فاعتقادُ الألوهيّةِ واستحقاقِ العبادةِ لغيرهِ تَعالى أوقعَهُم في الشّركِ ولم ينفعْهُم اعتقادُهم أنَّ الخالقَ والمؤثّرَ هوَ الله معَ وجودِ اعتقادِهم ألوهيّةَ غيرِ الله واستحقاقَهُ العبادةَ، وأما المسلمونَ فإنهم وللهِ الحمدُ بريئونَ مِن ذلكَ إذ لا يَعتقدونَ شيئًا يَستحقُّ الألوهيّةَ والعبادةَ غيرَ الله فهذا هوَ الفرقُ بين الحالينِ. فما عرفَ هؤلاءِ الوهابيةُ الجاهلونَ المكفِرونَ للمسلمينَ الفرقَ بينَ الحالينِ فتخبَّطوا وقالوا إنَّ التوحيدَ توحيدُ ألوهيّةٍ

(١) سورة يوسف/ آية ٣٩.

(٢) سورة الزمر/ آية ٣.

(٣) سورة الزمر/ آية ٣.

وتوحيدُ ربوبيةٍ وتوصّلوا بذلكَ إلى تكفيرِ المسلمينَ.

- ومن أكبر الأدلة على فسادِ تقسيمِهم هذا أنَّ الرّسولَ ﷺ قالَ «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهَدوا أن لا إلـهَ إلا الله وأني رسولُ الله**»[1] ولم يقُلِ الرسولُ ﷺ حتى يوحّدوا ثلاثَ توحيداتٍ. وهذا الحديثُ متواترٌ رواهُ عَن رسولِ الله ﷺ جمعٌ منَ الصّحابةِ منهُم العشرةُ المبشّرونَ بالجنةِ وقَد أوردهُ البخاريُّ في صحيحهِ. فثبتَ مِن هذا الحديثِ المتواترِ أنَّ تقسيمَهم التوحيد إلى ثلاثةٍ باطلٌ وأنهم هُم المبتدعةُ ولَو زَعموا أنهم يحاربونَ البدعةَ، فقَد أدخَلوا في دينِ الله بدعةً جديدةً لم يقُلها المسلمون وهيَ قَولهم إنَّ توحيدَ الربوبية وحدَهُ لا يكفي للإيمانِ بَل لا بدَّ مِن توحيدِ الألوهية، وهذا ضدُّ قولِ رسولِ الله ﷺ «**حتى يَشهَدوا أن لا إلـهَ إلا الله وأني رسولُ الله فإذا فَعلوا ذلكَ عصَموا منّي دماءَهم وأموالهم إلا بحقّها**» فقد جعلَ الرسولُ ﷺ اعترافَ العبدِ بإفرادِ الله بالألوهيّةِ وبوصفِ رسولِ الله ﷺ بالرّسالةِ كافيًا وكانَ رسولُ الله ﷺ إذا نطقَ الكافرُ بهذا يحكمُ بإسلامهِ وإيمانهِ ثم يأمرهُ بالصّلاةِ قبلَ غيرِها مِن أمورِ الدّينِ كما في الحديثِ الذي رواهُ البيهقيُّ في كتابهِ «الاعتقادِ»[2].

- جاءَ في كتابِ «مصباحِ الأنامِ» الفصل الثاني لعَلوي بنِ أحمدَ الحداد «توحيدُ الأُلوهيّةِ داخلٌ في عمومِ توحيدِ الربوبيةِ بدليلِ أنَّ الله تَعالى لما أخذَ الميثاقَ على ذريّةِ آدمَ خاطبَهم تَعالى بقولهِ ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[3] ولم يقُل بإلهكُم فاكتفَى منهُم بتوحيدِ الربوبيّةِ ومنَ المعلومِ أنَّ مَن أقرَّ لهُ بالربوبيّةِ فقَد أقرَّ لهُ بالألوهيّةِ إذ ليسَ الربّ غير الإلهِ بَل هوَ الإلهُ ذاتُهُ. وأيضًا وردَ في الحديثِ أنَّ الملكينِ يَسألانِ

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الزكاة: باب وجوب الزكاة ج٢ ص٢١٦، مسلم. صحيح مسلم: كتاب الإيمان: باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إلـه إلا الله محمد رسول الله ﷺ. ج١ ص٣٨.

(٢) البيهقي. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد. ج١ ص٢٠٩.

(٣) سورة الأعراف/ آية ١٧٢.

العبدَ في قبرِهِ فيقولانِ مَن ربّكَ ولم يَقولا مَن إلـٰهكَ فدلَّ على أنَّ توحيدَ الربوبيّةِ شاملٌ لهُ، ومنَ العَجبِ العُجابِ قولُ المدّعي الكذّاب لمن شهدَ أن لا إلـٰهَ إلا الله وأنَّ محمّدًا رسولُ الله مِن أهلِ القِبلةِ أنتَ لم تَعرفِ التوحيدَ، التوحيدُ نوعانِ توحيدُ الربوبيّةِ الذي أقرّت بِهِ المشركونَ والكفّارُ وتوحيدُ الألوهيّةِ الذي أقرّت بِهِ الحنفاءُ وهذا الذي يُدخلكَ في دينِ الإسلامِ وأما توحيدُ الربوبيّةِ فلا. فيا عجبًا هل للكافرِ توحيدٌ صحيحٌ؟! فإنهُ لو كانَ توحيدهُ صحيحًا لأخرجهُ منَ النارِ إذ لا يبقَى فيها موَحّدٌ كما صرّحَت بِهِ الأحاديثُ فهَل سمعتُم أيها المسلمونَ في الأحاديثِ والسّيرِ أنَّ رسولَ الله ﷺ إذا قدِمت عليهِ أجلافُ العربِ - أي الذين لم يتزيّوا بزي الحضر في اللين - ليُسلِموا على يدهِ يفصلُ لهم توحيد الربوبيّةِ والألوهيّةِ؟ فما هذا الافتراءُ والزورُ على الله ورسولهِ فإنَّ مَن وحَّدَ الربَّ فقَد وحَّدَ الإلهَ ومَن أشركَ بالربّ فقَد أشركَ بالإلهِ فليسَ للمسلمينَ إلـٰهٌ غيرُ الربّ فإذا قالوا لا إلـٰهَ إلا الله يعتقدونَ أنهُ هوَ ربهم فينفونَ الألوهيّةَ عَن غيرهِ كما ينفونَ الربوبيةَ عَن غيرهِ أيضًا ويثبتونَ لهُ الوحدانيةَ في ذاتهِ وصفاتهِ وأفعالِه» اهـ.

قال الشيخُ يوسفُ الدجويُّ الأزهريُّ المتوفى سنةَ ١٣٥٢ هـ ما نصّهُ[١] «قولهم «إنَّ التوحيدَ ينقسمُ إلى توحيدِ الربوبيةِ وتوحيدِ الألوهّيةِ» تقسيمٌ غيرُ معروفٍ لأحدٍ قبلَ ابنِ تيميةَ وغيرُ معقولٍ أيضًا كما ستعرفهُ، وما كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ لأحدٍ دخلَ في الإسلام إنَّ هناكَ توحيدَينِ وإنكَ لا تكونُ مُسلمًا حتى توحّدَ توحيدَ الألوهيّةِ ولا أشارَ إلى ذلكَ بكلمةٍ واحدةٍ ولا سُمِعَ ذلكَ عَن أحدٍ منَ السّلفِ الذينَ يتبجّحونَ باتّباعِهم في كلّ شيءٍ. وأما قولهُ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[٢] فهؤلاءِ يقولونَ بألسنتِهم

(١) انظر مجلة نور الإسلام التي كانت تصدرها مشيخة الأزهر في عدد ربيع الثاني سنة ١٣٥٢ هـ.

(٢) سورة الزمر/ آية ٣٨.

ما ليسَ في قلوبِهم أو يصلُ إلى نفوسِهم بدليلِ أنهم يقرنونَ ذلكَ القولَ بما يدلُّ على كَذِبهم وأنهم ينسبونَ الضرَّ والنفعَ إلى غيرِهِ وبدليلِ أنهم يجهلونَ الله تمامَ الجهلِ ويقدّمونَ غيرهُ عليهِ حتى في صغائرِ الأمورِ، وإن شئتَ فانظُر إلى قولِهم لهودٍ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾[1] فكيفَ يقولُ ابنُ تيميةَ إنهم مُعتقدونَ أنَّ الأصنامَ لا تضرُّ ولا تنفعُ إلى آخرِ ما يقولُ؟ ثم انظُر بعدَ ذلكَ إلى قَولهم في زرعِهم وأنعامِهم ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾[2] فقدّموا شركاءَهُم على الله تعالى في أصغرِ الأمورِ وأحقرِها» ثم قالَ «فانظُر إلى هذا ثم قُل لي ماذا ترى في ذلكَ منَ التوحيدِ الذي ينسبهُ إليهِم ابنُ تيميةَ ويقولُ إنهم فيهِ مثل المسلمينَ سواء بسواء وإنما افترقوا بتوحيدِ الألوهيةِ؟» اهـ. كلامُ مشيخةِ الأزهرِ ملخّصًا.

وزادَ الوهابيةُ بزعمهم توحيدًا ثالثًا فقالوا توحيدُ الأسماءِ والصّفاتِ وأرادُوا بذلكَ تكفيرَ مَن تأوّلَ الآياتِ المتشابهاتِ لصَرفِها عنِ المعنى الظاهرِ الموهمِ لتشبيهِ الله بخلقهِ فقالوا التأويلُ تعطيلٌ[3] والمعطّلُ كافرٌ، وما ذاكَ إلا لتثبيتِ اعتقادهِم تشبيهَ الله بخلقهِ ونسبةَ الجسميّةِ والأعضاءِ لهُ تَعالى، سبحانهُ وتعالى عمّا يقولُ الظالمونَ علوًّا كبيرًا.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) سورة هود/ آية ٥٤.

(٢) سورة الأنعام/ آية ١٣٦.

(٣) ممن قال ذلك ابن باز في كتابه المسمى تأويلات على من أنكر الصفات. ص٨٤. والألباني في كتابيه فتاوى الألباني ص٥٢٢-٥٢٣ ومختصر العلو ص٢٣ وعبارته: «التأويل عين التعطيل» اهـ. وكذا في كتابه شرح الطحاوية ص١٨.

المحاضرة السادسة والعشرون

بعضُ أقوالِ ابن تيميةَ وابنِ القيّم ممّا يوافقُ أهلَ السُّنّةِ ويخالف مقالاتِ الوهابيّة ومناقضاتُهما لقولِهما في مواضعَ أخرى

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلِهِ وصَحابتِهِ الطّاهرين

وبعدُ فإنَّ أهلَ الضّلالِ والبدعِ الاعتقاديةِ غالبًا ما يُناقِضُ بعضُهم بَعضًا في أصلِ عقيدَتهم فقَد تجِد لبعضِهم عقيدةَ تكفيرِ مَن قالَ كَذا أوِ اعتقدَ كذا ثم تراهُ يُحسّنُ أمرًا قَد حكمَ هوَ بكفرِ مَن قالَ بهِ أو حسّنهُ، وقَد تجِد تابعًا لإمامهِ في بِدعتِهِ يُخالِفُ إمامَهُ في بعض المسائلِ ويُكَفّرُ القائلَ بها فإن رُوجِعَ بذلكَ وقيلَ لهُ فقَد قالَ إمامُك بهذا قبلُ فيقولُ هذهِ مِن زلّةِ الإمامِ وأرجُو أن يغفرَ اللهُ لهُ لحُسنِ نيّتهِ وكثرةِ محاربتِهِ لأهلِ البدَعِ، أو يقولُ فيها روايتانِ ويعتذرُ عَن إمامهِ في ذلكَ.

ومِن أمثلةِ ذلكَ تناقضُ ابنِ تيميةَ وتلميذهِ ابنِ قيّمِ الجوزيّةِ، فإنَّ في كلامِهما ما ينقضُ عقيدَتهم في تكفيرِ المسلمينَ وتضليلِهم في ما هوَ حقٌّ، وكذا الوهابيّةُ يُناقِضونَ إمامَهُم ابنَ تيميةَ بنسبةِ الشّركِ الأكبرِ لبعضِ المسلمينَ بفعلِ أمورٍ استحسَنها ابنُ تيميةَ فهَل يَرمونَ إمامَهُم بالشّركِ أم يرجعونَ عَن قولهم؟

- **جوازُ تعليقِ الحرزِ**

من المعلومِ جوازُ تعليقِ الحروزِ عند جميعِ المسلمين، أما الوهابيةُ فيعتقدون

أن مَن علّقَ الحرزَ ولو كانَ المكتوبُ فيهِ منَ القرآنِ أو الذّكرِ يكونُ مُشركًا بالله والعياذُ بالله[١].

وشيخُهم ابنُ تيميةَ يقولُ في كتابهِ الكلمُ الطيب[٢] «وعَن عمرِو بنِ شعيبٍ عَن أبيهِ عَن جدّهِ أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يُعلّمهُم منَ الفزعِ كلماتٍ أعوذُ بكلماتِ الله التامّاتِ مِن غَضبهِ وعقابهِ ومِن شرّ عبادهِ ومِن همزاتِ الشّياطينِ وأنْ يحضرونَ قالَ: وكانَ ابنُ عمرٍو يُعلّمهنَّ مَن عقلَ مِن بنيهِ، ومَن لم يَعقل كتبهُ وعلّقهُ عليهِ. أخرجهُ أبو داودَ[٣] والترمذيُّ[٤] وقالَ حديثٌ حسنٌ» اهـ.

- **جوازُ قولِ يا محمّدُ والاستغاثةِ والتوسّلِ بالنبيّ بعدَ مماته**

يجوزُ نداءُ النبيّ ﷺ بعد موته بيا محمدُ وذلك خلافُ معتقدِ الوهابيةِ فإنه عندهم شركٌ، وابن تيمية يقول في كتابه المسمى الكلم الطيب[٥] «عنِ الهيثمِ بنِ حنش قالَ كنّا عندَ عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهُما فخَدِرت رجلهُ فقالَ لهُ رجلٌ اذكُر أحبَّ الناسِ إليكَ فقالَ يا محمّد فكأنما نَشِطَ مِن عِقالٍ» اهـ.

وقالَ في كتابه «مجموع الفتاوى»[٦] ما نصّه «ولذلكَ قالَ أحمدُ في منسكهِ الذي كتبهُ للمَروزيّ صاحبه إنهُ يتوسّلُ بالنبيّ في دُعائهِ، ولكنْ غيرُ أحمدَ قالَ إنَّ هذا إقسامٌ على الله بهِ ولا يُقسَمُ على الله بمخلوقٍ، وأحمدُ في إحدى الروايتينِ قَد جَوَّزَ القسمَ بهِ فلذلكَ جَوَّزَ التوسّلَ بهِ» اهـ.

ثم يناقض ابن تيمية نفسه ويقول في كتابه المسمى «قاعدة جليلة في التوسل

---

(١) محمد بن عبد الوهاب. الكتاب المسمى معلومات من الدين. ص١٦.

(٢) ابن تيمية. الكتاب المسمى الكلم الطيب. ص٥٢.

(٣) أبو داود. سنن أبي داود. ج٤ ص١٨.

(٤) الترمذي. سنن الترمذي. ج٥ ص٥٤١.

(٥) ابن تيمية. الكتاب المسمى الكلم الطيب. فصل في الرّجْلِ إذا خدرت. ص١٦٥.

(٦) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج١ ص١٤٠.

والوسيلة» ما نصّه[1] «ولهذا لما ذكرَ العلماءُ الدّعاءَ في الاستسقاءِ وغيرِهِ ذكَروا الصّلاةَ عليهِ ولم يذكُروا فيما شرعَ للمُسلمينَ في هذهِ الحالِ التوسّلَ بهِ» اهـ.

• **الاحتفالُ بمولدِ النبيّ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ**

من البدع الحسنةِ الاحتفالُ بمولدِ النبيّ ﷺ، والوهابيةُ يعتبرونَه بدعةَ ضلالةٍ[2] ويحرّمونَ أكلَ الذبيحة التي تُذبح بمناسبة المولد بل يُنكرون على من احتفلَ بالمولد أشد الإنكارِ وقد أدى في بعضِ البلاد إلى قتلِهم من يحتفلُ بالمولد.

وابنُ تيمية يقولُ في كتابه المسمَّى «اقتضاءَ الصراطِ المستقيم»[3] «فتعظيمُ المولدِ واتخاذهُ موسمًا قَد يفعلهُ بعضُ الناسِ ويكونُ لهُ فيه أجرٌ عظيمٌ لحسنِ قصدهِ وتعظيمهِ لرسولِ الله صلّى الله عليهِ وآلهِ وسلّم» اهـ.

• **صحة سماع الموتى**

ثبتَ في أكثرَ من حديثٍ أن الموتى يسمعون[4]، والوهابيةُ ينكرون ذلك ويستدلون بقولِه تعالى ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾[5] على أن الأموات لا يسمعون[6]، وابن القيم يؤكد أنهم يسمعون ونصُّ عبارتِهِ[7] «وأما قولهُ تعالى ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ فسياقُ الآيةِ يدلُّ على أنَّ المرادَ منها أنَّ الكافرَ الميّتَ القلبِ لا تقدرُ على إسماعهِ إسماعًا ينتفعُ بهِ كما أنَّ مَن في القبورِ لا تقدرُ على إسماعِهِم إسماعًا ينتفعونَ بهِ، ولم يُرد سبحانَهُ أنَّ أصحابَ القُبورِ لا يَسمعونَ

(١) ابن تيمية. الكتاب المسمى قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة. ج٢ ص ٣٠٩.

(٢) ابن باز. تعليق ابن باز على فتح الباري. ج١ ص٩٢.

(٣) ابن تيمية. الكتاب المسمى اقتضاء الصّراط المستقيم. ص٢٩٧.

(٤) مالك. الموطأ. ج١ ص٢٨.

(٥) سورة فاطر/ آية ٢٢.

(٦) محمد باشميل. الكتاب المسمى كيف نفهم التوحيد. ج١ ص٢٣.

(٧) ابن قيم الجوزية. الروح. ص ٨٧.

شيئًا ألبتةَ كيفَ وقَد أخبرَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلّم أنهم يسمعونَ خفق نعالِ المشيّعينَ وأخبرَ أن قتلَى بدرٍ سمعوا كلامَهُ وخطابَهُ» اهـ فالوهابيةُ يرمون المسلمَ بالشّركِ إذا ذهبَ إلى قبرِ الرّسولِ ﷺ أو قبرِ أحدِ الأولياءِ فقالَ عندهُ أغثني يا رسولَ الله أو أدركني بإذنِ الله يا عبدَ القادرِ الجيلانيَّ بقولهم كيفَ تَدعو ميتًا لا يسمعُ والله يقولُ ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾[1]، ويقولُ أيضًا ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴾[2] اهـ. وما عرفَ هؤلاءِ المتناقضونَ أنَّ المرادَ بهذهِ الآيةِ المشركونَ الذينَ عبدوا غيرَ الله[3].

- **إثباتُ وصولِ ثوابِ القراءةِ والصّدقةِ للميّتِ**

يُستحبُّ لزائر القبور الإكثارُ من قراءةِ القرآنِ والذكرِ والدعاءِ لموتى المسلمين من أهل تلك القبور، ثم يهبُ ثوابَ قراءته لهم هذا إن لم يكن واقفًا أمام قبرٍ معين وإلا فلا يُشترطُ ذلك بل يصلُ ثوابُ القراءةِ لصاحبِ هذا القبر. والوهابية يُنكرونَ على مَن قرأَ القرآنَ وأهدَى ثوابَهُ للميّتِ ويحتجّونَ على ما هُم عليهِ[4] بقولهِ تَعالى ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[5]، وابن تيمية يقول في كتابه مجموع الفتاوى[6] «وتنازَعوا في وُصولِ الأعمالِ البدنيّة كالصّومِ والصّلاةِ والقراءةِ **والصّوابُ** أنَّ الجميعَ يصلُ إليهِ» ثم قال: «وأما احتجاجُ بعضِهم بقولهِ تَعالى ﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾[7]، فيقالُ لهُ قَد ثبتَ بالسّنةِ المتواترةِ وإجماعِ

(١) سورة فاطر/ آية ٢٢.

(٢) سورة الأحقاف/ آية ٥.

(٣) الطبري. تفسير الطبري. ج٢١ ص١١٦.

(٤) عبد الله بن حميد. الكتاب المسمى توجيهات إسلامية. ص١٣٦-١٣٧.

(٥) سورة النجم/ آية ٣٩.

(٦) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. مج٢٤ الجزء الرابع من كتاب الفقه ص٣٦٦-٣٦٧.

(٧) سورة النجم/ آية ٣٩.

الأمةِ أنهُ يُصلّى عليهِ ويُدعَى لهُ ويُستغفرُ لهُ وهذا مِن سعيِ غيرِهِ» اهـ.

• **التأويل:**

القرآن فيه آياتٌ محكماتٌ هن أم الكتاب أي أصلُ الكتاب وفيه آياتٌ متشابهاتٌ تردّ لفهمها إلى الآيات المحكمات، وقد ثبت التأويلُ بنوعيه الإجمالي والتفصيلي عن السلف وأئمة الخلف، أما الوهابية فيقولون التأويل تعطيلٌ، وقد ثبت التأويلُ عن شيخِهم ابن تيمية في أكثر من موضع:

- قولهُ تعالى ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[1].

قال ابن تيمية في كتابه مجموع الفتاوى[2] «كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا ما كانَ لوَجههِ منَ الأعيانِ والأعمالِ وغيرِهما. رُويَ عَن أبي العاليةِ قالَ إلا ما أريدَ بهِ وجههُ وعَن جعفرٍ الصّادقِ إلا دينهُ ومعناهما واحدٌ» اهـ.

- قولهُ تعالى ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾[3].

قال ابن تيمية ما نصه[4] «ومما يشبهُ هذا أنَّ الصّفاتِ التي هيَ مِن جنسِ الحركةِ كالإتيانِ والمجيءِ والنزولِ هل تتأولُ بمعنى مجيءِ قدرتهِ وأمرهِ على روايتينِ:

- إحدَاهما هيَ بمعنى مجيءِ قُدرتهِ وهيَ روايةُ أحمدَ بنِ حنبلٍ في المحنةِ.
- والثانيةُ تمرُّ كسائرِ الصّفاتِ وهيَ ظاهرُ المذهبِ المشهورِ عندَ أصحَابنا» اهـ.

والعجبُ أنهُ يَروي التأويلَ التفصيليَّ عَن أحمدَ بنِ حنبلٍ رضي الله عنهُ ويدّعِي اتّباعَهُ ثم يخالفهُ هوَ وتلميذهُ ابنُ القيّم بأنَّ تأويلَ المتشابهِ على هذا النحوِ هوَ مِن بدعِ المعتزلةِ والأشاعرةِ ويُنكِرُ على الأشاعرةِ أشدَّ الإنكارِ.

---

(١) سورة القصص/ آية ٨٨.

(٢) ابن تيمية. مجموع فتاوى ابن تيمية. مج٢ ص٤٢٧.

(٣) سورة الفجر/ آية ٢٢.

(٤) ابن تيمية. مجموع فتاوى ابن تيمية. ج٦ ص١٥٦.

- قولهُ تَعالى ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾[1].

ونصُّ عبارتهِ[2] «ومَعنى بسطِهِما بذلُ الجودِ وسَعةُ العطاءِ» اهـ.

- قولهُ تعالى ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾[3].

ونصُّ عبارتهِ[4] «فرُويَ عنِ ابنِ عبّاسٍ وطائفةٍ أنَّ المرادَ بهِ الشّدةُ أنَّ اللهَ يكشفُ عنِ الشّدةِ في الآخرةِ» اهـ.

والعجبُ منَ الوهابيةِ إنكارهُم ذلكَ التأويلَ التفصيليَّ على أهلِ السّنةِ ويقولونَ التأويلُ تعطيلٌ وينفونَ التأويلَ التفصيليَّ عنِ السّلفِ[5] وإمامُهُم ابنُ تيميةَ يَروِي ذلكَ عنهُم ويقرّهُ هنا.

والعجبُ منِ ابنِ تيميةَ كيفَ يُناقضُ نفسَهُ فقدَ قالَ في «مجموعِ الفتاوَى»[6] «وقد طالعت التَّفاسيرَ المنقولةَ عَن الصّحابَةِ وما رَوَوْهُ مِن الحديث ووقَفْت مِنْ ذَلِكَ عَلَى مَا شَاءَ اللهُ تعالى مِن الكتبِ الكبارِ وَالصغَارِ أَكثَرَ من مائة تَفْسيرٍ فلم أجدْ - إلى ساعتي هذه - عن أحدٍ من الصحابةِ أَنهُ تأولَ شيئًا من آياتِ الصّفات أو أحاديث الصفاتِ بخلاف مُقتضاهَا المفهوم المعرُوفِ؛ بَل عنهم من تقريرِ ذَلِك وَتثبيتِه وبيان أنّ ذلكَ من صفات اللهِ ما يخالف كلام المتأولين ما لا يحصيه إلا الله» اهـ.

---

(١) سورة المائدة/ آية ٦٤.

(٢) ابن تيمية. مجموع فتاوى ابن تيمية. ج٦ ص٣٦٣.

(٣) سورة القلم/ آية ٤٢.

(٤) ابن تيمية. مجموع فتاوى ابن تيمية. ج٦. ص٣٩٤.

(٥) محمد بن صالح العثيمين. الكتاب المسمى القواعد المثلى. ص٤٥.

(٦) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج٦ ص٣٩٤.

- **مسألة نبوة ورسالة آدم عليه السلام**

آدم عليه السلامُ نبيٌ مرسلٌ لا يشك في ذلك مؤمن، والوهابية يتخبطون كعادتهم في هذه المسألة، ففي الكتاب المسمى «ثلاثة الأصول لمحمد بن عبد الوهاب» نفي رسالة آدم ونص عبارته «إن أول الرسل نوح» اهـ. وفي الكتاب المسمى «شرح ثلاثة الأصول» لابن باز إثبات نبوة آدم ورسالته ونص عبارته «وقبله آدم نبيٌّ رسولٌ» فهنا خالف ابن باز شيخه ابن عبد الوهاب، وفي الكتاب المسمى «عقيدة أهل السنة والجماعة» لابن عُثَيْمِين نفي نبوته فقد قال «مع أنه لم يسبق نوحًا نبيٌّ» اهـ. فهنا وافق ابنُ عثيمين ابنَ عبد الوهاب وخالف شيخَه ابنَ باز. فما هذا التناقض!

فائدة: ابنُ تيميةَ يُنكرُ الإجماعَ ويَنسُبُ هوَ وتلميذُهُ ابنُ القيّمِ إلى أحمدَ بنِ حنبلٍ أنهُ قالَ مَنِ ادّعى الإجماعَ فقَد كذبَ[1]، وفي كتابه «المسمى المسودةُ في أصولِ الفقهِ»[2] ينقلُ عن الإمامِ أحمدَ أنه قال بالإجماع ونصُّ عبارته «في روايةِ الحسنِ بن ثواب فقال أذهبُ في التكبيرِ من غداة يوم عرفةَ إلى آخرِ أيام التشريق، فقيلَ له إلى أي شيء تذهبُ؟ -أي ما دليلُك- فقال - أي الإمامُ أحمدُ- بالإجماعِ»، وإنما شهرَ ابنُ قيّم الجوزيةِ إنكارَ الإجماع عَن أحمدَ بنِ حنبلٍ ليَهونَ ما فعلهُ شيخهُ مِن خَرقِ الإجماعِ في مسائلَ كثيرةٍ كما قال الحافظُ أبو زرعةَ العراقيُّ إنها تبلغُ ستينَ مسألة إذ ابن تيمية يدّعي فيما يؤيّدُ هواهُ منَ المسائلِ الإجماعَ فيها واتفاقَ العُقلاءِ والأممِ والفقهاءِ كما في مَسألةِ الطّلاقِ[3] التي شذَّ فيهَا عنِ الإجماعِ، وفي فَتاويهِ[4] يقولُ «وهذا أحدُ الأدلةِ على أنَّ الإجماعَ حجّةٌ قاطعةٌ» اه. وهذا عادةُ المشوّشينَ

(١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج١٩ ص٢٧١. ابن القيم. الصواعق المرسلة. ج٢ ص٥٧٩.

(٢) ابن تيمية. المسودة في أصول الفقه. ج١ ص٣١٦.

(٣) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج٣٣ ص٨-٩.

(٤) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج١ ص١٧.

المشوَّشينَ.

وأما ما نُسبَ إلى أحمدَ مِن قولهِ مَنِ ادّعى الإجماعَ فهوَ كاذبٌ فقَد بيّنَ بعضُ العلماءِ[1] وجهَ ما يُنسبُ إليهِ منَ القولِ إنْ ثبتَ وأنهُ ليسَ على ما أرادهُ ابنُ تيميةَ لأنهُ ثبتَ أنَّ أحمدَ قالَ في مسائلَ «بالإجماعِ» فقد قال ابنُه أبو الفضل في كتابه «مسائل الإمام أحمد بروايةِ ابنه أبي الفضل صالح»[2] ما نصُّه «وسألته عن سورةِ الأنفال وسورةِ التوبة هل يجوز للرجل أن يفصلَ بينهما ببسم الله الرحمن الرحيم؟ قال أبي ينتهى في القرآن إلى ما أجمعوا عليه أصحابُ محمّدٍ عليه السلامُ لا يُزاد فيه ولا يُنقص» اهـ. وهذا تصريحٌ من الإمامِ أحمدَ في احتجاجه بالإجماعِ، ومنهَا ما نقلهُ عنهُ أبو الفَضلِ التّميميُّ رئيسُ الحَنابلةِ ببغدادَ في كتابهِ اعتقادِ الإمامِ أحمدَ[3] ما نصّهُ «وقَد أجمعَ المسلمونَ لا يتناكرونَ أنهم إذا رأوا الزلازلَ والأمطارَ العظيمة أنهم يقولونَ هذهِ قدرةُ الله تَعالى» اه. وفي التلخيصِ الحبيرِ لابنِ حَجرٍ العَسقلانيّ[4] «وقالَ - أي الإمامُ أحمد في حديثِ أنَّ رسولَ الله ﷺ نهى عَن بَيعِ الكَالئ بالكَالئ - ليسَ في هذا حَديثٌ يصحُّ لكنَّ إجماعَ الناسِ على أنهُ لا يجوزُ بيعُ دينٍ بدينٍ» اه.

والله تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

---

(١) ابن أمير الحاج. التقرير والتحبير. ج٣ ص١١٠. الزركشي. البحر المحيط في أصول الفقه. ج٣ ص٤٨٩. الإسنوي. نهاية السول شرح منهاج الوصول. ج٢ ص٧٩.

(٢) أبو الفضل صالح. مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابن أبي الفضل صالح. ج١ ص٢٧٤.

(٣) أبو الفضل التميمي. اعتقاد الإمام أحمد. ص٧.

(٤) ابن حجر العسقلاني. التلخيص الحبير. ج٣ ص٢٦.

المحاضرة السابعة والعشرون

التطرّفُ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

وبعدُ فإنَّ الشّرعَ الكريمَ دعانا إلى الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ، وإلى إبطالِ الباطلِ وإحقاقِ الحقّ، ولقَد كثرَ المفتُونَ اليومَ في الدّينِ بفتاوَى ما أنزلَ الله بها مِن سلطانٍ، وزادَ الانحرافُ وامتدَّ، لذلكَ لا بدَّ مِن تِبيان الحقّ. وعلى الرّغمِ مِن أنَّ التطرّفَ ليسَ بالظّاهرةِ الجديدةِ، إلا أنَّ ما نشهدهُ هذهِ الأيامَ مِن تزايُدِ حركةِ التطرّفِ، واشتدادِ خطرهِ، وتعدّدِ الأسماءِ المنضويةِ تحتَهُ، والشّعاراتِ الداعيةِ لهُ، وانتشارِ السّاعينَ في ركبهِ، يدفعُ إلى التنبيهِ إلى مخاطرهِ وطريقِ محاربتهِ. وإنما يتمُّ ذلكَ بعدَ مَعرفةِ معنى التطرّفِ وأسبابهِ وظواهرهِ.

فالتطرّفُ هوَ الجنوحُ فكرًا وسلوكًا إلى الإفراطِ أوِ التفريطِ والإفراطُ غلوٌّ منهيٌّ عنهُ في الدّينِ، قالَ الفيوميُّ في «المصباحِ المنير»[1] «غلا في الدّينِ غلوًّا تصلَّبَ وشدّدَ حَتى جاوزَ الحدَّ»اهـ. فالتطرّفُ هوَ عبارةٌ عَن سلوكٍ مخالفٍ للشّرعِ يأخذُ طابعًا حادًّا بيَن طَرفينِ مُتصارعينِ يهدفُ كلٌّ منهُما إلى تحقيقِ مكاسبَ معينةٍ أو تغييرِ وضعٍ اجتماعيّ معيّنٍ بطريقٍ مخالفٍ للدّينِ. وعندَما تَستطيعُ الجماعةُ المتطرّفةُ أن تحقّقَ بعضَ ما يسمى الإنجازاتِ أو تمتلكَ وسائلَ العنفِ والقوةِ فإنها تلجأُ سواء على المستوَى الفرديّ أم المجتمعيّ أم الدَّوْليّ إلى استخدامِ ما يُسمّى بوسيلةِ

---

(١) الفيومي. المصباح المنير. ص٤٥٢. مادة (غ ل و).

الإرهابِ الفكريّ أو النفسيّ أو الماديّ ضدَّ كلّ مَن يَقفُ عقبةً لتحقيقِ أهدافِها. ومما لا شكَّ فيهِ أنَّ التطرُّفَ اقترنَ عبرَ العصورِ بالعنفِ الدمويّ البغيضِ، فإنَّ المتطرّفينَ يميلونَ إلى العنفِ المذمومِ ولا يخافونُ مِن تَصدّي الدّولةِ لهم بل يَستغلّونَ ذلكَ ببراعةٍ في كسبِ عواطفِ الجماهيرِ غيرِ الواعيةِ حيثُ يرتدِي المتطرّفونَ أمامَ الجماهيرِ قمصانَ المظلومينَ والشّهداءِ الذينَ يُدافعونَ عنِ الحقّ ويُقتلونَ دفاعًا عَن عقيدَتهم. ثم يُعلنُ المتطرّفونَ أنهم وحدَهم عَلى الحقّ ويموّهونَ بذلكَ على الجماهيرِ لتتعاطَفَ معهُم ويقصدُونَ مِن وراءِ ذلكَ الوصولَ إلى ما يُريدونَ تحقيقَهُ منَ الوصولِ إلى الحكمِ أو فرضِ ما يريدونَ مِن أحكامٍ.

فالتطرّفُ حالةٌ شاذّةٌ خارجةٌ عنِ القواعدِ السّليمةِ التي وضعَها الشرعُ الحنيفُ تُضيّقُ الواسعَ وتُوَسّعُ الضيّقَ، وهيَ حالةٌ ناشئةٌ عَن فهمٍ غلط مخالفٍ للحقيقةِ الشرعيّةِ. فالتطرّفُ حالةٌ كثيرةُ الخطورةِ إذا تعدَّت حدودَ الفرديّةِ وخرجَت مِن قُمقُمِها لتصيرَ ظاهرةً وإذا تجاوزَت إطارَ النظريّةِ الفكريّةِ لتُطبَّقَ بالقوّةِ والجبرِ.

والتطرفُ ليسَ شيئًا جديدًا ظهرَ في هذا القرنِ بَل ظهَر في العصرِ الأولِ، ومِن أكبرِ مظاهرِ التطرّفِ في العصرِ الأولِ فتنةُ الخوارجِ الذينَ كفَّروا الإمامَ عليًّا كرّمَ الله وجهَهُ ومعاويةَ والحكميْنِ أبا موسَى الأشعريَّ وعمرَو بنَ العاصِ بسببِ التحكيمِ، وكفَّروا أصحابَ الجَمَلِ وطلحةَ والزبيرَ وعائشةَ وكلَّ مَن رضي بتحكيمِ الحكمَينِ، كما كفَّروا مُرتكبَ الذّنبِ منَ المسلمينَ سواءٌ كانَ ذنبًا صَغيرًا أم كَبيرًا، ثم اختلفُوا في مَا بينَهُم، فصَاروا مقدارَ عشرينَ فرقة كلُّ فرقةٍ تُكفّرُ غيرَها[١]. وقَد قاتلَهم الإمامُ عليٌّ رضي الله عنهُ في معركةِ النّهروانِ. وقَد قُتِلَ سيّدُنا عليٌّ رضي الله عنهُ مَظلومًا على يدِ أحدِ الخوارجِ، وهوَ عبدُ الرحمنِ بنُ مُلْجَمٍ[٢].

(١) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص٢٤.

(٢) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص٦٥-٧٠.

وقَد روَى البخاريُّ في الصّحيحِ[١] أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ في الخوارجِ «**يخرجُ فيكُم قومٌ تحقِرونَ صلاتَكُم معَ صلاتِهم، وصيامَكُم معَ صيامِهم، وعملَكُم معَ عملِهم، ويَقرؤونَ القرآنَ لا يجاوزُ حناجرَهُم، يَمرُقونَ منَ الدّينِ كما يمرُقُ السّهمُ منَ الرّمِيّة**».

وفي زمانِ سيّدنا عليّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنهُ قالَ بعضُ السَّبَئِيّة والعياذُ بالله مِن شَنيعِ القولِ لسيّدنا عليّ كرّم الله وجهَهُ «أنتَ إلـٰهنا وخالقُنا ورازقُنا» فأحرقَ الإمامُ عليٌّ رضي الله عنهُ قومًا منهُم بعدَ أنِ استَتابهم، ونفَى عبدَ الله بنَ سَبَأ[٢].

ثم بعدَهم كانَت فتنةُ المعتزلةِ القدريّةِ الذينَ أنكروا تقديرَ الله للشرّ وقالوا «إنَّ العبدَ يخلقُ أفعالهُ» وقَد كفَّرهُم المحقّقونَ مِن أهلِ السّنةِ لقولهم هَذا[٣].

وكذلكَ ظهرَتِ المرجئةُ وهمُ القائلونَ والعياذُ بالله «لا يضرُّ معَ الإيمانِ ذنبٌ، كما لا تنفعُ الطّاعةُ معَ الكفرِ»[٤] اهـ. أما قولهم «لا تنفعُ الطّاعةُ معَ الكفرِ» فهوَ كلامٌ سليمٌ، وأما القولُ الأولُ «لا يضرُّ معَ الإيمانِ ذنبٌ» فهوَ كلامٌ فاسدٌ يخالفُ إجماعَ الأمةِ، وفيهِ دعوةٌ لعدمِ التزامِ أحكامِ الشّرعِ.

وكذلكَ الجبريةُ القائـلـونَ والعياذُ بالله «لا فعلَ للعبادِ على الحقيقةِ ولا إرادةَ لهم في أفعالهم»[٥]. فنفَوا المشيئةَ عنِ العبدِ وجعلوهُ كالريشةِ في مهبّ الريحِ، والله

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب فضائل القرآن: باب إثم من راءى بقراءة القرآن. ج٢ ص٤٢٦.

(٢) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص٢٣٣-٢٣٤.

(٣) مرتضى الزبيدي. إتحاف السادة المتقين. ج٢ ص١٣٥.

(٤) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص٢٥.

(٥) الأسفراييني. التبصير في الدين. ص١٠٧-١٠٨.

أثبتَ المشـيئةَ للعبدِ في قولهِ ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

وفي أيامِ الحسنِ البصريّ رضي الله عنهُ حصلَ خلافُ واصلِ بنِ عَطاءٍ الغزّال في مسألةِ القَدرِ، وفي المنْزلةِ بينَ المنْزلتينِ، وانضمَ إليهِ عمرُو بنُ عُبيدٍ في مسألةِ القدَرِ وفي المنْزلةِ بينَ المنْزلتينِ، فطردَهما الحسَنُ مِن مجلسـهِ، فاعتزلا إلى سـاريةٍ مِن سَـوارِي مسجدِ البصرةِ، فقيلَ لهما ولأتباعِهما «معتزلةٌ» لاعتزالهم قولَ الأمةِ في دَعوَاهما الفاسدةِ «إنَّ الفاسقَ مِن أمةِ محمّدٍ لا مؤمنٌ ولا كافرٌ» وهُم القدريةُ[2]، حيثُ إنَّ واصلَ بنَ عَطاءٍ كَفَرَ في بابِ القَدَر بقولهِ بوجودِ خالِقِينَ لأعمالِ العبادِ سوَى الله تَعالى، والله تباركَ وتَعالى يقولُ ﴿ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ ﴾[3]. وكذلكَ افترقتِ القدريّةُ المعتزلةُ عنِ الحقّ عشرينَ فرقة تكفِّرُ بَعضَها وغيرَهُم ممن خالفَهُم[4].

إنَّ معاناةَ المجتمعاتِ الإسلاميّةِ منَ المتطرّفينَ الغُلاةِ على مرّ العُصورِ قَد تراوحَت بينَ مدّ وجزرٍ تقوَى حينًا وتضعفُ أحيانًا، فكلّما اشتدَ سعيُ علمائِنا في نشرِ تعاليمِهم بينَ العامّةِ زادَتِ العوائقُ في وجهِ انتشارِ التطرّفِ، لأنَّ المواجهةَ تُصبحُ بينَ فئةٍ قليلةٍ مُنحرفةٍ وبينَ عامةِ المسلمينَ. وكلَّما شاعَ الجهلُ وجدَ التطرّفُ لهُ سبيلًا هيّنًا لغزوِ فكرِ البعضِ ليكونوا أداةَ تهديمٍ لبلادِهم، لذلكَ يَنبغي الإسراعُ لتحصينِ أمثالِ هؤلاءِ، والوصولُ إليهِم لحمايتهِم قبلَ أن يَصِلَهم المتطرّفونَ.

وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ أهلَ التطرّفِ يحتجّونَ بآياتٍ منَ القرآنِ وأحاديثَ نبويّة يحمِلونها على غيرِ محمِلها للإيقاعِ بضحاياهُم. فالطّالبُ الذي لم تتأسس عندَه المعارفُ الأوليّةُ التي يميّزُ بها بينَ ما يُوافقُ العقلَ والنقلَ وبينَ الشّبهاتِ التي

(١) سورة التكوير/ آية ٢٩.

(٢) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص٢٠.

(٣) سورة فاطر/ آية ٣.

(٤) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص٢٤.

يَدّعيها أهلُ الغلوّ حجةً، قَد يقولُ في نفسهِ «هؤلاءِ يحتجّونَ بالقرآنِ والحديثِ، فلا بدَّ أَن يكونوا على الحقّ»، فيكونُ عُرضةً للانجرافِ في تيارِ التطرّفِ والغلوّ، وهوَ يظنُّ بنفسهِ أنهُ يلتزمُ بالشّرعِ الإسلاميّ ويخدمُ دينهُ.

وإذا نُحّيَ الماضي جانبًا وبُحثَ في العصرِ الحديثِ، ودُرسَت ظاهرةُ جماعاتِ التكفيرِ المطلقِ في ظلّ تشنّجاتِ الدّولِ المتصادمةِ معهُم كفعلٍ وردّةِ فعلٍ، سيظهرُ أنهُ لا بدَّ منَ التنبيهِ إلى خطورةِ ما يجري على السّاحةِ الإسلاميّةِ مِن تضليلٍ لكثيرٍ منَ الشّبابِ المتحمّسِ تحتَ شعارِ ودعوَى الدّعوةِ إلى الحكمِ بما أنزلَ اللهُ. وقَد سبَّبَ هذا النوعُ منَ التطرّفِ للوَطنِ العربيّ سلسلةَ حوادث دمويةٍ بدأَت في مصرَ مُرورًا بسوريا ولبنانَ والأردن والجزائر والمغربِ واليمنِ وغيرِها، وأخذَ الخرابُ يتوسّعُ والتفجيراتُ تنتقلُ مِن قطارٍ إلى مطارٍ إلى أسواقٍ شعبيّةٍ، تَطالُ المواطنينَ والمشايخَ والضّباطَ وأفرادَ القوى الأمنيّة والأبرياءَ وغيرَهم باسمِ الإسلامِ كَذبًا وزورًا.

وفي أواخرِ القرنِ العشرينَ نشأَت ناشئةٌ في بعضِ البلادِ الإسلاميّةِ تعتنقُ مذهبَ الخوارجِ مِن جديدٍ، فوجَدنا مَن يَعتقدُ كُفْرَ مَن يرتكبُ معصيةً منَ المعاصِي، بَل منهم مَن كفَّرَ جميعَ المسلمينَ وإنْ صلَّوا وصَامُوا وزكَّوا وحجُّوا، باعتبارهِم ليسُوا مِن جماعتِهم، وحكَموا على مجتمعاتِ المسلمينَ المعاصرينَ بأنها مجتمعاتٌ جاهليّةٌ، ومن ثَمَّ حكَموا على دِيارهم بأنها دارُ كفرٍ والعياذُ باللهِ تَعالى منَ الضّلالِ والإضلالِ فكفَّروا الحاكمَ والمحكومينَ مستشهدينَ بقولِ اللهِ تَعالى ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾[1]، فقد قال سيّد قطب في كتابهِ المسمّى في ظلالِ القرآنِ[2] إنَّهُ لا وُجودَ للمُسلمين على الأرضِ طَالما يحكمُ الحكّامُ بغيرِ الشّرعِ ولو في مَسائلَ صَغيرةٍ، فقَد قالَ في الجزءِ الثاني منَ الكتابِ المذكورِ ما

(١) سورة القصص/ آية ٨.

(٢) سيد قطب. الكتاب المسمى في ظلال القرآن. ج١ ص٥٩٠.

نصُّهُ[1] «فقد ارتَدَّتِ البشريةُ إلى عبادةِ العبادِ وإلى جَوْرِ الأديانِ، ونَكَصتْ عَن لا إلـه إلا الله، وإنْ ظلَّ فريقٌ منها يردّدُ على المآذنِ لا إلـه إلا الله دونَ أن يُدركَ مدلولَها، ودونَ أن يعيَ هذا المدلولَ وهوَ يردّدُها، ودونَ أن يرفُضَ شَرْعِيَّةَ الحاكميّةِ التي يَدَّعيها العبادُ لأنفسِهِم» اهـ.

وهذهِ الحركاتُ المتعدّدةُ جماعاتٌ منفصلةٌ ومستقلّةٌ عَن بعضِها البَعضِ، لا تربطُها في بعضِ الأحيانِ جبهةٌ ظاهرةٌ موحّدةٌ ولا قيادةٌ مركزيّةٌ رغمَ التشابهِ والتماثلِ في ما بينَها، وفي أحيانٍ أخرى تربطُها جبهةٌ أو جبهاتٌ موحّدةٌ وهيكليّاتٌ تنظيمية تحملُ الطابعَ الإقليميَّ أحيانًا، والطابعَ الدّوليَّ أحيانًا أخرى، وفي أحوالٍ عديدةٍ تستغلُّ بعضُ الدّولِ هؤلاءِ الشّبان لتوظيفِهم لحسابها.

وعليهِ، فإنَّ هذا التطرّفَ القائمَ في هذهِ المجموعاتِ ما هوَ إلا امتدادٌ لجذورٍ ابتدأَت منَ الخوارجِ وإفرازاتها الخطيرةِ، حيثُ قامَ مَبدَؤُهم على فكرةِ الحاكميّةِ، وتقولُ هذهِ النظريّةُ إنَّ مَن حَكمَ بغيرِ الإسلامِ ولو في مسألةٍ واحدةٍ فهوَ كافرٌ مطلقًا مِن غيرِ تفصيلٍ. ومَن تأمّلَ لا يجدُ سَلفًا لهؤلاءِ إلا طائفة يقالُ لها «البيهسيةُ»[2] منفردينَ عَن سائرِ فرقِ الخوارجِ بقولهم «إنَّ الملِكَ إذا حكمَ بغيرِ الشّرعِ صارَ كافرًا ورعاياهُ كفارًا مَن تابعهُ ومَن لم يُتابِعه»[3] اهـ.

ولا بدَّ منَ الإشارةِ إلى أنهُ يَنبغي أن نميّزَ بينَ التديّنِ الذي هوَ الالتزامُ بأحكامِ الدّينِ وبين التطرّفِ الذي هوَ غلوٌّ وتجاوزٌ وبُعْدٌ عَن مَعاني الشّريعةِ السّمحاءِ، وقَدِ اتضَحتِ الصّورةُ لكثيرٍ منَ الكتّاب فسَارعوا للتحذيرِ مِن مخاطرِ المتطرفينَ المتستّرينَ بالدّينِ، إلا أنَّ بعضًا منَ المؤلفينَ والكتّابِ قَد أسرَفوا كثيرًا في وضعِ المدلولاتِ للتطرّفِ، ورَموا بِهِ الكثيرينَ مِن محبي الالتزامِ بأحكامِ الشّرعِ

(١) سيد قطب. الكتاب المسمى في ظلال القرآن. ج٢ ص١٠٥٧.

(٢) نسبة إلى هيصم بن جابر الضبعي أبي بيهس. الزركلي. الأعلام. ج٨ ص١٠٥.

(٣) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص ٧٠، ٨٨.

الحنيفِ، فاتحينَ ثغرةً يتسلّلُ عبرها أدعياءُ التديّنِ منَ المتطرّفينَ، حيثُ يتوجّهون إلى العوامّ محبي الدّينِ ويُصوّرونَ لهم هؤلاءِ الكتّاب كأعداءِ الإسلامِ، بينَما يُصوّرونَ أنفسَهُم مدافعينَ عنهُ مجاهدينَ لنشرهِ محاربينَ لذلكَ، فيكسبونَ عطفَ العَوام ومؤازرتهم ليتمكّنوا رُويدًا رُويدًا فيمَا بعدُ مِن دسّ سمومِهم في عُقولهم وعقائدِهم.

- **ومِن أسبابِ التطرّفِ:**

١- عدمُ الفهمِ الصّحيحِ للدّينِ الإسلاميّ الحنيفِ ومبادئِه وأحكامِه، ومخالفةُ عقيدةِ أهلِ الحقّ التي كانَ عليها رسولُ الله ﷺ وأصحابُهُ الكرامُ.

٢- الفشلُ في شرحِ الأحكامِ الشرعيّةِ وتعميمُها في المجتمعِ بخلافِ الشرعِ.

٣- غيابُ الدّورِ العلميّ المعتدلِ المطلوبِ عندَ بعضِ المشايخ لدَحضِ الفكرِ المتطرّفِ، ومناقشةِ الجوانبِ التي تؤدّي إلى التطرّفِ في الرّأيِ، خاصة ما يتعلّقُ بالاجتهادِ والجهادِ والعلاقةِ بينَ الدّينِ والسّياسةِ وأسلوبِ الدعوةِ ونحوِ ذلكَ.

٤- عدمُ الاهتمامِ بالتربيةِ الدينيّةِ في المقرّراتِ الدّراسيةِ، وجَعلُها مادةً هامشيةً.

٥- الجهلُ باللغةِ العربيّةِ التي هيَ مفتاحُ الفهمِ للنصوصِ، ما أدَّى إلى الجهلِ بالأحكامِ الشرعيّةِ.

٦- الادّعاءُ بأنَّ علماءَ الدّينِ مُسخَّرونَ لخدمةِ الحكومةِ، وأنَّ العلماءَ يأخذونَ رواتبَهم مِن خزانةِ الحكومةِ، فهُم يَنهونَ عنِ المنكرِ ويَفعلونهُ، ومِن هنا لا يَصحُّ الاقتداءُ بهِم أوِ الثقةُ بكلامِهم.

٧- حملُ بعضِ الآياتِ على معانٍ ما أنزلَ الله بها مِن سلطانٍ، مِن ذلكَ الادّعاءُ بأنَّ المجتمعاتِ التي يَعيشونَ فيهَا ليسَت مؤمنةً، وإلا لماذا نُزولُ كلّ هذا البلاءِ عليها، كمَا في قولِه تَعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ

لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾[1].

٨- الطّاعةُ العَمياءُ والخضوعُ الكاملُ مِن السُّذَّجِ والجهلاءِ لمرؤوسيهم الذينَ ليسُوا أهلًا، دونَ التدبّرِ في الحلالِ والحرامِ.

٩- الالتباسُ في فهمِ حقيقةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ، لأنَّ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عنِ المنكرِ في الإسلامِ لهُ قواعد في الشّرعِ لا يَلتزمُ بها هؤلاءِ.

١٠- تعمّدُ تفسيرِ نصوصٍ شرعيّةٍ على غيرِ المرادِ منهَا، بسببِ زيغٍ في القلوبِ وهَوى.

١١- عدمُ تلقّي علمِ الدّينِ الصّحيحِ بالطّريقِ الصّحيحِ مِن أهلِ المعرفةِ الثقاتِ.

فعلى هؤلاءِ الشّباب أن يُراعوا التفقّهَ في أحكامِ دينهِم، على يدِ ذوي المعرفةِ والفهمِ الذينَ تلقَّوا العُلومَ النافعةَ على حسبِ الأصولِ المعتبرةِ عندَ أهلِ العلومِ النافعةِ، فلكلّ علمٍ أهلُهُ، ولكلّ فنّ رجالُهُ؛ وقَد علَّمنا القرآنُ أن نَرجعَ في ما لا نَعلمُ إلى العلماءِ مِن أهلِ الذّكرِ والخبرةِ والمعرفةِ. قالَ الله تباركَ وتَعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2].

ونحنُ نرى الآنَ مَن يجترئ على الفتوَى في أخطرِ القَضايا، وإصدارِ الأحكامِ في أهمّ الأمورِ، مثل جوهر العقيدةِ الإسلاميّةِ، دونَ أن تكونَ عندهُ مؤهّلاتُ الفتوَى، وقَد يخالفُ إجماعَ العُلماء قديمًا وحديثًا، وربما تطاولَ فخطَّأَ الآخرينَ وجهَّلهُم بزعمِ أنهُ ليسَ مقلّدًا وأنَّ مِن حقّهِ أن يجتهدَ وأنَّ بابَ الاجتهادِ مَفتوحٌ للجميعِ.

(١) سورة الأعراف/ آية ٩٦.

(٢) سورة الأنبياء/ آية ٧.

وكونُ بابِ الاجتهادِ مفتوحًا أمرٌ صحيحٌ ولكن ليس لكل إنسان، فإنَّ للاجتهادِ شروطًا قَد لا يملكُ هذا المدّعي أيَّ واحدٍ منها[١].

وهناكَ أسبابٌ أخرى للتطرّفِ اجتماعيةٌ وسياسيةٌ لا يسعُ سَردُها في هذا الملخّصِ.

- **وأما مظاهرُ التطرّفِ فهيَ عديدةٌ منها:**

١- التعصّبُ للرأيِ الخطأِ تعصّبًا لا يعترفُ للآخرينِ برأيٍ، وهو أولُ مظاهرِ التطرّفِ، وهذا يشيرُ إلى جمودِ المتعصّبِ على فهمٍ لا يَسمحُ برؤيةِ مقاصدِ الشرعِ ولا ظروفِ العصرِ، ولا يسمحُ لنفسهِ بالحوارِ البنّاءِ معَ الآخرينَ. فالمتطرِّفُ يرى أنهُ وحدَهُ على الحقّ ومَن عداهُ على الضّلالِ.

٢- التشدّدُ في أمورٍ في غيرِ محلّها، كالتّشنيع على مَن تركَ السّنن والنوافل كأنهُ تركَ فرضًا، والحكمِ على مَن تركَ بعضَ الأمورِ منَ الفروعِ لمجرَّد ذلكَ بالكفرِ والإلحادِ.

٣- العنفُ في التعاملِ، والخشونةُ في الأسلوبِ، والغلظةُ في الدّعوةِ مما يُنفّرُ الناسَ.

٤- سوءُ الظنّ بالآخرينَ، والنظرُ إليهِم نظرةً تشاؤميّةً، لا ترَى أعمالهم الحسَنة، وتضخّم مِن سيّئاتهم. فالأصلُ عندَ المتطرّفِ هوَ الاتهامُ والإدانةُ بغيرِ حق.

---

(١) الاجتهاد هو استخراج الأحكام التي لم يرد فيها نص صريح لا يحتمل إلا معنى واحدًا. فالمجتهد من له أهلية ذلك بأن يكون حافظًا لآيات الأحكام وأحاديث الأحكام مع معرفة أسانيدها ومعرفة أحوال رجال الإسناد ومعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد، ومع إتقان اللغة العربية بحيث إنه يحفظ مدلولات ألفاظ النصوص على حسب اللغة التي نزل بها القرآن، ومعرفة ما أجمع عليه المجتهدون وما اختلفوا فيه، لأنه إذا لم يعلم ذلك لا يُؤمَن عليه أن يخرق الإجماع، أي إجماع من كان قبله. ويشترط فوق ذلك شرط وهو ركن عظيم في الاجتهاد وهو فقه النفس أي قوة الفهم والإدراك. انظر كتاب المحصول في علم الأصول لمحمد بن عمر الرازي.

٥- إسقاطُ حرمةِ المسلمينَ باستباحةِ دمائِهم وأموالهم بغيرِ حقّ، وحكمُ الأقليةِ المتطرّفةِ على الأكثريةِ المعتدلةِ بالكفرِ والإلحادِ.

٦- المنهجُ غيرُ الدّقيقِ في تفسيرِ النصوصِ، ويعتمدُ على انتقاءِ آياتٍ وأحاديثَ متشابهةٍ معيّنةٍ، وتفسيرِها بغيرِ معناها بما يخالفُ القرآنَ، وعدمُ الالتفاتِ للمَقاصدِ العامّةِ لها، وعدمُ الالتفاتِ إلى أسبابِ النّزولِ، أو معرفةِ أصولِ الاستدلالِ اللغويّ والفقهيّ ونحوِ ذلكَ.

ومعلومٌ أنَّ العيبَ ليسَ في النصوصِ القرآنيةِ والحديثيةِ الثابتةِ، إذ كلُّ هذهِ النصوصِ صحيحةُ المعاني، سليمةُ المباني، تدعُو إلى الهدَى والحقّ، ولكن العيبُ في المتطرّفينَ المتهوّرينَ المجازفينَ الذينَ يَهجمُونَ على النصوصِ لوضعِها في غيرِ مواضِعها.

٧- العُزلةُ عنِ المجتمعِ، والعُزلةُ في نهجِ هذهِ الجماعاتِ تؤدّي إلى وظيفتينِ:

- الوظيفةُ الأُولى تجنيبُ أعضاءِ الجماعةِ ما يَعتبرونها المنكراتِ، وعَزلهم عنِ المشاركةِ في المجتمعِ.

- الوظيفةُ الثانيةُ تشكيلُ مجتمعٍ خاصّ بهم، تُطبَّقُ فيه ما يَرونهُ مبادئَ الإسلامِ، وتتسعُ دائرتهُ شيئًا فشيئًا حتى تَستطيعَ في النهايةِ غزوَ المجتمعِ الجاهليّ حسب زعمِهم مِن خارجِه.

والوظيفةُ الأولى فكريّةٌ، بينَما الوظيفةُ الثانية سياسيّةٌ وحركيّةٌ.

٨- دورانُ معظمِ أفكارِ هذهِ الجماعاتِ حولَ فكرةٍ محوريّةٍ، هيَ ما يُسمّونها فكرةَ الحاكميةِ للهِ وحدَهُ، وما سيكونُ عليها مِن نزاعِ سلطةِ التشريعِ في الجماعةِ، ولقَد ردَّدَ هذهِ الفكرةَ أبو الأعلى المودوديّ، وتابعهُ فيهَا سيّد قُطب، وروَّجتها ألسنةُ وأقلامُ آلافِ الشبابِ. ولقَد ذهبَ كلُّ فريقٍ مِن هؤلاءِ إلى اعتبارِ جماعتهِ -لَو كانَت عشرةً أو عشرينَ- أنها هيَ جماعةُ

المسلمينَ، وأنَّ مَن بَلغتهُ دعوتها ولم ينضمَّ إليها فقَد كفرَ، فقالَ قائلهُم مَن دخلَ في دَعوتنا فلهُ ما لنا، وعليهِ ما عَلينا، ومَن لم يدخُل فهوَ كافرٌ حلالُ الدّمِ، ومَن لزمَها ثم تركَها فقدِ ارتدَّ كما كان يقول محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ «إني أدعوكُم إلى التوحيدِ وتركِ الشّركِ بالله وجميعُ ما هوَ تحتَ السّبعِ الطّباقِ مشركٌ على الإطلاقِ ومَن قتلَ مشركًا فله الجنةُ»[1]اهـ. وكانَ محمّدُ بنُ عبدِ الوهّابِ وجماعتهُ يحكمونَ على الناسِ بالكُفرِ واستبَاحوا دماءَهُم وأموالهم كما ذكر ذلك مُفتي الشافعيّةِ ورئيسُ المدرسينَ في مكةَ أيامَ السّلطانِ عبدِ الحميدِ الشيخُ أحمدُ زيني دَحلان في كتابهِ «الدررِ السّنيةِ في الردّ على الوهابيّةِ».

- **وأما العلاجُ منَ التطرّفِ فيتألّفُ مِن وسائلَ علميّةٍ وسلوكيّةٍ واجتماعيّةٍ وسياسيّةٍ، فمنها:**

١- العلاجُ بالعلمِ والمعرفةِ والاعتدالِ وذلكَ بتعلّمِ علمِ الدّينِ الصّافي مِن أهلهِ الصّادقينَ معَ حسنِ التطبيقِ.

٢- العلاجُ بتوعيةِ الناسِ مِن خَطرِ التطرّفِ وأصحابهِ الذينَ زيّفوا المفاهيم وحوّروا المصطلحاتِ وفسَّروا آياتِ الله تَعالى بما لم يُنْزل الله به مِن سلطانٍ وأنزلوا أحاديثَ رسولِ الله عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ على آرائهم الخاصّةِ الضيّقةِ وإسقاطاتهم الواهنةِ الواهيةِ التي لم يَتكلّم بها السَّلَفُ الصّالحُ، وأنكرَها مِن بعدِهم الخَلَفُ؛ ويكونُ ذلكَ بنشرِ الحقائقِ الإيمانيةِ صَافيةً كما وردَت في كتابِ الله تَعالى، وكَاملةً كَما علَّمَناها رَسولُنا الهادِي عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ مِن غيرِ تحريفٍ ولا نقصانٍ.

٣- العلاجُ بإقامةِ الحججِ السّاطعةِ والبراهينِ القاطعةِ على أهلِ التطرّفِ وبيانِ بُطلانِ ما يذهبونَ إليهِ وفسادِ ممارساتهم المستندةِ إلى أفكارِهم السّوداءِ

---

(١) أحمد بن زيني دحلان. الدرر السّنية في الردّ على الوهابيّة. ص٤٦.

وتحريفهم لمعاني الشّرعِ الحنيفِ.

٤- العلاجُ بالاعتناءِ بالمناهجِ التربويّةِ على طريقةِ أهلِ السّنةِ والجماعةِ (الأشاعرةِ والماتريديةِ) في المدارسِ والجامعاتِ ليرسخَ الاعتدال في نفوسِ الأجيالِ وهو شيءٌ ضروريٌّ لمنعِ تسرّبِ التطرّفِ إلى أوساطِنا ومجتمعاتِنا، إضافةً إلى هذا لا بدَّ منَ الاهتمامِ بمراقبةِ المطبوعاتِ والمنشوراتِ، والتصدّي لكلّ متشدّقٍ متطرّفٍ وكشفِ زيفهِ بالدّليلِ والحجّةِ والبرهانِ عَلى الملأ، وعدمِ فتح المجالِ للفكرِ المتطرّفِ مِن أن يبثَّ سمومَهُ في المدارسِ والجامعاتِ والمَساجدِ والمصلّياتِ.

٥- العلاجُ بالالتزام بشرع الله تَعالى فإنهُ ليسَ شيئًا مستحيلًا وإنهُ ليسيرٌ على مَن يسّرهُ الله عليهِ، فالله ما أحلَّ شيئًا إلا لحكمةٍ وما حرّمَ شيئًا إلا لحكمةٍ، والاعتدالُ يكونُ بتحليلِ ما أحلَّ الله وتحريمِ ما حرّمَ الله لا بمجاوزةِ الحدّ في الأمرينِ أي لا يكونُ بالتطرّفِ.

٦- العلاجُ بتركِ الغلوّ والتحذير منهُ فإنَّ الغلوَّ بابٌ كبيرٌ للتهلُكَةِ قَديمًا وحَديثًا كما قالَ سيّدنا محمّدٌ ﷺ «**يا أيّها الناسُ إيّاكُم والغُلُوَّ في الدّينِ فإنّهُ أَهلكَ مَن كانَ قبلَكُم الغلوُّ في الدينِ**» رواهُ ابنُ ماجَه[1].

٧- الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عنِ المنكرِ بالحكمة والموعظة الحسنة فذلكَ حصنُ الأمةِ الحصينُ لمواجهةِ الفسادِ والزيغِ والتطرّفِ والغُلوّ.

فالعلاجُ يكونُ باتّباعِ هديِ رسولِ الله ﷺ الذي قالَ لمعاذٍ وأبي موسَى الأشعريّ رضي الله عنهما حينَ بعثَهُما إلى اليمنِ «**يَسّرا ولا تُعَسّرا، بَشّرا ولا تُنَفّرا**»

(١) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب المناسك: باب قدر حصى الرمي ج٢ ص١٠٠٨، ابن حبان. صحيح ابن حبان. ج٩ ص١٨٣.

رواهُ البخاري في صحيحه[١] والبزّارُ في مُسندهِ[٢] وغيرهما[٣].

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(١) البخاري. صحيح البخاري. باب السرية التي قبل نجد. ج٥ ص٢٠٤.

(٢) البزار. مسند البزار. ج٨ ص١٣٠.

(٣) أحمد. مسند أحمد. ج٤ ص٤١٧.

المحاضرة الثامنة والعشرون

البدعةُ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

بيانُ أنّ البدعة بدعتان عند أهل السنة والجماعة وحديثَ «وكلُّ بدعةٍ ضلالة» عامٌّ مخصوص

- **تعريف البدعة:**

البدعةُ لغةً ما أُحدثَ على غيرِ مثالٍ سابق، يقال جئتُ بأمرٍ بديعٍ أي محدَثٍ عجيبٍ لم يُعرف قبل ذلك، وفي الشرعِ المحدَثُ الذي لم ينصَّ عليه القرآنُ ولا جاءَ في السُّنة، كما ذكرَ ذلك اللغويُّ المشهورُ الفيوميُّ في كتابه «المصباح المنير» مادة «ب د ع» وذكر ذلك أيضًا الحافظُ اللغويُّ محمد مرتضى الزبيديُّ في «تاجِ العروس» مادة «ب د ع».

- ففي «المصباحِ المنير»[1] «أبدعَ الله تعالى الخلقَ إبداعًا خلقَهم لا على مثالٍ وأبدعْتُ وأبدَعْتُه، استخرجْتُه وأحدَثْتهُ ومنه قيل للحالةِ المخالفةِ بدعة وهي اسم من الابتداع كالرفعةِ من الارتفاعِ ثم غلب استعمالها في ما هو نقصٌ في الدّين أو زيادةٌ لكن قد يكون بعضُها غيرَ مكروه فيسمى بدعةً مباحةً وهو ما

(١) الفيومي. المصباح المنير. ص١٣٨.

شهدَ لجنسه أصلٌ في الشرعِ أو اقتضته مصلحةٌ يندفعُ بها مفسدة» اهـ.

- وفي المحرّر الوجيز[1] «هي ما استُحدِثَ في الدين وغيره تقولُ بدَعَه بَدْعًا أي أنشأه على غير مثالٍ سابقٍ» اهـ.

• **أقسام البدعة:**

- قالَ ابنُ العربي «ليستِ البدعةُ والمحدَثُ مذمومين للفظِ بدعةٍ ومحدثٍ ولا معنييهما، وإنما يُذمُّ من البدعةِ ما يخالفُ السنةَ، ويُذمُّ من المحدَثاتِ ما دعا إلى الضلالةِ» اهـ.
- وقال النوويُ في كتابِ تهذيبِ الأسماءِ واللغات[2]، ما نصُّهُ «البدعةُ بكسرِ الباءِ في الشرع هي إحداثُ ما لم يكن في عهدِ رسولِ الله ﷺ، وهي منقسمةٌ إلى حسنةٍ وقبيحةٍ، قال الإمامُ الشيخُ المجمَعُ على إمامتِه وجلالتِه وتمكّنِه في أنواعِ العلومِ وبراعتِه أبو محمّدٍ عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ السلام رحمَه الله ورضي عنه في آخرِ كتابِ القواعدِ «البدعةُ منقسمةٌ إلى واجبةٍ ومحرّمةٍ ومندوبةٍ ومكروهةٍ ومباحةٍ، قالَ والطريقُ في ذلك أن تُعرضَ البدعةُ على قواعدِ الشريعةِ، فإن دخلت في قواعدِ الإيجابِ فهي واجبةٌ، أو في قواعدِ التحريمِ فمحرّمةٌ، أو الندبِ فمندوبةٌ، أو المكروهِ فمكروهةٌ، أو المباحِ فمباحةٌ»»اه.

• **فالبدعة تنقسمُ إلى قسمينِ:**

القسمُ الأوّلُ البدعةُ الحسنةُ وتسمّى السّنةَ الحسنةَ، وهيَ المحدَثُ الذي يُوافقُ القرآنَ والسّنةَ.

(١) ابن عطية. المحرر الوجيز. ج١ ص٤٥.

(٢) النووي. تهذيب الأسماء واللغات. مادة (ب د ع) ج٣ ص٢٢.

والقسمُ الثاني البدعةُ السيئةُ وتسمّى السّنةَ السّيئةَ، وهيَ المحدَثُ الذي يخالفُ القرآنَ والسّنةَ.

- وهذا التقسيمُ مفهومٌ مِن حديثِ جريرِ بنِ عبدِ الله البجليّ رضي الله عنهُ، قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ «**مَن سَنَّ في الإسلامِ سنّةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَن عَملَ بها بعدَهُ مِن غيرِ أن يَنقُصَ مِن أُجورهِم شيءٌ، ومَن سنَّ في الإسلامِ سنةً سيّئةً كانَ عليهِ وِزرُها ووِزرُ مَن عمِلَ بها مِن بعدِه مِن غيرِ أن يَنقُصَ مِن أوزارهِم شيءٌ**» رواهُ مسلمٌ[١].

- وفي صحيح البخاريّ في كتابِ صلاةِ التراويح[٢] ما نصُّه «قال ابنُ شهابٍ فتوفّي رسولُ الله ﷺ والناسُ على ذلك» اهـ. قال الحافظُ ابنُ حجرٍ[٣] «أي تركِ الجماعةِ في التراويحِ» اهـ. ثم قالَ ابنُ شهاب في تتمةِ كلامِه «ثم كان الأمرُ على ذلك في خلافةِ أبي بكرٍ وصدرًا من خلافةِ عمرَ رضي الله عنه» اهـ. وفي البخاريّ[٤] أيضًا تتميماً لهذه الحادثةِ عن عبدِ الرحمن بن عبدٍ القاريّ أنه قال خرجتُ مع عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه ليلة في رمضانَ إلى المسجدِ، فإذا الناسُ أوزاعٌ متفرقون يصلي الرجلُ لنفسِه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرَّهْطُ، فقال عمرُ «إني أرى لو جمعت هؤلاءِ على قارئ واحد لكان أمثلَ»، ثم عزم فجمعَهم على أبيّ بنِ كعبٍ، ثم خرجتُ معه ليلةً أخرى والناسُ يصلون بصلاةِ قارئِهم قالَ عمرُ «نعم البدعةُ هذه» اهـ. ورواهُ مالكٌ

(١) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الزكاة: باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار. ج٣ ص٨٧.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب صلاة التراويح: باب فضل من قام رمضان. ج٣ ص٩٧.

(٣) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٤ ص٢٩٦.

(٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان ج٣ ص ٤٥.

في الموطأ[١] والبيهقيُّ[٢] بلفظِ «نِعمَتِ البدعةُ هذهِ» اهـ.

• **تنبيهٌ** إنْ قيلَ هذا الحديثُ معناهُ مَن سنَّ في حياةِ الرّسولِ أما بعدَ وفاتِهِ فلا، فيقالُ لا تثبتُ الخصوصيّةُ إلا بدليلٍ وهنا الدّليلُ يُعطي خلافَ ما تدّعي لأنَّ الرّسولَ قالَ «**مَن سنَّ في الإسلامِ**»، ولم يقُل مَن سنَّ في حَياتي.

وإن قيل أليسَ قالَ رسولُ الله ﷺ في ما رواه أبو داود[٣] عن العِرْباض بن سارية «**وإيّاكم ومُحدَثاتِ الأمور فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**».

فالجوابُ أنَّ هذا الحديثَ لفظُه عامٌّ ومخصوصٌ بدليل الأحاديثِ السابقِ ذكرها فيقال إن مراد النبيّ ﷺ ما أُحدِث على خلاف الكتاب أو السنة أو الإجماع أو الأثر.

• وقَد يحتجُّ بعضُ هؤلاءِ بحديثِ «**مَن أحدَثَ في أمرِنا هذا ما ليسَ منهُ فهوَ ردٌّ**» رواهُ البخاريُّ[٤] ومسلمٌ[٥]، وفي لفظ لمسلم «**مَنْ عَمِلَ عملًا ليس عليه أمرُنا فهو رَدٌّ**». لكنّه لا يصلح لما أرادوا لأنّ رسول الله ﷺ أفهم بقوله «**ما ليس منه**» أنَّ المحدَثَ إنما يكون ردًّا أي مردودًا إذا كان على خلاف الشريعة، وأن المحدَثَ الموافق للشريعة ليس مردودًا. فمَعنى الحديثِ مَن أحدثَ ما ليسَ منَ القرآنِ والسّنةِ أي ما لا يُوافقهُما فهوَ مردودٌ، وأما إحداث ما لا يخالف القرآن والسّنة فهوَ غيرُ مردودٍ.

---

(١) مالك. الموطأ ج١ ص١١٤.

(٢) البيهقي. السنن الصغرى. ج١ ص٢٩٥.

(٣) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب السنة: باب في لزوم الجماعة. ج٤ ص٢٠٠.

(٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الصلح: باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ج٤ ص٢١.

(٥) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور. ج٥ ص١٣٢.

• والدليلُ منَ القُرآنِ على أنَّ البدعةَ منها ما هوَ حسنٌ قولُه تَعالى ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَـآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾[1]. ففي هذهِ الآيةِ مدحُ المؤمنينَ مِن أمةِ عيسَى لأنهم كانوا أهلَ رأفةٍ ورحمةٍ ولأنهم ابتدَعوا الرهبانيّةَ وهيَ الانقطاعُ عنِ الشّهواتِ المباحةِ زيادة عَلى تجنّبِ المحرّماتِ حتى إنهم انقطَعوا عنِ الزّواجِ وتركوا اللذائذَ منَ المطعوماتِ والثيابَ الفاخرةَ وأقبلُوا على الآخرةِ إقبالًا تامًّا، فقولُه تَعالى ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَـآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ﴾ فيهِ مدحٌ لهم عَلى ما ابتدَعوا أي مما لم ينُصَّ لهم عليهِ في الإنجيلِ ولا قالَ لهم المسيحُ بنصّ منهُ افعَلوا كذا، إنما هُم أرادُوا المبالغةَ في طاعةِ الله. فيُؤخذُ مِن هذهِ الآيةِ أنَّ مَن أحدثَ ما هوَ موافقٌ للقرآنِ والسّنةِ فقَد عمِلَ شيئًا حسنًا.

ذكرُ بعضِ الأمثلةِ عنِ البدعةِ الحسنةِ

• ومنَ البدعِ الحسنةِ ما تقدم من أنَّ عمرَ بنَ الخطّابِ رضي الله عنهُ جمعَ الناسَ على صلاةِ التراويحِ في رمضانَ وكانوا في أيامِ رسولِ الله ﷺ يُصلّونها فرادَى وقالَ عمرُ عَن ذلكَ «نِعمَ البدعةُ هذهِ».

• وروَى البخاريُّ في صحيحهِ[2] أنَّ عثمانَ بنَ عفّان أَحدثَ أذانًا ثانيًا يومَ الجمعةِ ولم يكُن هذا الأذانُ في أيامِ رسولِ الله ﷺ، وما زالَ الناسُ على هذا الأذانِ الثاني يومَ الجمعةِ في مَشارقِ الأَرضِ ومَغاربها.

• وروى البخاريُّ أيضًا في صحيحهِ[3] أنَّ الصّحابيَّ الجليلَ خُبيبَ بنَ عَديّ أولُّ مَن أحدثَ صلاةَ ركعتينِ عندَ القتلِ.

---

(١) سورة الحديد/ آية ٢٧.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجمعة: باب الأذان يوم الجمعة. ج٢ ص٣٩.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب المغازي: باب غزوة الرجيع. ج٥ ص١٣٢.

• وروَى البخاريُّ أيضًا في صحيحهِ[1] عَن رِفاعة بنِ رافعٍ الأزرقيّ قالَ كُنّا يومًا نصلّي وراءَ النبيّ ﷺ فلمّا رفعَ رأسهُ منَ الرّكعةِ قالَ «**سمعَ الله لمن حمدَه**» قالَ رجلٌ وراءهُ ربّنا ولكَ الحمدُ حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيهِ، فلمّا انصرَفَ قالَ «**منِ المتكلّمُ**» قالَ أنا، قالَ «**رأيتُ بِضعةً وثلاثينَ ملكًا يَبتدرونها أيّهُم يكتبُها أوّل**». قالَ ابنُ حجرٍ في الفتحِ[2] «واستُدلَّ بهذا الحديثِ على جوازِ إحداثِ ذكرٍ في الصّلاةِ غيرِ مأثورٍ إذا كانَ غيرَ مخالفٍ للمأثورِ» اهـ.

• وروَى أبو داودَ في سننهِ[3] عَن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما أنهُ كانَ يزيدُ في التشهّدِ «وحدَه لا شريكَ لهُ»، ويقولُ أنا زدتها.

• ومنَ البدعِ الحسنةِ الاحتفالُ بمولدِ النبيّ ﷺ في شهر ربيع الأوَّل شكرًا للهِ على إظهارِ هذهِ النعمةِ العَظيمةِ في مثلِ هذا اليومِ، وأوّلُ مَن أحدثهُ مَلكُ إربلَ في القرنِ السّابعِ الهجريّ، وكانَ عالما تقيًّا شجاعًا سنيًّا يقالُ لهُ المظفَّرُ جمعَ لهذا كثيرًا منَ العلماءِ فيهِم مِن أهلِ الحديثِ والصّوفيّةِ الصّادقينَ، فاستحسَنَ ذلكَ العملَ العلماءُ في مشارقِ الأرضِ ومَغاربها، منهُم الحافظُ ابنُ حجرٍ العَسقلانيُّ وتلميذُهُ الحافظُ السّخاويُّ وكذلكَ الحافظُ السّيوطيُّ. فقَد ذكرَ الحافظُ السّخاويُّ[4] في فتاويهِ أنَّ عملَ المولدِ حدثَ بعدَ القرونِ الثلاثةِ، ثم لا زالَ أهلُ الإسلامِ مِن سائرِ الأقطارِ في المدنِ الكبارِ يعمَلونَ المولدَ ويتصدّقونَ في لياليهِ بأنواعِ الصَّدقاتِ، ويعتنونَ بقراءةِ مولدهِ الكريمِ ويظهرُ عليهِم مِن بركاتهِ كلُّ فضلٍ عميمٍ. وللحافظِ السّيوطيّ رسالةٌ سمّاها «حسنَ المقصدِ في عملِ

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الأذان: باب فضل اللهم ربنا ولك الحمد. ج١ ص٣١٦.

(٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٢ ص٢٨٧.

(٣) أبو داود. سنن أبي داود. باب التشهد. ج١ ص٣٦٧.

(٤) السخاوي. الأجوبة المرضية فيما سئل عنه السخاوي من الأحاديث النبوية. ص ١١١٦.

المولدِ»، وقالَ في «الحاوي للفتاوى»[1] «إنَّ أصلَ عملِ المولدِ الذي هوَ اجتماعُ الناسِ، وقراءةُ ما تيسّرَ منَ القُرآنِ، وروايةُ الأخبارِ الواردةِ في مَبدإ أمرِ النبيّ ﷺ وما وقعَ في مولدِه منَ الآياتِ، ثم يُمَدّ لهم سِماطٌ يأكلونهُ وينصرفونَ مِن غيرِ زيادةٍ على ذلكَ هوَ منَ البدعِ الحسنةِ التي يُثابُ عَليها صاحبُها لما فيهِ مِن تَعظيم قدرِ النبيّ ﷺ وإظهارِ الفرحِ والاستبشارِ بمولدهِ الشّريفِ، وأوّلُ مَن أحدثَ ذلكَ صاحبُ إربل الملكُ المظفّرُ أبو سعيدِ بنُ زينِ الدّينِ بنِ بكْتكِين أحدُ الملوكِ الأمجادِ والكُبراءِ الأجوادِ، وكانَ لهُ آثارٌ حسنةٌ وهوَ الذي عمّرَ الجامعَ المظفّريَّ في سَفْحِ قاسْيُون» اهـ.

ثم قد قالَ الحافظُ السخاوي[2] ما نصّهُ «قلتُ بل خرَّجَ شَيخنا شيخُ مشايخِ الإسلامِ خاتمةُ الأئمةِ الأعلامِ فِعلَ الاحتفالِ بمولدِ النبيّ ﷺ على أصلٍ ثابتٍ وهوَ ما ثبتَ في الصحيحينِ مِن أنهُ ﷺ دخلَ المدينةَ فوجدَ اليهودَ يصومونَ يومَ عاشوراءَ فسألهم فقالوا هوَ يومٌ أغرقَ الله سبحانهُ وتَعالى فيهِ فِرعونَ ونجّى موسَى عليهِ السّلامُ فنحنُ نصومهُ شكرًا للهِ عزَّ وجلَّ فقالَ ﷺ «**فأنا أحقّ بموسَى عليهِ السّلامُ منكُم**» فَصامَهُ وأمرَ بصِيامهِ وقالَ «**إنْ عشتُ إلى قابل لأصومَنَّ التاسعَ**»، قالَ شيخُنا فيُستفادُ منهُ فعلهُ الشكرَ للهِ تَعالى عَلى ما مَنَّ بهِ في يومٍ معيّنٍ مِن إسداءِ نعمةٍ أو دفعِ نقمةٍ ويعادُ ذلكَ في نظيرِ ذلكَ اليومِ مِن كلّ سنةٍ، والشكرُ لله تَعالى يحصلُ بأنواعِ العبادةِ كالسّجودِ والصّيامِ والتلاوةِ، وأيُّ نعمةٍ أعظمُ منَ النعمةِ ببروزِ هذا النبيّ ﷺ في ذلكَ اليومِ» اهـ.

- ومنَ البدعِ الحسنةِ الجهرُ بالصّلاةِ والسّلام على النبيّ ﷺ بعدَ كلّ أذانٍ. قالَ الله تَعالى ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ**

(١) السيوطي. الحاوي للفتاوى. ج١ ص٢٢١، ٢٢٢.

(٢) السخاوي. الأجوبة المرضية فيما سئل عنه السخاوي من الأحاديث النبوية. ص ١١١٧، ١١١٨.

وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1].

- وقالَ الحافظُ السّيوطيُّ في «الوسائلِ في مسامرةِ الأوائلِ»[2] «أولُ ما زيدَ الصّلاةُ والسّلامُ على النبيّ ﷺ بعدَ كلّ أذانٍ في المنارةِ في زمنِ السّلطانِ ابنِ قَلاوون في القرنِ الثامنِ الهجريّ» اهـ. ويكفي في إثباتِ كونِ الجهرِ بالصّلاةِ والسّلامِ على النبيّ ﷺ بعدَ كلّ أذانٍ بدعةً حسنةً قولُه عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ «**إذا سَمعتُم المؤذّنَ فقُولوا مِثلَ ما يقولُ ثمَّ صلُّوا عليّ**» أخرجهُ مسلمٌ في صحيحهِ[3]، وقولهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ «**مَن ذَكرَني فليُصلّ عليَّ**» أخرجهُ الحافظُ السّخاويُّ في كتابهِ «القولُ البديعُ في الصّلاةِ على النبيّ الشّفيعِ»[4]، فيُؤخذُ مِن ذلكَ أنَّ المؤذّنَ والمستمعَ كلَيهما مَطلوبٌ منهُ الصّلاةُ على النبيّ ﷺ، وهذا يحصلُ بالسّرّ والجهرِ.

- وكذلك منَ البدعِ الحسنةِ تنقيطُ التابعيّ الجليلِ يحيى بن يَعمَر المصحفَ، وكانَ مِن أهلِ العلمِ والتقوَى، وأقرَّ ذلكَ العلماءُ مِن محدّثينَ وغيرِهم واستحسنوهُ ولم يكُن منقطًا عندَما أملَى الرسولُ ﷺ على كتبةِ الوحيِ فكانوا يكتبونَ الباءَ والتاءَ ونحوَهما بلا نقطٍ، وكذلكَ عثمانُ بنُ عفّان لما كتبَ المصاحفَ الستةَ وأرسلَ بعضَها إلى الآفاقِ إلى البَصرةِ ومكةَ وغيرِهما واستبقَى عندهُ نسخةً لم تكُن منقطةً، ومنذُ ذلكَ التنقيطِ لم يزلِ المسلمونَ على ذلكَ إلى اليوم، فهَل يقالُ في هذا إنهُ بدعةُ ضلالةٍ لأنَّ الرّسولَ لم يَفعلهُ؟ فإنْ كانَ الأمرُ كذلك فليتركوا هذهِ المصاحفَ المنقطةَ أو ليكشِطوا هذا التنقيطَ منَ المصاحفِ حتى تعودَ مجرّدةً كما

(١) سورة الأحزاب/ آية ٥٦.

(٢) السيوطي. الوسائل في مسامرة الأوائل. ص١٤.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الصلاة: باب استحباب القول مثل قول المؤذنِ لمن سمعه ثم يصلّي على النبي ﷺ ثم يسأل الله له الوسيلة. ج٢ ص٤.

(٤) السخاوي. القول البديع. ص١١٠.

في أيامِ عثمانَ. قالَ أبو بكرِ بنُ أبي داودَ صاحب السّننِ في «كتابِ المصاحفِ»[1] «أولُ مَن نقَطَ المصاحفَ يحيى بنُ يعمَر» اهـ.

- ومنها كتابةُ ﷺ عند كتابةِ اسمِه، ولم يكتبِ النبيُّ ذلك في رسائلِه التي أرسلَها إلى الملوكِ والرؤساءِ وإنما كان يكتبُ من محمَّدٍ رسولِ اللهِ إلى فلان.
- ومنها الطرقُ التي أحدثَها بعضُ أهلِ اللهِ كالرفاعيةِ والقادريةِ وهي نحوُ أربعين طريقةً، فهذه الطرقُ أصلُها بدعٌ حسنةٌ، ولكن شذَّ بعضُ المنتسبينَ إليها وهذا لا يقدحُ في أصلها.

ومن الأمثلة على البدعة السيئة

البدعةُ السيّئةُ على نوعينِ البدعةُ السيّئةُ الاعتقاديةُ والبدعةُ السيّئةُ العمليّةُ.

البدعةُ السيّئةُ الاعتقاديّةُ هيَ التي تتعلّقُ بأصولِ الدّينِ وهيَ التي حدَثَت في العقائدِ وكانَت مخالفةً لما كانَ عليهِ الصّحابةُ في المعتقدِ، وهيَ كثيرة ومنها:

- **بدعةُ القدريةِ** وأولُ مَن أظهرَها مَعبدٌ الجُهَنيُّ بالبَصرةِ كما في صحيح مسلم[2]، فمنهُم مَن يزعمُ أنَّ اللهَ لم يُقدّر أفعالَ العبادِ الاختياريّةَ ولم يخلُقها وإنما هيَ بخلقِ العبادِ، ومنهُم مَن يزعمُ أنَّ اللهَ قدّرَ الخيرَ ولم يُقدّر الشرَّ. ويزعمون أن المرتكب للكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين، وينكرون الشفاعة في العصاة، ورؤية الله تعالى في الجنّة.
- **وبدعةُ الجهميّةِ أوِ الجبريّةِ** وأوّلُ مَن أحدَثها جهمُ بنُ صَفوانَ، فإنهم يَزعمونَ أنَّ العبدَ مجبورٌ في أفعالِهِ لا اختيارَ لهُ، وإنما هوَ كالرّيشةِ المعلّقةِ في الهواءِ يأخذُها الهواءُ يمنةً ويَسرةً.

---

(١) أبو بكر بن أبي داود. المصاحف. ص ١٥٨.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة السّاعة. ج١ ص٢٨.

- **وبدعة الخوارج** وهُم الذينَ خَرجوا على سيّدنا عليّ رضي الله عنهُ، فإنهم يزعمُونَ أنَّ مرتكبَ الكبيرةِ كافرٌ.
- **وبدعةُ نفاةِ التوسّلِ** وأوّلُ مَن أحدَثها أحمدُ ابنُ تيميةَ الحرانيُّ المتوفّى سنةَ ٧٢٨هـ ذكرَ ذلكَ الفقيهُ السبكيُّ في شِفاءِ السّقام كما تقدم، فإنهم يَزعمونَ أنهُ لا يجوزُ التوسّلُ بالأنبياءِ والصّالحينَ بعدَ وَفاتهم أو في حيَاتهم في غيرِ حضرَتهم.
- **بدعةُ القولِ بحوادثَ لا أولَ لها** وهي مخالفةٌ لصريحِ العقلِ والنقلِ.

ومن البدعِ السيئةِ العمليةِ

- **كتابةُ (ص)** عند كتابةِ اسمِ النبي ﷺ، وأسوأُ منه وأقبحُ (صلعم) وهو مكروهٌ.
- ومنها تيممُ بعضِ الناس على السجادِ والوسائدِ التي ليس عليها غبارُ التراب.
- ومنها تحريفُ اسمِ اللهِ كما يحصلُ من كثيرٍ من المنتسبين إلى الطرقِ، فإن بعضَهم يبدأون بـ«الله» ثم إما أن يحذفوا الألفَ التي بين اللامِ والهاء فينطقون بها بلا مدّ، وإما أن يحذفوا الهاءَ نفسَها فيقولون «اللا» ومنهم من يقول «آه» وهو لفظٌ موضوعٌ للتوجعِ والشكايةِ بإجماعِ أهل اللغة، قال الخليلُ بن أحمد «لا يجوز حذف ألف المد من كلمة الله» اهـ.
- **تنبيهٌ** بعضُ الناسِ يقولونَ أو يكتبون «اللهمَّ صلّي» بالياءِ وهذا غلطٌ فاحشٌ ينبغي التنبّهُ منهُ، يقولُ العالمُ العلامةُ طهَ بنُ عمرَ بنِ طهَ بنِ عمرَ السقّافُ الحضرميُّ المتوفّى سنةَ ١٠٦٣هـ في كتابهِ «المجموع لمهماتِ المسائلِ منَ الفروعِ» ما نصّهُ[1] «وقالَ عبدُ الله بنُ عمرَ[2] مَن قالَ في تشهّدهِ «اللهمَّ صلي» بالياءِ لم يُجزِه ولو جاهلًا أو ناسيًا بلِ العامدُ العالمُ بالعربيّةِ يكفرُ بهِ لأنهُ خطابُ المؤنثِ»اهـ.

---

(١) طه بن عمر السقاف. المجموع لمهمات المسائل من الفروع. ص٧٥.

(٢) هذا عبد الله بن عمر الحضرمي وليس عمر بن الخطاب.

فتبين مما مضى أن البدعةَ منقسمةٌ إلى الأحكامِ الخمسةِ وهي الواجبُ والمندوبُ والمباحُ والمكروهُ والحرامُ كما نص علماءُ المذاهبِ الأربعة:

المذهبُ الحنفي:

١- قالَ الشيخُ ابن عابدين الحنفيُّ في حاشيته[1] «فقد تكونُ البدعةُ واجبةً كنصبِ الأدلةِ للردّ على أهلِ الفرقِ الضالة، وتعلّمِ النحوِ المفهمِ للكتابِ والسنةِ، ومندوبةً كإحداثِ نحو رباط ومدرسة، وكلّ إحسانٍ لم يكن في الصدرِ الأول، ومكروهةً كزخرفةِ المساجد، ومباحة كالتوسع بلذيذ المآكلِ والمشارب والثياب» اهـ.

٢- قال بدرُ الدين العيني في شرحه لصحيح البخاري[2] عند شرحِه لقول عمر ابن الخطاب رضي الله عنه «نعمت البدعة» وذلك عندما جمعَ الناسَ في التراويحِ خلف قارئ وكانوا قبل ذلك يصلون أوزاعًا متفرقين. «والبدعةُ في الأصلِ إحداثُ أمرٍ لم يكن في زمن رسول الله ﷺ، ثم البدعةُ على نوعين، إنْ كانتْ مما تندرج تحت مستحسنٍ في الشرعِ فهي بدعةٌ حسنةٌ وإن كانت مما يندرجُ تحت مستقبحٍ في الشرعِ فهي بدعةٌ مستقبحة» اهـ.

المذهب المالكي:

١- قال محمدٌ الزرقانيُّ المالكيُّ في شرحه للموطأ[3] عند شرحه لقولِ عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه «نعمت البدعة هذه» فسماها بدعةً لأنه ﷺ لم يسنَّ الاجتماع لها ولا كانت في زمانِ الصديق، وهي لغةً ما أُحدثَ على غيرِ مثالٍ سبقَ وتطلق شرعًا على مقابل السنة وهي ما لم يكن في عهدِه ﷺ، ثم تنقسمُ إلى الأحكامِ الخمسة» اهـ.

---

(١) ابن عابدين. رد المحتار على الدر المختار. ج١ ص٣٧٦.

(٢) بدر الدين العيني. عمدة القاري شرح صحيح البخاري. ج١١ ص١٣٦.

(٣) مالك. الموطأ. ج١ ص٢٣٨.

٢- قال الشيخُ أحمدُ بنُ يحيى الونشريسيُّ المالكيُّ في كتابِ «المعيارُ المعربُ»[١] ما نصُّه «وأصحابُنا وإن اتفقوا على إنكارِ البدعِ في الجملةِ فالتحقيقُ الحقُّ عندهم خمسةُ أقسام» ثم ذكر الأقسامَ الخمسةَ وأمثلةً على كل قسم ثم قال «فالحقُّ في البدعةِ إذا عُرضت أن تعرضَ على قواعد الشرع فأيّ القواعدِ اقتضتها أُلحِقت بها، وبعد وقوفِك على هذا التحصيلِ والتأصيلِ لا تشك أن قولَه ﷺ «**كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**» من العامِ المخصوص كما صرحَ به الأئمةُ رضوان الله عليهم» اهـ.

المذهب الشافعي:

١- الإمامُ الشافعي:

أ- قال الشافعيُ رضي الله عنه «المحدثاتُ من الأمور ضربان أحدُهما ما أُحدثَ ممّا يخالف كتابًا أو سنة أو أثرًا أو إجماعًا فهذه البدعةُ الضلالة، والثاني ما أحدثَ من الخيرِ ممّا لا خلافَ فيه لواحد من هذا، فهذه محدثةٌ غير مذمومة» اهـ. رواه البيهقيُ في مناقبِ الشافعي[٢]، وذكره الحافظُ ابنُ حجر في فتح الباري[٣].

ب- روى الحافظُ أبو نعيم في كتابهِ حلية الأولياء[٤] عن إبراهيمَ بن الجنيد قال حدثنا حرملةُ بنُ يحيى قال سمعت محمدَ بنَ إدريسَ الشافعيَّ رضي الله عنه يقول البدعةُ بدعتان، بدعةٌ محمودةٌ، وبدعةٌ مذمومةٌ. فما وافق السنةَ فهو محمودٌ، وما خالف السنةَ فهو مذمومٌ واحتجّ بقول عمرَ بنِ الخطاب في قيامِ رمضانَ نعمتِ البدعةُ هي» اهـ.

---

(١) أحمد بن يحيى الونشريسي. المعيار المعرب. ج١ ص٣٥٧- ٣٥٨.

(٢) البيهقي. مناقب الشافعي. ج١ ص٤٦٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج١٣ ص٢٦٧.

(٤) أبو نعيم الأصفهاني. حلية الأولياء. ج٩ ص٧٦.

٢- قال أبو حامدٍ الغزاليُّ في كتابهِ إحياءُ علومِ الدين كتاب آدابِ الأكل[١] ما نصه «وما يقـال إنه أُبدِعَ بعدَ رسول الله ﷺ فليسَ كلُّ ما أُبدع منهيًّا بل المنهيُّ بدعةٌ تُضادُّ سنةً ثابتةً وترفع أمرًا من الشرعِ مع بقاء علتِه بل الإبداعُ قد يجبُ في بعضِ الأحوالِ إذا تغيرتِ الأسباب» اهـ.

٣- قال العزُّ بنُ عبدِ السلام في كتابه قواعدُ الأحكام[٢] «البدعةُ منقسمةٌ إلى واجبةٍ ومحرّمةٍ ومندوبةٍ ومكروهةٍ ومباحةٍ والطريقُ في ذلك أن تُعرضَ البدعةُ على قواعدِ الشريعة، فإن دخلت في قواعدِ الإيجاب فهي واجبةٌ أو في قواعدِ التحريم فهي محرمةٌ، أو الندبِ فمندوبةٌ، أو المكروهِ فمكروهةٌ، أو المباحِ فمباحة» اه.

٤- قال النوويُّ في شرحه على صحيح مسلم[٣] «قولُه ﷺ «**وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**» هذا عامٌّ مخصوصٌ، والمرادُ غالبُ البدعِ، قالَ أهلُ اللغة هي كلُّ شيءٍ عملَ على غير مثالٍ سابق»، ثم قال: «قال العلماءُ البدعةُ خمسةُ أقسامٍ واجبةٌ، ومندوبةٌ، ومحرّمةٌ، ومكروهةٌ، ومباحةٌ.

فمن الواجبة: نظمُ أدلّةِ المتكلمين للرّدّ على الملاحدةِ والمبتدعين وشبه ذلك.

ومن المندوبة: تصنيفُ كتبِ العلم وبناءُ المدارس والرُّبُط[٤] وغير ذلك.

ومن المباح: التبسطُ في ألوانِ الأطعمة وغير ذلك. والحرامُ والمكروهُ ظاهران، وقد أوضحتُ المسألةَ بأدلتِها المبسوطةِ في «تهذيبِ الأسماء واللغات» فإذا عرف ما ذكرتُه علمَ أنّ الحديثَ من العامِ المخصوصِ، وكذا ما أشبهه من الأحاديثِ الواردة، ويؤيدُ ما قلناه قولُ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه في التراويح نعمت

---

(١) الغزالي. إحياء علوم الدين. كتاب آداب الأكل ج٢ ص٣.

(٢) العز بن عبد السلام. قواعد الأحكام. ج٢ ص١٧٢ - ١٧٤.

(٣) النووي. شرح النووي على مسلم. ج٦ ص١٥٤-١٥٥.

(٤) قال الفيومي في المصباح المنير «الربط جمع رباط وهو الذي يبنى للفقراء» اهـ. ص٨٢.

البدعةُ، ولا يمنعُ من كونِ الحديثِ عامًّا مخصوصًا قوله «كلُّ بدعة» مؤكّدًا بـ كلّ، بل يدخلُه التّخصيصُ مع ذلك كقولِه تعالى ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ ﴾[(1)] اهـ.

٥- وقال النووي أيضًا في شرحه على صحيحِ مسلم[(2)] «قوله ﷺ «**من سنَّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرُها**» إلى آخره، فيه الحثُّ على الابتداءِ بالخيرات، وسنُّ السنن الحسنات، والتحذيرُ من اختراع الأباطيلِ والمستقبحات، وسببُ هذا الكلام في هذا الحديثِ أنه قال في أوله «فجاءَ رجلٌ بِصُرَّة كادت كفُّه تعجزُ عنها فتتابعَ الناس». وكان الفضلُ العظيمُ للبادي بهذا الخير والفاتح لبابِ هذا الإحسانِ وفي هذا الحديثِ تخصيصُ قوله ﷺ[(3)] «**كلُّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلُ بدعةٍ ضلالةٌ**»، وأن المرادَ به المحدثاتُ الباطلةُ والبدعُ المذمومةُ» اهـ.

- وقال أيضًا في «روضةِ الطالبين» في دعاء القنوت[(4)] ما نصُّه «هذا هو المروي عن النبي ﷺ وزاد العلماء فيه «ولا يعزُّ من عاديت» قبل «تباركتَ وتعاليت» وبعده «فلك الحمدُ على ما قضيت أستغفرُك وأتوبُ إليك» قلت قال أصحابُنا «لا بأسَ بهذه الزيادة». قال أبو حامد والبَنْدَنِيجيُّ وآخرون مستحبة» اهـ.

٦- قال الحافظُ أحمدُ بن حجرٍ العسقلانيُّ في الفتحِ[(5)] «قولُه قالَ عمر «نعم البدعة» في بعضِ الرواياتِ «نعمتِ البدعةُ» بزيادةِ التاءِ، والبدعةُ أصلُها ما أُحدثَ على غيرِ مثالٍ سابق، وتُطلقُ في الشرعِ في مقابلِ السنةِ فتكونُ مذمومةً، والتحقيقُ إن كانت مما تندرجُ تحت مستحسنٍ في الشرع فهي

---

(١) سورة الأحقاف/ آية ٢٥.

(٢) النووي. شرح النووي على مسلم. ج١٦ ص٢٢٦-٢٢٧.

(٣) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب السنة: باب في لزوم الجماعة. ج٤ ص٢٠٠.

(٤) النووي. روضة الطالبين وعمدة الراغبين. ج١ ص٢٥٣-٢٥٤.

(٥) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٤ ص٢٩٨.

حسنةٌ، وإن كانت مما تندرجُ تحت مستقبحٍ في الشرعِ فهي مستقبحة وإلا فهي من قسمِ المباحِ وقد تنقسم إلى الأحكَام الخمسة» اهـ.

- وقال أيضًا[١] «وكلُّ ما لم يكن في زمنِه ﷺ يسمى بدعةً، لكن منها ما يكون حسنًا ومنها ما يكون بخلافِ ذلك» اهـ.

المذهب الحنبلي:

قال الشيخُ شمسُ الدين محمدُ بن أبي الفتح البعلي الحنبلي في كتابِه المطلع على أبواب المقنع[٢] من كتابِ الطلاق «والبدعةُ مما عُمل على غير مثال سابق، البدعةُ بدعتان: بدعة هدى وبدعة ضلالة، والبدعةُ منقسمةٌ بانقسام أحكامِ التكليف الخمسة» اهـ.

- **فوائد متعلقة بالموضوع:**

١- قال ابنُ الأثيرِ في النهايةِ في غريبِ الحديث[٣] «وفي حديث عمرَ رضي الله عنه في قيامِ رمضان «نعمت البدعة هذه»، البدعةُ بدعتان: بدعة هُدى، وبدعة ضلَالة، فما كان في خلاف ما أمر الله به ورسوله ﷺ فهو في حيّزِ الذّمّ والإنكار، وما كان واقعًا تحت عموم ما نَدب الله إليه وحضّ عليه اللهُ أو رسولُه فهو في حيزِ المدح، وما لم يكن له مثالٌ موجودٌ كنوع من الجودِ والسخاء وفعل المعروف فهو من الأفعالِ المحمودة، ولا يجوز أن يكون ذلك في خلافِ ما ورد الشرعُ به لأنَّ النبيَّ ﷺ قد جعل له في ذلك ثوابًا فقال[٤] «**من سنَّ سنةً حسنةً كان له أجرُها وأجرُ من عَمِل بها**»، وقال في ضِدّه «**ومن سنّ سنةً سيئةً كان عليه وزْرُها ووزرُ من عَمِل بها**»، وذلك

---

(١) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ٢ ص٤٥٨.

(٢) شمس الدين محمد بن أبي الفتح البعلي. المطلع على أبواب المقنع. ص٣٣٤.

(٣) ابن الأثير. النهاية في غريب الأثر. ج١ ص١٠٦ - ١٠٧.

(٤) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الزكاة: باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار. ج٣ ص٨٧.

إذا كان في خلافِ ما أمر الله به ورسوله ﷺ. ومن هذا النوع قولُ عمرَ رضي الله عنه «نعمت البدعةُ هذه» لما كانت من أفعالِ الخيرِ وداخلةً في حيزِ المدح سماها بدعةً ومدحَها لأن النبيَّ ﷺ لم يسنّها لهم، وإنما صلاها ليالي ثم تركَها ولم يحافظْ عليها، ولا جمعَ الناسَ لها، ولا كانت في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وإنما عمرُ رضي الله عنه جمعَ الناسَ عليها وندَبهم إليها، بهذا سمّاها بدعةً، وهي على الحقيقة سُنّةٌ، لقوله ﷺ[1] «**عليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين من بعدي**» وقوله[2] «**اقتدوا باللّذَيْن من بعدي أبي بكر وعمر**»، وعلى هذا التأويل يُحملُ الحديث الآخر[3] «**كلُّ محدثة بدعةٌ**»، إنما يريد ما خالفَ أصولَ الشريعةِ ولم يوافق السُّنة» اهـ.

٢- قال إسماعيلُ حَقّي في «روح البيان في تفسير القرآن»[4] «ومن تعظيمِه ﷺ عملُ المولد إذا لم يكن فيه منكرٌ قال الإمامُ السيوطي قدسَ سره يستحبُّ لنا إظهارُ الشكر لمولدِه عليه السلامُ انتهى، وقد اجتمع عند الإمام تقيّ الدين السبكيّ رحمه الله جمعٌ كثيرٌ من علماءِ عصرِه فأنشدَ منشدٌ قول الصرصريّ رحمه الله في مدحهِ عليه السلام: (الطويل)

قليلٌ لمدحِ المصطفى الخطُّ بالذهب ... على ورقٍ مِنْ خَطّ أَحْسَنِ مَنْ كَتَبْ

وأَنْ تنهضَ الأشرافُ عندَ سماعِهِ ... قيامًا صُفوفًا أو جُثِيًّا على الرُكَبْ

فعندَ ذلك قامَ الإمامُ السبكيُّ وجميعُ من بالمجلسِ فحصلَ أنسٌ عظيمٌ بذلك المجلسِ ويكفي ذلك في الاقتداءِ، وقد قالَ ابنُ حجر الهيتميُّ إن البدعةَ الحسنةَ متفقٌ على ندبها وعملُ المولدِ واجتماعُ الناسِ له كذلك أي بدعةٌ حسنةٌ،

---

(١) أبو داود. سنن أبي داود. ج٤ ص٣٢٩.

(٢) الترمذي. سنن الترمذي. ج٥ ص٦٠٩.

(٣) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب السنة: باب في لزوم الجماعة. ج٤ ص٢٠٠.

(٤) إسماعيل حقي. روح البيان في تفسير القرآن. ج٩ ص٢.

قال السخاويُّ لم يفعلْه أحدٌ من القرونِ الثلاثة وإنما حدثَ بعد ثم لا زالَ أهلُ الإسلامِ من سائرِ الأقطارِ والمدنِ الكبارِ يعملون المولدَ ويتصدقون في لياليه بأنواعِ الصدقاتِ ويعتنون بقراءةِ مولدِه الكريم ويظهرُ من بركاتِه عليهم كلُّ فضلٍ عظيم، قالَ ابنُ الجوزي من خواصِه أنه أمانٌ في ذلك العامِ وبشرى عاجلة بنيلِ البغيةِ والمرامِ وأولُ من أحدثَه من الملوكِ صاحبُ إربل وصنفَ له ابنُ دحية رحمه اللهُ كتابًا في المولدِ سماه «التنويرَ بمولدِ البشيرِ النذيرِ» فأجازه بألفِ دينارٍ وقد استخرجَ له الحافظُ ابنُ حجرٍ أصلًا من السنةِ وكذا الحافظُ السيوطي» اهـ.

٣- قال الحطابُ المالكيُّ في «مواهبِ الجليل»[١] «وقال السخاويُّ في «القولِ البديع» أحدثَ المؤذنون الصلاةَ والسلامَ على رسولِ الله ﷺ عقبَ الأذان إلا المغرب فلا يفعلونه لضيقِ وقتها، وكان ابتداءُ حدوثِه في أيامِ الناصرِ صلاحِ الدين يوسفَ بنِ أيوب وبأمره. وذكرَ بعضُهم أن أمرَ الصلاحِ بنِ أيوب بذلك كان في أذانِ العشاءِ ليلة الجمعة، ثم إن بعضَ الفقراءِ زعم أنه رأى رسول الله ﷺ وأمره أن يقول للمحتسبِ أن يأمرَ المؤذنين أن يصلوا عليه عقبَ كل أذان فسُرَّ المحتسبُ بهذه الرؤيا فأمرَ بذلك واستمرَّ إلى يومنا هذا. وقد اختلفَ في ذلك هل هو مستحبٌّ أو مكروهٌ أو بدعةٌ أو مشروعٌ؟ واستدلَّ للأول بقولِه ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ﴾[٢] ومعلومٌ أن الصلاةَ والسلامَ من أَجَلّ القربِ لا سيما وقد تواترتِ الأخبارُ على الحثّ على ذلك مع ما جاء في فضلِ الدعاء عقبه والثلث الأخير وقرب الفجر. والصوابُ أنه بدعةٌ حسنةٌ وفاعلُه بحسب نيته» اه.

٤- قال في «حاشيةِ الطحطاوي على مراقي الفلاح»[٣] «وأول ما زيدتِ الصلاةُ

(١) الحطاب الرّعيني. مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل. ج٢ص٩.

(٢) سورة الحج، آية ٧٧.

(٣) الطحطاوي. حاشية على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح. ج١ ص ١٠٣.

على النبي بعد الأذانِ على المنارة في زمنِ حاجي بنِ الأشرفِ شعبانَ بن حسين بنِ محمد بنِ قلاوونَ بأمر المحتسب نجم الدين الطنبدي، وذلك في شعبان سنة إحدى وتسعين وسبعمائة كذا في الأوائل للسيوطي، والصوابُ من الأقوال أنها بدعةٌ حسنة» اهـ.

٥- قال عبدُ الغني الميداني في «اللبابِ في شرح الكتاب»[١] «قال في الدرّ وعلى هذا لا بأسَ بكتابةِ أسامي السورِ وعدّ الآي، وعلاماتِ الوقف ونحوِها، فهي بدعةٌ حسنةٌ» اهـ.

٦- قال الإمامُ المحدثُ الفقيهُ المفسرُ اللغوي الشيخ عبدُ الله بن محمد الهرري الشيبيُّ في كتابه «صريح البيان»[٢] قال اللهُ تبارك وتعالى في كتابه العزيز ﴿ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ ﴾[٣] فهذه الآيةُ يستدل بها على البدعةِ الحسنة لأن معناها مدحُ الذين كانوا مسلمين مؤمنين من أمةِ عيسى متبعينَ له عليه السلامُ بالإيمان والتوحيد، فاللهُ تعالى مدحَهم لأنهم كانوا أهلَ رأفة ورحمة ولأنهم ابتدعوا رهبانيةً، والرهبانيةُ هي الانقطاعُ عن الشهوات، حتى إنهم انقطعوا عن الزواجِ رغبةً في تجرّدِهم للعبادة، فمعنى قوله تعالى ﴿ مَا كَتَبۡنَٰهَا ﴾ أي نحن ما فرضناها عليهم إنما هم أرادوا التقربَ إلى اللهِ، فالله تعالى مدحَهم على ما ابتدعوا مما لم ينصَّ لهم عليه في الإنجيلِ ولا قال لهم المسيح بنصّ منه، إنما هم أرادوا المبالغةَ في طاعةِ الله تعالى والتجردَ بتركِ الانشغال بالزواج ونفقة الزوجةِ والأهل، فكانوا يبنون الصوامعَ أي بيوتًا خفيفةً من طينٍ أو من غيرِ ذلك على المواضعِ المنعزلةِ عن البلدِ ليتجرّدوا للعبادة» اهـ.

---

(١) عبد الغني الميداني. اللباب في شرح الكتاب. ج١ ص٤١٠.

(٢) الهرري. صريح البيان. ج١ ص٢٨٠.

(٣) سورة الحديد/ آية ٢٧.

- ثم بدأ بذكرِ أمثلةٍ على البدعةِ الحسنة.

قال أبو الفضلِ عبدُ الله الصديق الغماريُّ في كتابِه «إتقانُ الصنعة»[1] «يعلم مما سبقَ أن العلماءَ متفقون على انقسامِ البدعةِ إلى محمودةٍ ومذمومةٍ وأن عمرَ رضي الله عنه أولُ من نطقَ بذلك ومتفقون على أنَ قولَ النبي ﷺ «**كلّ بدعةٍ ضلالة**» عامٌ مخصوصٌ ولم يشذ عن هذا الاتفاقِ إلا الشاطبيُّ صاحبُ «الاعتصامِ» فإنه أنكرَ هذا الانقسام» اهـ.

ملاحظةٌ إلى هؤلاء الذين يوافقون ابن تيمية في بدعِ الضلالة كالتجسيم، نقولُ لهم هل توافقونه في هذا؟ يقول ابنُ تيمية في «مجموع الفتاوى»[2] وفي كتابِه المسمى «قاعدةً جليلةً في التوسل والوسيلة»[3] ما نصُّه «وكلّ بدعة ليست واجبةً ولا مستحبةً فهي بدعةٌ سيئة، وهي ضلالةٌ باتفاق المسلمين. ومن قال في بعض البدع إنها بدعةٌ حسنةٌ فإنما ذلك إذا قامَ دليلٌ شرعيٌّ على أنها مستحبة، فأما ما ليس بمستحبّ ولا واجبٍ فلا يقول أحدٌ من المسلمين إنها من الحسنات التي يتقربُ بها إلى اللهِ» اهـ.

وقال ابنُ تيمية في «مجموع الفتاوى»[4] «قال الشافعيُّ رحمه الله البدعة بدعتان: بدعةٌ خالفت كتابًا وسنةً وإجماعًا وأثرًا عن بعضِ أصحاب رسول الله ﷺ فهذه بدعة ضلالة. وبدعةٌ لم تخالف شيئًا من ذلك فهذه قد تكونُ حسنةً لقول عمر «نعمتِ البدعة هذه». هذا الكلامُ أو نحوه رواه البيهقيُ بإسناده الصحيح في المدخل» اهـ.

---

(١) عبد الله الصديق الغماري. إتقان الصنعة. ص١٤.

(٢) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج١ ص١٦١ - ١٦٢.

(٣) ابن تيمية. الكتاب المسمى قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة. ج٢ ص٢٨.

(٤) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج٢٠ ص١٦٣.

وقال أيضًا[1] «إذا البدعةُ الحسنة عند من يقسّم البدع إلى حسنةٍ وسيئةٍ لا بدَّ أن يستحبّها أحدٌ من أهل العلم الذين يقتدى بهم ويقومَ دليلٌ شرعيّ على استحبابها وكذلك من يقول البدعةُ الشّرعيّةُ كلُّها مذمومةٌ لقوله ﷺ في الحديثِ الصحيح «**كلّ بدعة ضلالة**»، ويقول قول عمر في التراويح «نعمتِ البدعةُ هذه» إنّما أسماها بدعةً باعتبار وضعِ اللغة، فالبدعةُ في الشرعِ عند هؤلاء ما لم يقم دليلٌ شرعيّ على استحبابه» اهـ.

وقال ابنُ تيميةَ في كتابه المسمى «الفرقانَ بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان»[2] «قال الشافعيّ «البدعة بدعتان: محمودةٌ ومذمومةٌ، فما وافقَ السنةَ فهو محمودٌ وما خالفَها فهو مذمومٌ»اهـ أخرجه أبو نعيم بمعناه من طريق إبراهيم بن الجنيد عن الشّافعيّ، وجاء عن الشّافعيّ أيضًا ما أَخرجه البيهقي في مناقبه قال «المحدثاتُ ضربان ما أحدثَ ممّا يخالفُ كتابًا أو سنةً أو أثرًا أو إجماعًا فهذه بدعة الضلال، وما أُحدث من الخيرِ ممّا لا يخالفُ شيئًا من ذلك فهذه محدثةٌ غيرُ مذمومةٍ» اه. وقسّمَ بعضُ العلماءِ البدعةَ إلى الأحكامِ الخمسة وهو واضحٌ» اهـ.

ويقولُ ابن تيميةَ في كتابه المسمى «اقتضاءَ الصراط المستقيم»[3] «فتعظيمُ المولدِ واتخاذُه موسمًا قد يفعلُه بعضُ الناسِ ويكون له فيه أجرٌ عظيمٌ لحسنِ قصدِه وتعظيمه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» اهـ.

وفي ما ذكرناهُ ما يكفي للدلالةِ على المقصودِ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) ابن تيمية. مجموع الفتاوى. ج٢٧ ص١٥٢.

(٢) ابن تيمية. كتابه المسمى الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. ج١ ص١٦٢.

(٣) ابن تيمية. كتابه المسمى اقتضاء الصراط المستقيم. ص٢٩٧.

المحاضرة التاسعة والعشرون

بيانُ معنى العبادةِ وأنَّ مجرّدَ التوسّلِ بنبيّ أو وليّ أو الاستعانةَ أو الاستغاثةَ بهِ أو زيارةِ قبرهِ أو التبرّك بآثاره جائزٌ، وأنهُ ليسَ شركًا كما تَقولُ الوهابيّةُ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

• اعلَم أنهُ لا دليلَ حقيقيٌّ يدلُّ على عدمِ جوازِ التوسّلِ بالأنبياءِ والأولياءِ في حالِ غيبَتهِم أو بعدَ وَفاتهم بدعوَى أنَّ ذلك عبادةٌ لغيرِ الله لأنهُ ليسَ عبادةً لغيرِ الله مجرّدُ نداءِ حيّ أو ميّتٍ ولا مجرّدُ الاستعانةِ أوِ الاستغاثةِ بغيرِ الله ولا مجرّدُ قصدِ قبرِ وليّ للتبرّكِ ولا مجرّدُ طلبِ ما لم تجرِ بهِ العادةُ بينَ الناسِ أي ليسَ ذلكَ شركًا لأنهُ لا يَنطبقُ عليهِ تعريفُ العبادةِ عندَ اللغويينَ لأنَّ العبادةَ عندَهم الطّاعةُ معَ الخضوعِ.

- قالَ الإمامُ الأزهريُّ الذي هوَ أحدُ كبارِ اللغويينَ في كتابِ «تهذيبِ اللغةِ»[1] «العبادةُ في اللغةِ الطاعةُ معَ الخضوعِ» اهـ.
- وقالَ مثلهُ ابنُ منظورٍ في «لسانِ العربِ»[2].

---

(١) الأزهري. تهذيب اللغة. ج٢ ص٢٣٤.

(٢) ابن منظور. لسان العرب. ج٣ ص٢٧٣.

- وقالَ الحافظُ اللغويُّ تقيُّ الدينِ السّبكيُّ «العبادةُ في اللغةِ أقصَى غايةِ الخشوعِ والخضوعِ»[١].

- وقالَ بعضُ نهايةُ التذلّلِ كما يُفهمُ ذلكَ مِن كلامِ شارحِ القاموسِ مرتضَى الزبيديّ خاتمةِ اللغويينَ[٢].

- وهذا مَعنى العبادةِ المرادةِ بقولِه تَعالى ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[٣] وبقولِه تَعالى ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾[٤] أي نطيعُ اللهَ الطّاعةَ التي يخضعُ معَها، وهذهِ هيَ العبادةُ المختصّةُ للهِ تَعالى التي مَن صرَفها لغيرِهِ صارَ مشركًا، وليسَ معناها مجرّدَ نداءِ حيّ أو ميّتٍ ولا مجرّدَ الاستعانةِ أوِ الاستغاثةِ بغيرِ اللهِ ولا مجرّدَ قصدِ قبرِ وليّ للتبرّكِ.

• وكذلكَ ليسَ مجرّدُ التذللِ عبادةً لغيرِ اللهِ وإلا لكفَرَ كلُّ مَن يتذللُ للملوكِ والعظماءِ. وقَد ثبتَ أنَّ معاذَ بنَ جبلٍ لما قدِمَ منَ الشّامِ سجدَ لرسولِ اللهِ ﷺ، فقالَ لهُ رسولُ اللهِ ﷺ «**ما هذا**» فقالَ يا رسولَ اللهِ إني رأيتُ أهلَ الشّام يَسجدونَ لبطَارقَتِهم[٥] وأساقفَتِهم[٦] وأنتَ أولى بذلكَ، فقالَ «**لا تفعَل، لَو كنتُ آمرُ أحدًا أن يَسجدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تَسجُدَ لزوجِها**»، رواهُ ابنُ

---

(١) السبكي. فتاوى السبكي. ج١ ص١٠.

(٢) مرتضى الزَّبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. ج٨ ص٣٣٠.

(٣) سورة الأنبياء/ آية ٢٥.

(٤) سورة الفاتحة/ آية ٥.

(٥) البطريق: القائد من قوّاد الروم.

(٦) الرئيس من النصارى.

حبانَ[1] وابنُ ماجَه[2] وغيرهما[3] ولم يقُل لهُ رسولُ الله ﷺ كفَرتَ، ولا قالَ لهُ أشركتَ معَ أنَّ سجودَهُ للنبيّ مَظهرٌ كبيرٌ مِن مظاهرِ التذللِ.

- فهؤلاءِ الذينَ يُكفّرونَ المستغيثينَ بالأولياءِ والأنبياءِ ليتعلّموا مَعنى العبادةِ في لغةِ العَربِ قبلَ إطلاقِ ألسنتهِم بالتكفيرِ فإنهم جهلوا مَعنى العبادةِ وخالَفوا ما عليهِ المسلمونَ، لأنَّ المسلمينَ سلفًا وخلفًا لم يَزالوا يَزورونَ قبرَ النبيّ ﷺ للتبرّكِ وليسَ مَعنى الزيارةِ للتبرّكِ أنَّ الرّسولَ ﷺ يخلقُ لهم البركةَ بلِ المعنى أنهم يَرجونَ أن يخلقَ الله لهم البركةَ بزيارَتهِم لقبرِهِ ﷺ.
- ثم الشركُ نوعان: شركٌ أصغرُ وشركٌ أكبرُ. الشركُ الأكبرُ ينقلُ عن الملةِ وهو عبادةُ غيرِ الله، أما الشركُ الأصغرُ فهو الرياءُ وهو يذهبُ ثوابَ العملِ الذي قارنَه ولا يخرجُ عن الملةِ، فالاستغاثةُ ليست شركًا لأن المستغيثَ لا يعبد من يستغيثُ به.

• والاستغاثةُ هيَ الاستعانةُ عندَ الشّدةِ.

- قالَ تَعالى ﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ﴾[4].
- وعنِ ابنِ عبّاسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ[5] «**إنَّ للهِ ملائكةً في الأرض سوَى الحَفَظةِ يكتبونَ ما يَسقطُ مِن ورقِ الشّجرِ فإذا أصابَ أحدَكُم عَرْجَةٌ بأرض فَلاة[6] فليُنادِ أعينوا عبادَ الله**»، رواهُ الطّبرانيُّ، وحسّنهُ الحافظُ ابن حجر

(١) ابن حبان. صحيح ابن حبان. ذكر تعظيم الله جل وعلا حق الزوج على الزوجة. ج٩ ص٤٧٠.

(٢) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب النكاح: باب في حق الزوج على المرأة. ج٣ ص٥٣.

(٣) البيهقي. سنن البيهقي. ج٧ ص٢٩١-٢٩٢.

(٤) سورة القصص/ آية ١٥.

(٥) البيهقي. شعب الإيمان. فصل في معرفة الملائكة. ج١ ص٣٢٥.

(٦) أي إن أصاب أحدكم مصيبة في بريّة من الأرض.

العسقلاني ووثّق رجاله الحافظ الهيثميُّ[1]. فقولُ الرّسولِ «**فليُنادِ أعينوا عبادَ الله**» فيهِ دلالةٌ واضحةٌ على جوازِ الاستغاثةِ بغيرِ الله.

- وروَى البخاريُّ في الصّحيح[2] أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ «**إنَّ الشّمسَ تَدنو يومَ القيامةِ حَتى يَبلُغَ العرقُ نصفَ الأذنِ فبينَما هُم كذلكَ استغاثوا بآدمَ ثم موسى ثم بمحمّدٍ ﷺ**» فسمّى الرّسولُ ﷺ هذا الطّلبَ مِن آدمَ أَن يشفعَ لهم إلى ربهم استغاثةً.

- ثم الرّسولُ ﷺ سمّى المطرَ مغيثًا فقَد روَى أبو داودَ[3] وغيرُهُ[4] بالإسنادِ الصّحيحِ أنَّ الرّسولَ ﷺ قالَ «**اللهمَّ اسقِنا غيثًا مغيثًا مريعًا نافعًا غيرَ ضارّ عاجلًا غيرَ آجلٍ**»، فالرّسولُ ﷺ سمّى المطر مغيثًا لأنهُ يُنقذُ منَ الشّدةِ بإذنِ الله، كذلكَ النبيُّ والوليُّ يُنقذانِ منَ الشّدةِ بإذنِ الله تَعالى.

- وأخرجَ أحمدُ في المسندِ[5] بإسنادٍ حَسنٍ كما قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ[6] أنَّ الحارثَ ابنَ حسّانٍ البكريّ قالَ لرسولِ الله ﷺ أعوذُ بالله ورسولِهِ أَن أكونَ كوافدِ عادٍ -أي أَن أرجِعَ خائبًا في طَلبي وحَاجتي كما رجعَ وافدُ عادٍ الذي أرسلهُ قومُه ليطلُبَ لهمُ المطرَ-، الحديث بطولِه دليلٌ يُبطلُ قولَ الوهّابيةِ الاستعاذةُ بغيرِ الله شركٌ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد: «رواه البزار ورجاله ثقات» اهـ. وقال في رواية أخرى لهذا الحديث: «رواه الطبراني ورجاله وثقوا على ضعف في بعضهم» اهـ ج١٠ ص١٣٢.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الزكاة: باب من سأل الناس تكثرًا. ج٢ ص٢٤٧.

(٣) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الاستسقاء: باب رفع اليدين في الاستسقاء، ج١ ص٤٥٤.

(٤) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب إقامة الصلاة، ج٢ ص٣٢١.

(٥) أحمد. مسند أحمد. ج٣ ص٤٨٢، الطبراني. المعجم الكبير. ج٣ ص٤١١.

(٦) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٨ ص٥٧٩.

المحاضرة الثلاثون

بيانُ جوازِ الاستعانة بالأنبياءِ والأولياءِ على مَعنَى السّببِ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- الاستعانةُ نوعانِ استعانةٌ على مَعنى الحقيقةِ واستعانةٌ على مَعنى السّببِ.
- نحنُ نستعينُ باللهِ وحدَه على مَعنى الحقيقةِ فإذا قُلنا يا الله فمَعناهُ يا الله نستعينُ بكَ لتخلُقَ لنا النفعَ، أما بالرسولِ ﷺ فنستعينُ بهِ على مَعنى السّببِ فإذا قُلنا يا رسولَ الله فمعناهُ يا رسولَ الله نستعينُ بكَ لتنفَعَنا بإذنِ الله.

- ومما يدلُّ على ذلكَ قولُه تَعالى ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[1] أي استَعينوا بالصّبرِ والصّلاةِ لنيلِ الثوابِ منَ الله معَ أنهُ قادرٌ على أن يُعطيَنا الثوابَ مِن غيرِ أن نقومَ بالأعمالِ الصّالحةِ لكنَّ الله جعلَ أمورَ الدّنيا على الأسبابِ والمسبّباتِ ومِن هذهِ الأسبابِ الـمُعِينةِ لنا لتحقيقِ مَطالِبنا التوسّلُ بالأنبياءِ والأولياءِ في حالِ حياتهم وبعدَ مماتهِم.

---

(١) سورة البقرة/ آية ٤٥.

- قالَ تَعالى ﴿ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾[1] أيِ اطلبوا ما يقربُكم إلى الله[2]، فالصلاةُ والصيامُ والزكاةُ والحجُّ وبرُّ الوالدين ونوافلُ الطاعاتِ كلٌّ منها وسيلةٌ أي قربةٌ إلى الله. ومن جملةِ ما يقرّبُ إلى الله أيضًا التوسلُ بمن لهُ جاهٌ عندَه كالأنبياءِ والأولياءِ رجاءَ تحقّقِ المطالب، فنحنُ نسألُ الله متوسّلينَ بهم رجاءَ تحقّقِ مَطالبِنا فنقولُ اللهمَّ إنا نسألُكَ بجاهِ رسولِ الله ﷺ أن تقضِي حوائِجَنا وتفرّج كُرباتنا.

- **تنبيهٌ** قولُه تَعالى ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾[3] ليسَ معناهُ أنهُ لا يجوزُ الاستعانةُ بغيرِ الله عَلى الإطلاقِ، إنما معناهُ لا يجوزُ الاستعانةُ بغيرِ الله عَلى مَعنى الحقيقةِ، أما عَلى مَعنى السّببِ فيجوزُ، ويدلُّ عَلى ذلكَ قولهُ ﷺ «**والله في عَونِ العبدِ ما كانَ العبدُ في عَونِ أخيهِ**» رواهُ مسلم[4] والترمذيُّ[5] وغيرهما[6]. والله في عونِ العبدِ أي الله يُعين العبدَ على الحقيقةِ، ما كانَ العبدُ في عَونِ أخيهِ أي العبدُ يُعينُ أخاهُ على مَعنى السّببِ.

- روَى البخاريُّ في كتابِ «الأدبِ المفردِ»[7] عَن عبدِ الرّحمنِ بنِ سَعدٍ قالَ «خدِرَت رِجلُ ابنِ عمرَ فقالَ لهُ رجلٌ اذكُر أحبَّ الناسِ إليكَ فقالَ «يا محمّدُ» فذهبَ خدرُ رجلهِ» اهـ. وأوردهُ ابنُ تيميةَ في كتابهِ المسمى «الكَلمُ

---

(١) سورة المائدة/ آية ٣٥.

(٢) الرازي. التفسير الكبير. ج١١ ص١٧٣. القرطبي. تفسير القرطبي. ج٦ ص١٥٩.

(٣) سورة الفاتحة/ آية ٥.

(٤) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة: باب فضل الاجتماعِ على تلاوة القرآن وعلى الذّكر. ج٨ ص٧١.

(٥) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الحدود عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في الستر على المسلم. ج٤ ص٣٤.

(٦) أحمد. مسند أحمد ج٢ ص٢٥٢، أبو داود. سنن أبي داود. باب في المعونة للمسلم. ج٤ ص٤٤٢.

(٧) البخاري. الأدب المفرد. باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله. ج١ ص٣٣٥.

الطيّبُ»[١] وهذا الذي حصلَ مِن عبدِ الله بنِ عمرَ استعانةٌ برسولِ الله بلفظِ يا محمّدُ وذلكَ عندَ الوهابيّةِ كفرٌ فماذا تفعلُ الوهابيّةُ أيرجعونَ عَن رأيِهم مِن تكفيرِ مَن يُنادي يا محمّدُ أم يتبرّؤون منِ ابنِ تيمية في هذهِ المسألةِ وهوَ الملقّبُ عندَهم بشيخِ الإسلامِ كما تقدّم.

- **تنبيهٌ آخَر** قولُه تَعالى ﴿ **فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا** ﴾[٢] ليسَ معناهُ أنَّ نداءَ الرّسولِ ﷺ عبادةٌ لغيرِ الله إنما معناهُ لا تعبدُوا معَ الله أحدًا[٣]، فمَعنى الدّعاءِ هنا العبادةُ لا بمعنى النداءِ ويدلُّ على ذلكَ قولُه تَعالى ﴿ **قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا** ﴾[٤]، أيْ أعبدُ ربي ولا أشرك بهِ شيئًا[٥]، وكذلكَ حديثُ «**الدّعاءُ مخُّ العبادةِ**»[٦] ليسَ معناهُ أنَّ نداءَ الرّسولِ ﷺ عبادةٌ لغير الله إنما معناهُ الدّعاءُ حسنةٌ، فمَعنى العبادةِ هنا الحسناتُ.

- وإنما حُرّمَ نداؤهُ ﷺ «يا محمّدُ» في وجههِ في حياتهِ بعدَ نزولِ الآيةِ ﴿ **لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا** ﴾[٧] وكانَ سببُ تحريمِ ذلكَ أنَّ قومًا جفاة نادوهُ مِن وراءِ حجراتهِ «يا محمّدُ اخرُج إلينا» فحرّمَ الله تَعالى ذلكَ في وجههِ تشريفًا لهُ[٨].

---

(١) ابن تيمية. الكتاب المسمى الكلم الطيب. فصل في الرّجْل إذا خدرت. ص١٢٠.

(٢) سورة الجن/ ١٨.

(٣) الماوردي. النكت والعيون. ج٦ ص١١٩.

(٤) سورة الجن/ آية ٢٠.

(٥) النسفي. تفسير النسفي. ج٣ ص٤٤٧.

(٦) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الدعوات عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في فضل الدعاء. ج٥ ص٤٥٦، الطبراني. المعجم الأوسط. ج٣ ص٢٩٣.

(٧) سورة النور/ آية ٦٣.

(٨) السيوطي. تفسير السيوطي. ج١١ ص١٢٧.

• **تنبيهٌ آخر** حديثُ ابنِ عبّاسٍ الذي رواهُ الترمذيُّ[١] أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ لهُ «**إذا سألتَ فاسألِ الله وإذا استعنتَ فاستعِن بالله**»، فليسَ فيهِ دليلٌ على منعِ التوسّلِ بالأنبياءِ والأولياءِ لأنَّ الحديثَ معناهُ أنَّ الأَوْلى بأن يُسألَ ويُستعانَ بهِ الله تَعالى، وليسَ معناهُ لا تسألْ غيرَ الله ولا تستعِنْ بغيرِ الله. نظيرُ ذلكَ قولهُ ﷺ «**لا تُصاحِبْ إلا مؤمنًا ولا يأكُلْ طعامَكَ إلا تقيٌّ**» رواهُ ابنُ حبّانَ[٢]، فكما لا يُفهَم مِن هذا الحديثِ عدمُ جوازِ صحبةِ غيرِ المؤمنِ وإطعامِ غيرِ التقيّ، إنما يُفهمُ منهُ أنَّ الأَوْلى في الصّحبةِ المؤمنُ وأنَّ الأَولى بالإطعامِ هوَ التقيُّ، كذلكَ حديثُ ابنِ عبّاسٍ لا يُفهمُ منهُ إلا الأولويّةُ وأما التحريمُ الذي يدَّعونهُ فليسَ في هذا الحديثِ.

- وممّا يدلُّ أيضًا على جَوازِ سؤالِ الرّسولِ ﷺ على مَعنى السّببِ ما رواهُ مسلمٌ في صحيحهِ[٣] مِن أنَّ ربيعةَ بنَ كعبٍ الأسلميّ الذي خدمَ رسولَ الله ﷺ قالَ لهُ رسولُ الله ﷺ مِن بابِ حبّ المكافأةِ «**سَلني**» فقالَ لهُ أسألكَ مرافقتكَ في الجنةِ فلم يُنكِر عليهِ رسولُ الله ﷺ بَل قالَ لهُ مِن بابِ التواضعِ «**أوَ غير ذلكَ**» فقالَ الصّحابيُّ هوَ ذاكَ، فقالَ لهُ «**فأعنّي على نفسكَ بكثرةِ السّجودِ**». وهذا الحديثُ فيهِ دليلٌ أيضًا على أنَّ مجرّدَ طلبِ ما لم تجرِ بهِ العادةُ مِن غيرِ الله ليسَ شركًا، فمِن أينَ لابنِ تيميةَ وأتباعِه أن يَبنوا قاعدةً وهيَ قولهم «طلبُ ما لم تجرِ بهِ العادةُ مِن غيرِ الله شركٌ».

- وقَد ثبتَ أنَّ الرّسولَ ﷺ حيٌّ في قبرهِ وأنهُ يَنفعُنا بعدَ موتهِ بإذنِ الله فقَد قالَ رسولُ الله ﷺ «**الأنبياءُ أحياءٌ في قبورهِم يُصلّونَ**»[٤] رواهُ البيهقيُّ وصححهُ

---

(١) الترمذي. سنن الترمذي. ج٤ ص٦٦٧.

(٢) ابن حبان. صحيح ابن حبان. ج٢ ص٣١٤.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. باب فضل السجود والحث عليه. ج٢ ص٥٢.

(٤) البيهقي. حياة الأنبياء بعد وفاتهم. ص٢٧-٢٨. البزار. مسند البزار. ج١٣ ص٢٩٩.

في جزءِ حياةِ الأنبياءِ وأقره الحافظ ابن حجر[1]، وقالَ رسولُ الله ﷺ أيضًا «**حياتِي خيرٌ لكُم ومماتي خيرٌ لكُم تحدِثونَ ويُحدَثُ لكُم ووفاتِي خيرٌ لكُم تُعرَضُ عليَّ أعمالُكُم فما رأيتُ مِن خيرٍ حَمِدْتُ اللهَ عليهِ وما رأيتُ مِن شرّ استغفرْتُ لكُم**»، رواهُ البزّارُ[2]، قال الهيثميُّ في مجمعِ الزوائدِ[3] «ورجالهُ رجالُ الصّحيحِ»، فإنهُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ لما قالَ «**ومماتي خيرٌ لكُم**» أفهَمنا أنهُ يَنفعُنا بعدَ موتهِ بإذنِ الله، كما نفعَنا موسَى عليهِ السّلامُ ليلةَ المعراجِ لما سألَ النبيَّ ماذا فرضَ الله على أمتكَ؟ فقالَ لهُ «**خمسينَ صلاةً**» قالَ ارجِع[4] وسَل ربّكَ التخفيفَ[5]، فرجعَ فطلبَ التخفيفَ مرةً بعدَ مرةٍ إلى أن صِرنَ خمسَ صلواتٍ بأجرِ خمسينَ، فهَل يشكُّ عاقلٌ بنفعِ موسَى عليهِ السّلامُ لهذه الأمةِ هذا النفعَ العظيمَ وقَد كانَ موسَى توفي قبلَ لَيلةِ المعراجِ بأكثرَ مِن ألفِ سنةٍ، فهذا عملٌ بعدَ الموتِ نفعَ بهِ أمةَ محمّدٍ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٦ ص٤٨٧.

(٢) البزار. مسند البزار. ج٥ ص٣٠٨. وأخرجه الحارث في مسنده. ج٢ ص٨٨٤. وصححه العراقي في طرح التثريب ج٤ ص٣٠٨.

(٣) نور الدين الهيثمي. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ج٨ ص٣١٣.

(٤) أي ارجع إلى المكان الذي كنت تسمع فيه كلام الله، وليس معناه أن الله في مكان.

(٥) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب الإسراء بالرسول إلى السموات وفرض الصلوات. ج١ ص٩٩.

المحاضرة الحادية والثلاثون

بيانُ جوازِ التوسّلِ بالأنبياءِ والأولياءِ فِي حَياتهم وبعدَ وفاتِهم

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتِهِ الطّاهرين

- التوسّلُ هوَ طلبُ حصولِ منفعةٍ أو اندفاعِ مضرّةٍ منَ الله بذِكرِ اسمِ نبيّ أو وليّ إكرامًا للمتوسّلِ بهِ.
- ومما يدلُّ على جوازِ التوسّلِ بالنبيّ محمّدٍ ﷺ في غَيبتهِ وبعدَ وفاتهِ ما أخرجهُ الطّبرانيُّ في مُعجمَيهِ الكبيرِ[١] والصّغير[٢] «عَن عثمانَ بنِ حُنَيفٍ أنَّ رجلًا كانَ يختلفُ -أي يتردّدُ- إلى عثمانَ بنِ عفّان، فكانَ عثمانُ لا يلتفتُ إليهِ ولا ينظرُ في حاجتهِ فلقيَ عثمانَ بنَ حنيفٍ فشكا إليهِ ذلكَ، فقالَ ائتِ الميضأَةَ فتوضّأ ثم صلّ ركعتينِ ثم قُل اللهمَّ إني أسألكَ وأتوجّهُ إليكَ بنبيّنا محمّدٍ نبيّ الرّحمةِ، يا محمّدُ إني أتوجّهُ بكَ إلى ربي في حاجَتي لتُقضَى لي، ثم رُح حتى أروحَ معكَ فانطلقَ الرجلُ ففعلَ ما قالَ، ثم أتى بابَ عثمان فجاءَ البوّاب فأخذهُ بيدهِ فأدخلهُ على عثمانَ بنِ عفان فأجلسهُ على طِنفستهِ -أي سجادتهِ- فقالَ ما حاجتُكَ؟ فذكرَ لهُ حاجتهُ، فقضَى لهُ حاجتهُ وقالَ ما ذكرت حاجتكَ حتى كانَت هذهِ السّاعةُ، ثم خرجَ مِن عندهِ فلقيَ عثمانَ بنَ حنيفٍ فقالَ جزاكَ الله خيرًا، ما كانَ ينظرُ في

(١) الطبراني. المعجم الكبير. ج٩ ص١٧-١٨. وقال: «الحديث صحيح» اهـ.

(٢) الطبراني. المعجم الصغير. ج١ ص٢٠١-٢٠٢. وقال: «الحديث صحيح» اهـ.

حاجَتي ولا يلتفتُ إليَّ حتى كلّمتَهُ فيَّ، فقالَ عثمانُ بنُ حنيفٍ والله ما كلّمتُهُ ولكنْ شَهدتُ رسولَ الله ﷺ وقَد أتاهُ ضريرٌ فشكا إليهِ ذهابَ بَصرهِ، فقالَ «**إن شئتَ صَبرتَ وإن شئتَ دعوتُ لكَ**»، قالَ يا رسولَ الله إنهُ شقّ عليَّ ذهابُ بَصري وإنهُ ليسَ لي قائدٌ فقالَ لهُ «**ائتِ الميضأة فتوضّأ وصلّ ركعتينِ ثم قل هؤلاءِ الكلماتِ**»، ففعلَ الرجلُ ما قالَ، فوالله ما تفرّقنا ولا طالَ بنا المجلسُ حتى دخلَ علينا الرجلُ وقَد أبصرَ كأنهُ لم يكُن بهِ ضرّ قطّ»اهـ.

قالَ الطّبرانيُّ في كلّ مِن مُعجميهِ والحديثُ صحيحٌ، والطّبرانيُّ مِن عادتهِ أنهُ لا ينص على تصحيح حديث في معجميه إلا حديث الأعمى، ما قالَ عَن حديثٍ أوردَهُ ولو كانَ صحيحًا الحديثُ صحيحٌ، إلا عَن هذا الحديثِ، وكذلكَ أخرجهُ في الصّغيرِ وصحّحهُ[1].

ففيهِ دليلٌ على أنَّ الأعمَى توسّلَ بالنبيّ في غيرِ حَضرتهِ بدليلِ قولِ عثمانَ بنِ حنيفٍ «حتى دخلَ علينا الرّجلُ»، وفيهِ أنَّ التوسّلَ بالنبيّ جائزٌ في حالةِ حياتهِ وبعدَ مماتهِ فبطلَ قولُ ابنِ تيمية لا يجوزُ التوسّلُ إلا بالحيّ الحاضرِ، وكلُّ شرطٍ ليسَ في كتابِ الله فهوَ باطلٌ وإن كانَ مائة شرطٍ.

- ولا يلتفتُ بعدَ هذا إلى دعوى بعضِهم وهوَ ناصرُ الدّينِ الألبانيُّ أنَّ مرادَ الطّبرانيّ بقولهِ والحديثُ صحيحُ القَدر الأصليّ لا ما فعلهُ الرجلُ أيامَ عثمان بنِ عفّان بعدَ وفاةِ الرّسولِ ﷺ بل هذا مردودٌ بأنّ علماءَ المصطلح قالوا الحديثُ يُطلقُ على المرفوع إلى النبيّ ﷺ والموقوفِ على الصّحابةِ، أي أن كلامَ الرّسولِ ﷺ يُسمّى حديثًا وقول الصّحابيّ يُسمّى حديثًا، وليسَ لفظُ الحديثِ مقصورًا على كلامِ النبيّ ﷺ فقَط في اصطلاحِهم، فهذا المموّهُ لم يُوافقْ في دعواه المقرّر في علمِ

---

(1) الطبراني. المعجم الصغير. ج1 ص306.

المصطلح فلينظُر مَن شاءَ في كتابِ «تدريبِ الرّاوي»[1] والإفصاحِ وغيرِهما مِن كتبِ المصطلحِ[2]، والألبانيُّ لم يجرّه إلى هذهِ الدّعوى إلا شدةُ تعصّبهِ لهواهُ مع عدم مُبالاتهِ بمخالفةِ العلماءِ كسلفهِ ابنِ تيمية على أنَّ قولَ الألبانيّ ليسَ حجةً لأنهُ ليسَ أهلًا للتضعيفِ والتصحيح لأنهُ محرومٌ منَ الحفظِ فهوَ ليسَ حافظًا باعترافهِ فلا يحفظُ عشرةَ أحاديث بأسانيدِها، فإنهُ قالَ عَن نفسهِ «أنا محدّثُ كتابٍ لستُ محدّثَ حفظٍ» اهـ والتصحيحُ والتضعيفُ مِن شأنِ الحافظِ كما هوَ معلومٌ عندَ أهلِ الحديثِ، قالَ الحافظُ السّيوطيُّ في ألفيّتهِ[3] (الرجز)

وخُــذْهُ حيثُ حافظٌ عليهِ نَصّ   أو مِــنْ مُصنَّفٍ بجَمْعهِ يُخَصّ

- ومما يدلُّ أيضًا على جوازِ التوسّلِ بالرّسولِ ﷺ ما رواهُ الحاكمُ في المستدركِ وصحّحهُ[4] عَن عمرَ رضي الله عنهُ قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ «**لما اقترفَ آدمُ الخطيئةَ قالَ «يا ربِّ أسألُكَ بحقّ محمّدٍ إلا ما غفرتَ لي فقالَ الله يا آدمُ كيفَ عرفتَ محمّدًا ولم أخلقهُ بعدُ قالَ لأنكَ يا ربِّ لما خَلقتني رفعتُ رأسِي فرأيتُ على قوائمِ العَرشِ مكتوبًا لا إلـهَ إلا الله محمّدٌ رسولُ الله فعَلمتُ أنكَ لم تُضِف إلى اسمكَ إلا أحبَّ الخلقِ إليكَ**»[5].

- ومنَ الدليلِ أيضًا على جوازِ التوسّلِ بالأنبياءِ والصّالحينَ حديثُ أبي سعيدٍ

(١) السيوطي. تدريب الراوي. ج١ ص٤٢.

(٢) ابن الصلاح. مقدمة ابن الصلاح. ص٢٣، ابن حجر الهيتمي. فتاوى الرملي بهامش الفتاوى الكبرى. ج٤ ص٣٧١.

(٣) السيوطي. ألفية السيوطي في الحديث. ص ٨.

(٤) الحاكم. المستدرك. كتاب التاريخ. ج٢ ص٦١٥.

(٥) وروى الحديث البيهقي في دلائل النبوة. ج٥ ص٤٨٩، وأخرجه الطبراني في معجمه الصغير. ص٣٥٥ وعزاه له الهيثمي في مجمع الزوائد. ج٨ ص٢٥٣، ووصفه السبكي بأنه جيد في شفاء السقام ١٦٣.

الخدريّ الذي حسّنهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «نتائجِ الأفكارِ»[1] وغيرُه[2] قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ **«إذا خرجَ الرجلُ مِن بيتهِ إلى الصّلاةِ فقالَ اللهمَّ إني أسألُكَ بحقّ السّائلينَ عليكَ وبحقّ ممشايَ هذا فإني لم أخرُج أشَرًا ولا بَطَرًا ولا رياءً ولا سُمعةً خرجتُ اتّقاءَ سخَطِكَ وابتغاءَ مرضاتكَ أسألكُ أن تُنقذَني منَ النارِ وأن تغفِرَ لي ذُنوبي إنهُ لا يَغفرُ الذنوبَ إلا أنتَ وكّلَ الله بهِ سبعينَ ألف ملكٍ يستغفرونَ لهُ وأقبلَ الله عليهِ بوجهِه**- أي رضي فعله- **حَتى يقضِي صلاتَهُ»**.

- **تنبيهٌ** أما توسّلُ عمرَ بالعبّاسِ بعدَ موتِ النبيّ ﷺ فليسَ لأنَّ الرّسولَ ﷺ قَد ماتَ، بل كانَ لأجلِ رعايةِ حقّ قرابتهِ منَ النبيّ ﷺ، بدليلِ قولِ العبّاسِ حينَ قدَّمهُ عمرُ «اللهمَّ إنَّ القومَ توجّهوا بي إليكَ لمكاني مِن نبيّكَ»، روَى هذا الأثرَ الزبيرُ بنُ بكار كما قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ[3].
- ويستأنسُ لهُ أيضًا بما رواهُ الحاكمُ في المستدركِ[4] أنَّ عمرَ رضي الله عنهُ خطبَ الناسَ فقالَ «أيّها الناسُ إنَّ الرسولَ كانَ يرَى للعبّاسِ ما يرَى الولدُ لوالدِهِ، يُعظّمهُ ويُفَخّمهُ ويَبَرُّ قَسَمَهُ، فاقتدوا أيّها الناسُ برسولِ الله في عمّهِ العبّاسِ واتخذوهُ وسيلةً إلى اللهِ في ما نزلَ بكُم»اهـ. فهذا يوضحُ سببَ توسّلِ عمرَ بالعبّاسِ.
- وأما قولُ البعضِ إنهُ لو كانَ التوسّلُ بالصّالحينَ بعدَ مَوتهم جائزًا لما توسّلَ عمرُ بالعبّاسِ معَ قدرتهِ على التوسّلِ بالنبيّ فالجوابُ أن تركَ الشّىءِ لا يدلُّ على عدمِ الجوازِ فقَد تركَ النبيُّ كثيرًا منَ المباحاتِ فهَل دلَّ تركُهُ لها على

(١) ابن حجر العسقلاني. نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار. ج١ ص ٢٦٨.

(٢) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب المساجد: باب المشي إلى الصلاة. ج١ ص٤٩٧.

(٣) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٢ ص٤٩٧.

(٤) الحاكم. المستدرك. كتاب معرفة الصحابة. ج٣ ص٣٣٤.

حُرمَتها؟ لا. وقَد ذكرَ علماءُ الأصولِ في كتبهِم[1] «أنَّ تركَ الشىءِ لا يدلُّ على مَنعهِ»اهـ.

- قالَ الحافظُ ابنُ حجرٍ في فتحِ الباري[2] عقبَ هذهِ القصّةِ ما نصّهُ «يُستفادُ مِن قصةِ العبّاسِ استحبابُ الاستشفاعِ بأهلِ الخيرِ والصّلاحِ وأهلِ بيتِ النبوّةِ» اهـ.

فتبيّنَ بطلانُ رأيِ ابنِ تيميةَ ومَن تبعهُ مِن مُنكرِي التوسّل.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(١) عبد الله الغماري. حسن التفهم والدرك لمسألة الترك. ص١٢٤.

(٢) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٢ ص ٤٩٧.

المحاضرة الثانية والثلاثون

شرحُ حديث «إذا سألْتَ فاسأل الله وإذا استَعَنْتَ فاستَعِنْ باللّهَ»

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- روى الترمذيُّ[1] عن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ عنهما قال «كنتُ خلفَ رسولِ اللهِ ﷺ يومًا فقال «**يا غلامُ إني أعلمُك كلماتٍ احفظِ اللهَ يحفظْك احفظِ اللهَ تجدْه تجاهَك إذا سألتَ فاسألِ اللهَ وإذا استعنتَ فاستعن باللهِ**» وقال الترمذي «هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»اهـ.
- قولُه ﷺ «**احفظِ الله**» أي بملازمةِ تقواه واجتنابِ نواهيه وما لا يرضاه، وقولُه «**يحفظْك**» أي في نفسِك وأهلِك ودنياك ودينِك لا سيما عندَ الموتِ، وقولُه «**تجدْه تجاهَك**» أي تجدْه معك بالحفظِ والتأييدِ والإعانةِ حيثُما كنتَ وهو من المجازِ البليغِ لاستحالةِ الجهةِ التي هي مدلولُ تُجاه عليه.
- وقولُه ﷺ «**إذا سألتَ فاسألِ الله**» معناه إذا أردتَ السؤالَ فاسألِ الله تعالى أن يعطيَك مطلوبَك قال تعالى ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓ﴾[2]، وقولُه ﷺ «**إذا استعنت فاستعن بالله**» أي إن أردتَ الإعانةَ على أمرٍ من أمورِ الدارَيْن فاستعنْ باللهِ تعالى لأنه هو القادرُ على كلِ شىء. ولم يفهمْ أحدٌ من علماءِ السلفِ والخلفِ

(١) الترمذي. سنن الترمذي. ج٤ ص٦٦٧.

(٢) سورة النساء/ آية ٣٢.

أنَّ معنى هذا الحديثِ تحريمُ التوسل والاستغاثةِ بالأنبياءِ والصالحين، لذلك صرحَ الحافظُ الفقيهُ تقيُّ الدينِ السبكيُّ أنَّ أولَ مَن حرمَ التوسلَ هو ابنُ تيميةَ[١]. فالحديثُ ليسَ معناه لا تسألْ غيرَ الله ولا تستعنْ بغيرِ اللهِ إنما معناهُ أن الأَوْلى أن يُسألَ ويُستعانَ به هو اللهُ تعالى، وهذا أمرٌ لا شكَّ فيه لأنَّ اللهَ تبارك وتعالى هو خالقُ الخيرِ والشرّ وخالقُ المنفعةِ والمضرةِ، وبمعنى هذا الحديثِ حديثٌ رواهُ ابنُ حبان في صحيحِه[٢] «**لا تصاحِبْ إلا مؤمنًا ولا يأكلْ طعامَكَ إلا تقيٌّ**». فكما لا يُفهمُ من هذا الحديثِ عدمُ جوازِ صحبةِ غيرِ المؤمنِ وعدمُ جوازِ إطعامِ غيرِ التقيّ وإنما يفهمُ منه أنَّ الأوْلى بالصحبةِ المؤمنُ وبالإطعام التقيُّ، كذلك حديثُ ابنِ عباسٍ لا يفهمُ منه إلا الأولويةُ. على أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ لم يقل لا تسألْ غيرَ اللهِ ولا تستعنْ بغيرِ الله، أليس هناك فرقٌ بين أن يقالَ لا تسألْ غيرَ الله وبينَ أن يقالَ إذا سألتَ فاسألِ اللهَ؟! ثُمّ قولُ المسلم إني أسأَلُك بنبيّك محمدٍ ليس فيه سؤالٌ لغير الله بل بقوله هذا يكون سألَ اللهَ. فهذا الحديثُ ليسَ فيه أدنى دلالةٍ على ما يدعيه محرمو التوسلِ والاستعانةِ على تحريمِ التوسلِ بالأنبياءِ والأولياءِ، لكنَّ هؤلاءِ الذين دأبُهم تحريفُ شريعةِ اللهِ والتمويهُ على الناسِ وزخرفةُ الباطلِ وإيهامُ الناسِ الأمرَ الجائزَ حرامًا أو شركًا وكفرًا وهم قد حرّفوا معنى الحديثِ. فكلُّ مؤمنٍ يعلمُ ويعتقدُ أنَ سؤالَ المؤمنِ ربَّه أفضلُ من أن يسألَ غيرَه، كذلك كلُّ مؤمنٍ يعتقدُ أنَ الاستعانةَ باللهِ خيرٌ وأفضلُ من الاستعانةِ بغيرِه، لكنَّ هؤلاءِ لا يوردونَ الحديثَ على هذا المعنى الذي هو مرادُ رسولِ اللهِ ﷺ وإنما يوردونه لتحريمِ ما أحلَّ اللهُ سبحانَه وتعالى.

- فمَن حملَ هذا الحديثَ على تحريمِ التوسلِ والاستعانةِ مطلقًا يكونُ قد جعلَ كلامَ النبيِ ﷺ متعارضًا متناقضًا والعياذُ بالله، حيثُ إنه ﷺ علم أمتَه التوسلَ

(١) السبكي. شفاء السقام في زيارة خير الأنام. ص ١٦٠.

(٢) ابن حبان. صحيح ابن حبان. باب الصحبة والمجالسة. ج٢ ص٣١٤.

بدليل حديثِ الطبراني[1] الذي تقدمَ ذكرُه أنه ﷺ علمَ الأعمى أنْ يقولَ «**اللهم إني أسألكَ وأتوجهُ إليك بنبيّنا محمدٍ ﷺ نبيّ الرحمة، يا محمدُ إني أتوجهُ بك إلى ربي**»...الحديثَ. وهذا الحديثُ صحَّحَه قريب الخمسةَ عشرَ حافظًا[2]، وقد قالَ الترمذيُّ[3] «حديثٌ حسنٌ صحيحٌ»اهـ. وقالَ الحاكمُ[4] «صحيحٌ على شرطِ الشيخينِ ولم يخرجاه»اهـ.

- قال الكوثريُّ[5] «وأما حديثُ «**وإذا سألتَ فاسألِ اللهَ وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله**» فبمعنى عند استعانتِك بأي مستعانٍ فاستعن باللهِ حملًا على الحقيقةِ، فالمسلمُ لا ينسى مُسبّبَ الأسبابِ عندما يستعينُ بسببٍ من الأسبابِ، وها هو عمرُ حينما استسقى بالعباسِ رضي اللهُ عنه لم ينسَ أن يقولَ عند الاستسقاءِ «اللهم فاسقِنا» وهذا هو الأدبُ الإسلاميُّ. ولو لم نحمل الحديثَ على هذا المعنى لتكلفْنا المجازَ ولعارضَتْه عدةُ آياتٍ وأحاديثَ في سردِها طولٌ» اهـ.

وقالَ إسماعيلُ حقي[6] في شرحِ هذا الحديثِ «فإن قلتَ قد يتصورُ أن يكشفَ الإنسانُ عن صاحبِه كربةً من الكربِ، قلتُ كاشفُ الضرّ في الحقيقةِ هو اللهُ تعالى إما بواسطةِ الأسبابِ أو بغيرِها، وكذا الاستعانةُ في الحقيقةِ من اللهِ تعالى، فالاستعانةُ من الأنبياءِ والأولياءِ إنما هي استشفاعٌ منهم في قضاءِ الحاجةِ والموَحّدُ لا يعتقدُ أنَ في الوجودِ مؤثِرًا غيرَ اللهِ تعالى» اهـ.

---

(١) الطبراني. المعجم الصغير. ج١ ص٢٠١-٢٠٢. الطبراني. المعجم الكبير. ج٩ ص١٧-١٨. وقال الحديث صحيح اهـ.

(٢) انظر دلائل النبوة للبيهقي ج ٦ ص١٦٦، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ج٢ ص٣٣٠، الجامع الصغير من حديث البشير النذير لجلال الدين السيوطي ج١ ص١٢٠.

(٣) الترمذي. سنن الترمذي. ج٥ ص ٥٦٩.

(٤) الحاكم. المستدرك. كتاب صلاة التطوع. ج١ ص٤٥٨.

(٥) الكوثري. مقالات الكوثري. ص٣٥٤-٣٥٥.

(٦) إسماعيل حقي. تفسير القرآن المسمى بروح البيان. ج٢ ص١٣٦.

- وبعضُ أهلِ العلمِ فهِمَ من هذا الحديثِ أن المرادَ منه إذا سألتَ أي إذا أردتَ شيئًا لا يقدرُ عليه أحدٌ غيرُ اللهِ فاسألِ الله بدليلِ تتمةِ الحديثِ «**واعلمْ أن الأمةَ لو أجمعتْ على أن ينفعوكَ بشيء لم ينفعوكَ إلا بشيءٍ قد كتبهُ اللهُ لك**» فسؤالُ العبدِ بما يقدرُ عليه غيرُ ممنوعٍ، وأما ما لا يدخلُ في قدرةِ المخلوقِ فلا يستعانُ فيه إلا اللهُ ولا يستغاثُ إلا به وهذا بإجماعِ المسلمين. قال النوويُ[1] في شرحِ قوله ﷺ «**إذا سألتَ فاسألِ اللهَ**» ما نصُّه «إشارةٌ إلى أن العبدَ لا ينبغي له أن يعلقَ سرَّه بغيرِ اللهِ بل يتوكلُ عليه في سائرِ أمورِه، ثم إن كانت الحاجةُ التي يسألُها لم تجر العادةُ بجريانها على أيدي خلقِه كطلبِ الهدايةِ والعلمِ والفهمِ في القرآنِ والسنةِ وشفاءِ المرضى وحصولِ العافيةِ من بلاءِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ سألَ ربَّه ذلك» اهـ.

- وبعضُهم فسرَ السؤالَ بالدعاءِ، قال ابنُ رجبٍ[2] «قوله ﷺ «**إذا سألتَ فاسألِ اللهَ وإذا استعنتَ فاستعنْ باللهِ**» منتزعٌ من قولِه تعالى ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[3] فإنَّ السؤالَ لله هو دعاؤُه والرغبةُ إليه، والدعاءُ هو العبادةُ» اهـ.

- ومما يدلُّ على أن النوويَّ وغيرَه لم يفهمْ ما فهمتْه الوهابيةُ من هذا الحديثِ أنه - أي النوويَّ - ذكرَ في الأذكارِ[4] في كتابِ أذكارِ المسافرِ باب ما يقولُ إذا انفلتتْ دابتُه ما نصُّه «روينا في كتاب ابنِ السني عن عبدِ اللهِ بن مسعودٍ رضي اللهُ عنه عن رسولِ اللهِ ﷺ قال «**إذا انفلتت دابةُ أحدِكم بأرضِ فلاةٍ فلينادِ يا عبادَ اللهِ احبِسوا يا عبادَ اللهِ احبسوا**». ثم قال «قلت حكى لي بعضُ شيوخِنا الكبارِ في العلمِ أنه انفلتَت له دابةٌ أظنُّها بغلةً وكان يعرفُ هذا الحديثَ فقاله فحبسَها

---

(١) النووي. مخطوطة. ص٢٤.

(٢) ابن رجب. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم. ص٣٥٨.

(٣) سورة الفاتحة/ آية ٥.

(٤) النووي. الأذكار النووية. ج١ ص٢٢٣.

اللهُ عليه في الحالِ. وكنت أنا مرةً مع جماعةٍ فانفلتَت منها بهيمةٌ وعجزوا عنها فقُلتُه فوقفَتْ في الحالِ بغـير سبـبٍ سوى هذا الكلام» اهـ. وقال النوويُ في «المجموعِ»[1] مبيّـنًا ما يستحبُّ أن يقولَه من يزورُ النبيَّ ﷺ إذا وقفَ أمامَ القبرِ الشريفِ مخاطبًا رسولَ اللهِ ﷺ ما نصُّه «ثم يرجعُ إلى موقفِه الأولِ قبالةَ وجهِ رسولِ اللهِ ﷺ ويتوسلُ به في حقّ نفسِه ويستشفعُ به إلى ربّه سبحانَه وتعالى، ومن أحسن ما يقولُ ما حكاه الماورديُّ والقاضي أبو الطيبِ وسائرُ أصحابِنا - يعني سائرَ الشافعيةِ- عن العتبي مستحسنينَ له قال كنت جالسًا عند قبرِ رسولِ الله ﷺ فجاءَ أعرابيٌّ فقالَ السلامُ عليك يا رسولَ اللهِ سمعتُ اللهَ يقولُ ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴾[2] وقد جئتُك مستغفرًا من ذنبي مستشفعًا بك إلى ربي...» اهـ.

- حتى الذهبيُّ وهو غيرُ مطعونٍ به عندهم لم يفهمْ ما فهموه، فقد قالَ في كتابِه «سير أعلامِ النبلاء»[3] عند الكلام على معروف الكرخيّ أبي محفوظٍ البغداديّ: «وعن إبراهيمَ الحربيّ قال «قبرُ معروفٍ الترياقُ المجربُ» اهـ. يريد إجابةَ دعاءِ المضطرّ عنده لأن البقاعَ المباركةَ يستجابُ عندها الدعاءُ، كما أن الدعاءَ في السَّحَرِ مرجوٌّ ودبرَ المكتوباتِ وفي المساجدِ» اهـ.

وروى[4] عن أبي بكر بن أبي علي قال «كان ابنُ المقرئ يقول كنتُ أنا والطبرانيُّ وأبو الشيخ بالمدينة فضاقَ بنا الوقتُ فواصلنا ذلك اليوم فلما كانَ وقت العشاءِ حضرتُ القبرَ وقلتُ يا رسولَ اللهِ الجوعَ، فقالَ لي الطبرانيُّ اجلسْ فإما أن يكونَ

(١) النووي. المجموع شرح المهذب. ج٨ ص٢٤٧.

(٢) سورة النساء/ آية ٦٤.

(٣) الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج١٧ ص٣٥٦.

(٤) الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج٣١ ص٤٧٣.

الرزقُ أو الموتُ، فقمتُ أنا وأبو الشيخ فحضرَ البابَ علويٌّ ففتحْنا له فإذا معه غلامان بِقُفَّتَيْن فيهما شيءٌ كثيرٌ وقال شكوتموني إلى النبي ﷺ؟ رأيتُه في النومِ فأمرني بحملِ شيءٍ إليكما» اهـ.

• وكذلك ابنُ كثيرٍ وهو غيرُ مطعونٍ به عندَهم لم يفهم الحديثَ كما فهموه، فقد قالَ في كتابِه «البدايةُ والنهاية»(١) «وقد روينا أن عمرَ عسَّ(٢) المدينةَ ذاتَ ليلةٍ عامَ الرمادةِ فلم يجدْ أحدًا يضحكُ ولا يتحدثُ الناسُ في منازلهم على العادةِ ولم يرَ سائلًا يسأل، فسألَ عن سببِ ذلك فقيل له يا أميرَ المؤمنين إن السّؤالَ سألوا فلم يعطَوا فقطعوا السؤالَ والناسُ في همّ وضيقٍ فهم لا يتحدثونَ ولا يضحكونَ. فكتبَ عمرُ إلى أبي موسى أن يا غوثاهُ لأمةِ محمدٍ ﷺ، وكتبَ إلى عمرو بن العاص بمصرَ أنْ يا غوثاهُ لأمة محمدٍ، فبعثَ إليه كلٌّ واحدٍ منهما بقافلةٍ عظيمةٍ تحملُ البُرَّ وسائرَ الأطعماتِ، ووصلت ميرةُ عمرو في البحرِ إلى جدةَ، ومن جدةَ إلى مكةَ. وهذا الأثرُ جيدُ الإسنادِ» اهـ.

• وهذا زعيمُهم ابنُ تيميةَ قالَ في كتابِه المسمَّى «التوسلَ والوسيلةَ»(٣) «ورُوي في ذلك أثرٌ عن بعض السلفِ، مثلُ ما رواه ابنُ أبي الدنيا في كتابِ مجابي الدعاء، قال حدثَنا أبو هاشم، سمعتُ كثيرَ بنَ محمدِ بنِ كثيرِ بنِ رفاعةَ يقولُ جاءَ رجلٌ إلى عبدِ الملكِ بنِ سعيدِ بن أبجر، فجسَّ بطنَه فقالَ بك داءٌ لا يبرأُ. قالَ ما هو؟ قال الدُّبَيْلة(٤). قال فتحولَ الرجلُ فقالَ اللهُ اللهُ، اللهُ ربي، لا أشركُ به شيئًا، اللهمَّ إني أتوجَّه إليكَ بنبيّك محمدٍ نبيّ الرحمةِ ﷺ تسليمًا، يا محمدُ إني أتوجَّه بك إلى ربّك وربي يرحمني مما بي. قال فجسَّ بطنَه فقالَ قد برئتَ ما بكَ علةٌ. قلت

(١) ابن كثير. البداية والنهاية. ج٧ ص١٠٣.

(٢) أي طاف بالليل. ابن منظور. لسان العرب. ج٦ ص١٣٩.

(٣) ابن تيمية. الكتاب المسمى قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة. ج٢ ص١٩٩.

(٤) هي خراج ودمل كبير تظهر في الجوف فتقتل صاحبها غالبًا.

- أي ابنُ تيميةَ - فهذا الدعاءُ ونحوُه قد رويَ أنه دعا به السلفُ» اهـ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة الثالثة والثلاثون

بيانُ جوازِ زيارةِ قبورِ الأنبياءِ والأولياءِ للتَبرّكِ والدعاءِ عندها

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- قالَ الله تَعالى ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾[1] فمَن جاءَ قبر الرّسولِ ﷺ ووقفَ ببابهِ وتوسّلَ بهِ وجدَ الله توّابًا رحيمًا.

- وقالَ رسولُ الله ﷺ «**مَن زارَ قَبري وَجبَت لهُ شَفاعتي**» رواهُ الدّارقطنيُّ[2] وقوّاهُ الحافظُ السّبكيُّ[3] والذّهبيُّ[4] وغيرهما[5].

- وروَى البيهقيُّ في دلائلِ النبوّةِ[6] بإسنادٍ صحيحٍ عَن مالكِ الدّارِ وكانَ خازنَ عمرَ قالَ أصابَ الناسَ قحطٌ في زمانِ عمرَ فجاءَ رجلٌ إلى قبرِ النبيّ ﷺ

---

(١) سورة النساء/ آية ٦٤.

(٢) الدارقطني. سنن الداقطني. ج٣ ص٣٣٤.

(٣) السبكي. شفاء السقام في زيارة خير الأنام. ص ١٠٠.

(٤) الذهبي. ميزان الاعتدال في نقد الرجال. ج٤ ص٢٢٦.

(٥) السيوطي. جمع الجوامع. ج٩ ص ٢٤٣. وفيه أنه رواه الحكيم وابن عدي والبيهقي عن ابن عمر.

(٦) البيهقي. دلائل النبوة ج٧ ص٤٧، ابن كثير. البداية والنهاية. ج٧ ص٩١-٩٢، ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق. ج٤٤ ص٣٤٥.

فقالَ يا رسولَ الله استسقِ لأمّتكَ فإنهم قَد هَلكوا فأُتِيَ الرّجلُ في المنامِ فقيلَ لهُ أقرِئ عمَرَ السّلامَ وأخبرهُ أنهم يُسقَونَ وقُل لهُ عليكَ بالكيسِ الكيسِ[1] فأتى الرجلُ عمرَ فأخبرهُ، فبكَى عمرُ وقالَ يا ربّ ما آلو إلا ما عَجزت[2]. وقَد جاءَ في تفسيرِ هذا الرّجلِ أنهُ بلالُ بنُ الحارثِ المزنيُّ الصّحابيُّ. فهذا الصّحابيُّ قَد قصدَ قبرَ الرّسولِ ﷺ للتبرّكِ فلَم يُنكِر عليهِ عمَرُ ولا غيرهُ فبطلَ دعوَى ابنِ تيميةَ أنَّ هذهِ الزّيارةَ شركيّةٌ.

- وعَن داودَ بنِ أبي صالحٍ قالَ أقبلَ مروانُ يومًا فوجدَ رجلًا واضعًا وجهَهُ على القَبرِ فقالَ أتدري ما تَصنعُ، فأقبلَ الرّجلُ فإذا هوَ أبو أيوب فقالَ نعَم جِئتُ رسولَ الله ولم آتِ الحجرَ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ «**لا تبكُوا على الدّينِ إذا وَلِيَهُ أهلُهُ ولكنِ ابكُوا عليهِ إذا وَلِيَه غيرُ أهلِهِ**» رواهُ أحمدُ[3] والطّبرانيُّ في الكبيرِ والأَوسطِ[4]. فإذا كانَ وضعُ الوجهِ على القَبرِ مِن أبي أيوب الأنصاريّ رضي الله عنهُ الذي هوَ أحدُ مشاهيرِ الصّحابةِ والذي هوَ أوّل مَن نزلَ الرّسولُ ﷺ عندهُ لما هاجرَ مِن مكةَ إلى المدينةِ لم ينكرهُ أحدٌ منَ الصّحابةِ فكيفَ وضعُ الكفّ على الشّبيكةِ التي هيَ بينَ القبرِ وبينَ الزائرِ ولكنَّ الوهابيةَ يعتبرونَ هذا الشّركَ الأكبرَ الذي يَستوجبُ فاعلُهُ الخلود الأبديّ في النارِ كما هوَ مَعروفٌ مِن تصرّفهم معَ الزائرينَ.

- وقَد قالَ الإمامُ مالكٌ للخليفةِ المنصورِ لما حجَّ وزارَ قبرَ النبيّ ﷺ وسألَ مالكًا قائلًا يا أبا عبدِ الله أستقبلُ القبلةَ وأدعُو أم أستقبِل رسولَ الله «فلِمَ

---

(١) أي بالاجتهاد بالسعي لخدمة الأمة.

(٢) أي لا أقصر إلا ما عجزت عنه أي سأفعل ما في وسعي لخدمة الأمة.

(٣) أحمد. مسند أحمد. ج٥ ص٤٢٢.

(٤) الطبراني. المعجم الكبير. ج٤ ص١٨٩. نور الدين الهيثمي. مجمع الزوائد. ج٥ ص٢٤٥، وأخرجه الحاكم في المستدرك. ج٤ ص٥١٥، وصححه ووافقه الذهبي.

تصرِف وجهَكَ عنهُ وهوَ وسيلتُكَ ووسيلةُ أبيكَ آدمَ إلى اللهِ بل استقبلْهُ واستشفِع بهِ فيُشفِّعَه الله» اهـ. ذكرهُ القاضِي عياضٌ في الشِّفا بتعريفِ حقوقِ المصطفى وساقهُ بإسنادٍ صحيحٍ[1].

- وقَد قالَ الحافظُ وليُّ الدّينِ العراقيُّ[2] في حديثِ أبي هريرةَ أنَّ موسَى قالَ «ربِّ أَدْنِني منَ الأرضِ المقدّسةِ رَمْيةً بحجرٍ»، وأنَّ النبيَّ ﷺ قالَ «**والله لو أني عندَهُ لأريتكُم قبرهُ إلى جنبِ الطَّريقِ عندَ الكَثيبِ الأحمرِ**» فيهِ استحبابُ معرفةِ قبورِ الصّالحينَ لزيارتها والقيامِ بحقّها اه.

- وقالَ السمهوديُّ في «وفاءِ الوَفا»[3] «لما قدمَ بلالٌ منَ الشّامِ لزيارةِ النبيّ أتى القبرَ فجعلَ يَبكي عندهُ ويمرغ وجهَهُ عليهِ وإسنادهُ جيّدٌ» اه.

- وفي تحفةِ ابنِ عساكر[4] عَن عليّ رضي الله عنهُ قالَ لما رُمِسَ رسولُ الله ﷺ -أي دُفِنَ- جاءَت فاطمةُ فوقفَت على قبرِهِ وأخذَت قبضةً مِن ترابِ القبرِ ووضعَت على عينِها وبكَت وأنشدَت تقولُ (الكامل)

ماذا عَلى مَن شَمَّ تربةَ أحمدٍ ... أَن لا يَشَمَّ مدَى الزّمانِ غَواليا

صُبّت علَيّ مَصائبٌ لَو أنها ... صُبَّت عَلى الأيّامِ عُدنَ لَياليَا»اهـ.

- وقالَ الحافظُ الخطيبُ البغداديُّ في «تاريخ بغدادَ»[5] أخبَرنا القاضي أبو عبدِ الله الحسينُ بنُ عليّ بنِ محمّدٍ الصّيمريُّ قالَ أنبأنا عمرُ بنُ إبراهيمَ المقرِي

---

(١) القاضي عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. ج٢ ص٩٢-٩٣.

(٢) أبو الفضل العراقيّ وأكمله ابنه ولي الدين أبو زرعة العراقي. طرح التثريب. ج٣ ص١٠٣.

(٣) السمهودي. وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى. ج ٤ ص ١٨٢.

(٤) ابن عساكر. إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي ﷺ. باب في وفاته ﷺ. ج١ ص١٦٧.

(٥) الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. ج١ ص١٢٢-١٢٥.

قالَ أنبأنا مكرمُ بنُ أحمدَ قالَ أنبأنا عمرُ بنُ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ قالَ أنبأنا عليُّ ابنُ مَيمونٍ قالَ سمعتُ الشّافعيَّ يقولُ «إني لأتبرّكُ بأبي حنيفةَ وأجيءُ إلى قبرِهِ في كلّ يوم -يعني زائرًا- فإذا عرضَت لي حاجةٌ صلّيتُ ركعتينِ وجئتُ إلى قبرهِ وسألتُ الله تَعالى الحاجةَ عندهُ فَما تبعد عَني حَتى تُقضَى» اهـ.

- وقالَ الحافظُ إبراهيمُ الحربيُّ «قبرُ مَعروفٍ الكرخيّ الترياقُ المجرّبُ»[1] اه. والترياقُ دواءٌ مركّبٌ مِن أجزاءٍ وهوَ مَعروفٌ عندَ الأطباءِ القُدامى مِن كثرةِ مَنافعِهِ، فكأنَّ الحربيَّ قالَ أيّها الناسُ اقصدوا قبرَ مَعروفٍ تبرّكًا بهِ مِن كثرةِ مَنافعِهِ.

- قالَ عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ في «العِللِ ومعرفةِ الرّجالِ»[2] سَألتُ أبي عنِ الرّجلِ يمسّ منبرَ النبيّ ﷺ ويتبرّكُ بمسّهِ ويُقبّلهُ ويفعلُ بالقبرِ مِثلَ ذلكَ أو نحوَ هذا يريدُ بذلكَ التقرّبَ إلى اللهِ جلَّ وعزَّ فقالَ «لا بأسَ بذلكَ» اه.

- **تنبيه** ليسَ لمُحَرّمي السّفرِ لزيارةِ قبرِ النبيّ ﷺ متمسَّكٌ في حديثِ «**لا تُشدُّ الرّحالُ إلا إلى ثلاثةِ مَساجدَ المسجد الحرام والمسجد الأقصَى ومَسجِدِي هذا**»[3] لأنَّ هذا الحديثَ مخصوصٌ بالسّفرِ لأجلِ الصّلاةِ في المسجدِ، أي لا مزيةَ في المضاعفةِ إلى مائةِ ألفٍ وألفٍ وخمسمائةٍ في شدّ الرّحالِ بالسّفرِ لأجلِ الصّلاةِ في المسجدِ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ المسجدِ الحرامِ والمسجدِ الأقصَى ومسجدِي هذا كَما يُؤخذُ ذلكَ مما رواهُ الإمامُ أحمدُ في مُسندهِ[4] أن أبا سعيدٍ الخدريّ قالَ سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ «**لا يَنبغي للمَطِيّ أن تعملَ إلى مسجدٍ تبتغى فيهِ**

---

(١) الخطيب البغدادي. تاريخ بغداد. ج١ ص١٢٢-١٢٥.

(٢) أحمد بن حنبل. العلل ومعرفة الرجال. ج٢ ص٤٩٢. البهوتي. كشاف القناع عن متن الإقناع. ج٢ ص١٥٠.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. ج٢ ص٧٦.

(٤) أحمد. مسند أحمد. ج٣ ص٦٤.

الصّلاة غير المسجدِ الحرامِ والمسجدِ الأقصى ومسجدِي».

– فزيارةُ قبورِ الصّالحينَ للتبرّكِ وقبورِ غيرِهم للاعتبارِ جائزةٌ للرجالِ والنساءِ ولا حجّةَ لمانعي النساءِ مِن ذلكَ بحديثِ «**لعنَ الله زوّاراتِ القُبور**» فإنهُ مَنسوخٌ بحديثِ «**زُوروا القبورَ فإنها تذكّركم الآخرة**» رواهُ البيهقيُّ[1]. وبدليلِ حديثِ عائشةَ رضي الله عنها قالت «قلتُ كيفَ أقولُ لهم يا رسولَ اللهِ قال «**قولي السلامُ على أهلِ الديارِ من المؤمنينَ والمسلمين ويرحمُ الله المستقدمين منا والمستأخرينَ وإنا إن شاءَ اللهُ بكم لَلاحقون**» رواه مسلمٌ[2] وأحمدُ[3] وغيرُهما[4].

- وليس في حديثِ الرسولِ ﷺ[5] «**لا تجعلوا قبري وَثَـنًا يُعبدُ**» تحريمُ زيارةِ القبورِ لأنَّ من يزورُ قبرَ الرسولِ محمدٍ ﷺ من المسلمينَ لا يعبدُه.

- وكذلك حديثُ[6] «**لا تجعلوا قبري عيدًا**» ليسَ فيه تحريمُ الزيارةِ لأن معناه لا تجعلوا قبري كالعيدِ تزورونَه كل سنةٍ مرة.

- وكذلك ما ورد في الحديثِ[7] «**لعن اللهُ اليهودَ والنصارى اتخذوا قبورَ أنبيائِهم**

---

(١) البيهقي. سنن البيهقي الكبرى. ج٤ ص٧٧، مسلم. صحيح مسلم. باب استئذان النّبيّ ﷺ رَبَّه عزّ وجلّ في زيارةِ قبر أمّه. ج٣ ص٦٥.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الجنائز: باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. ج٣ ص٦٤.

(٣) أحمد. مسند أحمد. ج٦ ص٢٢١.

(٤) ابن حبان. صحيح ابن حبان. ج١٦ ص٤٦، البيهقي. السنن الكبرى. ج٧ ص٧٩.

(٥) مالك. الموطأ. ج١١ ص١٧٢.

(٦) أبو داود. سنن أبي داود. ج٢ ص١٦٩.

(٧) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الجنائز: باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر. ج٢ ص١٢٨.

مساجدَ» إذ إنهم صلّوا إليها على وجهِ العبادةِ بدليلِ الروايةِ الأخرى[1] عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال قالَ رسولُ الله ﷺ «**اللهم لا تجعلْ قبري وثنًا لعنَ الله قومًا جعلوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ**». والوثنُ هو الصنمُ سواءٌ كان من خشبٍ أم حجرٍ أم غيرِه كما قال الفيوميُّ في المصباح[2].

- ومثلُ ذلك يقالُ في حديثِ[3] «**لا تُطْرُوني كما أطْرَتِ النصارى عيسَى ابنَ مريم**» قال ابنُ الأثيرِ في كتابهِ «النهايةُ في غريبِ الأثرِ»[4] «الإطراءُ مجاوزةُ الحدّ في المدحِ والكذبُ فيه» اهـ. وقال ابنُ بطالٍ[5] في شرحِه على البخاريّ «أي لا تصفوني بما ليسَ لي من الصفاتِ تلتمسون بذلك مدحي كما وصفَت النصارى عيسى لما لم يكن فيه، فنسبوه إلى أنه ابنُ الله، فكفروا بذلك وضلوا. فأما وصفُه بما فضَّلَه اللهُ به وشرَّفه فحقٌّ واجبٌ على كلّ من بعثَه اللهُ إليه من خلقِه» اهـ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

---

(١) البيهقي. معرفة السنن والآثار. ج٥ ص٣٥٨، أحمد. مسند أحمد. ج٢ ص٢٤٦.

(٢) الفيومي. المصباح المنير. ص٢٨٤.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. ج٤ ص٢٠٤.

(٤) ابن الأثير. النهاية في غريب الأثر. ج٣ ص٢٧١.

(٥) ابن بطال. شرح صحيح البخاري. ج٩ ص٢٥٤.

المحاضرة الرابعة والثلاثون

التبرّكُ بآثارِ النبيّ ﷺ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- التبرّكُ هوَ طلبُ زيادةِ النفعِ معَ اعتقادِ أنَّ النافعَ على الحقيقةِ هوَ الله تَعالى.

- قالَ تَعالى حكايةً عَن يوسفَ ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾[1].

- اعلَم أنَّ الصّحابةَ رضوانُ الله عليهِم كانوا يتبرّكونَ بذاتِ النبيّ ﷺ المباركِ وبآثارهِ المباركةِ بشعرهِ وبقُلامةِ ظُفرهِ وبجبَّتِهِ وغيرِ ذلكَ في حياتهِ وبعدَ مماتهِ ولا يزالُ المسلمونَ بعدَهُم إلى يومِنا هذا على ذلكَ، وجوازُ هذا الأمرِ يُعرفُ مِن فعلِ النبيّ ﷺ وذلكَ أنهُ ﷺ قسمَ شعرهُ حينَ حلقَ في حجّةِ الوّداعِ وأظفارَه.

- أخرجَ البخاريُّ[2] ومسلمٌ[3] مِن حديثِ أنسٍ أنهُ قالَ لما رمَى رسولُ الله ﷺ الجمرةَ ونحرَ نُسكَهُ وحلقَ ناولَ الحالقَ شقّهُ الأيمنَ فحلقَ فأعطاهُ أبا طلحةَ الأنصاريَّ ثم ناولَ الحالقَ الشقَّ الأيسرَ فحلقَ فأعطاهُ أبا طلحةَ فقالَ

---

(١) سورة يوسف/ آية ٩٣.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الوضوء: باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان. ج١ ص٥٤.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الحج: باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق والابتداء في الحلق بالجانب الأيمن من رأس المحلوق. ج٤ ص٨٢.

«اقسِمهُ بينَ الناسِ». فقَد قسمَ ﷺ شعَرهُ ليتبرّكوا بهِ وليستشفِعوا إلى اللهِ بما هوَ منهُ ويتقرّبوا بذلكَ إليهِ، قسمَه بينَهُم ليكونَ بركةً باقيةً بينَهُم وتذكرةً لهم ثم تبعَ الصّحابةَ في خطّتهِم في التبرّكِ بآثارهِ ﷺ مَن أسعدهُ اللهُ وتواردَ ذلكَ الخلفُ عنِ السّلفِ.

- وخالدُ بنُ الوليدِ رضي اللهُ عنهُ كانَت لهُ قلنسوةٌ وضعَ في طيّها شعرًا مِن ناصيةِ رسولِ اللهِ ﷺ أي مُقدّم رأسهِ لـمَّا حلَقَ في عُمرةِ الجعرانةِ فكانَ يَلبسُها يتبرّكُ بها في غَزواتهِ، روَى الحافظُ ابنُ حجرٍ في «المطالبِ العاليةِ»[1] عَن خالدِ ابنِ الوليدِ أنهُ قالَ «اعتمَرنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ في عُمرةِ الجعرانةِ فحلقَ شعرَهُ فسبقتُ إلى الناصيةِ فجعلتُها في مقدّمةِ القَلنسوةِ فما وجهتُ في وجهٍ إلا فتحَ لي» اهـ. وقالَ الحافظُ الهيثميُّ في «مجمعِ الزوائدِ»[2] «رواهُ الطّبرانيُّ وأبو يَعلى بنحوهِ ورجالهما رجالُ الصّحيحِ» اهـ.

- وروَى ابن الجوزي في مناقب أحمد[3] بالإسناد المتصل إلى عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ حنبلٍ قالَ «رأيتُ أبي يأخذُ شعرةً مِن شعرِ النبيّ ﷺ فيضَعها عَلى فيهِ يُقبّلها وأحسبُ أني رأيتهُ يضَعُها على عينيهِ ويَغمسُها في الماءِ ويشربهُ يستشفِي بهِ، ورأيتهُ يشربُ مِن ماءِ زمزَم يَستشفي بهِ ويمسحُ بهِ يديهِ ووجهَهُ» اه.

- وأخرجَ الإمامُ أحمدُ في مُسندهِ[4] أنَّ النبيَّ ﷺ قلّم أظفارَهُ وقسمَها بينَ الناسِ، ومعلومٌ أنَّ ذلكَ لم يكُن ليأكلها الناسُ بل ليتبركوا بها. وقالَ الحافظُ الهيثميُّ في مجمَعِ الزوائدِ[5] «ورجالهُ رجالُ الصّحيحِ»اهـ.

---

(١) ابن حجر العسقلاني. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. ج٤ ص٩٠.

(٢) نور الدين الهيثمي. مجمع الزوائد. ج٩ ص٣٤٩. أبو يعلى. مسند أبي يعلى. ج١٣ ص١٣٩.

(٣) ابن الجوزي. مناقب أحمد بن حنبل. ص١٨٦-١٨٧.

(٤) أحمد. مسند أحمد. ج٤ ص٤٢.

(٥) نور الدين الهيثمي. مجمع الزوائد. ج٣ ص١٩.

- وأخرجَ مسلمٌ في الصّحيحِ[1] عَن عبدِ الله بنِ كَيسان مَولى أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ قالَ «أخرجَت إلينا جبةً، وقالَت هذهِ جبّةُ رسولِ الله ﷺ كانَت عندَ عائشةَ، فلمّا قُبضَت قَبضتُها وكانَ النبيُّ ﷺ يلبسُها فنحنُ نغسِلُها للمَرضَى نَستشفِي بها» اهـ.

- وعَن حنظلةَ بن حِذْيَم قالَ «وفدتُ معَ جدّي حذيم إلى رسولِ الله ﷺ، فقالَ يا رسولَ الله إنَّ لي بنين ذوي لِحًى وغيرَهم وهذا أصغرُهُم فأدناني رسولُ الله ﷺ ومسحَ رأسي، وقالَ باركَ الله فيكَ، قالَ الذيّالُ فلقَد رأيتُ حنظلة يُؤتى بالرجلِ الوارمِ وجهُهُ أو الشاةِ الوارمِ ضَرْعُها، فيقولُ بسمِ الله عَلى موضعِ كفّ رسولِ الله ﷺ فيمسحهُ فيذهبُ الورَم»، رواهُ الطبرانيُّ في الأوسطِ والكبيرِ[2]، ورواهُ أحمدُ في مُسندهِ[3] وقالَ الحافظُ الهيثميُّ في مجمَعِ الزوائدِ[4] «ورجالُ أحمدَ ثقاتٌ» اهـ.

- وعن التابعيّ ثابتٍ البُنانيّ رضي الله عنهُ قالَ «كنتُ إذا أتيتُ أنسًا آخذُ بيديهِ فأقبّلهما وأقولُ بأبي هاتانِ اليدانِ اللتانِ مسّتا رسولَ الله ﷺ وأقبّلُ عينيهِ وأقولُ بأبي هاتانِ العينانِ اللتانِ رأتا رسولَ الله ﷺ» اهـ. رواهُ أبو يَعلى في مُسندهِ[5] وقالَ الحافظُ الهيثميُّ في مجمَعِ الزوائدِ[6] «ورجالهُ رجالُ الصّحيحِ غيرُ عبدِ الله بنِ أبي بكرٍ المقدمي وهوَ ثقةٌ» اهـ.

---

(١) مسلم. صحيح مسلم. كتاب اللباس والزينة: باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء وخاتم الذهب والحرير على الرجال وإباحته للنساء. ج٦ ص١٣٩.

(٢) الطبراني. المعجم الكبير. ج٤ ص١٦.

(٣) أحمد. مسند أحمد. ج٥ ص٦٧-٦٨.

(٤) نور الدين الهيثمي. مجمع الزوائد. ج٩ ص٤٠٨.

(٥) أبو يعلى. مسند أبي يعلى. ج٦ ص٢١١.

(٦) نور الدين الهيثمي. مجمع الزوائد. ج٩ ص٣٢٥.

- وفي كتابِ سؤالاتِ عبدِ الله بنِ أحمدَ بنِ حنبلٍ لأحمد قالَ «سألتُ أبي عَن مسّ الرّجُلِ رمّانةَ المنبرِ يقصدُ التبرّكَ، وكذلك عَن مسّ القبرِ فقالَ لا بأسَ بذلكَ».

- وقال ابنُ تيميةَ في كتابهِ المسمى «اقتضاءِ الصّراطِ المستقيم» «فقَد رخّص أحمدُ وغيرهُ في التمسّحِ بالمنبرِ والرمانةِ التي هيَ مَوضع مَقعَدِ النبيّ ويدهِ» اهـ.

- وروَى ابنُ حبّانَ في صَحيحهِ[1] عَن نافعٍ قالَ «كانَ ابنُ عمرَ يتتبعُ آثارَ رسولِ الله ﷺ وكلّ منزلٍ نزلهُ رسولُ الله ينزل فيهِ، فنزلَ رسولُ الله تحتَ شجرةٍ فكانَ ابنُ عمرَ يجيءُ بالماءِ فيصبّهُ في أصلِ الشّجرةِ كي لا تيبس» اهـ.

• هذا الذي ذكرناهُ كلّهُ يدلُّ على جوازِ التبرّكِ بآثارِ النبيّ ﷺ وبقبرهِ كذلكَ فإذا كانَ وضعُ الوجهِ على القبرِ مِن أبي أيوب الأنصاريّ ومِن بلالٍ الحبشيّ رضي الله عنهما لم يُنكرهُ أحدٌ منَ الصّحابةِ فماذا يقولُ أتباعُ ابنِ تيميةَ الذينَ يعتبرونَ قصدَ القبرِ للتبرّكِ شركًا؟ هل يُكفّرونَ أبا أيوب الأنصاريّ وبلالًا الحبشيَّ أم ماذا يَفعلونَ؟ فيا لها مِن فَضيحةٍ فتكفيرُ الوهابيّةِ لمن يَقصدُ قبورَ الصّالحينَ للتبرّكِ مِن أهلِ هذا العَصرِ يَنعطفُ على مَن قبلَ هذا العَصرِ إلى الصّحابةِ فيكونونَ كفّروا الأمةَ المحمّديةَ فبهذا يُعلَمُ أنَّ ابنَ تيميةَ ومحمّدَ بنَ عبدِ الوهّابِ وأتباعَهُما شاذّونَ عنِ الأمةِ سَلفِها وخَلَفِها فلا التفاتَ بعدَ هذا إلى دعوَى مُنكرِي التوسّلِ والتبرّكِ بآثارهِ الشّريفةِ ﷺ.

• قال الشيخ غانم جلول اللبنانيّ حفظه الله (الرجز)

أبدؤُها بقولِ بسمِ اللهِ ... تنزَّهَ الرَّحمنُ عن أشباهِ

وأحمدُ الإلهَ ذا الجلالِ ... لفضلِهِ بالهديِ والنوالِ

---

(١) ابن حبان. صحيح ابن حبان. ج٩ ص١٠٤، الحميدي. مسند الحميدي. ج٢ ص٢٩٣.

ثم الصلاةُ والسلامُ منَّا ... على نبيّ للفلاحِ سَنّا
طريقةَ التبركِ الميمونه ... في ذاك أهلُ العلمِ يتبعونَهْ
فإن رأيتمْ منْ أتاكُم يدَّعي ... بأنه غيرَ الهدى لم يَتْبَعِ
وقد أحلَّ حرمةً ضلالا ... من جهلِه أو حرَّمَ الحلالا
قولوا له إذْ حرَّمَ التبركا ... بأثرِ النبيّ زادَ شَرُّكا
إنَّ اقتسامَ الشعرِ يا مُماري ... رواهُ مسلمٌ كذا البخاري
وقِسمةُ الأظفارِ أيضًا تُسنَدُ ... صحيحةً كما رواها أحمدُ
وجُبَّةُ النبيّ سَلْ أسماءَ ... أما رأَتْ في مائِها الشفاءَ
هاك دليلاً من أبي أيوبِ ... يَمَسُّ بالخدّ ثَرى المحبوبِ
أنعِمْ به ردًّا على من أنكرا ... جئتُ رسولَ اللهِ ليسَ الحجرا
فمسلمٌ أُولاهما رواها ... صحيحةَ الإسنادِ عن مولاها
وأحمدٌ روى الحديثَ الثاني ... ردَّ الصحابيّ على مروانِ
وخالدٌ للجيش في قَلنسوَهْ ... قال اطلبوا سببُ ذاك ما هُوَه
وما الذي حرَّك فيه القلقا ... وإذ أَتَوا بها رأَوْها خَلَقا
لأنَّ في الطيّاتِ شعراتِ النبيّ ... وذاك في اليرموكِ يروي البيهقيّ
ومسحُ أحمدٍ لرأسِ حنظلهْ ... بكفّه وداعيًا بالخيرِ لَهْ
مَنْ جاءَه والوجهُ منهُ وارمُ ... بمسحةٍ يعودُ وهو سالمُ
بركةُ النبيّ طابَ عَرْفُهُ ... موضعُ كفّهِ فكيفَ كفُّهُ
الطبرانيُّ روى وأحمدُ ... مطوَّلًا عنِ الثّقاتِ يُسندُ

وثـابـتٌ قـد كـرَّر التقبيلا يـدًا وعـينًا رأتِ الـرسـولا

وأنـسٌ عـن مثلِ ذاك ما زجَـرْ مُـجَـوّزًا روى أبـو يعلى الأثـرْ

يـا إخـوتي مـن فضلِه تـبرَّكـوا تمـسَّكـوا بهـديِـهِ لا تـتركـوا

أجـــازَهُ نـبيُّنـا المـعـظَّـمُ ففتّشوا عَـنْ ذَيْـلِ مَـنْ يحـرّمُ

فـإنـه أخـو الجـهـولِ في الغَبا ومثلَه يـأبـى الـكـريـمُ يصحبا

نـظـمـتُـهـا مـرشـدةً عـزيـزهْ أكـرِمْ بها في الخـيرِ مِـنْ أرجـوزهْ

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة الخامسة والثلاثون

عصمةُ الأنبياءِ عليهم الصلاة والسلام

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتِهِ الطّاهرين

ما يجبُ للأنبياءِ منَ الصّفاتِ

- إنَّ معرفةَ الأنبياءِ تكونُ بمعرفةِ ما يجبُ لهم منَ الصّفاتِ وما يَستحيلُ عليهِم وما يجوزُ في حقّهِم. فالأنبياءُ هُم صَفوةُ الخلقِ صلواتُ ربي وسلامهُ عليهِم أرسلَهم الله ليبلّغوا الناسَ مَصالحَ دينِهِم ودُنياهُم فهُم قدوةٌ للناسِ ولذلكَ فإنَّ الله جمَّلهُم بالصّفاتِ الحميدةِ والأخلاقِ الحسنةِ ونزَّههُم عنِ الصّفاتِ الذّميمةِ قالَ تَعالى بعدَ أن ذكَرَ عددًا منَ الأنبياءِ ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].
- يجبُ للأنبياءِ الصّدقُ فيستحيلُ عليهِم الكذبُ لأنَّ ذلكَ نقصٌ يُنافي مَنصبَ النبوّةِ ولأنَّ الكاذبَ لا يؤتمنُ على نقلِ خبرٍ فكيفَ بمن يبلّغ الناسَ رسالةَ ربهم ويرشدهم إلى ما فيهِ خَيرهُم وصلاحُهم.
- لا بدَّ مِن فَهم ما جاءَ في النصوصِ الشرعيّةِ بما يتعلّقُ بالأنبياءِ على وجههِ على ما بيّنهُ العلماءُ بما يتوافقُ معَ الأصولِ والحذرِ مما نُسبَ إلى بعضِ الأنبياءِ منَ القصصِ المكذوبةِ عليهِم لسوءِ فَهمِ بعضِ النصوصِ.

---

(١) سورة الأنعام/ آية ٨٦.

- قالَ القُرطبيُّ في تفسيرِه[1] «قالَ الضّحاكُ مَعنى قولِ إبراهيمَ عليهِ السّلامُ إني سَقيمٌ أي سأسقَمُ سَقمَ الموتِ لأنَّ مَن كُتبَ عليهِ الموتُ يَسقمُ في الغالبِ ثم يموتُ وهذهِ توريةٌ وتعريضٌ كما قالَ للمَلكِ لما سألهُ عَن زوجتهِ سارةَ إنها أختي يَعني أُخوَّة الدّينِ» اهـ.

- وقالَ أبو حيّانَ الأندلسـيّ في «النهرِ المادّ»[2] في قول إبراهيم ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾ «وأسندَ الفعلَ إلى كبيرهِم عَلى جهةِ المجازِ لما كانَ سببًا في كسرِ هذهِ الأَصنامِ هوَ تعظيمُهم وعبادتهم لهُ ولما دونهُ منَ الأصنام كانَ ذلكَ حاملًا على تحطيمِها وكسرِها فأسندَ الفعلَ إلى الكبيرِ إذ كانَ تعظيمُهم لهُ أكثرَ مِن تعظيمِ ما دونهُ» اهـ.

- وقالَ الرازيُّ[3] في عصمةِ الأنبياءِ «فإنْ قلتَ رويَ عَن رسولِ الله ﷺ أنهُ قالَ «ما كذبَ إبراهيمُ إلا ثلاثَ كذباتٍ قولُه إني سقيمٌ وقولُه بل فعلهُ كبيرهُم هذا وقولهُ لسارةَ إنها أختي» قلتُ هذا مِن أخبارِ الآحادِ فلا يُعارضُ الدليلَ القطعيَّ ثم إنْ صحَّ حُملَ على ما يكونُ ظاهرهُ الكذبُ» اهـ.

- وقال ابنُ حجرٍ في الفتح[4] «وأما إطلاقهُ الكذبَ على الأمورِ الثلاثةِ فلكونهِ قالَ قولًا يعتقدهُ السّامعُ كذبًا لكنهُ إذا حقّقَ لم يكُن كذبًا» اهـ.

- ويجبُ للأنبياءِ الأمانةُ ويستحيلُ عليهِم الخيانةُ فلا يأكلونَ أموالَ الناسِ بالباطلِ وإذا استنصحَهُم شَخصٌ نَصحُوهُ ولم يغشّوهُ.

---

(١) القرطبي. تفسير القرطبي. ج١٥ ص٩٣.

(٢) أبو حيان الأندلسي. النهر الماد. ج٢ ص٤٦٩.

(٣) الرازي. التفسير الكبير. ج٢٦ ص١٢٩.

(٤) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٦ ص٣٩١.

• تنبيهٌ قالَ الرازيُّ[1] في عِصمةِ الأنبياءِ «ما حكاهُ بعضُ المفسّرينَ عَن داودَ وهوَ أنهُ عشِقَ امرأةً أوريا فاحتالَ حتى قتلَ زوجَها فتزوّجَها لا يليقُ بالأنبياءِ بل لَو وُصفَ بهِ أفسقُ الملوكِ لكانَ منكرًا» اهـ وكذلك بالنعجةِ في قولِه تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِىَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾[2] ليسَ المرادُ المرأةَ كما ذُكرَ في بعضِ التفاسيرِ وإنما المرادُ بها النعجةُ الحقيقيةُ.

وقالَ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه[3] «قد ذكرَ المفسرون ههنا قصةً أكثرُها مأخوذٌ من الإسرائيليات ولم يثبتْ فيها عن المعصومِ - أي داودَ عليه السلامُ- حديثٌ يجبُ اتباعُه» اهـ.

وقال ابنُ العربي في «أحكامِ القرآنِ»[4] ما نصُّه «والذي أوقعَ الناسَ في ذلك روايةُ المفسرين وأهلِ التقصيرِ من المسلمينَ في قصصِ الأنبياءِ مصائبَ لا قدرَ عندَ اللهِ لمن اعتقدَها» اهـ.

وقال الإمامُ الرازيُ في تفسيرِه[5] «والذي أدينُ به وأذهبُ إليه أن ذلكَ باطلٌ» اهـ.

• ويجبُ للأنبياءِ الفَطانةُ أيْ قوةُ الفهمِ ليستطيعوا بذلكَ إقامةَ الحجّةِ على صحّةِ هذا الدّينِ، ويستحيلُ عليهمُ الغباوةُ أي ضعفُ الفهمِ فليس فيهِم مَن هوَ غبيٌّ عاجزٌ عَن إقامةِ الحجّةِ على مَن يُعارضهُ لأنَّ اللهَ أرسلَهُم ليبلّغوا الرّسالةَ ويُقيمُوا الحجّةَ على الكفّارِ المعاندينَ. ويستحيلُ عليهمُ البلادةُ فليسَ فيهِم مَن هوَ بليدُ الذّهنِ أي ضعيفُ الفَهمِ لا يفهمُ الكلامَ منَ المرّةِ الأولى إلا بعدَ أن

(١) الرازي. التفسير الكبير. ج٢٦ ص٣٧٧.

(٢) سورة ص/ آية ٢٣.

(٣) ابن كثير. تفسير ابن كثير. ج٧ ص٦٠.

(٤) أبو بكر بن العربي. أحكام القرآن. ج٧ ص١٦.

(٥) الرازي. التفسير الكبير. ج٢٦ ص٣٧٧.

يُكرّرَ عليهِ عدّةَ مراتٍ، ويستحيلُ عليهِمُ الجنونُ قليلُهُ وكثيرُهُ.

- ويجبُ للأنبياءِ العفّةُ، فيستحيلُ عليهِمُ الرّذالةُ وهيَ أخلاقُ الأسافلِ الدّونِ فليسَ في الأنبياءِ مَن هوَ رذيلٌ يختلسُ النّظرَ إلى النّساءِ الأجنبيّاتِ بشَهوةٍ مثلًا.
- ويَستحيلُ عليهِم السّفاهةُ وهيَ التصرّفُ بخلافِ الحكمةِ فليسَ فيهِم مَن هوَ سفيهٌ يقولُ ألفاظًا شنيعةً تستقبحُها النفسُ.
- **تنبيهٌ** الرّسولُ محمّدٌ صلى الله عليه وسلم ما كانَ ولوعَ القلبِ بالنّساءِ وإنما عدّدَ الزّوجاتِ لحِكَم عدّةٍ منها أن يجمعَ شَتات قبائلِ العربِ بالمصاهرةِ وينشرَ دعوتَهُ بطَريقِ النِّساءِ إلى النّساءِ. وأما قولُه عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ[1] «**حُبّبَ إليّ مِن دنياكُم الطيب والنساءُ وجُعِلَت قُرّةُ عيني في الصّلاة**» فمعناهُ جُعِلَ فِيه الميلُ الطبيعيّ مِن غيرِ تتبُّعٍ منه وتعلّق، فلا ينشغل بذلك عن طاعة الله تبارك وتعالى.
- ويجبُ للأنبياءِ الشّجاعةُ، فيَستحيلُ عليهِم الجبنُ. أما الخوفُ الطّبيعيُّ وذلكَ كالنّفورِ منَ الحيّةِ إذا فاجأتهُ فلا يَستحيلُ عليهِم، ولا يقالُ عن النبيّ هربَ على وجهٍ يُشعرُ بالجبنِ.
- ويجبُ للأنبياءِ تبليغُ الرّسالةِ، فيستحيلُ عليهِم كتمانُ شيءٍ مما أُمروا بتبليغهِ.
- وكذلكَ يستحيلُ على الأنبياءِ سبقُ اللسانِ في الشّرعيّاتِ والعاديّاتِ. وسبقُ اللسانِ أي أن يقولَ شيئًا ما أرادَ أَن يقولَهُ بالمرّةِ، فلو كانَ يجوزُ عليهِم سبقُ اللسانِ لارتفعتِ الثقةُ بما يقولونَ.
- ويستحيلُ عليهِم أيضًا كلُّ ما يُنفّر عَن قَبولِ الدّعوةِ منهُم كالأمراضِ المنفّرةِ وذلكَ كخُروجِ الدّودِ منَ الجسمِ.

- بعضُ الناسِ يَفترونَ على نبيّ الله أيوب فيقولونَ إنَّ الدودَ أكلَ جسمَهُ

---

(١) النسائي. سنن النسائي. ج٧ ص٦١.

فكانَ الدّودُ يتساقطُ ثم يأخذُ الدّودةَ ويُعيدُها إلى مكانهِ مِن جِسمهِ ويقولُ يا مخلوقة ربّي كُلي مِن رزقكِ الذي رزقك، فأيوبُ عليه السلامُ أصابَه بلاءٌ شديدٌ ليس ذلك لأنَه هينٌ على اللهِ إنما ابتلاءٌ من ربهِ ليعظمَ ثوابُه وأجرُه، قال رسولُ اللهِ ﷺ «**أشدُّ الناسِ بلاءً الأنبياءُ ثم الأمثلُ فالأمثلُ**» رواهُ الترمذيُّ[١]. وهكذا صارَ الناسُ إذا ذكروا بلاءَ سيدِنا أيوبَ عليه السلامُ وصبرَه على مرّ السنينَ مع كونِه أفضلَ أهلِ زمانِه عوَّدوا أنفسَهم على الصبرِ على الشدائدِ كما فعلَ سيدُنا أيوبُ عليه السلامُ لكنه لم يخرجْ منه الدودُ قط.

- ويَستحيلُ على الأنبياء البرصُ وهوَ بياضٌ مستبشَعٌ في الجلدِ.

- **تنبيهٌ** قالَ الشيخُ محمّد ميّارة في «الدرّ الثّمينِ»[٢] «يجبُ للأنبياءِ السّلامةُ مِن كلّ ما يُنفر كالفظاظةِ والعيوب المنفّرةِ كالبرصِ والجُذامِ والأُدْرةِ[٣] لأنهم على غايةِ الكَمالِ في خَلقهِم وخُلُقهِم» اهـ.

- **تنبيهٌ آخَر** مَن يقولُ إنَّ آدمَ عليهِ السّلامُ كانَ متوحّشًا قصيرَ القامةِ شبيهًا بالقردِ فليسَ بمسلمٍ لأنَّ في ذلكَ تكذيبًا للقُرآنِ لقولهِ تَعالى ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٤] أي في أحسن صورةٍ، ولقولِ رسولِ الله ﷺ «**ما بعثَ الله نبيًّا إلا حسنَ الوَجهِ حَسنَ الصّوتِ وإنّ نبيّكُم أحسنُهم وجهًا وأحسنُهم صوتًا**» رواهُ الترمذيُّ[٥]. وكذلكَ ليس بمسلمٍ مَن يقولُ إنَّ آدمَ كانَ يمشي في الأرضِ عُريانًا كالبهائمِ.

---

(١) الترمذي. سنن الترمذي. ج٤ ص٦٠١.

(٢) محمد ميارة. الدر الثمين والمورد المعين. ج١ ص ٢٦-٢٧.

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب: «الأُدْرَةُ بالضم نفخةٌ في الخُصْيةِ» اهـ. ج٤ ص١٥.

(٤) سورة التين/ آية ٤.

(٥) الترمذي. الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية. ص ٢٥٤ من حديث قتادة، ورواية أنس في فتح الباري. باب المعراج. ج٧ ص٢١٠.

- **تنبيهٌ آخَر** لا يجوزُ أن يُقالَ إنَّ اسمَ نبيّ الله لُوطٍ مُشتقٌّ مِن فِعلِ اللواطِ لأنَّ اللواطَ لفظٌ عربيٌّ وهوَ مَصدرُ لاطَ، وأما لُوطٌ فاسمٌ أعجميٌّ فكيفَ يدّعي مُدعٍ أنّهُ مشتقٌّ منَ اللواطِ وكذلكَ لا يجوزُ عكسهُ وهوَ القولُ بأنَّ فعلَ اللواطِ مشتقٌّ مِن اسمِ نبيّ الله لُوط، وأما قولُ الناسِ لمن يَفعلُ تلكَ الفِعلةَ لُوطيٌّ فإنما هو نسبة إلى قوم لوط وليس إلى اسم نبي الله لوط.

- **تنبيهٌ آخر** نبيُّ الله موسَى عليهِ السّلامُ الذي تأثَرَ لسانهُ بالجمرةِ التي تناوَلها ووضَعها في فمهِ حينَ كانَ طفلًا أمامَ فرعونَ لِحكمةٍ ما تركت تلكَ الجمرةُ في لسانهِ أن يَكونَ كلامُهُ غيرَ مُفهِمٍ للناسِ بل كانَ كلامهُ مُفهمًا واضحًا للناسِ فما كان يُبدّلُ حرفًا بحرفٍ ولا يحصل عند السامع له تضايق وانزعاج ونفور إنما كانَت عُقدةً خفيفةً أيْ حصل بطءٌ خفيف مِن أثرِ تلكَ الجمرةِ ثم دَعا الله تَعالى لما نزلَ عليهِ الوحيُ قالَ ﴿ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧ ﴾[1] فأذهبَها الله عنهُ.

تجبُ العصمةُ للأنبياءِ منَ الكفرِ والكبائرِ وصغائرِ الخسّةِ قبلَ النبوّةِ وبعدَها

- والأنبياءُ عليهِمُ السّلامُ مَعصومونَ أي محفوظونَ حفظًا تامًّا منَ الوقوعِ في الكفرِ فليسَ فيهِم مَن يعبدُ غيرَ الله طَرفةَ عينٍ لا قبلَ النبوّةِ ولا بعدَها.

- **تنبيهٌ** قولُ سيّدنا إبراهيمَ عليهِ السّلامُ عنِ الكوكبِ حينَ رآهُ ﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾[2] فهوَ على تقديرِ الاستفهامِ الإنكاريّ فكأنهُ قالَ أهذا ربي كما تزعمونَ ثم لما غابَ قالَ ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾[3].

قالَ الأسفراييني في التبصير[4] «بيّن إبراهيمُ بقولهِ لا أحبُّ الآفلين أنَّ مَن

(١) سورة طه/ آية ٢٧.

(٢) سورة الأنعام/ آية ٧٦.

(٣) سورة الأنعام/ آية ٧٦.

(٤) الأسفراييني. التبصير في الدين. ج١ ص١٦١.

حلَّ بهِ منَ المعاني ما يُغيّرهُ مِن حالٍ إلى حالٍ كانَ محدثًا لا يصحُّ أن يكونَ إلـهًا».

وقالَ القُرطبيُّ في تفسيرهِ[1] «قالَ المفسّرونَ في قولهِ تَعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ ﴾[2] أيْ هديناهُ صغيرًا» اهـ.

• والأنبياءُ عليهمُ السّلامُ مَعصومونَ أيْ محفوظونَ حفظًا تامًّا منَ الوقوعِ في المعاصِي الكبيرةِ فليسَ فيهِم مَن يَزني ولا مَن يَشربُ الخمرَ لا قبلَ النبوّةِ ولا بعدَها.

- تنبيهٌ قولهُ تَعالى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾[3] ليسَ مَعناهُ أنَّ يوسفَ عليهِ السّلامُ همَّ بالزّنا بامرأةِ العزيزِ وإنما مَعنى ﴿ وَهَمَّ بِهَا ﴾ أيْ همَّ بدفعِها لَولا أن رأَى بُرهانَ ربّهِ أيْ أنَّ الله أعلمَهُ البرهانَ وهوَ أنكَ يا يوسُف لو دَفعتَها لقالَت لزوجِها دَفعني ليُجبرَني على الفاحشةِ فلَم يَدفَعْها بل أدارَ لها ظهرَهُ ذاهبًا فشقَّت قميصَهُ مِن خلف فكانَ الدّليلُ عليهَا قالَ تَعالى في براءةِ يوسفَ ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[4].

وقَد بيّنَ الرازيُّ في تفسيرهِ[5] أنهُ لا يصحُّ تفسيرُ الآيةِ بأنهُ عليهِ السّلامُ همَّ بالزّنا فقالَ «إنَّ يوسفَ كانَ بريئًا منَ الهمّ المحرّمِ وهذا قولُ المحقّقينَ منَ المفسّرينَ والمتكلّمينَ وبهِ نقولُ وعنهُ نذب» اهـ.

وأما قول الله تعالى ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ ۚ

---

(١) القرطبي. تفسير القرطبي. ج١٦ ص٥٦.

(٢) سورة الأنبياء/ آية ٥١.

(٣) سورة يوسف/ آية ٢٤.

(٤) سورة يوسف/ آية ٥١.

(٥) الرازي. التفسير الكبير. ج١٨ ص٤٤٠.

﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١] فقد قال أبو حيان في تفسيره «الظاهرُ أنّ هذا من كلام امرأةِ العزيز وهو داخلٌ تحت قوله: ﴿ قَالَتِ ﴾. والمعنى: ذلك الإقرارُ والاعتراف بالحق، ليعلم يوسف أني لم أَخُنْه في غيبته والذب عنه، وأرميه بذنب هو منه بريء. ثم اعتذرت عما وقعتْ فيه مما يقع فيه البشر من الشهوات بقولها: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ ﴾ والنفوس مائلة إلى الشهوات أمَّارةٌ بالسوء»[٢].

- والأنبياءُ عليهِمُ السّلامُ مَعصومونَ أي محفوظونَ حفظًا تامًّا منَ التلبّسِ في المعاصِي الصّغيرةِ التي فيهَا خسّةٌ ودناءةٌ فليسَ فيهِم مَن يَسرقُ ولو حبّةَ عنبٍ لا قبلَ النبوّةِ ولا بعدَها. ويجوزُ عليهِم ما سوَى ذلكَ منَ المعاصي الصّغيرةِ التي ليسَ فيها خسّةٌ ولا دناءةٌ كما حصَلَ معَ سيّدنا آدمَ عليهِ السّلامُ لكنْ إن حصلَ منهُم شيءٌ مِن ذلكَ ينبّهونَ فورًا للتوبةِ قبلَ أن يقتديَ بهم في تلكَ المعصيةِ الصّغيرةِ غيرُهُم مِن أممِهم فيفعل مثلَ ما فَعلوا لأنهم قدوةٌ للناسِ.

- ويجوزُ في حقّهم الأكلُ والشّربُ والنومُ والمرضُ غيرُ المنفّرِ والإغماءُ منَ الألمِ والزّواجُ والموتُ.

- أما الحديثُ الذي فيه أنهم يأتونَ آدمَ فيقول نفسي نفسي ثم يأتون نوحًا فيقول نفسي نفسي الحديث[٣]، فليس معناه أنهم يخافونَ دخولَ النارِ. قال النوويُّ في شرحِه على صحيح مسلم[٤] «قال القاضي عياضٌ هذا يقولونه تواضعًا وإكبارًا لما يسألونَه، وقد تكونُ إشارةً من كل واحدٍ منهم إلى أن هذه الشفاعةَ وهذا المقامَ ليس له بل لغيره، وكلُّ واحدٍ منهم يدلُّ على الآخَرِ حتى انتهى الأمرُ

(١) سورة يوسف/ آية ٥٣.

(٢) أبو حيان. البحر المحيط. ج ٦ ص ٢٨٨.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب التفسير: باب قوله تعالى ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا ﴾. ج٦ ص١٠٦.

(٤) النووي. شرح النووي على مسلم. ج١ ص٣٣٨.

إلى صاحبِه، ويحتملُ أنهم علموا أن صاحبَها محمدٌ ﷺ معينًا وتكونُ إحالةُ كلّ واحدٍ منهم على الآخر على تدريجِ الشفاعةِ في ذلك إلى نبيّنا محمدٍ ﷺ اهـ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة السادسة والثلاثون

الإسلامُ دينُ جميعِ الأنبياءِ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

وبعدُ فإنَّ الدّينَ الحقَّ عندَ الله هوَ الإسلامُ، وقَد جاءَ كلُّ الأنبياءِ بدينٍ واحدٍ هوَ الإسلامُ قالَ تَعالى ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1] أيْ أنَّ الدّينَ الصّحيحَ الذي ارتضاهُ الله لعبادهِ البشرِ والجنّ والملائكةِ الإسلامُ لا غيرُ وما سواهُ منَ الأديانِ باطلٌ.

وقالَ تَعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2] أيْ أنَّ مَن يَطلبُ دينًا غيرَ الإسلامِ يَدينُ بهِ فلَن يَقبلَهُ الله منهُ.

وقالَ الله تَعالى مخبرًا عَن قولِ نبيّهِ نوح عليهِ السّلامُ لقومهِ ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

وقالَ تَعالى عَن سيّدنا إبراهيمَ عليهِ السّلامُ ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[4] ووصّى كلٌّ مِن إبراهيمَ

---

(١) سورة آل عمران/ آية ١٩.

(٢) سورة آل عمران/ آية ٨٥.

(٣) سورة يونس/ آية ٧٢.

(٤) سورة آل عمران/ آية ٦٧.

ويعقوبَ عليهما السّلامُ أبناءَهُ بالإسلام وقد أخبرَ الله عَن ذلكَ بقولهِ تَعالى ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[1].

وقالَ تَعالى إخبارًا عَن موسَى عليهِ السّلامُ ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾[2].

وقالَ تعالى عَن حواريّي عيسَى عليهِ السّلامُ ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[3] إلى غيرِ ذلكَ منَ الآياتِ.

فكلُّ الأنبياءِ مُسلمونَ فمَن كانَ متَّبعًا لموسَى ﷺ فهوَ مُسلمٌ موسويٌّ، ومَن كانَ متَّبعًا لعيسَى ﷺ فهوَ مُسلمٌ عِيسويٌّ، ويَصحُّ أن يُقالَ لمنِ اتَّبعَ محمّدًا ﷺ مُسلمٌ محمّديٌّ. والإسلامُ هوَ الدّينُ الذي رَضيَهُ الله لعبادهِ وأمرَنا باتّباعِهِ فقديماً كانَ البشرُ جميعُهم على دينٍ واحدٍ هوَ الإسلامُ إنّما حدثَ الشّركُ والكفرُ بالله تعالى بعدَ النبيّ إدريس عليه السلام فكانَ نوحٌ عليه السلام أوّلَ نبيّ أُرسِلَ إلى الكفّارِ يَدعو إلى عبادةِ الله الواحدِ الذي لا شريكَ لهُ، وقَد حذَّرَ الله جميعَ الرُّسُل مِن بَعدهِ منَ الشّركِ أي حذّرَ أممُهم لأنَّ الأنبياءَ مَعصومونَ منَ الشّركِ.

فقامَ سيّدُنا محمّدٌ ﷺ بتجديدِ الدّعوةِ إلى الإسلامِ بعدَ أنِ انقطعَ فيما بينَ الناسِ في الأرضِ مؤيَّدًا بالمعجزاتِ الدَّالَّةِ على نبوّتِهِ. فدَخلَ البَعضُ في الإسلامِ وجَحَدَ بنبوتهِ أهلُ الضّلالِ الذينَ منهُم مَن كانَ مُشركًا قَبلًا كفرقةٍ من اليهودِ عَبَدَت عُزيرًا فازدادُوا كفرًا إلى كفرهِم وآمنَ بهِ بعضُ أهلِ الكتابِ اليهودِ والنّصارى كعبدِ الله بنِ سَلامٍ عالـمِ اليهودِ بالمدينةِ، وأصحَمَةَ النّجاشيّ مَلكِ الحبشةِ وكانَ

(١) سورة البقرة/ آية ١٣٢.

(٢) سورة يونس/ آية ٨٤.

(٣) سورة آل عمران/ آية ٥٢.

نَصرانيًّا ثم اتَّبعَ الرّسولَ ﷺ اتباعًا كاملًا وماتَ في حياةِ رسولِ الله ﷺ وصلَّى عليهِ الرّسولُ صلاةَ الغائبِ يومَ ماتَ، أوحَى الله إليهِ بموتِهِ. وأخبرَت السيدة عائشةُ رضي الله عنهَا أنهُ كانَ يُرى على قَبرِهِ في الليالي نورٌ[1] وهذا دليلٌ أنه صارَ مُسلمًا كاملًا وليًّا مِن أولياءِ الله رضي الله عنهُ.

وقالَ الله تبارك وتَعالى ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾[2] أيْ أنَّ الناسَ كانوا كلُّهم على دينٍ واحدٍ وهوَ الإسلامُ ثم اختلفوا فبقيَ بعضُهم على الإسلامِ وكفرَ بعضٌ فدانَ بغيرِ الإسلامِ، ثم لما اختلفوا بعثَ الله النبيينَ ليبشّروا مَن أسلمَ بالجنةِ ويُنذِروا مَن كفرَ بالعذابِ في الآخرةِ.

قالَ النسفيُّ[3] في تفسيرِ هذهِ الآيةِ ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ «أيْ متّفقين على دينِ الإسلامِ مِن آدمَ إلى نوحٍ عليهما السّلامُ» اهـ.

وقالَ ابنُ عبّاسٍ[4] رضي الله عنهُما «أيْ كلُّهُم على دينٍ واحدٍ فاختلفوا ﴿ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾» اهـ.

وقالَ رسولُ الله ﷺ «**الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلَّاتٍ دينُهُم واحدٌ وأمّهاتهم شتّى**» اه رواهُ البخاريُّ[5] وأحمدُ[6] وغيرهما، والمعنى أنَّ الأنبياءَ كلَّهُم على دينٍ واحدٍ هوَ دينُ الإسلامِ فكلّهم دَعَوْا إلى عبادةِ الله وحدَهُ وعدمِ الإشراكِ بهِ شيئًا والتّصديقِ بأنبيائهِ قالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ «**أفضلُ ما قلتُ أنا والنبيّونَ مِن قَبْلي لا إلـٰهَ إلا**

---

(١) أبو داود. سنن أبي داود. ج٢ ص٣٢٢.

(٢) سورة البقرة/ آية ٢١٣.

(٣) النسفي. تفسير النسفي. ج١ ص١٠٦.

(٤) السيوطي. تفسير السيوطي. ج٢ ص٤٩٦.

(٥) البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق: باب ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴾. ج ٤ ص٢٠٣.

(٦) أحمد. مسند أحمد. ج٢ ص٣٢١.

الله». رواهُ مالكٌ في الموطأِ[1] والترمذيُّ في سُننهِ[2].

والإخوةُ في اللغةِ إخوةٌ أشقّاء[3] أو إخوةٌ أخيافٌ[4] أو إخوةٌ لِعلاتٍ ومَعنى إخوةٌ لِعلاتٍ الذينَ أبوهُم واحدٌ لكنْ أمّهاتهم مختلفةٌ، وهذا التشبيهُ الذي ذكرهُ الرّسولُ ﷺ معناهُ أنَّ كلَّ الأنبياءِ كالإخوةِ الذينَ أبوهُم واحدٌ وذلكَ لأنَّ دينَهُم واحدٌ وهوَ الإسلامُ وإنما الفرقُ بينَهُم في الشّريعةِ التي هيَ الفروعُ العَمَليةُ كالزكاةِ والصّلاةِ ونحوِ ذلكَ، ففي شريعةِ آدمَ كانَ يجوزُ للأخِ أن يتزوّجَ أختَهُ منَ البَطنِ الآخرِ وكانَ الزّنى في شريعتهِ إذا نكحَ الأخُ أختَهُ التي هيَ مِن نَفسِ البَطنِ ثم نسخَ الله تَعالى هذا الحكمَ بعدَ مَوتِ آدمَ وحرّمَ زواجَ الأخِ بأخته إن كانَت تَوأمةً لهُ أو لم تكُن. وكانَ في شريعةِ آدمَ فرضيةُ صلاةٍ واحدةٍ ثم في شريعةِ أنبياءِ بني إسرائيلَ فرضيةُ صَلاتينِ ثم في شريعةِ سيّدنا محمّدٍ التي هيَ أحسنُ الشّرائعِ وأيسَرها فرضيةُ خمسِ صلواتٍ في اليومِ والليلةِ[5].

وكانَ جائزًا في شرعِ سيّدنا يعقوب عليهِ السّلامُ أن يجمعَ الرّجلُ في الزواجِ بينَ المرأةِ وأختِها وهوَ محرّمٌ في شرعِ محمّدٍ ﷺ، وكانَ جائزًا في الشّرائع القديمةِ أن يَسجدَ المسلمُ للمُسلمِ للتحيّةِ وهوَ محرّمٌ في شَرعِنا، فقَد صحَّ أنَّ معاذَ بنَ جبلٍ لما قدِمَ منَ الشّامِ سجدَ لرسولِ الله ﷺ فقالَ لهُ الرّسولُ **«ما هذا؟»** قالَ يا رسولَ الله رأيتُ أهلَ الشام يَسجدونَ لبطارقتِهم وأساقفتِهم وأنتَ أولى بذلكَ قالَ **«لا تفعَل، لو كنتُ آمُرُ أَحدًا أن يسجُدَ لأحدٍ لأمرتُ المرأةَ أن تسجُدَ لزوجِها»** اهـ رواهُ

---

(١) مالك. الموطأ. ج١ ص٢١٤.

(٢) الترمذي. سنن الترمذي. ج٥ ص٥٧٢.

(٣) الإخوة لأبوين.

(٤) أمهم واحدة وآباؤهم شتى.

(٥) أبو داود. سنن أبي داود. ج١ ص١٥٠، مالك. الموطأ. ج١ ص١٢٣، ضياء المقدسي. الأحاديث المختارة. ج٣ ص٦٥.

ابنُ حبّانَ[١] وابنُ ماجَه[٢] وغيرهما.

وهذا التغيّرُ في الشّريعةِ على حسبِ ما تقتضيهِ الحكمةُ والله تعالى يغيّرُ الأحكامَ التي كانَت في شرعِ نبيّ سبَق وهوَ العَليمُ بمصالحِ عبادِهِ، والمصالحُ تختلفُ باختلافِ الأزمانِ والأحوالِ.

وهنا قصةٌ غريبةٌ[٣] فيها دِلالةٌ على أنَّ سيّدَنا عيسَى عليهِ السّلامُ أوصى باتّباع سيدنا محمّدٍ ﷺ إذا ظهَر وهيَ أنهُ خَرجَ مِنَ اليَمَنِ أربعةُ أشخاصٍ قاصِدينَ مَكة فأدركَهُمُ الليلُ في البَرّيّةِ فنَزَلُوا في بعضِ الليلِ في أرضٍ فنَامُوا إلا شخصًا واحدًا منهم يُسَمَّى الجَعْدَ بنَ قَيْسٍ المُرَادِيّ، فسَمِعَ هاتفًا لا يُرَى شَخْصُه يقولُ:

ألا أيّها الرّكبُ المُعَرّسُ[٤] بَلّغوا ... إذا ما وقفتُم بالحطيمِ[٥] وزمزما

محـمّـدًا المـبـعـوثَ مـنّـا تحـيّـةً ... تُشَيّعُهُ[٦] مِن حيثُ سارَ ويَمَّما[٧]

وقولوا له إنّـا لدِينِكَ شِيعَةٌ[٨] ... بذلكَ أوصَانا المسيحُ ابنُ مريما

فهذا الهاتفُ جنيٌّ مؤمنٌ أدركَ عيسَى عليه السلام قبلَ رفعهِ إلى السّماءِ وآمنَ بهِ وسمعَ كلامَهُ حينَ أوصَى أمّتَهُ باتباعِ سيّدنا محمّدٍ ﷺ إذا ظهرَ، فلمّا وَصلوا إلى

---

(١) ابن حبان. صحيح ابن حبان. ذكر تعظيم الله جل وعلا حق الزوج على الزوجة. ج٩ ص٤٧٠.

(٢) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب النكاح: باب في حق الزوج على المرأة. ج٣ ص٥٣.

(٣) رواها أبو سعد النيسابوري في كتابه شرف المصطفى. وذكرها الحافظ ابن حجر في الإصابة في تمييز الصحابة. ج١ ص٤٨٢.

(٤) المسافر الذي ينزل آخر الليل ليستريح.

(٥) قال الجوهري في الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: «الجُدُر يعني جدار حجر الكعبة»اهـ. ج٥ ص١٩٠١.

(٦) تتابعه.

(٧) قصد.

(٨) أنصار وأتباع.

مكّةَ سألَ أهلَ مكّةَ عَن سيّدنا محمّدٍ ﷺ فاجتمعَ بهِ وآمنَ بهِ وأسلمَ وذلكَ كانَ في أوّلِ بعثةِ محمّدٍ ﷺ قبلَ أن يَنتشرَ خبرُهُ في الجزيرةِ العربيةِ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة السابعة والثلاثون

معرفةُ رسولِ اللّٰه محمّد ﷺ والإيمانُ بما أخبرَ بهِ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- معرفةُ رسولِ الله ﷺ تكونُ:

- بمعرفةِ أنَّ محمّدَ بنَ عبدِ الله بنِ عبدِ المطّلبِ بنِ هاشم بنِ عبدِ منافٍ القرشيَّ هوَ عبدُ الله ورسولُهُ إلى كلّ العالمينَ مِن إنسٍ وجنّ أَرسلَهُ الله ليدعُوَ الناسَ إلى توحيدِ الله وعبادتهِ، وإلى تركِ عبادةِ الأَصنامِ التي لا تخلق ضرًّا ولا نفعًا، وليُخرِجَهُم مِن ظُلماتِ الكُفرِ إلى نورِ الإيمانِ. ولقَد أمرَهُم رسولُ الله ﷺ بأنْ يَشهدوا أنْ لا إلـٰهَ إلا الله وأنَّ محمّدًا رسولُ الله ﷺ وأن يُؤدّوا الواجباتِ ويجتنبوا المحرّماتِ، وأخبرهُم أنَّ مَن ماتَ عَلى الإيمانِ يَدخلُ الجنّةَ خَالدًا فيها أبدًا وأنَّ مَن ماتَ على الكُفرِ يَدخلُ النارَ خالدًا فيهَا أبدًا.

- ومعرفةِ أنهُ ﷺ وُلدَ بمكةَ، وأنَّ أمّهُ هيَ آمنةُ بنتُ وَهْبٍ، وبُعثَ بمكةَ أي نزلَ عليهِ الوحيُ بالنبوّةِ وهوَ مُستوطنٌ فيهَا وكانَ حينئذٍ في غارِ حِراء، وهاجرَ أيْ فارقَ مكةَ إلى المدينةِ بأمرِ الله تَعالى لا جُبنًا لاستحالةِ ذلكَ على الأنبياءِ، وماتَ فيها ودفنَ فيها في حُجرةِ السيّدةِ عائشةَ رضي الله تَعالى عنهَا.

- ومعرفةِ أنهُ ﷺ خاتمُ النبيينَ فلا نبيَّ بعدَهُ ولا ناسخَ لشريعتهِ، وأنهُ أفضلُ خلقِ الله وأعلاهُم رُتبةً ومَنْزِلةً عندَ الله بدليلِ قولهِ تَعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

﴿أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾[1]. وكذلكَ ما جاءَ في الحديثِ «**أنا سيّدُ وَلدِ آدمَ يومَ القيامةِ ولا فَخر**» أخرجهُ أحمدُ[2].

بيانُ أنَّ مجرّدَ المعرفةِ مِن غيرِ اعتقادٍ وتصديقٍ لا يَكفي لصحّةِ الإيمانِ

- مَن عرفَ رسولَ الله ﷺ واعتقدَ ذلكَ وصدّقهُ بما أخبرَ بهِ عنِ الله فهوَ مؤمنٌ برسولِ الله ﷺ، وأما المعرفةُ وحدَها مِن غيرِ اعتقادٍ فلا تكفِي لأنَّ الله أخبرَ عنِ اليهودِ أنهم كانوا يَعرفونَ محمّدًا أنهُ رسولُ الله قالَ تَعالى **﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡ﴾**[3] لكنْ لم تُذعِن نفوسُهم فلذلكَ ليسُوا مُؤمنين.
- قالَ الله تَعالى **﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾**[4]. أمرَنا الله تباركَ وتَعالى في هذهِ الآيةِ باتّباعِ الرّسولِ في ما أمَرنا بهِ واجتنابِ ما نهانا عنهُ لأنهُ صادقٌ في ما يبلّغهُ عنِ الله.
- ويجبُ الإيمانُ بأنَّ الرّسولَ ﷺ صادقٌ في جميعِ ما أخبرَ بهِ وبلّغهُ عنِ الله ولا يُخطئ في ذلكَ أبدًا سواءٌ كانَ ذلكَ مِن أخبارِ مَن قَبلَنا منَ الأُمم وبدءِ الخلقِ أم منَ التحليلِ والتحريمِ أم مما أخبرَ بهِ مما يحدثُ في المستقبلِ في الدّنيا والقبرِ والآخرةِ، أما ما أخبرَ بهِ مِن أمورِ الدّنيا بغيرِ وحيٍ فكانَ يجوزُ عليهِ الخطأُ فيهِ.
- ومما يجبُ الإيمانُ والتصديقُ بهِ جَزمًا مما أخبرَ بهِ الرّسولُ ﷺ عَودُ الرّوحِ إلى الجسدِ في القبرِ فتعودُ لهُ الحياة كما كانَ في الدّنيا، فعَن عبدِ الله بنِ عمرو أنَّ رسولَ الله ﷺ ذكرَ فَتَّانَي القبرِ فقالَ عمرُ بنُ الخطّابِ رضي الله عنهُ أَتُردُّ عَلينا

---

(١) سورة آل عمران/ آية ١١٠.

(٢) أحمد. مسند أحمد. ج١ ص٢٥٩، الترمذي. سنن الترمذي. ج٥ ص٣٠٨.

(٣) سورة البقرة/ آية ١٤٦.

(٤) سورة الحشر/ آية ٧.

عقُولنا يا رسولَ الله، قالَ «**نعَم كهيئتِكُم اليوم**» رواهُ أحمدُ[1].

- ويجبُ الإيمانُ بعذابِ القبرِ بالرّوحِ والجسدِ للكافرينَ المكلّفينَ جميعِهم فيأمرُ الله حشراتِ الأرضِ المؤذية أن تأكُلَ أجسادَهُم، ويأمرُ الأرضَ فتَنطبِقُ عليهِم حتى تختلِفَ أضلاعُهم فالأضلاعُ التي في إحدَى الجهتينِ تدخلُ في الأضلاعِ التي في الجهةِ الأخرَى، ويُعرضُ عليهِم مقعدُهم في النارِ كلَّ يومٍ مرتينِ مرةً أوّلَ النهارِ ومرةً آخرَ النهارِ يتعذّبونَ بنظَرِهم ورُؤيتِهم لمقعَدِهم الذي يَقعدونهُ في الآخرةِ، ويَنْزَعجونَ مِن ظُلمةِ القبرِ ووَحشتِهِ، وتأتي ريحُ جهنمَ إلى قبورِهم إلى غيرِ ذلكَ مِن أنواعِ النّكدِ والعذابِ، أما عصاةُ المسلمينَ أهلُ الكبائرِ الذينَ ماتوا مِن غيرِ توبةٍ فمنهُم مَن يُعفيهِم الله مِن عذابِ القبرِ ومنهُم مَن يُعذّبهم ثم يَنقطعُ عنهُم ويؤخّرُ لهم بقيةَ عَذابهم إلى الآخرةِ.

- **تنبيهٌ** ضغطةُ القبرِ تحصلُ كذلكَ لبعضِ عصاةِ المسلمينَ أما الأتقياءُ والشّهداءُ والأطفالُ فلا تحصلُ لهم ولم يَصِحَّ حديثُ «لو نجا منهَا أحدٌ لنجَا سعدٌ» كما حكمَ بضَعفهِ الحافظُ ابنُ الجوزيّ[2]، فسعدُ بنُ معاذٍ كانَ مِن أكابرِ الأولياءِ والله يقولُ ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[3]، والرّسولُ ﷺ يقولُ «**الدّنيا سجنُ المؤمنِ وسَنَتُهُ فإذا فارقَ الدّنيا فارقَ السّجنَ والسّنةَ**» أي دارَ الجوعِ والبلاءِ رواهُ أحمد[4].

- ويجبُ الإيمانُ بنعيمِ القبرِ بالرّوحِ والجسدِ للمؤمنينَ ومِن هذا النعيمِ تَوسيعُ

---

(١) أحمد. مسند أحمد. ج٢ ص١٧٢.

(٢) أورده ابن الجوزي في الموضوعات ج ٣ ص ٢٣٣. ولفظه «ما من أحد من الناس إلا وله ضغطة في قبره، ولو كان منفلتا منها أحد لا نفلت سعد بن معاذ، ثم قال: والذي نفسي بيده لقد سمعت أنينه، ورأيت اختلاف أضلاعه في قبره» هذا حديث لا يصح اهـ.

(٣) سورة يونس/ آية ٦٢.

(٤) أحمد. مسند أحمد. ج٢ ص١٩٧.

القبرِ سبعينَ ذراعًا في سبعينَ ذراعًا وتنويرهُ بنورٍ يُشبهُ نورَ القَمرِ ليلةَ البدرِ وغيرِ ذلكَ منَ النعيمِ كشمّ رائحةِ الجنةِ.

- ويجبُ الإيمانُ بسؤالِ الملكينِ الأَسودَينِ الأَزرقينِ منكرٍ ونكيرٍ للميّتِ بعدَ دفنهِ يسألانهِ أسئلةً منها ما كنتَ تَقولُ في هذا الرّجلِ محمّدٍ فإنْ كانَ مُؤمنًا يقولُ أشهدُ أنهُ عبدُ الله ورسولهُ، وإنْ كانَ كافرًا لا ينطقُ بها فيضربانهِ بمِطرَقةٍ بينَ أُذنيهِ لو ضُربَت بها الجبالُ لذابَت ويُستثنى مِن هذا السّؤالِ النبيُّ والطّفلُ وشَهيدُ المعركةِ، ثم إذا بليَ الجسدُ كلّهُ ولم يَبقَ منهُ إلا عَجبُ الذّنَبِ تكونُ أرواحُ المؤمنينَ الأتقياءِ في الجنةِ وتكونُ أرواحُ عُصاةِ المسلمينَ أهلِ الكبائرِ بينَ السّماءِ والأرضِ وبعضُهم في السّماءِ الأُولى وتكونُ أرواحُ الكافرينَ في سِجّين وهوَ مكانٌ في الأرضِ السّابعةِ.
- ويجبُ الإيمانُ بالبعثِ وهوَ انشقاقُ القُبورِ وخروجُ الناسِ منها بعدَ إحيائِهم أيْ بعدَ إعادةِ الأجسادِ التي أكلَها الترابُ وإعادةِ الأرواحِ إليها لكنْ بعضُ الأجسادِ لا يأكلُها الترابُ وهيَ أجسادُ الأنبياءِ وشهداءِ المعركةِ وبعضِ الأولياءِ.
- ومما أخبرَ بِهِ النبيُّ ﷺ ويجبُ الإيمانُ بِهِ الحشرُ وهوَ جمعُ الناسِ بعدَ البعثِ للسّؤالِ عَن أعمالِهم التي عَمِلوها في الدّنيا ويكونُ على الأرضِ المبدّلةِ وهيَ أرضٌ مستويةٌ كالجلدِ المشدودِ لا جبالَ فيها ولا وِديانَ أكبرُ وأوسعُ مِن أرضِنا هذهِ بَيضاءُ كالفضّةِ يُعيدُ الله البشرَ إليها ويَقضِي بينَهُم، ويكونُ الحشرُ على ثلاثةِ أحوالٍ قسمٌ يُحشرونَ طاعِمونَ كاسُونَ راكبونَ على نُوقٍ رحائِلُها مِن ذهبٍ وهمُ الأتقياءُ الذينَ أدّوا كلَّ الواجباتِ واجتنبوا كلَّ المحرّماتِ وقسمٌ يحشرونَ حُفاةً عُراةً وهمُ المسلمونَ مِن أهلِ الكبائرِ وقسمٌ يُحشرونَ ويُجرّونَ على وجوهِهم وهُم الكفّارُ. قال الحاكمُ في المستدرك[1] «عن حذيفةَ بنِ أسيدٍ

(١) الحاكم. المستدرك. ج٢ ص٣٩٨.

أبي سريحةَ الغفاري قال سمعتُ أبا ذرٍ الغفاريَّ رضي اللهُ عنه وتلا هذه الآيةَ ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ﴾[1] فقالَ أبو ذرّ حدثني الصادقُ المصدوقُ ﷺ «**إن الناسَ يحشرون يومَ القيامة على ثلاثةِ أفواجٍ طاعمين كاسين راكبينَ وفوجٌ يمشون ويسعون وفوجٌ تسحبُهمُ الملائكةُ على وجوهِهم**» قلنا قد عرفنا هذين فما تلكَ الذين يمشون ويسعون؟ قال «**يُلْقِي اللهُ الآفةَ على الظهرِ حتى لا تبقى ذاتُ ظهرٍ، حتى إنَّ الرجلَ ليُعطي الحديقةَ المعجِبةَ بالشاردةِ ذاتِ القَتَبِ**» هذا حديثٌ صحيحُ الإسنادِ ولم يخرجاه» اهـ.

- ويجبُ الإيمانُ بالقيامةِ وأوّلها مِن خروجِ الناسِ مِن قُبورِهم إلى استقرارِ أهلِ الجنةِ في الجنةِ وأهلِ النارِ في النارِ، وقَد تُطلَقُ الآخرةُ على ذلكَ وعلى ما بعدَهُ إلى ما لا نهايةَ لهُ.

- ويجبُ الإيمانُ بالحسابِ وهوَ عَرضُ أعمالِ العبادِ عليهِم وتوقيفُهم علَيها بعدَ أخذِهم كتبَهُم فالمؤمنُ يأخذُ كتابَهُ بيَمينِهِ وأما الكافرُ فيأخذُ كتابَهُ بشِمالِهِ مِن وراءِ ظَهرِهِ.

- ويجبُ الإيمانُ بالثوابِ وهوَ الجزاءُ الذي يُجازاهُ المؤمنُ في الآخرةِ على أعمالِهِ الصّالحةِ مما يسرّهُ وهوَ فضلٌ منَ اللهِ.

- ويجبُ الإيمانُ بالعذابِ وهوَ الجزاءُ الذي يجازاهُ العبدُ في الآخرةِ على أعمالِهِ السيّئةِ مما يَسوؤهُ مِن دخولِ جهنّمَ وما دونَ ذلكَ منَ العقوباتِ وهوَ عدلٌ منَ اللهِ.

- ويجبُ الإيمانُ بالميزانِ الذي تُوزنُ بِهِ الأعمالُ يومَ القيامةِ وهوَ كميزانِ الدّنيا لهُ قصَبةٌ وعَمودٌ وكفّتانِ كفّةٌ للحسناتِ وكفّةٌ للسيّئاتِ، فمَن رجَحَت حَسناتُهُ على سيّئاتِهِ فهوَ مِن أهلِ النّجاةِ، وكذلك مَن تساوَت حَسناتهُ وسيّئاتهُ فهوَ مِن

(١) سورة الإسراء/ آية ٩٧.

أهلِ النّجاةِ لكنْ يُؤخّرُ مدّةً عَن دخولِ الجنةِ ثم يدخلُها، ومَن رجحَت سيّئاتهُ على حَسناتهِ فهوَ تحتَ مَشيئةِ الله إن شاءَ عذّبهُ في النارِ مدّةً ثم أدخلَهُ الجنةَ وإنْ شاءَ أدخلَهُ الجنةَ مِن غَيرِ عَذابٍ، وأما الكافرُ فترجحُ كفّةُ سيّئاتهِ لا غيرِ لأنهُ لا حسنات لهُ في الآخرةِ بل يُطعمُ بحسناتهِ في الدّنيا كتوسيع رزق ودفع مصيبة ونصر على عدو وغير ذلك.

- ويجبُ الإيمانُ بالنارِ أيْ جهنّمَ وهيَ دارٌ سوداءُ مُظلِمةٌ تحتَ الأرضِ السّابعةِ أعدّها الله لتعذيبِ الكافرينَ وبعضِ عُصاةِ المسلمينَ أهلِ الكبائرِ، وحرُّها أشدُّ بكثيرٍ مِن حَرّ الدّنيا وبردُها أشدُّ بكثيرٍ مِن بَردِ الدّنيا، وهيَ مخلوقةٌ الآنَ ولا تزالُ باقيةً إلى ما لا نهايةَ لهُ.
- ويجبُ الإيمانُ بأنَّ أهلَ النارِ يخلدونَ في النارِ بلا مَوتٍ فيبقَونَ فيها في حياةٍ عذابٍ لا يُخفّفُ إلى ما لا نهايةَ لهُ، أما بعضُ عُصاةِ المسلمينَ أهلِ الكبائرِ فيُعذّبونَ في النارِ مدّةً ثم يخرجونَ منهَا ويَدخلونَ الجنةَ خالدينَ فيها أبدًا.
- ويجبُ الإيمانُ بالصّراطِ وهوَ جسرٌ عَريضٌ يمدُّ فوقَ جهنّمَ أحدُ طَرفيهِ في الأرضِ المبدّلةِ والطّرفُ الثاني فيما يَلي الجنةَ فيأتي الناسُ للمُرورِ عليهِ فالكفارُ لا يجتازونَهُ، أما المؤمنونَ فمنهُم مَن يَقعُ في جهنّمَ ومنهُم مَن يَنجُو فيَخلصونَ منهَا، ومنهُم مَن لا يَدوسونهُ بالمرّةِ إنما يمرّونَ في هَوائهِ طائرينَ وهؤلاءِ يَصدقُ عليهِم أنهم ورَدُوها لأنهُ ليسَ مِن شَرطِ الوُرودِ المذكورِ في القرآنِ بقولهِ تَعالى ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾[1] دُخولُها.
- ويجبُ الإيمانُ بالحوضِ وهوَ مكانٌ واسعٌ أعدَّ الله فيهِ شرابًا لأهلِ الجنةِ يَشربونَ منهُ بعدَ عُبورِ الصّراطِ وقبلَ دخولِ الجنةِ فلا يُصيبهُم بعدَ ذلكَ ظمأٌ.
- ويجبُ الإيمانُ بالشّفاعةِ الأُخرويّةِ وهي طلبُ إسقاطِ العقابِ عَن بعضِ عُصاةِ

(١) سورة مريم/ آية ٧١.

المؤمنينَ أهلِ الكبائرِ فيشفعُ النبيّونَ والعلماءُ العاملونَ والشّهداءُ والملائكةُ وتكونُ لبعضِهم قبلَ دُخولهم النارَ فلا يَدخلونها ولبعضٍ بعدَ دُخولهم النارَ فيَخرجونَ منها قبلَ انقضاءِ المدّةِ التي يَستحقّونَ بمعاصِيهم ولا تكونُ الشّفاعةُ للكفّارِ.

- وليُحذَر مما دسّ في بعضِ نسخِ «الإحسانِ في ترتيبِ ابنِ حبّان» السّقيمةِ مِن أنَّ كلًّا منَ الأنبياءِ الخمسةِ آدمَ ونوحٍ وإبراهيمَ وموسَى وعيسَى يقولُ عندَما يُطلبُ منهُ الشّفاعةُ إني أخافُ أن يَطرحني الله في النارِ لأنَّ نِسبةَ هذا لنبيّ منَ الأنبياءِ كفرٌ لأنَّ النبيَّ لا يَظنُّ بربّهِ أنهُ يطرحهُ في النارِ.

- ويجبُ الإيمانُ بالجنةِ وهيَ دارُ النعيمِ المقيمِ فوقَ السّماءِ السّابعةِ أعدّها الله لتنعيم المؤمنينَ، فيها أنوارٌ تتلألأُ وفيها خُضرةٌ كثيرةٌ مُعجِبةُ المنظرِ وفيهَا روائح عَطِرةٌ وفيها قُصورٌ عاليةٌ وفيها أنهارٌ جاريةٌ نهرٌ مِن لبنٍ ونهرٌ مِن عَسلٍ ونهرٌ مِن ماءٍ ونهرٌ مِن خمرٍ غيرِ خمرِ الدّنيا وفيها منَ الفواكهِ ما تَشتهيهِ الأنفسُ وفيها لكلّ مؤمنٍ زوجةٌ حسناءُ جميلةٌ، وأهلُ الجنةِ كلُّهُم شبابٌ لا يَهرمونَ أبدًا وكلُّهُم أصحّاءُ لا يمرضونَ أبدًا وكلُّهُم في سُرورٍ لا يُصيبهُم هَمٌّ وحزنٌ وكربٌ، والجنةُ مخلوقةٌ الآنَ ولا تزالُ باقيةً إلى ما لا نهايةَ لهُ.

- ويجبُ الإيمانُ بأنَّ أهلَ الجنةِ يخلّدونَ في الجنةِ بلا موتٍ فيبقونَ فيها في حياةِ نعيمٍ إلى ما لا نهايةَ لهُ.

- ويجبُ الإيمانُ بالرّؤيةِ للهِ تَعالى بالعَينِ في الآخرةِ وهذا خاصٌّ بالمؤمنينَ يَرونهُ وهُم في الجنةِ بلا كيفٍ ولا تشبيهٍ ولا مكانٍ ولا جهةٍ أي يرونهُ لا كما يُرى المخلوقُ على حَجمٍ وصورةٍ وشَكلٍ وفي مكانٍ وجهةٍ، يَرونَهُ ولا يكونُ بينَهُم وبَينهُ مَسافةٌ لأنَّ المسافةَ تكونُ بينَ جسمينِ والله ليسَ جِسمًا، إنما يكونُ المؤمنونَ في الجنةِ فيرونَ الله والله بلا مكانٍ.

- ويجبُ الإيمانُ بملائكةِ الله أي بوُجودِهم وهم عبادٌ ذَوو أجسام لطيفة وهم

أرواحٌ مُكرّمونَ مُؤمنونَ باللهِ لا يَعصونَ اللهَ ما أمرَهُم ويَفعلونَ ما يُؤمَرون ليسُوا ذكورًا ولا إناثًا، لا يَأكلونَ ولا يَشربونَ ولا يَنامونَ ولا يتوالدونَ، والملائكةُ مسكَنهُم السّماءُ وعددُهم كبيرٌ جدًّا لا يَعلمهُ إلا اللهُ ورئيسُهم جبريلُ وهوَ أفضلهم وهُم مُكلّفونَ بوظائفَ مختلفةٍ فسيّدُنا جبريلُ عليهِ السّلامُ مُكلّفٌ بالنُّزولِ بالوحي على الأنبياءِ وسيّدنا عزرائيلُ مُكلّفٌ بقبضِ الأرواحِ وسيّدنا ميكائيلُ مُكلّف بالمطرِ والنباتِ.

- **تنبيهٌ** إبليسُ ما كانَ أميرَ الملائكةِ بل كانَ منَ الجنّ المؤمنِ ثم خرجَ مِن رحمةِ اللهِ باعتراضهِ على اللهِ، قالَ تَعالى ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[1].
- ويجبُ الإيمانُ بالكتبِ السّماويةِ المنزلةِ على بَعضِ رُسلهِ لهدايةِ الناسِ وإرشادِهم لما فيهِ خيرُهم وسعادتُهم في الآخرةِ وعددُ الكتبِ السّماويةِ كثيرٌ ولكنْ أشهرُها أربعةٌ القرآنُ المنْزلُ على سيّدنا محمّدٍ ﷺ باللغةِ العربيّةِ، والإنجيلُ الأصليُّ المنْزلُ على سيّدنا عيسَى باللغةِ السّريانيةِ، والتوراةُ الأصليّةُ المنْزلةُ على سيّدنا موسَى باللغةِ العبرانيةِ، والزبورُ المنْزلُ على سيّدنا داودَ باللغةِ السريانيةِ، صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهِم.
- ويجبُ الإيمانُ بأنَّ جميعَ ما يحصلُ في هذا العالمِ مِن خيرٍ وشرّ إنما يحصلُ بتقديرِ اللهِ وخَلقهِ ومشيئتهِ فما كانَ منهُ خيرًا نحبّهُ وما كانَ منهُ شرًّا نكرههُ، ولكنْ لا نعترضُ على اللهِ في تقديرهِ الخيرَ والشرَّ والحلوَ والمرَّ.

واللهُ تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

---

(١) سورة الكهف/ آية ٥٠.

المحاضرة الثامنة والثلاثون

النُّبُوَّةُ والمعجِزةُ

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- النبوةُ مُشتقةٌ منَ النبأِ أيِ الخبرِ لأنَّ النبوّةَ إخبارٌ عنِ اللهِ تَعالى، أو منَ النَّبْوَة وهيَ الرِّفْعَةُ، فالنبيُّ على الأولِ فَعيلٌ بمعنى فاعلٍ لأنهُ يخبِر عنِ اللهِ بما يُوحَى إليهِ أو فعيلٌ بمعنى مَفعولٍ أي مُخْبَر عنِ اللهِ أي يُخبِرُهُ الملَكُ عنِ اللهِ تَعالى فالنبوةُ جائزةٌ عقلًا وليسَت مُستحيلةً.
- واللهُ تَعالى بعثَ الأنبياءَ رحمةً للعبادِ إذ ليسَ في العقلِ ما يُستغنى بهِ عنهُم لأنَّ العقلَ لا يستقلُّ بمعرفةِ الأشياءِ المنجيةِ في الآخرةِ، ففي بعثةِ الأنبياءِ مَصلحةٌ ضروريةٌ لحاجتهِم لذلكَ. فاللهُ متفضّلٌ بها على عبادهِ فهيَ سِفارةٌ بينَ الحقّ تَعالى وبينَ الخلقِ.
- ويجبُ الإيمانُ بأنبياءِ اللهِ مَن كانَ منهُم رسولًا ومَن لم يكُن منهُم رسولًا، والنبيُّ الرّسولُ هوَ إنسانٌ أوحَى اللهُ إليهِ بشرعٍ جديدٍ وأُمِرَ بتبليغهِ للناسِ كموسَى وعيسَى ومحمّدٍ صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهِم، أما النبيُّ غيرُ الرّسولِ فهوَ إنسانٌ أَوْحَى اللهُ إليهِ لا بشرعٍ جديدٍ بل ليتّبعَ شرعَ رسولٍ قبلَهُ وأُمِرَ بتبليغهِ كداودَ وسليمانَ أُمِرا بتبليغِ شرعِ التوراةِ التي أنزلَت عَلى سيّدنا موسَى عليهِ السّلامُ.
- تنبيهٌ منَ الغلطِ الشّنيعِ ما ذكرَ في «تفسيرِ الجلالينِ» وفي كتبٍ عديدةٍ منتشرةٍ ومشهورةٍ مِن أنَّ النبيَّ غيرَ الرسولِ هوَ مَن أوحيَ إليهِ بشرعٍ ولم يُؤمَر بتبليغهِ.

ومما يدلُّ على أنَّ النبيَّ الرسولَ والنبيَّ غيرَ الرّسولِ كِلاهما مأمورانِ بالتبليغ قولهُ تَعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾[1]، ومَعنى ﴿ تَمَنَّىٰٓ ﴾ دعَا قومَهُ، ومَعنى ﴿ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ ﴾ أي يزيدُ الشّيطانُ على ما قالوهُ ما لم يَقولوهُ ليُوهم غيرَهُم أنَّ الأنبياءَ قالوا ذلكَ الكلامَ الفاسدَ وليسَ مَعناهُ أنَّ الشّيطانَ يتكلّمُ على لسانِ النبيّ، فقَد قالَ الفخرُ الرازيُّ في تفسيرِهِ «مَنْ جَوَّزَ على الرَّسُولِ صَلَّى الله عليه وسلَّم تَعْظِيمَ الْأَوْثَانِ فَقَدْ كفر»[2] اهـ وكذلك يَكفُر مَن قالَ إنَّ الشّيطانَ أجرَى كلامًا على لسانِ النبيّ هوَ مدحُ الأوثانِ الثلاثةِ اللاتِ والعُزّى ومَناةَ بهذهِ العبارةِ تلكَ الغرانيقُ العُلَى وإنَّ شفاعتَهنَّ لَتُرتجى.

- وعددُ الأنبياءِ كبيرٌ جدًّا، وقَد وردَ في القرآنِ أسماءُ خمسةٍ وعشرينَ نبيًّا آدمُ وإدريس ونوحٌ وهود وصالحٌ وإبراهيمُ وإسماعيلُ وإسحاقُ ويعقوبُ ولوطٌ ويوسفُ وأيوب وشعيبٌ وموسَى وهارونُ وذو الكِفْلِ وداودُ وسليمانُ وإلياسُ وإلْيَسَعُ ويونسُ وزكريّا ويحيى وعيسَى ومحمّدٌ صلّى الله عليهِم أجمعينَ وسلّم.
- وأولُ الأنبياءِ سيّدنا آدمُ وآخرُهم سيّدنا محمّدٌ، وأفضلُهم وأعلاهُم درجةً ومنْزلةً عندَ الله محمّدٌ ثم إبراهيمُ ثم موسَى ثم عيسَى ثم نوحٌ صلواتُ الله وسلامهُ عليهِم أجمعينَ.

- **مما يدلُّ على أنَّ أولَ الأنبياءِ آدمُ عليهِ السّلامُ:**

– قولهُ تَعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[3] واصطفاءُ كلّ كانَ بالنبوةِ.

(١) سورة الحج/ آية ٥٢.

(٢) الرازي. التفسير الكبير. ج٢٣ ص ٢٣٧.

(٣) سورة آل عمران/ آية ٣٣.

- وقولُ رسولِ اللهِ ﷺ «**أنا سيّدُ ولدِ آدمَ يومَ القيامةِ وبيَدي لواءُ الحمدِ ولا فَخر، وما مِن نبيّ يومئذٍ آدمُ فمَن سواهُ إلا تحتَ لوائي**» رواهُ الترمذيُّ وحسّنهُ[1].
- وقولُ أبي منصورٍ البغداديّ في أصولِ الدّينِ[2] «أجمعَ المسلمونَ على أنَّ أوّلَ مَن أُرسلَ منَ الناسِ آدمُ عليهِ السّلامُ» اهـ.
- وأما ما جاءَ في الحديثِ مِن أنَّ نوحًا هوَ أوّلُ الرّسلِ إلى أهلِ الأرضِ فليسَ معناهُ أنهُ لم يكُن قبلهُ نبيٌّ ولا رسولٌ بل مَعناهُ أنهُ أَوّلُ الرّسلِ بعدَ حُدوثِ الشّركِ بينَ أهلِ الأرضِ. قالَ ابنُ حجرٍ في «فتحِ الباري»[3] «آدمُ كانَت رسالتهُ إلى بَنيهِ وهُم مُوحّدونَ وأما نوحٌ فكانَت رسالتهُ إلى قومٍ كفّارٍ» اهـ.
- فمَن نفى نبوةَ آدمَ فهوَ ليسَ بمسلمٍ بالإجماعِ كما ذكرَ ابنُ حَزمٍ في كتابهِ «مراتبِ الإجماعِ»[4].

• والسّبيلُ إلى مَعرفةِ النبيّ المعجزةُ فما مِن نبيّ إلا وقَد أيّدهُ اللهُ بمعجزةٍ، والمعجزةُ هيَ أمرٌ خارقٌ للعادةِ يُظهرهُ اللهُ على يدِ النبيّ تأييدًا لهُ وتصديقًا لهُ في دعواهُ، سالمٌ منَ المعارضةِ بالمثلِ منَ المعارضينَ، صالحٌ للتحدّي.

• وقَد كانَ نبيّنا محمّدٌ ﷺ أكثرَ الأنبياءِ مُعجزاتٍ إذ رُويَ عنهُ الآلافُ منها فمِن هذه المعجزاتِ ما نقلَ إلينا بالتواترِ، والخبرُ المنقولُ بالتواترِ لا يكونُ إلا صدقًا لأنَّ الخبرَ المنقولَ بالتواترِ هوَ خبرٌ بحادثةٍ شاهدَها جمعٌ منَ الناسِ يَستحيلُ عادةً تواطؤُهُم على الكذبِ ثم هؤلاءِ نقلوهُ لجمعٍ مثلِهم لا يُقبلُ اتفاقُهم على الكذبِ وهكذا كالأخبارِ المتواترةِ بينَ الناسِ عَن وجودِ فِرعونَ فيما مضَى وكالأخبارِ

---

(١) الترمذي. سنن الترمذي. ج.٥ ص٣٠٨، أحمد. مسند أحمد. ج١ ص٢٥٩.

(٢) أبو منصور البغدادي. أصول الدين. ج١ ص١٥٩.

(٣) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. باب قوله صفة الجنة والنار. ج١١ ص٤٣٤.

(٤) أبو محمد علي بن حزم. مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات. ص١٧٣.

عَن وُجودِ بلدانٍ نائيةٍ نحنُ ما شاهَدناها فإنَّ الواحدَ منّا لا يَقدرُ على دفع العلم بذلكَ عَن قلبِهِ بشكٍّ أو شُبهةٍ لأنَّ الخبرَ المتواترَ يُفيدُ العلمَ اليقينيَّ فكَما نُصدِّقُ بهذا نُصدِّقُ بمعجزاتِ الأنبياءِ لما تواترَ مِن الأخبار بحُصولِ ذلكَ على أيدِيهم.

- وأعظمُ معجزاتِ الرّسولِ ﷺ معجزةُ القرآنِ الكريمِ.

- ومنها حنِيْنُ الجِذْعِ[1]، وَذَلِكَ أَنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يَسْتَنِدُ حين يخطُبُ إلى جِذْعِ نَخْلٍ في مسجِدِهِ قبلَ أن يُعمَلَ لهُ المنبرُ، فلمَّا عُمِلَ له المِنْبَرُ صَعِدَ ﷺ عليهِ فبَدأ بالخُطبَةِ وهوَ قائمٌ على المنبرِ فحَنَّ الجِذْعُ حتّى سمِعَ حنِينَه مَنْ في المسجدِ، فنَزلَ رسولُ الله ﷺ فالتزَمَهُ -أيْ ضَمَّهُ واعتنقَهُ- فسَكَتَ. وحَديثُ حَنينِ الجذعِ هذا مُتواترٌ كما أنَّ القرآنَ متواترٌ وهذهِ مِن أعجبِ المعجزاتِ ويَصحُّ لقائلٍ أن يَقولَ إنّها أعجبُ مِن إحياءِ الموتى الذي حَصَلَ للمَسيح لأنَّ إحياءَ الموتى يَتضمَّنُ رجوعَ هؤلاءِ الأشخاصِ إلى مِثلِ ما كانوا عليهِ قبلَ أن يموتوا، أما الخشبُ فهوَ منَ الجَمادِ الذي لم يكُن مِن عادتِهِ أن يتكلَّمَ بإرادةٍ فهوَ أعجبُ، هذا مِن أظهرِ المعجزاتِ.

- ومن معجزاته ﷺ إنطاق العَجْماء أي البهيمة. روى الإمام أحمد[2] والبيهقيُّ[3] بإسناد صحيح من حديث يَعْلى بن مُرّةَ الثَّقَفيّ قال بينما نسير مع النبي ﷺ إذ مرّ بنا بعير يُسْنى عليه[4] فلما رآه البعير جَرْجَر[5] فوضع جِرانَه[6] فوقف النبي ﷺ فقال «**أين صاحبُ هذا البعير؟**» فجاءه فقال «**بِعنِيْه**»، فقال بل نهبُه

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام. ج٤ ص٢٣٧.

(٢) أحمد. مسند أحمد. ج٤ ص١٧٣.

(٣) البيهقي. دلائل النبوة. ج٦ ص٢٣.

(٤) أي يحمل عليه الماء.

(٥) أي أصدر صوتًا من حلقه.

(٦) أي مقدم عنقه.

لك يا رسول الله وإنّه لأهل بيتٍ ما لهم معيشةٌ غيره، فقال النبيُّ ﷺ «**أمّا ما ذكرتَ من أمره فإنّه شكا كثرة العمل وقلّة العلفِ فأحسنوا إليه**».

فهذا الأمرُ العجيبُ الخارقُ للعادةِ الذي أظهرهُ الله على يدِ النبيّ محمّدٍ ﷺ هوَ العلامةُ الشّاهدةُ التي تشهدُ على أنهُ صادقٌ في دعواهُ مِن وجوبِ عبادةِ الله وحدَهُ واتباعِ الإسلامِ الذي جاءَ بهِ مِن عندِ الله لأنهُ لَولا أنهُ صادقٌ في دعواهُ لما أظهَرَ الله لهُ هذا الأمرَ العَجيبَ الخارقَ للعادةِ الذي لم يَستطِع أحدٌ منَ الناسِ أن يُعارِضَهُ بمثلِ ما أتى بهِ، فثبتَت الحجّةُ عليهِم، ولا يَسعهُم إلا التصديقُ لأنَّ العقلَ يُوجبُ تصديق مَن أتى بمثلِ هذا الأمرِ الذي لا يُستطاعُ مُعارضتهُ بالمثلِ منَ المعارضينَ إذْ خَلْقُ الله المعجزةَ لمدّعي النبوّة إظهارٌ لصِدقهِ فإنَّ المعجزةَ نازلةٌ منْزلةَ قول الله صدَقَ عبدِي في ما يقولُ.

- **تنبيهٌ** ما كانَ خارقًا للعادةِ لكنهُ لم يَظهر على يدِ نبيّ منَ الأنبياءِ كالخوارقِ التي تظهرُ على أيدِي الأولياءِ أتباعِ الأنبياءِ، فإنهُ ليسَ بمعجزةٍ بل يُسمّى كرامةً. وكذلكَ ليسَ منَ المعجزةِ ما يُستطاعُ معارضتهُ بالمثلِ كالسّحرِ فإنهُ يُعارَضُ بسِحرٍ مثلهِ، فلذلكَ آمنَ سحرةُ فرعونَ بموسَى رسولًا مِن عندِ الله لما انقلبَت عصاهُ ثعبانًا حقيقيًّا وابتلعَت حِبالهم وعِصيَّهم التي خيّلَ للناسِ أنها حيّاتٌ لأنهم علِموا أنَّ ذلكَ ليسَ سحرًا، وذلكَ لما تحدَّى فِرعونُ سيّدَنا موسَى، فجَمعَ فرعونُ سَبعينَ ساحرًا مِن كبارِ السَّحرةِ الذينَ عندَهُ، فألْقوا الحبالَ التي في أيديهِم فَخُيِّلَ للناسِ أنّها حيّاتٌ تسْعَى، فألقَى سيّدُنا موسَى بعَصاهُ فانقلَبَ العَصَا ثعبانًا حقيقيًّا أكلَ تلكَ الحبالَ التي رماها السَّحرةُ، فعَرفَ السّحرةُ أنَّ هذا ليسَ مِن قبيلِ السّحْرِ وإنّما هو أمرٌ خارقٌ للعادَةِ لا يَستطيعونَ مُعارضتهُ بالمِثل، فقالوا آمنَّا بربّ موسَى وهارونَ، فَغَضِبَ فرعونُ لأنهم آمنوا قبلَ أن يأذنَ لهم وتركوا ما كانوا عليهِ فأضرَمَ لهم نارًا عظيمةً فلم يَرجعوا عنِ الإيمانِ بربّ موسَى وهارونَ فَقَتَلَهم.

• **ذكرُ بعضِ معجزاتِ الأنبياءِ:**

- ناقةُ نبيّ الله صالح التي خَرَجَتْ منَ الصَّخرةِ فقَدِ اقترحَ قومُهُ عليهِ ذلكَ بقولِهِم إنْ كنتَ نبيًّا مَبعُوثًا إلينا لِنُؤمِنَ بكَ فأخرِجْ لَنا مِن هذهِ الصَّخرةِ ناقةً وفَصيلَها فأخرَجَ لهم ناقةً معَها فصِيلُها (أي ولدُها) فاندهَشُوا فآمنوا بهِ.
- عدَمُ تأثيرِ النّارِ العَظيمةِ على سيّدنا إبراهيمَ حَيثُ لم تُحْرِقْهُ ولا ثيابَهُ، سيّدُنا إبراهيمُ عليهِ السّلامُ أرادَ منهُ قومُهُ أن يَتركَ دينَهُ الذي هوَ عليهِ ويتَّبعَ دينَهم الباطلَ بعِبادةِ غيرِ الله فأبى فأضرَموا لهُ نارًا عظيمةً ما استطاعُوا مِن قُوَّتها أن يَقتربوا مِنها فقَذفوهُ فيها بالمنجنيقِ ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ سَلَّمهُ فكانتِ النارُ بردًا وسلامًا عليهِ فلَم تُحرقهُ ولا ثيابهُ وإنّما أَحرَقَت القيدَ الذي قَيَّدوهُ بهِ.
- ومنها ما ظَهَرَ للمَسيحِ مِن إحياءِ الموتَى وذلكَ لا يُسْتَطاعُ مُعارضَتُه بالمِثلِ فلَم تسْتَطِعِ اليَهودُ الذين كانوا مُولَعِينَ بتكذيبِهِ وحَريصينَ على الافتراءِ عليه أن يُعارِضُوهُ بالمِثلِ. وقَد أتى أيضًا بعَجيبَةٍ أخرى عَظيمةٍ وهيَ إبراءُ الأكْمَهِ -أيِ الذي وُلِدَ أعمى- فلَم يَستطِعْ أَحَدٌ مِن أهلِ عَصرِهِ مُعارضَتَهُ بالمِثلِ معَ تَوفُّرِ الطِبّ في ذلكَ العَصرِ. فذلكَ دليلٌ على صِدْقِهِ في كلّ ما يُخبِرُ بهِ مِن وُجوبِ عبادَةِ الخالقِ وحدَهُ مِن غيرِ إشراكٍ بهِ ووجوبِ متابعتِه في الأعمالِ التي يأمُرُهم بها.

والله تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

المحاضرة التاسعة والثلاثون

المقصودُ مِن معراجِ الرّسولِ ﷺ إلى السّمواتِ السّبعِ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

بيانُ ما هوَ المقصودُ منَ المعراجِ

- اعلَم أنهُ ليسَ المقصودُ بمعراجِ الرّسولِ ﷺ إلى السّمواتِ السّبعِ وصولَهُ إلى مكانٍ ينتهي وجودُ الله تَعالى إليهِ ويَكفرُ منِ اعتقدَ ذلكَ إنما المقصودُ منهُ هوَ تشريفُ الرّسولِ ﷺ بإطلاعهِ على عَجائبَ في العالمِ العلويّ حيثُ رأى في السّماءِ السّابعةِ البيتَ المعمورَ وهوَ بيتٌ مُشرّفٌ وهوَ لأهلِ السّماءِ السابعة كالكعبةِ لأهلِ الأرضِ كلّ يومٍ يَدخلهُ سبعونَ ألفَ ملكٍ يُصلّونَ فيهِ ثم يخرجونَ ولا يعودونَ أبدًا.

ورأى أيضًا في السّماءِ السّابعةِ سدرةَ المنتهى وهيَ شجرةٌ عظيمةٌ بها منَ الحُسنِ ما لا يستطيع أن يَصفَهُ أحدٌ مِن خلقِ الله، يَغشاها فَراشٌ مِن ذَهبٍ، وأصلُها في السّماءِ السّادسةِ وتَصلُ إلى السّماءِ السّابعةِ.

ورأى الجنةَ وهيَ فوقَ السّماءِ السّابعةِ مُنفصلةً عنها ورأى فيها الحورَ العينَ فطلبَ منهُ سيّدنا جبريلُ أن يُسلّمَ عليهِنَّ بالقولِ فقُلنَ لهُ نحنُ خَيْراتٌ حِسانٌ أزواجُ قومٍ كِرامٍ.

ورأى العَرشَ الذي هوَ أعظمُ المخلوقاتِ مِن حيثُ الحجمُ.

ثمَّ انفردَ رسولُ الله ﷺ عَن جبريلَ بعدَ سدرةِ المنتهَى حتى وصلَ إلى مكانٍ يسمعُ فيهِ صريفَ الأقلامِ التي تنسخُ بها الملائكةُ منَ اللوحِ المحفوظِ وهناكَ سمعَ الرّسولُ ﷺ كلامَ الله الذاتيَّ الذي ليسَ ككلامِ العالمين ففَهِمَ الرسولُ ﷺ منهُ فرضيةَ خمسينَ صلاةً، وذلكَ المكانُ الذي فوقَ سدرةِ المنتهَى ليسَ مكانًا ينتهي إليهِ وجودُ الله كَما في بعضِ الكتبِ المزيفةِ لأنَّ الله موجودٌ بلا مكانٍ.

بيانُ معنَى (ارجِع وسَل ربّكَ التخفيفَ) وتنبيهاتٌ مِن بعضِ الأكاذيبِ

- لما نزلَ الرّسولُ ﷺ إلى السّماءِ السّادسةِ سألهُ موسَى ماذا فرضَ الله على أمّتكَ؟ قالَ لهُ «**خمسينَ صلاة**»، قالَ ارجِع وسَل ربّكَ التخفيفَ[1]، ومعناهُ ارجِع إلى المكانِ الذي تتلقّى فيهِ الوحيَ منَ الله وليسَ معناهُ ارجِع إلى مكانِ الله.

- **تنبيهٌ** ما يقالُ من أنَّ الرّسولَ ﷺ وصلَ وجبريلَ إلى مكانٍ فقالَ جبريلُ جُزْ فأنا إنِ اخترقتُ احترقتُ وأنتَ إنِ اخترقتَ وصَلتَ فهذا ونحوهُ كذبٌ وباطلٌ. وكذلك لا عبرة بما هو مكتوب في بعض الكتب الفاسدة الكثيرة الانتشار والذائعة الصيتِ مما ينافي تنزيه الله عن المكان وهي كتبٌ يتداولها بعض العوام، والتحذير منها واجب، ومنها الكتاب الذي عنوانه «كتاب المعراج» المنسوب كَذِبًا للإمام ابن عباسٍ فيجبُ التحذيرُ من هذا الكتاب ومن أمثاله.

- ومما أكرمَ الله بهِ نبيّهُ محمّدًا ﷺ في ليلةِ المعراجِ أنْ أزالَ عَن قلبهِ ﷺ الحجابَ المعنويَ فرأى الله الذي لا يُشبهُ شيئًا منَ الأشياءِ الموجودَ بلا مكانٍ وجِهةٍ بفؤادهِ

(١) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب الإسراء بالرسول إلى السموات وفرض الصلوات. ج١ ص٩٩.

قالَ تَعالى ﴿ **مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ** ﴾[1].

• رأى رسولُ الله ﷺ جبريلَ عليهِ السّلامُ على هيئتِهِ الأصليّةِ مرّتينِ، في المرّةِ الأُولى رآهُ في مكّةَ في مكانٍ يقالُ لهُ أجيَاد ولهُ ستمائةِ جناحٍ وكلُّ جناحٍ يَسدُّ ما بينَ الأرضِ والسّماءِ فغُشيَ عليهِ ﷺ، وفي المرّة الثانيةِ رآهُ في الليلةِ المباركةِ ليلةِ الإسراءِ والمعراج عندَ سدرةِ المنتهَى كما قالَ تَعالى ﴿ **وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ** ﴾[2]، لكنْ في هذه المرةِ لم يُغشَ عليهِ إذ كان قد زاده الله تمكّنًا وقوّةً وعندَها اقتربَ جبريلُ عليهِ السّلامُ مِن رسولِ الله ﷺ فتدلَّى إليهِ فكانَ ما بينَهما منَ المسافةِ مقدار ذراعينِ بل أقربُ كما قالَ تَعالى ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ** ﴾[3].

- روَى مسلمٌ[4] عنِ السّيدةِ عائشةَ رضي الله عنهَا أنها قالَت في قولهِ تَعالى ﴿ **ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ** ﴾[5] «إنما ذاكَ جبريلُ» اهـ.

- وقالتِ السيّدةُ عائشةُ رضي الله عنهَا «أنا أولُ هذهِ الأمةِ سألَ عَن ذلكَ رسولَ الله ﷺ فقالَ «**إنما هوَ جبريلُ لم أرَهُ على صُورتهِ التي خُلقَ عليهَا غير هاتينِ المرتينِ**» رواهُ مسلمٌ[6]، وليسَ الأمرُ كما يَفتري بعضُ الناسِ فيقولونَ إنَّ الله دنا بذاتهِ مِن محمّدٍ فكانَ بينَ محمّدٍ وبينَ الله كَما بينَ الحاجبِ والحاجبِ أو قدرَ ذراعينِ لأنَّ إثباتَ المسافةِ للهِ إثباتُ المكانِ، والله موجودٌ بلا مكانٍ.

---

(١) سورة النجم/ آية ١١.

(٢) سورة النجم/ آية ١٣و١٤.

(٣) سورة النجم/ آية ٨و٩.

(٤) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب معنى قول الله عزّ وجلّ ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾. ج١ ص١١١.

(٥) سورة النجم/ آية ٨و٩.

(٦) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب معنى قول الله عزّ وجلّ ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾. ج١ ص١١٠.

• **تنبيهٌ**: كانَ بعضُ أصحابِ رسولِ الله ﷺ يقولُ قبلَ أن تُفرضَ عليهِم صيغةُ التشهّدِ «السّلامُ على الله السّلامُ على جبريلَ السّلامُ على ميكائيلَ» ثم قالَ لهم رسولُ الله ﷺ «**إنَّ الله هوَ السّلامُ**»[1] أيِ السّالمُ مِن كلّ نقصٍ وعَيبٍ، وعلّمهُم أن يقولوا «**التحيّاتُ للهِ والصّلواتُ والطيّباتُ السّلامُ عليكَ أيّها النبيُّ ورحمةُ الله وبركاتهُ**» ففي هذا دليلٌ على بطلان ما يقولهُ بعضُ الناسِ مِن أنَّ النبيَّ ﷺ لما وَصلَ في عُروجهِ إلى المكانِ الذي سمعَ فيهِ خطابَ الله تباركَ وتَعالى جلسَ أمامَ الله فقالَ «التحيّاتُ للهِ» فوضعَ الله يدهُ على ظهرِ الرسولِ ﷺ حَتى شعرَ ببرودةِ يدهِ وكلّمهُ بصوتِ أبي بكرٍ حتى لا يَشعرَ بالوَحشةِ فقالَ لهُ «السّلامُ عليكَ أيّها النبيُّ ورحمةُ الله» لأنهُ لم تُفرَض تلكَ الليلةَ هذهِ الصّيغةُ، ثم إنَّ هذا تشبيهٌ للهِ بخلقهِ وتكذيبٌ لقولهِ تَعالى ﴿**لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ**﴾[2]. وهذه القصةُ المكذوبة قَد نالَت معَ كَونها مكذوبةً على الله والرّسولِ شُهرةً كبيرةً فيجبُ بيانُ ذلكَ للناسِ.

• **تنبيهٌ آخر** قولهُ تَعالى ﴿**فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا**﴾[3] ليسَ معناهُ كما يَعتقدُ بعضُهم مِن أنَّ الله نورٌ يتلألأ فكشفَ نورَهُ للجبلِ بقدرِ ثقبِ الإبرةِ إنما معناهُ أنَّ الله رفعَ الحجابَ المعنويَّ عنِ الجبلِ بعدَ أن خلقَ فيهِ إدراكًا ومَعرفةً فرأى الله الذي ليسَ كمثلهِ شيءٌ الموجودَ بلا مكانٍ وجهةٍ فاندكَّ الجبلُ دكًّا أيْ تحطّمَ أيْ صارَ كالأرضِ وموسَى يَنظرُ إليهِ حَتى خرَّ موسَى مَغشيًّا عليهِ مِن هَولِ ما رأى منِ اندكاكِ الجبلِ[4].

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الأذان: باب التشهد في الآخرة. ج١ ص٢١١.

(٢) سورة الشورى/ آية ١١.

(٣) سورة الأعراف/ آية ١٤٣.

(٤) الطبري. تفسير الطبري. ج١٠ ص٤٢٨، الماوردي. النكت والعيون. ج٢ ص٢٥٧، الرازي. التفسير الكبير. ج١٤ ص٣٥٦-٣٥٧-٣٥٨.

قالَ ابنُ بطالٍ في شرحِه على البخاريّ[1] «وليسَ ذلك بمعنى الظهورِ والخروجِ من سواتر وحُجُبٍ حائلةٍ بينَه وبينَ عبادِه، لأن ذلك من أوصافِ الأجسامِ وهو مستحيلٌ على الله» ثم قال «فلا تعلّقَ فيه للمجسمةِ في إثباتِ الجسمِ والمكانِ لما تقدم من استحالةِ كونه جسماً أو حالًّا في مكانٍ» اهـ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(١) ابن بطال. شرح صحيح البخاري. ج١٠ ص٤٦٦.

المحاضرة الأربعون

حكمُ مَن يدّعي الإسلامَ لفظًا وهوَ مُناقضٌ للإسلامِ معنًى

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- اعلَم أنَّ المسلمَ المؤمنَ هوَ الذي يقولُ لا إلـٰهَ إلا الله محمّدٌ رسولُ الله معتقدًا مَعنى ذلكَ على الصّوابِ ولم يَبطُل إسلامهُ بقولٍ أوِ اعتقادٍ أوِ فعلٍ يُناقضُ مَعنى الشّهادتينِ.
- هناكَ فِرقٌ عديدةٌ كذّبتِ الإسلامَ مَعنى ولوِ انتمَوا للإسلام بقولهم الشّهادتينِ أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلا الله وأشهدُ أنَّ محمّدًا رسولُ الله وصلّوا وصَاموا لأنهم ناقضُوا أصلَ مَعنى الشّهادتينِ باعتقادِ ما يُنافيهما فإنهم خَرجُوا منَ التوحيدِ بعبادَتهم لغيرِ الله فهُم كفّارٌ ليسوا مسلمينَ.

- كالخوارجِ فإنهم أوّلُ فرقةٍ شذّت عَن مُعتقَدِ الصّحابةِ كانوا يَنتمونَ إلى الإسلام بقولهم الشّهادتينِ أشهدُ أن لا إلـٰهَ إلا الله وأشهدُ أنَّ محمّدًا رسولُ الله ويُصلّونَ ويَصومونَ - أي صورة - ويَقرؤونَ القرآنَ ومعَ ذلكَ حكَمَ الرّسولُ عليهِم بأنهم كفّارٌ لأنهم ناقضوا أصلَ مَعنى الشّهادتينِ، قالَ رسولُ الله ﷺ فيهِم «**يحقرُ أحدكُم صلاتَهُ إلى صَلاتهم وصيَامَهُ إلى صيامهِم يَقرؤونَ القُرآنَ لا يجاوزُ حَناجِرَهُم يمرقونَ منَ الدّينِ مُروقَ السّهمِ منَ الرّميةِ ثم لا يَعودونَ**

إليهِ» رواهُ البخاريُّ[١] ومسلم[٢] وغيرهما [٣]، وقالَ رسولُ الله ﷺ **فيهم** أيضًا «**لئِن أدركتُهُم لأقتلنّهم قتلَ عادٍ**» رواهُ البخاريُّ[٤] ومسلمٌ[٥]، وقالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ أيضًا «**هُم شرُّ الخلقِ والخليقةِ**» رواهُ مسلمٌ[٦]، وهذا وَصفُ الكفّارِ قالَ الله تَعالى ﴿**إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ**﴾[٧]، ومنَ المعلومِ أنهم لم يَرتكِبوا استحلالَ دماءِ المسلمين وأموالهم إلا لأنهم أخطَؤوا بخَطأٍ منهُم في مَا تأوّلوهُ مِن آيِ القُرآنِ عَلى غيرِ المرادِ منهُ.

قالَ الحافظُ تقيُّ الدّينِ السّبكيُّ في فتاويهِ «ولا يُنجيهِم -أي الخوارجَ- اعتقادُ الإسلامِ إجمالًا والعملُ بالواجباتِ عنِ الحكمِ بكُفرهِم كَما لا يُنجِي السّاجدَ للصّنمِ ذلكَ» اهـ. نقلَ ذلكَ عنهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ في فتحِ الباري[٨].

- كذلكَ الوهابيّةُ يَنتمونَ إلى الإسلام بقولهم الشّهادتينِ أشهدُ أَن لا إلـٰهَ إلا الله وأشهدُ أنَّ محمّدًا رسولُ الله ويأتون بصورة الصلاة والصيام ويَقرؤونَ القُرآنَ ولكِن في الحقيقةِ يُناقضونَ مَعنى لا إلـٰهَ إلا الله لأنَّ لا إلـٰهَ إلا الله مَعناها لا مَعبودَ بحقّ إلا الله والوهابيّةُ لا يَعبدونَ الله بل يَعبدونَ جسمًا

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب: سورة قل أعوذُ برَبّ الفَلَق: باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به. ج٦ ص٢٤٤.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الزكاة: باب التّحريض على قتل الخوارج. ج٣ ص١١٥.

(٣) مالك. الموطأ. باب ما جاء في القرآن. ج١ ص٢٠٤.

(٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾. ج٤ ص١٦٧.

(٥) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الزكاة: باب ذكر الخوارِج وصفاتهم. ج٣ ص١١٠.

(٦) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الزكاة: باب الخوارج شر الخلق والخليقة. ج٣ ص١١٦.

(٧) سورة الأنفال/ آية ٥٥.

(٨) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. قوله باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم. ج١٢ ص٣٠٠.

مُتوهَّمًا مُتخيَّلًا توهَّموهُ وتخيَّلوهُ في مخيّلتِهم وأوهامِهم ويزعمونَ أنهُ جالسٌ على العرشِ، فالوهابيّةُ عَبدوا صورةً توهَّموها وتَصوَّرُوها في مخيّلتِهم والذينَ يَعبدونَ الأصنامَ عبَدوا صورةً نحتُوها بأيديهِم كِلاهما عبدَ صورةً كِلاهما عبدَ غيرَ الله كِلاهما أشركَ بالله.

- كذلكَ القدريّةُ الذينَ يَعبدونَ بزعمِهم ربًّا عاجزًا لا تَنفذُ مَشيئتهُ ولا يَقدرُ على ما يَقدرُ عليهِ العبادُ هُم مثلُ أولئكَ.

• فتبيّنَ أنَّ ما تعتقدهُ هؤلاء الفرق مناقضٌ لأصلِ مَعنى لا إلـٰهَ إلا الله ليسَ مجرّدَ خلافٍ في فرعٍ مِن فروعِ الأحكامِ ليسَ كالخلافِ الذي حصلَ بينَ الإمامِ الشافعيّ والإمامِ مالكٍ والإمامِ أحمدَ والإمامِ أبي حنيفةَ رضي الله عنهُم.

• وعُلمَ مِن ذلكَ أنْ لا مجالَ للاجتهادِ في أصولِ العقيدةِ وأنهُ لا يُعذَرُ المخطئ في الاعتقادِ بخلافِ المخطئ في الاجتهادِ في فروعِ الأحكامِ إذا كانَ أهلًا للاجتهادِ. فمَن زعمَ أنَّ المجتهدينَ في أصولِ العقيدةِ المخالفينَ لأهلِ السّنةِ كالوهابيّةِ وغيرِهم يُعذرونَ فمَردودٌ عليهِ زعمُهُ.

• فالوهابيّةُ الذينَ يُكفّرونَ أهلَ السّنةِ الأشاعرةَ بغيرِ حقّ هُم مجسّمةٌ مشبّهةٌ ناقضوا مَعنى لا إلـٰهَ إلا الله وقَد حكمَ الأئمةُ الأربعةُ بكُفرِ المجسّمةِ فقَد قالَ الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنهُ «المجسّمُ كافرٌ» اهـ. رواهُ السّيوطيُّ في «الأشباهِ والنظائرِ»[1]، وقالَ الإمامُ أحمدُ رضي الله عنهُ «مَن قالَ الله جسمٌ لا كالأجسامِ فهوَ كافرٌ» اهـ. ذكرهُ صاحبُ الخصالِ وهوَ مِن مشاهيرِ الحنابلةِ[2]، وكذلكَ الإمامُ مالكٌ رضي الله عنهُ كفَّرَ المجسّمَ وكذلكَ الإمامُ أبو حنيفةَ رضي الله عنهُ.

---

(١) السيوطي. الأشباه والنظائر. ص ٤٨٨.

(٢) ذكر ذلك المحدث الفقيه بدر الدين الزركشي في تشنيف المسامع. ج٤ ص٦٤٨.

- قالَ ابنُ حجرٍ الهيتميُّ في «المنهاجِ القويمِ شرحِ المقدّمةِ الحضرميّةِ»[1] «واعلَم أنَّ القَرافيَّ وغيرَهُ حكَوا عنِ الشّافعيّ ومالكٍ وأبي حنيفةَ وأحمدَ القولَ بكفرِ القائلينَ بالجهةِ والتجسيمِ وهُم حقيقونَ بذلكَ» اهـ.
- وفي كتابِ «نجمِ المهتدِي» لابنِ المعلّمِ القُرشيّ[2] عن علي رضي الله عنهُ قالَ «سيرجعُ قومٌ مِن هذهِ الأمةِ عندَ اقترابِ السّاعةِ كفّارًا قالَ رجلٌ يا أميرَ المؤمنينَ كفرهُم بماذا أبالإحداثِ أمْ بالإنكارِ؟ فقالَ بل بالإنكارِ يُنكرونَ خالقَهُم فيَصفونهُ بالجسمِ والأعضاءِ» اهـ.
- فالوهابيّةُ ليسُوا مُسلمينَ لمناقضتهِم لا إلـٰهَ إلا الله وإن تلفّظوا بها وقالوا إنهم مُسلمونَ.
- ومثلُهُم المعتزلةُ القدريّةُ القائلونَ بأنَّ العبدَ يخلقُ فعلَ نفسِهِ الاختياريَّ فإنهم جَعلوا معَ الله خالقِينَ كثيرين وناقَضوا مَعنى لا إلـٰهَ إلا الله، وعبدوا ربًّا عاجزًا لا تَنفذُ مشيئتهُ ولا يَقدرُ على ما يَقدرُ عليهِ العبادُ، وكذا القائلونَ إنَّ الله ما شاءَ وقوعَ الشرّ بل وقعَ الشرّ على خلافِ مَشيئةِ الله فجَعلوا الله مغلوبًا، والله غالبٌ على أمرهِ فعّالٌ لما يريدُ فناقَضوا أيضًا مَعنى لا إلـٰهَ إلا الله وإن قالوها بألسنَتِهم وزَعموا أنهم مسلمونَ.
- ومثلهُم جهلةُ المتصوّفةِ القائلونَ بالحلولِ والاتحادِ فهؤلاءِ ما عَرفوا الله تَعالى بَل ناقَضوا مَعنى لا إلـٰهَ إلا الله وإن نَطقوا بها بألسنتِهم وزَعموا أنهم مُسلمونَ.

نسألُ الله تَعالى أن يُثبّتنا على لا إلـٰهَ إلا الله محمّدٌ رسولُ الله.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) ابن حجر الهيتمي. المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية. فصل في صلاة الجمعة وأحكامها. ج١ ص ١٤٤.

(٢) ابن المعلم القرشي. نجم المهتدي ورجم المعتدي. ج٢ ص ٤٨٣.

المحاضرة الحادية والأربعون

التحذيرُ من سيّد قُطب وحزبِ الإخوانِ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- إنَّ مِن أخطرِ ما يهدّدُ الأمةَ في هذا الزمانِ فرقةٌ تتسترُ تحتَ ستارِ الدّينِ وتنشرُ الفسادَ والضّلالَ بينَ المسلمينَ فوجبَ التحذيرُ منها وبيانُ زيغِها وانحرافِها عَملًا بقولهِ تَعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾[1]، وهذهِ الفرقةُ هيَ حزبُ الإخوانِ أتباعُ سيّد قطب الذينَ أحيَوا عقيدةَ فرقةٍ منَ الخوارجِ يقالُ لها البَيهسيّةُ[2] التي كانَت تقولُ إذا حكمَ الحاكمُ بغيرِ الشّرعِ كفَر وكفرَتِ الرعيّةُ مَن تابعَهُ في الحكمِ ومَن لم يُتابعهُ.
- وهُم قدِ انحرفوا عَن منهَجِ مُؤسّسِ حزبِ الإخوانِ الأصليّ الشيخِ حسن البَنّا الذي كانَ عندهُ علمٌ ومنهجٌ سليمٌ ليسَ فيهِ تكفيرُ المسلمينَ بغيرِ حقّ وأصلُ هذا الانحرافِ كانَ قَد بدأَ في حياةِ الشيخِ حَسن البنا فلمّا علِمَ بانحرافِهم حذّرَ منهُم وقالَ هؤلاءِ ليسُوا إخوانًا وليسُوا مسلمينَ كما نقلَ عنهُ ذلكَ الدكتور

(١) سورة آل عمران/ آية ١١٠.

(٢) قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: «البيهسية: أصحاب أبي بيهس الهيصم بن جابر وهو أحد بني سعد بن ضبيعة وقد كان الحجاج طلبه أيام الوليد فهرب إلى المدينة فطلبه بها عثمان بن حيان المزني فظفر به وحبسه» اهـ. ج١ ص١٢٤. وذكر بعد ذلك فرقهم.

محمّدٌ الغزاليُّ وكانَ مِن أتباعِهِ في كتابِهِ «مَعالِمِ الحقّ»[1].

- وبسببِ فتاوى سيّد قطُب استحلَّ كثيرٌ مِن أتباعِهِ دماءَ الناسِ وقتَلوا خَلقًا كثيرًا في بلادِ المسلمينَ كما تشهدُ عليهِم أعمالهم في مصرَ والجزائر والشيشانِ وغيرِها مِن بلادِ المسلمينَ.

- وسيّد قطب هذا لم يَسْبِقْ لهُ أن جَثا بينَ يدي العلماءِ للتعلّمِ، ولا قرأَ عليهِم ولا شمَّ رائحةَ العلم. كانَ في أوّلِ أمرِهِ صَحَفيًّا ماركسيًّا شيوعيًّا، ثم انخرطَ بعدَ ذلكَ في حزبِ الإخوانِ فصَدَّروهُ، فأقدمَ على التأليفِ فزَلَّ وضلَّ، ومَن وقفَ على كتبِهِ وكانَ مِن أهلِ الفَهمِ والتمييزِ وجدَها مَحْشُوَّةً بالفتاوَى التي ما أنزلَ الله بها مِن سلطانٍ، وعَلِمَ أنها تنادِي بجهلِهِ، وهيَ كثيرةٌ وسنذكُرُ بعضًا منهَا.

- فمِن ذلكَ أنهُ يُسمّي الله بالرّيشةِ المعجِزةِ، وبالرّيشةِ الخالقةِ والـمُبْدِعةِ، وذلكَ في مواضعَ عدّةٍ مِن كتابِهِ المسمّى التصويرَ الفنيَّ في القرآنِ وغيرِهِ[2]، ويُسمّي الله بالعقلِ المدبّرِ في تفسيرِهِ سورة النبأِ، وهذا مما لا يَخفى أنهُ إلحادٌ، قالَ تعالى ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ﴾[3]، وقالَ الإمامُ أبو جعفرٍ الطّحاويُّ في عقيدتِهِ التي هيَ عقيدةُ أهلِ السنّةِ والجماعةِ «ومَنْ وَصَفَ الله بمعنى مِن مَعاني البشرِ فقَد كفرَ» اهـ.

- ثم إنَّ سيّد قطب يقرّرُ في كتابِهِ المسمّى في ظلالِ القرآنِ[4] أنهُ لا وُجودَ للمُسلمينَ على الأرضِ طَالَمَا يحكمُ الحكّامُ بغيرِ الشّرعِ ولو في مَسائلَ صَغيرةٍ،

(١) محمد الغزالي. معالم الحق. ج١ ص٢٨-١٧٦.

(٢) سيد قطب. الكتاب المسمى التصوير الفني في القرآن ص١٧٥-٢٠٤-٢٠٤٥، سيد قطب. الكتاب المسمى في ظلال القرآن مج٤ ج١٢-١٨ ص٢٠٤٤.

(٣) سورة الأعراف/ آية ١٨٠.

(٤) سيد قطب. الكتاب المسمى في ظلال القرآن. ج١ ص٥٩٠.

فقَد قالَ سيد قطب في الجزءِ الثاني منَ الكتابِ المذكورِ ما نصُّهُ[1] «فقَدِ ارتَدَّتِ البشريةُ إلى عبادةِ العبادِ وإلى جَوْرِ الأديانِ، ونَكَصتْ عَن لا إلـٰه إلا الله، وإنْ ظَلَّ فريقٌ منها يردّدُ على المآذنِ لا إلـٰهَ إلا الله دونَ أن يُدركَ مدلولَها، ودونَ أن يعيَ هذا المدلولَ وهوَ يردّدُها، ودونَ أن يرفُضَ شَرْعِيَّةَ الحاكميّةِ التي يَدَّعيها العبادُ لأنفسِهم» اهـ. ويقولُ في الجزءِ الثالثِ «إنَّ مَن أطاعَ بَشرًا في قانونٍ ولَو في جُزْئيةٍ صغيرةٍ فهوَ مُشركٌ مرتدٌ عنِ الإسلامِ مهما شَهدَ أنْ لا إلـٰه إلا الله» اهـ. بل يَصلُ إلى حدّ القولِ بأننا في مجتمعٍ جاهليّ مشركٍ، نَعوذُ بالله مِن فسادِ هذا الكلامِ.

- وقد أطلقَ سيّد قُطب الحكمَ بالتكفيرِ على كلّ مَن حكمَ بغيرِ حكم الله ولو في مسئلةٍ صغيرةٍ مِن غيرِ تفصيلٍ[2] مفسّرًا قولَهُ تَعالى ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾[3] على ظاهرِه، جاهلًا أو مكابرًا أنَّ السّلفَ ومَن بعدَهُم أوّلوا هذهِ الآيَةَ، فقَد ذكرَ القُرطبيُّ في كتابِهِ الجامعِ لأحكامِ القرآنِ[4] في تفسيرِ هذهِ الآيةِ ما نصُّهُ «نَزَلَتْ كلُّها في الكفارِ، ثبتَ ذلكَ في صَحيحِ مسلمٍ مِن حديثِ البراءِ» اهـ. وأما تَرجمانُ القرآنِ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهُما فقَد وردَ عنهُ في تفسيرِ الآيةِ في مَا رواهُ الحاكمُ وصحَّحَهُ[5] ووافَقَهُ الذهبيُّ أنهُ قالَ «ليسَ بالكفرِ الذي يَذهبون إليه، إنهُ ليسَ كفرًا ينقُلُ عنِ الملةِ، ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَـٰفِرُونَ﴾ كفرٌ دونَ كفرٍ»اهـ. ومَعنى «كفرٌ دونَ كفرٍ» أيْ ذنبٌ كبيرٌ يشبهُ الكفرَ في الفظاعةِ.

(١) سيد قطب. الكتاب المسمى في ظلال القرآن. ج٢ ص١٠٥٧.

(٢) سيد قطب. الكتاب المسمى في ظلال القرآن. ج٢ ص٨٤١.

(٣) سورة المائدة/ آية ٤٤.

(٤) القرطبي. تفسير القرطبي. ج٦ ص١٩٠-١٩٢.

(٥) الحاكم. المستدرك. ج٢ ص٣١٣.

ومِن ضَلالاتِ سيد قطب أنهُ يزعُمُ أنَّ الاشتغالَ بالفقهِ الآنَ بوَصفِهِ عَمَلًا للإسلامِ مَضْيَعَةٌ للعُمْرِ والأجرِ أيضًا طالما الناسُ في جَاهليَّةٍ يَعبدونَ حُكَّامَهُم، ذكرَ ذلكَ في الجزءِ الرابع[1]، وما ذاكَ منهُ إلا دعوةٌ واضحةٌ للجهلِ، ويخالفُ ذلكَ حَديثَ النبيّ ﷺ «**مَن يُرِدِ الله بِهِ خيرًا يُفقّهُهُ في الدّينِ إنّما العِلمُ بالتعلُّم والفقهُ بالتفقّهِ**» أخرجَهُ البخاريُّ في الصّحيحِ[2] وفي رواية للطبراني[3] «**يا أيُّها الناسُ تعلّموا إنما العلمُ بالتعلّمِ والفقهُ بالتفقهِ**».

- ثم يخالفُ سيّد قُطب جميعَ علماءِ الإسلام في قولِهِ في الجزءِ السّادسِ مِن نفسِ الكتابِ «إنَّ قولَ الله تَعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾[4] هوَ على الحقيقةِ لا على الكِنايةِ والمجازِ[5]، فالله سبحانَهُ معَ كلّ أحدٍ، ومعَ كلّ شىءٍ، وفي كلّ مكانٍ» اهـ. جَعلَ الله منتشرًا في العالمِ وهذا القولُ مخرجٌ منَ الإسلامِ. وقولُهُ «في كلّ مكانٍ» هذا لم يَقُلْهُ أحدٌ منَ السّلفِ، إنما قالَهُ جهمُ بنُ صفوانَ الذي قُتِلَ على الزَّنْدَقةِ في أواخرِ أيام الأمَويينَ[6]. فكلُّ علماءِ الإسلامِ اتفقـوا على أنَّ مَعنى قولِهِ تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ إحاطةُ علمِهِ تَعالى بكلّ الخلقِ[7].

---

(١) سيد قطب. الكتاب المسمى في ظلال القرآن. ج٤ ص٢٠١٢.

(٢) البخاري. صحيح البخاري. كتاب العلم: باب العلم قبل القول والعمل. ج١ ص٤٥.

(٣) الطبراني. المعجم الكبير. ج١٤ ص٣٢٤.

(٤) سورة الحديد/ آية ٤.

(٥) سيد قطب. الكتاب المسمى في ظلال القرآن. ج٦ ص٣٤٨١.

(٦) قال أبو منصور البغدادي في الفرق بين الفرق: «اتفقت أصناف الأمة على تكفيره، وكان جهم مع ضلالاته التي ذكرناها يحمل السلاح ويقاتل السلطان وخرج مع شريح بن الحارث على نصر ابن يسار وقتله سلم بن أجون المازني في آخر زمان بني مروان» اهـ. ج١ ص١٩٩.

(٧) البيهقي. الأسماء والصفات. باب ما جاء في قول الله عز وجل ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾. ص٥٤١.

- ووصلَ الجهلُ بسيّد قطُب إلى القدحِ في الأنبياءِ عليهِم الصّلاةُ والسّلامُ، فقالَ في كتابِهِ المسمّى التصويرَ الفنيَّ في القرآنِ[١] «لِنأْخُذ موسَى، إنهُ نَمُوْذَجٌ للزعيمِ المُندَفِعِ العَصَبِيِّ المزاجِ» اهـ. ويقولُ في الصّحيفةِ التاليةِ «فَلْنَدَعْهُ هنا لنلتقيَ بهِ في فترةٍ ثانيةٍ من حياتِهِ بعدَ عشرِ سنواتٍ، فلعلّهُ قد هدأَ وصارَ رجلًا هادئَ الطَّبْعِ حَلِيْمَ النفسِ، كلا...» اهـ.
- وَيَتَّهِمُ سيّدَنا يوسفَ عليهِ السّلامُ بأنهُ كادَ يَضْعُفُ أمامَ امرأةِ العزيزِ[٢].
- ويرمي سيّدَنا إبراهيمَ عليهِ السّلامُ بالشّكّ في الله فيقولُ ما نصُّهُ[٣] «وإبراهيمُ تبدأُ قصّتُهُ فتًى ينظرُ في السّماءِ فيرى نَجْمًا فيظنُّهُ إلـٰههُ، فإذا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الآفِلينَ، ثم ينظرُ مرةً أخرى فيرى القمرَ فيظنّهُ ربَّهُ، ولكنّهُ يأفُلُ كذلكَ فيتركُهُ ويمضي، ثم ينظرُ إلى الشّمسِ فيُعْجِبُهُ كِبَرُها ويَظنّها ولا شكَّ إلـٰهًا، ولكنّها تُخْلِفُ ظَنَّهُ هيَ الأخرى» اهـ.

• وكلامُ سيّد قُطب هذا مُناقِضٌ لعقيدةِ الإسلامِ التي تَنُصُّ على أنَّ الأنبياءَ تجبُ لهم العِصمةُ منَ الكفرِ والكبائرِ وصَغائرِ الخسّةِ قبلَ النبوّةِ وبعدَها. أما يُوسفُ عليهِ السّلامُ فقَد بيَّنَ العلماءُ عِصمتَهُ منَ الهمّ بالزنا، ذكرَ ذلكَ الرازيّ[٤] وابنُ الجوزيّ[٥] وغيرهما، وأما إبراهيمُ فيكفِي في تبرئتِهِ مما نسبَهُ إليهِ سيّد قطب قولُ الله تَعالى فيهِ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ﴾[٦]، وأما قولُهُ عنِ الكوكبِ

(١) سيد قطب. الكتاب المسمى التصوير الفني في القرآن. ص١٦٢.

(٢) سيد قطب. الكتاب المسمى التصوير الفني في القرآن. ص١٦٦.

(٣) سيد قطب. الكتاب المسمى التصوير الفني في القرآن. ص١٣٣.

(٤) الرازي. التفسير الكبير. ج١٨ ص١١٨.

(٥) ابن الجوزي. زاد المسير. ج٥ ص٢٠٥.

(٦) سورة الأنبياء/ آية ٥١.

﴿ هَٰذَا رَبِّي ﴾[1] فهوَ مِن بابِ الاستفهامِ الإنكاريّ، فكأنَّهُ قالَ أهذا ربي كما تزعُمونَ، أما قولُهُ ﴿ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴾[2] أي لا يَصلُحُ أن يكون من يأفُلُ ربًّا فكيفَ تعتقدونَ ذلكَ.

- فيتلخّصُ مما مضى وَصفُ سيّد قُطب للهِ تباركَ وتعالى بما لا يليقُ بهِ، وتَنقيصُهُ الأنبياءَ عليهِم الصّلاةُ والسّلامُ، وتكفير الأمةِ الإسلاميّةِ جمعاءَ، ومَن كانَ هذا حالَهُ لا يُؤخذُ بكلامِهِ ولا يعتبرُ قُدوةً، فليُحْذَرْ مِن ضلالاتِهِ وكفَى حزب الإخوانِ خزيًا كونُ دينِ متبوعِهم ما وَصفنا.

والله تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

(١) سورة الأنعام/ آية ٧٦.

(٢) سورة الأنعام/ آية ٧٦.

المحاضرة الثانية والأربعون

بيانُ عقيدةِ أهلِ السّنةِ والجَماعةِ في القَدرِ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- أما بعدُ فقَد صحَّ في حَديثِ الشّيخينِ وغَيرِهما أنَّ جبريلَ جاءَ إلى النبيّ ﷺ بصُورةِ رجلٍ يلبَسُ البياضَ فسألهُ عَن أمورٍ، مِن جملتِها أنهُ قالَ لهُ فأخبرني عنِ الإيمانِ، فقالَ «**الإيمانُ أن تؤمنَ بالله ومَلائكتهِ وكتبهِ ورُسلهِ واليوم الآخرِ وبالقدَرِ خيرهِ وشرّهِ**»[1] رواه البخاري ومسلم. فيجبُ الإيمانُ بأنَّ الله تباركَ وتَعالى مُتّصفٌ بصفةِ التقديرِ، وأنَّ كلَّ ما يحصلُ في هذا العالمِ مِن خيرٍ وشرّ يحصلُ بتقديرهِ الأزليّ، وأنَّ ما أرادَ حُصولَهُ لا بدَّ أن يحصلَ في الوقتِ الذي أرادَ حصولَهُ فيهِ، ومَا لم يُرد حُصولَهُ لا يحصلُ أبدًا، سواءٌ في ذلكَ الخيرُ والشرُّ والطّاعةُ والمعصيةُ.
- ورَوى البيهقيُّ[2] رحمهُ الله تعَالى عَن سيّدِنا عَليّ رضي الله عنْهُ أنَّهُ قالَ «إنَّ أحَدَكُم لَنْ يَخْلُصَ الإيمانُ إلى قَلبِه حتّى يَستَيْقِنَ يَقِينًا غَيْرَ شَكٍّ أنَّ مَا أصَابَه لم يَكُن لِيُخطِئَهُ ومَا أخطأَهُ لم يكن لِيُصِيبَهُ، ويُقِرَّ بالقَدَرِ كلّهِ» اهـ. أيْ لا يَجوزُ

(١) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان: باب بيان الإيمان والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى. البخاري. صحيح البخاري.كتاب الإيمان: باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له. ج١ ص٢٠.

(٢) البيهقي. القضاء والقدر. ص ٢٣٦.

أن يُؤْمنَ ببعْضِ القَدَرِ ويَكْفُرَ ببعضٍ. ومَعنى هذا الأثرِ عَن سيِّدِنا عليّ رضي الله عنهُ أنهُ لا يَتمُّ الإيمانُ في قلبِ أحدكُم حتى يَستيقنَ يَقينًا غيرَ شَكّ أي حتى يعتقدَ اعتقادًا جازمًا لا يخالجهُ شكٌّ أنَّ ما أصابهُ لم يكُن ليُخطئهُ إنْ كانَ منَ الرّزقِ أوِ المصائبِ أو غيرِ ذلكَ وأنَّ ما أخطأهُ لم يَكُن ليُصيبهُ ويُقرَّ بالقدرِ كلّهِ، أيْ لا يجوزُ أن يُؤمنَ ببَعضِ القَدرِ ويَكفُرَ ببَعضٍ بل يجبُ على كلّ مُسلمٍ أن يُؤمنَ بأنَّ كلَّ ما يجري في الكَونِ مِن خيرٍ أو شرّ، ضَلالةٍ أو هدًى، عُسرٍ أو يُسرٍ، حُلوٍ أو مُرّ، كلُّ ذلكَ بخلقِ الله ومَشيئتهِ حدثَ ولولا أنَّ الله تَعالى شاءهُ وكوَّنهُ وخَلقهُ ما حصلَ.

- وهذا رسولُ الله ﷺ أنذرَ قومَهُ أوَّل ما نزلَ عليه الوحيُ عملًا بقول الله تعالى ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1] أيْ حذّرهم منَ الكفرِ ثم اهتدَى بهِ أناسٌ ولم يَهتدِ بهِ أناسٌ حتى مِن أقاربهِ كأبي لهبٍ وغيرِهِ فإنهم لم يَهتدوا، والرّسولُ ﷺ بلَّغهُم دَعوتَهُ لكنْ لم يَهتدوا، وأولئكَ الذينَ اهتدوا اهتدوا، فَما هوَ الموجِبُ لذلكَ أي لأنْ يَهتديَ هؤلاءِ ولا يهتدِي هؤلاءِ؟ الموجبُ لذلكَ أنَّ الله تباركَ وتَعالى شاءَ في الأزلِ أنْ يَهتديَ هؤلاءِ بمحمّدٍ ولم يشَأ أن يَهتديَ الآخرونَ تنفَّذتْ مَشيئةُ الله في الفريقينِ. والله تَعالى يَكرَهُ الكفرَ والمعاصِي لكنْ خصَّصَ هؤلاءِ بأنْ يَنساقوا باختيارِهم إلى الضّلالِ، كما خَصَّصَ أولئكَ بأنْ يَنساقوا باختيارِهم إلى الهُدَى، هذا معنى المشيئةِ.
- فيُعلَم مما سبقَ أنَّ الضَّميرَ في قولِهِ تَعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[2] يَعودُ إلى الله لا إلى العبدِ كَما زعمَتِ القَدريّةُ.

(١) سورة الشعراء/ آية ٢١٤.

(٢) سورة النحل/ آية ٩٣.

• ويدلُّ على ما سبقَ أيضًا قولهُ تَعالى إخبارًا عَن سيّدنا موسَى عليه السلام أنه قال ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾(١)، فإنّ موسى عليهِ السّلامُ لما ذَهَبَ لميقاتِ ربّهِ أي لمناجاةِ اللهِ أيْ لسَماعِ كلامِ اللهِ الأزليّ خَلّفَ على قومِهِ أخاهُ هارونَ وكانَ نبيًّا، وقَضَى أربعينَ ليلةً ثم عادَ إليهِم فوجدَهُم قَد عبَدوا العِجلَ إلا بعضًا منهُم وذلكَ بعدَ أنِ اجتازَ بهم البَحرَ ورأوا هذهِ المعجزةَ الكبيرةَ وهيَ انفلاقُ البحرِ اثني عَشرَ فرقًا كلُّ فرقٍ كالجبلِ العَظيمِ وأنقذَهُم مِن فرعونَ، وهذه الفتنة سببها شَخصٌ يُقالُ لهُ موسَى السَّامريُّ فقَد صَاغَ لهم عِجلًا مِن ذهبٍ ووضعَ فيهِ شيئًا من أثَرِ حافرِ فرسِ جبريلَ، لأنهُ عندَما أرادَ فرعونُ أن يَخوضَ البَحرَ كانَ جبريلُ على فرسٍ، ثم موسَى السّامريُّ هذا رأى مَوقفَ فرسِ جبريلَ فأخذَ منهُ شيئًا ووَضعَهُ في هذا العِجلِ المصوَّرِ مِن ذهبٍ فأحيَا اللهُ تَعالى هذا العِجلَ فصارَ يَخورُ كالعِجلِ الحقيقيّ خلقَ اللهُ فيهِ الحياةَ، فقالَ لهم السّامريُّ هذا إلـٰهكُم وإلـٰهُ موسَى، حملَهُم على عِبادةِ هذا العجلِ فَفُتنوا فعبَدوا هذا العِجلَ، فلمّا أُخبِرَ سيّدنا موسَى بذلكَ اغتاظَ على هؤلاءِ اغتياظًا شديدًا، ثم أخذَ سيدنا موسى عليه السلام هذا السَّامريَّ وأمره بما أخبر الله تعالى عنه في القرآن ﴿قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾(٢) ثم اختارَ موسَى وجرّدَ مِن قومِهِ سَبعينَ شخصًا ليأخذَهُم للتَّضرّعِ إلى اللهِ تَعالى فأخذَتهم الرَّجفةُ أي اهتزَّت بهمُ الأرضُ، فقالَ اللهُ في سيدنا موسَى حين تضرع إلى اللهِ ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ

(١) سورة الأعراف/ آية ١٥٥.

(٢) سورة طه/ آية ٩٧.

تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] معناهُ هذا الأمرُ الذي حَدَثَ بقومِي مِن عبادَتِهم العِجلَ فِتْنَتُكَ أي امتحانٌ وابتلاءٌ منكَ، تُضلُّ بها مَن تشاءُ وتهدِي مَن تشاءُ أيْ يا ربِّي أضللتَ بها قِسماً وهَديتَ قسماً.

- رَوَى الحَافِظُ أَبُو نُعَيْم[2] عنِ ابنِ أخي الزُّهْرِيّ عَن عمّهِ الزُّهريّ أنَّ عُمرَ بنَ الخطابِ كانَ يحبُّ قَصيدةَ لَبِيدِ بنِ رَبيعَةَ التي مِنها هذِه الأبْياتُ، وهيَ مِن بَحرِ الرَّمَلِ وقَد كانَ عمرُ يُعجَبُ بها لما فيهَا منَ الفوائدِ الجليلةِ:

إنَّ تَقْوى ربّنَا خَيرُ نَفَلْ	وبإذنِ الله رَيْثي وعَجَلْ
أحمَدُ الله فَلا نِدَّ لهُ	بيَدَيْهِ الخيرُ ما شَاءَ فَعل
مَنْ هَداهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهتَدى	ناعِمَ البَالِ ومَنْ شَاءَ أَضل

- مَعنى قولِهِ «إنَّ تقوَى رَبّنا خيرُ نَفَل» أنَّ تقوَى الله خيرُ ما يؤتاهُ الإنسانُ وخيرُ ما يُعطَاهُ، والتَّقوَى كَلمةٌ خَفيفةٌ عَلى اللسانِ لكنّها ثقيلةٌ في العَملِ لأنها أداءُ ما افترَضَ الله على العبادِ واجتنابُ ما حَرَّمَ عليهِم، وهذا أمرٌ ثقيلٌ.
- وقَولُه «وبإذنِ الله رَيْثي وعَجَل»، أي أنهُ لا يُبطِئ مُبطِئ ولا يُسرِعُ نَشيطٌ في العَملِ إلا بمشيئةِ الله وإذنِهِ، أيْ أنَّ الله تباركَ وتَعالى هوَ الذي يَخْلُقُ في العبدِ القوَّةَ والنَّشاطَ للخيرِ، وهوَ الذي يخلُقُ فيهِ الكَسلَ والتَّوانيَ عنِ الخيرِ، أيْ أنَّ الخيرَ والشرَّ اللذينِ يحصلانِ منَ الخلقِ كلٌّ بخلقِ الله تَعالى ومشيئتِهِ.

---

(١) سورة الأعراف/ آية ١٥٥و١٥٦.

(٢) أبو نعيم. حلية الأولياء. ج٣ ص٣٦٩.

- وقَوْلُه «أَحْمَدُ الله فَلا نِدَّ لَهُ»، أيْ لا مِثْلَ لهُ.

- وقولُه «بيديهِ الخَيْرُ»، أيْ والشَّرُّ، أي أنَّ الله تَعالى مالكُ الخيرِ ومالكُ الشَّرّ لا خالقَ للخيرِ والشَّرّ مِن أعمالِ العبادِ إلا الله، ليسَ العبادُ يخلقونَهُ ولا النُّورُ ولا الظُّلمةُ يخلقانِ ذلكَ كما قالتِ المانويَّةُ وهُم قومٌ يَقولونَ النّورُ والظُّلمةُ قديمانِ أزليَّانِ ثم تمازَجا فحدَثَ عنِ النّورِ الخيرُ وعنِ الظُّلمةِ الشرُّ وقد كذَّبهم المتنبّي الشَّاعرُ في قولهِ

وكَم لظَلامِ الليلِ عِنْدِيَ مِنْ يَدٍ تُخَبِّرُ أنَّ المانَوِيَّةَ تَكْذِبُ

وإنما اقتصرَ لبيدُ بنُ ربيعةَ رضي الله عنهُ على ذِكرِ الخيرِ دونَ الشَّرّ اكتفاءً بذكرِ الخيرِ عَن ذكرِ الشَّرّ وهذا عندَ علماءِ البيانِ يُسمَّى الاكتفاءَ وهو أن يُذكَرَ أحدُ الشيئينِ الداخلَينِ تحتَ حكمٍ واحدٍ اكتفاءً بأحدِهما عَن ذكرِ الآخرِ، كقَوله تعالى ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾[1]، والسَّرابيلُ هيَ القمصانُ، فقُمصانُ الحديدِ الدُّروعُ التي تُلبَسُ في الحربِ هذهِ تقي منَ السّلاحِ، فالله تعالى يمتنُّ علينا بأنهُ خَلَقَ لنا هذا وهذا، خلقَ لنا سرابيلَ تقينا الحَرَّ أيْ والبردَ وسرابيلَ أي قمصانًا أيْ أدراعًا مِن حديدٍ تقينا البأس أي السّلاحَ، وهذا أسلوبٌ مِن أساليبِ البلاغَةِ باللغةِ العربيةِ عندَ الفُصحاءِ البُلغَاءِ، كما في قولهِ تعالى ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] فليسَ المعنَى أنهُ قادرٌ على الخيرِ فقَط وليسَ قادرًا على الشَّرّ، ومَعلومٌ عندَ أهلِ الحقّ أنَّ الله خالقُ الخير والشَّرّ وعلى هذا اتَّفَقَ أهلُ الحقّ، فإيمانُ المؤمنينَ وطاعاتُهم وكفرُ الكافرينَ كلٌّ بخلقِ الله تعالى ومَشيئتِهِ، إلا أنَّ الخيرَ الإيمانَ والطَّاعةَ بخلقِ الله ومشيئتِهِ ورضاهُ، والشرَّ أيِ الكفرَ والمعاصي بخلقِ الله يحصُلُ منَ العبادِ لا برضاهُ بل نهاهُم عَن ذلكَ.

---

(١) سورة النحل/ آية ٨١.

(٢) سورة آل عمران/ آية ٢٦.

- وقولُ لَبيدٍ في الأبياتِ السّابقةِ الذّكرِ «ما شَاءَ فَعَل» أيْ ما أرادَ الله حُصولَهُ لا بُدَّ أن يَحصُلَ وما أرادَ أَن لا يَحصُلَ فَلا يَحْصُلُ.

- وقولُهُ «مَن هَداهُ سُبُلَ الخَيْرِ اهتَدَى» أيْ مَن شَاءَ الله لهُ أن يَكونَ على الصّراطِ الصَّحيحِ المستَقيمِ اهتَدَى. وقولُهُ «ناعِمَ البالِ» أيْ مُطمئنَّ البَالِ. وقولُه «ومَنْ شاءَ أضَلّ» أي مَن شَاءَ لهُ أن يكونَ ضَالًّا أَضَلَّهُ، معناهُ أنَّ الله تباركَ وتَعالى مَن هَدَاهُ سُبُلَ الخيرِ أيْ مَن شَاءَ لهُ في الأزلِ أن يَكونَ مُهتديًا على الصّراطِ الصَّحيحِ المستقيمِ فلا بُدَّ أنْ يَكونَ مهتديًا أيْ عَلى دينِ الله تباركَ وتَعالى وعلى تَقواهُ ومَن شَاءَ الله لهُ في الأزلِ أَن يَكونَ ضالًّا أضلَّهُ، أيْ خَلَقَ فيه الضَّلالَ، وهذا الكلامُ مِن أصولِ العقائدِ التي كانَ عليها الصّحابةُ ومن تَبعَهُم بإحسانٍ. فمَن شاءَ الله لهُ الهدايةَ لا بدَّ أن يهتديَ، الله يلهمُهُ الإيمانَ والتُّقى فيهتدِي باختيارِهِ لا مجبورًا، وأما مَن شَاءَ الله تَعالى في الأزلِ أن يَكونَ على خلافِ ذلكَ أي أنْ يكونَ ضالًّا كافرًا أضلَّهُ الله تباركَ وتَعالى أيْ جعلَهُ كافرًا، فيختارُ هذا العبدُ الكفرَ.

• وروى البيهقيُّ عنِ الشّافعيّ[1] أنّهُ قَالَ حين سُئِل عنِ القَدَرِ: [المتقارب]

ما شِئتَ كانَ وإن لَم أشأْ	وما شئتُ إن لم تشَأْ لم يكُنْ
خَلقتَ العبادَ على ما علِمتَ	ففي العلمِ يجري الفَتَى والمسِن
على ذا مننْتَ وهذا خذلْتَ	وهذا أَعنتَ وذا لم تُعِنْ
فمنهُم شَقيٌّ ومنهُم سَعيدٌ	وهذا قبيحٌ وهذا حَسَنْ

- فَسَّرَ الشافعيُّ القَدَرَ في هذهِ الأبياتِ بالمشيئةِ، وهوَ تفسيرٌ من الإمامِ الشافعيّ للقَدرِ على وجهِ البَسطِ والتَّوسُّعِ، وحاصلُهُ أنَّ الله تباركَ وتَعالى مُتَّصِفٌ

(١) البيهقي. مناقب الشافعي. ج١ ص٤١٢ - ٤١٣، ج٢ ص١٠٩.

بمشيئةٍ أزليةٍ أبديّةٍ لا تتغيّرُ كسائرِ صفاتِهِ، لا يَطرأُ عليها الزّيادةُ والنُّقصانُ، وَجَعَلَ للعبادِ مَشيئةً حادثةً تقبلُ التغيّرَ.

- يقولُ الشافعيُّ رضي الله عنهُ مخاطبًا الله تباركَ وتَعالى «ما شئتَ» أيْ يا ربَّنا «كانَ» أي ما سَبقتْ بهِ مَشيئتُكَ في الأزلِ لا بدَّ أن يوجدَ «وإن لم أشأ» أي وإنْ لم أَشأ أنا أي أنا العبدُ حُصولَهُ، لأنَّ مَشيئةَ الله نافذةٌ لا تتغيّرُ، والمعنَى أنَّ مشيئةَ العبدِ تابعةٌ لمشيئةِ الله فهيَ مخلوقةٌ حادثةٌ، فكلُّ مَشيئةٍ في العبادِ حَصَلَت فإنما حَصَلت فينا لأنَّ الله تَعالى شاءَ في الأزلِ أن نَشاءَ فتنفَّذَتْ مَشيئةُ الله تَعالى فينا أن نَشاءَ، ثم مرادُنا الذي تَعَلَّقتْ بهِ مَشيئتُنَا لا يحصُلُ إلا أن يشاءَ الله حُصولَ هذا المرادِ وتحقُّقَهُ.

فمشيئةُ الله نافذةٌ لا محالةَ لأنهُ لو كانَ لا يتحقَّقُ شيءٌ من مُرَادَاتِ الله تَعالى أي مما شاءَ الله تعالى أن يتحقَّقَ ويحصلَ لكانَ ذلكَ عجزًا والعجزُ مُستحيلٌ على الله، لأنَّه لا بد أن تكونَ مشيئةُ الإلهِ نافذةً في كلّ المراداتِ، مِن خَصائصِ الإلـهِ أن تكونَ مَشيئتُهُ نافذةً لا تَتَخَلَّفُ، أي لا بدَّ أن يحصلَ ما شاءَ الله دخولَهُ في الوجود، فيَجبُ عقلًا وشرعًا نفاذُ مشيئةِ الله تباركَ وتَعالى أيْ تحقُّقُ مقتضَاها.

- وقولهُ رضي الله عنهُ «وما شئتُ إن لَم تشَأْ لم يَكُن» معناهُ إنْ أنا شئتُ حُصولَ شيءٍ بمشيئتي الحادِثةِ إن أنتَ يا ربّي لم تشَأ حُصولَهُ بمشيئتِكَ الأزليةِ لا يحصلُ، لأنَّ مَشيئةَ الله أزليّةٌ نافذةٌ لا تَتَخَلَّفُ وأما مَشيئةُ العبدِ فحادثةٌ منها ما هوَ نافذٌ ومنها ما هوَ غيرُ نافذٍ أي منهَا ما يَتحقَّقُ ومنهَا ما لا يتحقَّقُ.

- وقولهُ «خلقتَ العبادَ على ما علِمتَ» معناه أنَّ الله تباركَ وتَعالى يُبرزُ عبادَهُ منَ العَدمِ إلى الوجودِ على حَسبِ ما سَبَقَ في علمِهِ الأزليّ لا عَلى خلافِ علمهِ الأزليّ لأنَّ تَخَلُّفَ العلمِ في حقّ الله تَعالى مُستحيلٌ يجبُ تنـزيهُ الله عنهُ.

- وقولُهُ «ففي العلمِ يجري الفتى والمسنّ» فيه حِكمةٌ كبيرةٌ ومعناه أنَّ سَعيَ الفتى أي الشَّابّ والمسنّ أي العجوزِ كلٌّ منهما سعيُهُ في علمِ الله تباركَ وتَعالى أيْ لا يخرُجُ عَن علمِ الله، فهذا الفتى الذي هوَ ذو قوّةٍ ونَشاطٍ، وهذا المسنُّ الذي هوَ ذو عَجزٍ وضَعفٍ كلٌّ منهُما لا يحصلُ شَيءٌ منهُ منَ الحركاتِ والسَّكناتِ والنَّوايا والقُصودِ والإدراكاتِ إلا على حَسَبِ علمِ الله الأزليّ، كلٌّ منهُما في العلمِ يجريانِ أي يتقلَّبَانِ على حَسبِ مشيئةِ الله الأزليّةِ، ويَعملانِ على حَسبِ علمِ الله الأزليّ ويَتصرّفانِ ويَسعيانِ على حَسبِ علمِ الله الأزليّ.

- وقولهُ «على ذا مَنَنتَ وهذا خَذَلتَ» أي هذا مَنَنتَ عَليهِ أي وَفَّقتَهُ للإيمانِ والهُدَى والصَّلاحِ وعُلوّ القَدرِ في الإيمانِ، ومَعنى توفيقِ الله لعبدِهِ أن يجعلهُ يَصرفُ قدرتهُ واختيارهُ إلى الخيرِ، ومعنى «وهذا خذلتَ» أي وهذا ما وَفَّقتَهُ فلم يَهتدِ للحَقّ ولم يقبَل الحَقَّ، ومَعنى خذلانِ الله لعبدِهِ أن يجعلهُ يَصرفُ قدرتَهُ واختيارَهُ للشَّرّ.

- وقولهُ «وهذا أعنتَ وذا لم تُعِن» أي هذا أعنتَهُ على الأَعمالِ التي ترضيكَ، والآخرُ ما أعنتَهُ على ما يُرضيكَ. وليسَ مَعنى قولِ الشافعيّ «وهذا أعنتَ وذا لم تُعِن» أنَّ الله لا يُعينُ على الشَّر وإنما يُعينُ على الخيرِ فقَط، فأهلُ السّنةِ متّفقونَ على أنَّ الله هوَ المعينُ عَلى الخيرِ وهوَ المعينُ على الشرّ، والإعانةُ التّمكينُ أيْ أنَّ الله هوَ الذي يُمَكّنُ العبدَ لفعلِ الخيرِ وهوَ الذي يمكّنهُ لفعلِ الشَّر، صرّحَ بذلكَ إمامُ الحرمَينِ وأبو سعيدٍ المتولّي قبلَهُ والشيخُ محمّدٌ الباقرُ النقشبنديُّ والأميرُ الكبيرُ المالكيُّ وقَد جَهِلَ هذا المعنى بعضُ الجهلةِ المنتسبينَ إلى النقشبنديّةِ في هذا العصرِ فزعمَ أنهُ لا يجوزُ أن يقالَ إنَّ الله يُعينُ على الشرّ فإنَّا للهِ وإنَّا إليهِ راجعونَ.

- وقولهُ «فمنهُم شقيٌّ ومنهُم سعيدٌ، وهذا قبيحٌ وهذا حَسَنْ» معناه أنَّ مَن شاءَ الله لهُ أن يَكونَ شقيًّا أيْ مِن أهلِ العذابِ الأليم كانَ كذلكَ، ومَن شاءَ الله لهُ

أن يكونَ سعيدًا مِن أهلِ النّعيمِ المقيمِ كانَ كذلكَ.

- وقال الإمام أبو حنيفة في «الوصيةِ»[١] «فلو زعمَ أحدٌ أن تقديرَ الخير والشر من غيرِه تعالى صار كافرًا بالله وبطلَ توحيدُه» اهـ.

- فتبيّنَ مما سبقَ أنَّ أهلَ السنّةِ في مسألةِ القدرِ عدولٌ بينَ طَرفي شذوذٍ، فإنا نُثبتُ أنَّ للعبدِ فعلًا يقومُ بهِ بإرادتهِ والله تَعالى خالقُهُ كما يُفهَمُ ذلك مِن قولهِ تَعالى ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾[٢] خلافًا للمُعتـزلةِ والجبريةِ. إذِ المعتزلةُ قالَت بأنَّ العبدَ خالقُ أفعالهِ فكَذّبوا قولهُ تَعالى ﴿ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾[٣] وخالفوا حكمَ العقلِ. وأما الجبريةُ فقَد زعمَت أنهُ لا فعلَ للعَبدِ أصلًا وأنَّ حركاتهِ بمنـزلةِ حركاتِ الجماداتِ لا قدرةَ عليها ولا قصدَ ولا اختيارَ للعبدِ وهذا باطلٌ لأننا نفرّقُ بالضّرورةِ بينَ حركةِ البَطشِ وحركةِ الارتعاشِ، ولَو لم يكُن للعبدِ فعلٌ أصلًا لما صحَّ تكليفهُ ولا ترتّبَ استحقاقُ الثوابِ والعقابِ على أفعالهِ.

والحقُّ ما قالهُ سيّدنا عليٌّ رضي الله عنهُ[٤] لسائلهِ عنِ القدرِ لا جبر ولا تفويضٌ يريد به أن عقيدة أهل السّنةِ والجماعة هي أن العبد له اختيار ممزوج بجبرٍ وأن العبد مختار تحت مشيئة الله وأننا لا نقول بمقالة الجبرية القائلين بأن العبد لا فعل له بالمرة وإنما هو كالريشة المعلقة في الهواء تأخذها الرياح يمنة ويسرة، ولا نقول بمقالة المعتزلة القائلين بأن العبد يخلق أفعاله، إنما نحن وسط بين الجبرية والقدرية أي المعتزلة.

---

(١) الوصية لأبي حنيفة. ص ٤٣. البياضي. إشارات المرام. ص١٧٨-٢٩٥.

(٢) سورة الأنفال/ آية ١٧.

(٣) سورة الزمر/ آية ٦٢.

(٤) البيهقي. مناقب الشافعي. ج١ ص٤١٧، ابن عساكر. تاريخ مدينة دمشق ج٥١ ص١٨٢-١٨٣.

• قالَ أبو منصورٍ البغداديُّ في أصولِ الدّينِ في الأصلِ السَّادسِ في بيانِ أن الله تعالى خالق أكساب العباد[1] «واختلفوا في أكسابِ العبادِ وأعمالِ الحيواناتِ على ثلاثةِ مذاهب أحدُها قولُ أهلِ السنّةِ إنَّ الله عزَّ وجلَّ خالقُها كما أنهُ خالقُ الأجسامِ والألوانِ والطّعوم والرّوائح لا خالقَ غيرهُ وإنما العبادُ مكتسبونَ لأعمالهم. والمذهبُ الثاني قولُ الجهميّةِ إنَّ العبادَ مُضطرّونَ إلى الأفعالِ المنسوبةِ إليهِم وليسَ لهم فيها اكتسابٌ ولا لهم عليها استطاعةٌ وإنَّ حركاتهم الاختياريةَ بمنـزلةِ حركةِ العُروقِ النوابضِ في اضطرارهِم إليها. والمذهبُ الثالثُ قولُ القدريّةِ الذينَ زعَموا أنَّ العبادَ خالقونَ لأكسابهم وكلُّ حيوانٍ محدِثٌ لأعمالهِ وليسَ للهِ في شيءٍ مِن أعمالِ الحيوانِ صنعٌ» ثم قالَ «والدليلُ على جميعِ القدريةِ منَ القرآنِ قولهُ عزَّ وجلَّ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[2] فأثبتَ في هذهِ الآيةِ للعبادِ أعمالًا خلاف قولِ الجهميةِ إنَّ العبدَ ليسَ لهُ عملٌ وأخبرَ عَن نفسهِ بأنهُ خالقٌ لأعمالهم فدلَّتِ الآيةُ على بُطلانِ قولِ الجهميّةِ والقدريّةِ» اهـ. وثبتَ مذهبُ أهلِ السنّةِ وَسطًا بينَ طَرفي إفراطٍ وتفريطٍ وعَدلًا بينَ طريقَي انحرافٍ.

تقديرُ الله تَعالى لا يتغيّرُ

• إنَّ الله تعالى إذا قدَّرَ أنَّ واحدًا مِن عبادهِ يُصيبهُ كَذا لا بدَّ أن يُصيبَهُ ذلكَ الشّيءُ ولو تصدّقَ ذلكَ الإنسانُ بصدقة أو دعا أو وصلَ رَحمهُ أو عمِلَ إحسانًا لأقاربهِ لأمّهِ وأختهِ وعمّتهِ وخالتهِ وأبيهِ وجدّهِ ونحوِ ذلكَ مِن أهلهِ لو عملَ لهم إحسانًا لا بدَّ أن يتنفّذَ ما قدّرَ الله أن يُصيبَهُ.

• لا يجوزُ أن يَعتقدَ الواحدُ أنَّهُ إنْ تصدّقَ بصَدقةٍ أو وَصلَ رحمَهُ أو دَعا دعاءً ينجُو

---

(١) أبو منصور البغدادي. أصول الدين ص٩٤.

(٢) سورة الصافات/ آية ٩٦.

مما قدَّرَ الله أن يُصيبَهُ كما يزعمُ بعضُ الناسِ أنهم إنْ دعَوا الله في ليلةِ النصفِ من شعبانَ يُذهِب الله عنهُم ذلكَ الشيءَ الذي قدَّرَ أن يُصيبَهُم.

بيانٌ توضيحيٌّ لمعرفةِ معنَى القدرِ المعلَّقِ

• الذي يظنُّ أنَّ الله كتبَ قدرًا معلّقًا بأنَّ فلانًا إنْ فعلَ كَذا يُصيبُ كذا مِن مَطالبهِ أو يدفعُ عنهُ شيءٌ منَ البلاءِ وإنْ لم يفعَل كذا لا يَنالُ ما طلبهُ فهذا جائزٌ لأنَّ الملائكةَ يكتبونَ في صُحفِهم على وَجهِ التعليقِ على حَسبِ ما يتلقَّونَ مِن قِبَلِ الله تَعالى فهذا لا يُنافي الإيمانَ بالقدرِ. وكذلك إنْ قالَ إنْ شاءَ الله تَعالى في الأزلِ أن يُصيبَني هذا الشّيء إنْ لم أفعَل كَذا أو كَذا مِن صلةِ الرّحمِ أو التصدّقِ ونحوِ ذلكَ لكنْ عَلمَ أنهُ إنْ دَعوتُ أو تَصدّقتُ بصَدقةٍ أو أحسنتُ إلى أهلي وإلى رَحِمي يُنجيني مِن ذلكَ أيْ أسلم بالدّعاءِ أو بالصّدقةِ أو بصلةِ الرّحمِ والله تعالى عالمٌ بما هوَ كائنٌ منَ الأمرينِ فهذا لا ضررَ فيهِ.

بيانُ أنَّ الذي يَعتقدُ بأنَّ مَشيئةَ الله تتغيّرُ فهوَ كافرٌ

• الذي يَدعو في ليلةِ النصفِ مِن شعبان معتقدًا أنّه يُسَلَّم مما قدَّر الله وعَلِمَ تَعالى أنهُ يُصيبهُ فهذا كافرٌ لأنهُ جعلَ الله متغيّرَ المشيئةِ والعلم، وتغيّرُ العلمِ والمشيئةِ مِن صفاتِ المخلوقاتِ، وأما قولهُ تَعالى ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾[1] فليسَ معناهُ أنَّ الله يغيّرُ مَشيئتَهُ باختلافِ الأزمانِ والأحوالِ بل مَعناهُ يخلقُ خَلقًا جَديدًا، كلَّ يومٍ يُغيّرُ في خَلقهِ ولا يَتغيّرُ في علمهِ ومشيئتهِ[2].

• أما الحديثُ الذي رواهُ الترمذيُّ[3] وهو «**لا يرُدّ القضاءَ شيءٌ إلا الدّعاءُ**»

---

(١) سورة الرحمن/ آية ٢٩.

(٢) السيوطي. تفسير السيوطي. ج١٤ ص١١٩، ابن أبي حاتم. تفسير ابن أبي حاتم. ج١٠ ص ٣٣٢٥، الطبري. تفسير الطبري. ج ٢٢ ص٢١٢، الرازي. التفسير الكبير. ج ٢٩ ص ٣٥٩.

(٣) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب القدر عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء. ج٤ ص٤٤٨.

فالمرادُ بِهِ القضاءُ المعلّقُ لأنَّ القضاءَ منهُ ما هوَ مُعلّقٌ ومنهُ ما هوَ مُبرَمٌ لا يتغيّرُ كما تقدّمَ، فالمعلّقُ معناهُ أنهُ معلّقٌ في صُحُفِ الملائكةِ التي نقلُوها منَ اللوحِ المحفوظِ، فمثلًا يكونُ مَكتوبًا عندَهم فلانٌ إن وصلَ رحمَهُ أو برَّ والديهِ أو دَعا بكَذا يعيشُ إلى المائةِ أو يُعطَى كذا منَ الرّزقِ والصّحةِ وإن لم يصِل رحمَهُ يَعيشُ إلى السّتينِ ولا يُعطى كذا منَ الرّزقِ والصّحةِ، هذا مَعنى القَضاءِ المعلّقِ أوِ القدرِ المعلّقِ، وليسَ معناهُ أنَّ تقديرَ الله الأزليَّ الذي هوَ صفتهُ مُعلّقٌ على فعلِ هذا الشّخصِ أو دعائهِ، فالله تَعالى يعلمُ كلَّ شيءٍ لا يخفَى عليهِ شيءٌ، يعلمُ بعلمِهِ الأزليّ أيَّ الأمرينِ سيَختارُ هذا الشخصُ وما الذي سيُصيبهُ، واللوحُ المحفوظُ كُتبَ فيهِ أيّ الأمرين سيختار. وعلى مثلِ ذلكَ يُحمَلُ الحديثُ الذي رواهُ البيهقيُّ[1] عنِ ابنِ عبّاسٍ أنّه قالَ «لا ينفعُ الحَذرُ منَ القدرِ ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ يمحُو بالدّعاءِ ما شاءَ منَ القدرِ» اهـ. فقولُه «لا يَنفعُ الحذرُ منَ القدرِ» معناهُ في مَا كُتبَ منَ القَضاءِ المحتومِ، وقولهُ «ولكنَّ الله يمحُو بالدّعاءِ ما شاءَ منَ القدرِ» معناهُ المقدورُ.

- كذلكَ قولهُ تَعالى ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾[2] ليسَ معناهُ أنَّ المحوَ والإثباتَ في تقديرِ الله، بل قد فسّرهُ عبدُ الله بنُ عبّاسٍ رضي الله عنهُما بالقضاءِ المعلّقِ[3] وأما الشافعيُّ رضي الله عنهُ فقَد فسرهُ بالناسخِ والمنسوخِ[4] أي أنَّ الله تَعالى يمحُو ما يشاءُ منَ القرآنِ أي يرفعُ حكمَهُ ويَنسخهُ بحكمٍ لاحِقٍ ويُثبِتُ ما يشاءُ منَ القرآنِ فلا يَنسخُهُ، وما يُبدّلُ وما يُثبَتُ كلُّ ذلكَ في كتابٍ، وهذا - أي النسخ - في حياةِ الرّسولِ ﷺ وأما بعدَ وفاتهِ فلا

(١) البيهقي. القضاء والقدر. ج١ ص٢١٠. الحاكم. المستدرك على الصحيحين. ج٢ ص٣٨٠.

(٢) سورة الرعد/ آية ٣٩.

(٣) البيهقي. القضاء والقدر. ص٢١٤.

(٤) البيهقي. القضاء والقدر. ص٢١٧.

نسخَ، يقولُ البيهقيُّ[١] «هذا أصحُ ما قيلَ في تأويلِ هذهِ الآيةِ» اهـ. وأما كتابُ الشّقاءِ والسّعادةِ فإنهُ ثابتٌ لا يُغيّرُ.

- فإذا تقرّرَ هذا فلا التفاتَ إلى الدعاءِ الذي يعملُ بهِ بعضُ الناسِ في ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ والذي أوّلهُ «يا مَن يمُنُّ ولا يُمنُّ عليهِ» وفيهِ «اللهمَّ إن كنتَ كَتبتني في أمّ الكتابِ شقيًّا أو محرومًا أو مقتّرًا عليَّ رِزقي فامحُ اللهمَّ شَقاوتي وتقتيرَ رِزقي وأثبتني عندكَ سعيدًا موفقًا للخيرِ، فإنكَ تقولُ في كتابكَ ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٢]» وينسب إلى عمرَ ومجاهدٍ وغيرِهما منَ السّلفِ، فإنه لا يثبتُ شيءٌ مِن ذلكَ كما أشارَ إلى ذلكَ الحافظُ البيهقيُّ في كتابِ القدرِ[٣]. ويتضمّنُ ذلكَ الدّعاءُ قولهم «اللهمَّ أسألكَ بالتجليّ الأعظمِ في ليلةِ النصفِ مِن شعبانَ المكرّم التي فيهَا يُفرَق كلُّ أمرٍ حكيمٍ ويُبرَم» وهذا شذوذٌ آخرُ فالصّحيحُ أنّ الليلةَ التي يُفرَقُ فيها كلُّ أمر حكيمٍ هي ليلةُ القدرِ فقَد روَى البيهقيُّ[٤] عَن مجاهدٍ أنهُ قالَ في تفسير قولِ الله تَعالَى ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾[٥] «يُفرقُ في ليلةِ القدرِ ما يكونُ في السّنةِ مِن رزقٍ أو مُصيبةٍ فأما كتابُ الشّقاءِ والسّعادةِ فإنهُ ثابتٌ لا يُغيّرُ» اهـ.

- ومما استدلَّ بهِ أهلُ الحقّ على أنَّ الله لا يُغيّرُ مَشيئتَهُ لدعاءِ داعٍ الحديثُ الذي رواهُ الحافظُ عبدُ الرحمنِ بنُ أبي حاتمٍ[٦] عَن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ «**سألتُ ربّي لأمّتي أربعًا فأعطاني ثلاثًا ومَنعني واحدة...**» الحديثَ،

---

(١) البيهقي. القضاء والقدر. ص٢١٥.

(٢) سورة الرعد/ آية ٣٩.

(٣) البيهقي. القضاء والقدر. ص٢١٤-٢١٥.

(٤) البيهقي. القضاء والقدر. ص٢١٥.

(٥) سورة الدخان/ آية ٤.

(٦) ابن أبي حاتم. تفسير ابن أبي حاتم. ج٤ ص١٣١٢.

وفي روايةِ مسلمٍ[1] «**سألتُ ربي ثلاثًا فأعطاني ثِنتين ومَنعني واحدة**»، وفي روايةٍ «**وإنَّ ربي قالَ يا محمّدُ إني إذا قَضيتُ قضاءً فإنهُ لا يُردُّ**»، فلو كانَ الله يُغيّرُ مَشيئتهُ بدعوةٍ لغيّرها لحبيبهِ المصطفَى ﷺ، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ لا تتغيّرُ صفاتهُ.

نسألُ الله أن يُثبّتنا على الإسلام ما حيينا ويَتوفّانا عليهِ. والحمدُ للهِ ربّ العالمينَ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(١) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب هلاك هذه الأمّة بعضهم ببعض. ج٨ ص١٧١.

المحاضرة الثالثة والأربعون

التعريفُ بحزبِ التحريرِ

(وأنهم منحرفون)

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلِهِ وصَحابتِهِ الطّاهرين

أما بعدُ فقَد ظهرَت جماعةٌ منَ الناسِ يُسمَّوْنَ حزبَ التحريرِ، يحرّفونَ دينَ الله ويَنشرونَ الأباطيلَ، ويُثيرونَ الخلافاتِ التي لا مَعنى لها.

- أسّسَ هذا الحزبَ رجلٌ يسمّى تقيَّ الدّينِ النبهانيَّ[1]، ادّعى الاجتهادَ وخاضَ في الدينِ بجهلٍ، فوقعَ في التحريفِ والتكذيبِ لكتابِ الله وسنةِ رسولهِ ﷺ، وخرقَ الإجماعَ في مسائلَ في أصولِ الدينِ وفروعِهِ.

- **أما في أصولِ العقيدةِ فمِن أشنعِ مسائلِهم موافقتهُم لعقيدةِ المعتزلةِ القدريةِ مجوسِ هذهِ الأمةِ**

- فمما قالهُ زعيمهُم تقيُّ الدينِ النبهانيُّ في كتابهِ المسمّى «الشخصيّةَ الإسلاميّةَ» ما نصّهُ[2] «وهذهِ الأفعالُ -أي أفعالُ الإنسانِ- لا دخلَ للقَضاءِ بها، لأنَّ الإنسانَ هوَ الذي قامَ بها بإرادتهِ واختيارهِ، وعلى ذلكَ فإنَّ الأفعالَ الاختياريةَ

(١) وهو غير الشيخ يوسف النبهاني.

(٢) الكتاب المسمى الشخصية الإسلامية. ج١ القسم الأول ص٧١-٧٢.

لا تدخلُ تحتَ القضاءِ» ثم قال[1] «فتعليقُ المثوبةِ أو العقوبةِ بالهدى والضلالِ يدلُّ على أن الهدايةَ والضلالَ هما من فعلِ العبدِ وليسا من الله» اهـ. وكلامُ النبهانيّ هذا مخالفٌ للقرآنِ والحديثِ وصريحِ العقلِ.

- فأما القرآنُ فقد قالَ الله تَعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾[2] وقالَ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾[3]، والشّيءُ هنا شاملٌ لكلّ ما يدخلُ في الوجودِ مِن أجسامٍ وأفعالٍ للعبادِ ما كانَ منها اختياريًّا وما كانَ منها اضطراريًّا لأنَّ الشّيءَ في اللغةِ معناهُ الموجودُ، وأعمالُ الإنسانِ موجودةٌ. وقالَ تعالى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[4] أي وخلقَ عملَكُم وهو شاملٌ لأعمالِ الخيرِ والشرّ.

- وأما مخالفتهُ للحديثِ فقَد روَى مسلمٌ في صحيحهِ[5] والبيهقيُّ[6] وغيرهما[7] أنَّ الرّسولَ ﷺ قالَ «**كلُّ شيءٍ بقَدَرٍ حتى العجزُ والكيسُ**» والعجزُ البلادةُ، والكيسُ الذكاءُ.

- وأما مخالفتهُ لصريح العقلِ فهوَ أنهُ يلزمُ مِن قولهِ ذلكَ أن يكونَ الله مغلوبًا مَقهورًا، لأن قوله «لا دخل للقضاء بها» يجعل العبد خالقًا لأفعالهِ على رغمِ إرادةِ الله، والله لا يكونُ إلا غالبًا، قالَ تَعالى ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾[8].

---

(١) الكتاب المسمى الشخصية الإسلامية. ص٧٤.

(٢) سورة الفرقان/ آية ٢.

(٣) سورة القمر/ آية ٤٩.

(٤) سورة الصافات/ آية ٩٦.

(٥) مسلم. صحيح مسلم. كتاب القدر: باب كلّ شيء بقدر. ج٨ ص٥١.

(٦) البيهقي. السنن الكبرى. كتاب الشهادات: باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء. ج١٠ ص٢٠٥.

(٧) ابن حبان. صحيح ابن حبان. ذكر الأخبار بأن كل شيء بمشيئة الله جل وعلا وقدرته سواء كان محبوبًا أو مكروهًا. ج١٤ ص١٧.

(٨) سورة يوسف/ آية ٢١.

وليعلَم أنَّ كلامَ القدريةِ ضدُّ عقيدةِ المسلمينَ كما نصَّ على ذلكَ ترجمانُ القرآنِ عبدُ الله بنُ عبّاسٍ رضي الله عنهُما، واتفقَ على عدّ المعتزلةِ خارجينَ عن الإسلامِ المحقّقونَ مِن أهلِ السّنةِ والجماعةِ الأشاعرةِ والماتريديةِ أما الأشاعرةُ فنقلَ إجماعَهُم الإمامُ الكبيرُ أبو منصورٍ البغداديُّ فقالَ في كتابِهِ «تفسيرِ الأسماءِ والصّفاتِ»[1] «أصحابُنا أجمعُوا على تكفيرِ المعتزلةِ» اهـ ومرادهُ بأصحابِنا الأشاعرةُ الشّافعيّةُ لأنهُ رأسٌ كبيرٌ مِن رؤوسِهم وهوَ إمامٌ مقدّمٌ في النقلِ معروفٌ بذلكَ بينَ الفقهاءِ والأصوليينَ والمؤرخينَ الذينَ ألّفوا في الفرقِ وأما الماتريديةُ فممّن نقلَ اتفاقَهُم على ذلكَ المحدّثُ اللغويُّ محمّدُ مرتضَى الزبيديُّ ذكرَ ذلكَ في كتابِهِ «إتحافِ السّادةِ المتقينَ»[2] فقالَ فيهِ «لم يتوقّف علماءُ ما وراءَ النهرِ مِن أصحابِنا في تكفيرِ المعتزلةِ» اهـ. والأئمةُ الأربعةُ على تضليلِ القدريةِ ورويَ ذلكَ عَن بعضِ الصّحابةِ بل يَكفي في تضليلِهم وعدّهِم خارجينَ عنِ الإسلامِ الحديثُ الذي رواهُ الحافظُ المجتهدُ محمّدُ بنُ جريرٍ الطبريُّ وصحّحهُ في تهذيبِ الآثارِ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ «**صِنفانِ مِن أمّتي ليسَ لهما نصيبٌ في الإسلامِ القدريةُ والمرجئةُ**»[3] اهـ وهوَ صريحٌ في الحكمِ على أهلِ القدرِ كالمعتزلةِ ومَن وافقهُم كحزبِ التحريرِ بأنهم ليسُوا مسلمينَ.

- **وأما في الفروعِ فمِن أبرزِ أباطيلِ حزبِ التحريرِ قولُهم إنَّ مَن ماتَ مِن غيرِ بَيعةٍ لخليفةٍ ماتَ ميتةً جاهليّةً.**

- فإنهم يذكرونَ في كتابهم المسمّى الشخصية الإسلامية ما نصّهُ[4] «فالنبيُّ ﷺ فرضَ على كلّ مسلمٍ أن تكونَ في عنقهِ بَيعةٌ، ووصفَ مَن يموتُ وليسَ في

(١) البغدادي. الأسماء والصفات. (ق/ ٢٨٨).

(٢) مرتضى الزبيدي. إتحاف السادة المتقين. ج٢ ص١٣٥.

(٣) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب القدر عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في القدرية. ج٤ ص٤٥٤.

(٤) الكتاب المسمى الشخصية الإسلامية. ج٢ القسم الثالث ص١٣-٢٩.

عُنقهِ بَيعةٌ بأنهُ ماتَ ميتةً جاهليّةً» اهـ. ويقولون في كتابهم المسمى «الخلافة»[١] «المدةُ التي يمهلُ فيها المسلمون لإقامةِ خليفةٍ هي ليلتان، فلا يحل أن يبيت ليلتين وليس في عنقه بيعة» ويقولون[٢] «وإذا خلا المسلمون من خليفةٍ ثلاثة أيامٍ أثموا جميعًا حتى يقيموا خليفةً» اهـ.

وهذهِ العباراتُ مِن جملةِ تحريفِهم للكَلمِ عَن مَواضعهِ، فإنَّ الحديثَ الذي رواهُ مسلمٌ[٣] عنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهُما هذا لفظهُ «**مَن خَلع يدًا مِن طاعةٍ لقيَ الله يومَ القيامةِ لا حجّةَ لهُ ومَن ماتَ وليسَ في عُنقهِ بيعةٌ ماتَ ميتةً جاهليةً**»، فمَعنى الحديثِ أنَّ مَن تمرّدَ على الخليفةِ واستمرَّ على ذلكَ إلى المماتِ تكونُ ميتتهُ ميتةً جاهليّةً. ويدلُّ على ذلكَ حديثُ البخاريّ[٤] ومسلم[٥] عَن حذيفةَ بنِ اليمانِ رضي الله عنه وفيه يقولُ الرسولُ ﷺ بعدَ وصفِ الدّعاةِ على أبوابِ جهنّم «**فالزموا جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم**» قالَ حذيفةُ فإنْ لم تكُن لهم جماعةٌ ولا إمامٌ؟ قالَ «**فاعتزِل تلكَ الفرقَ كلَّها**»، ولم يقُل لهُ النبيُّ ﷺ إنْ لم يكُن إمامٌ تموتونَ ميتةً جاهليةً. فهُم ضَربوا بحديثِ البخاريّ ومسلمٍ عرضَ الحائطِ، وتشبّثوا بحديثِ مسلمٍ في غيرِ محلّهِ.

- ومِن أباطيلِ حزبِ التحريرِ قولهم في بَعضِ مناشيرِهم التي نشَروها في طرابلسَ الشّام منذُ أكثرَ مِن ثلاثين سنة تقريبًا إنهُ لا يحرمُ المشيُ بقصدِ الزّنى بامرأةٍ أوِ الفجورِ بغلامٍ، وإنما المعصيةُ في التطبيقِ بالفعلِ. وهذا الكلامُ

(١) الخلافة. ص٤.

(٢) الخلافة. ص٣. والكتاب المسمى الشخصية الإسلامية. ج٢ القسم الثالث. ص١٥.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإمارة: باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدّعاة إلى الكفر. ج٦ ص٢٢.

(٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب المناقب: باب علامات النبوة في الإسلام. ج٤ ص٢٤٢.

(٥) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإمارة: باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدّعاة إلى الكفر. ج٦ ص٢٢.

مخالفٌ للإجماعِ وللحديثِ الذي رواهُ البخاريُّ[1] ومسلمٌ[2] وغيرهما وهو «**كُتبَ على ابنِ آدم نصيبهُ منَ الزّنى مُدركٌ ذلكَ لا محالةَ، فالعينانِ زناهما النظرُ، والأذنانِ زناهما الاستماعُ، واللسانُ زناهُ الكلامُ، واليدُ زناها البَطشُ، والرّجلُ زناها الخطا**»، وقَد ذكرَ النوويُّ في شرحهِ على مسلمٍ[3] كونَ المشي للزنى حرامًا واللمسِ حرامًا بدليلِ الحديثِ المذكورِ.

- ومِن جملةِ أباطيلِهم قولهم بجوازِ تقبيلِ الرجلِ المرأةَ الأجنبيةَ، ذكَروا ذلكَ في مَنشورٍ لهم على شكلِ سؤالٍ وجوابٍ[4]. ويدلُّ على بُطلانِ قولهم هذا حديثُ «**لأَن يُطعنَ أحدكُم بحديدةٍ في رأسِهِ خيرٌ لهُ مِن أن يمسَّ امرأةً لا تحلُّ لهُ**» رواهُ الطّبرانيُّ في المعجمِ الكبيرِ[5] وحسّنهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ.

• فتلخّصَ مما مضَى أنَّ هذهِ الفرقةَ مخالفةٌ لما عليهِ المسلمونَ في أمرِ القَدرِ والخلافةِ ولهم مخالفاتٌ في الأحكامِ ولهذهِ الفرقةِ ضلالاتٌ وأباطيل أخرى لكِن في ما ذكرناهُ كفايةٌ في بيانِ شذوذهِم وتحريفِهِم وشدّةِ خَطرهِم فينبغي الحذرُ والتحذيرُ منهُم غيرةً على الدّينِ وعملًا بالقرآنِ الكريم قالَ الله تَعالى ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾[6].

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الاستئذان: باب زنا الجوارح دون الفرج. ج٨ ص٦٢.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب القدر: باب قدر على ابن آدم حظه من الزنى وغيره. ج٨ ص٥٢.

(٣) النووي. شرح النووي على مسلم. ج٩ ص٧.

(٤) نشرة جواب وسؤال- تاريخ ٢٤ ربيع الأول سنة ١٣٩٠هـ.

(٥) الطبراني. المعجم الكبير ج٢٠ ص٢١٢. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد. «ورجاله رجال الصحيح»اهـ. ج٤ ص٣٢٦. وقال المنذري في الترغيب والترهيب: «رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني ثقات رجال الصحيح»اهـ. ج٣ ص٣٩.

(٦) سورة آل عمران/ آية ١٠٤.

المحاضرة الرابعة والأربعون

بيانُ حالِ الصّوفيةِ الصّادقينَ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

وبعدُ فإنَّهُ قد كَثُرَ الطَّعْنُ في زمانِنا على التَّصَوُّفِ والصُّوفِيَّةِ مِنْ غَيرِ تَمييزٍ بينَ عارفٍ صادقٍ وزائفٍ مارقٍ فكانَ لا بُدَّ مِنْ بَيانِ التَّصَوُّفِ وحالِ الصوفِيَّةِ الصّادِقِينَ ليَمِيزَ المنْصِفُ بينَهم وبينَ مَنْ يَنسُبُ نفسَه إليهم وهوَ ليسَ منهُم معَ بيانِ أنَّ معنى التصوُّفِ الحقيقِيّ كانَ في الصَّدْرِ الأوّلِ مِن عَصرِ الصّحابةِ.

قالَ الله تعالى ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[1] وقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «**أَحَبُّ العِبَادِ إلى الله تَعَالى الأتقِيَاءُ الأخفِيَاءُ الذِينَ إذَا غَابُوا لَمْ يُفتَقَدُوا وَإِذَا شَهِدُوا لَمْ يُعرفوا أولئكَ هُم أئِمَّةُ الـهُدَى ومَصَابِيحُ العِلم**» رواهُ الطبراني في المعجم الكبير[2] والأوسط[3].

فالتَّصوُّفُ مرتبةٌ عاليةٌ وهوَ إصلاحُ القلبِ بالوقوفِ معَ الآدابِ الشرعيةِ ظاهرًا وباطنًا، فهوَ مَبْنِيٌّ على الكتابِ والسُّنَّةِ وذلك بِاتّباعِ شَرعِ الله تَعالى والاقتداءِ بالنبيّ ﷺ في الأخلاقِ والأحوالِ، والأكلِ مِنَ الحلالِ، وإخلاصِ النيةِ في جميعِ الأفعالِ، وتَسلِيمِ الأمورِ كلّها لله مِن غيرِ إهمالٍ في الواجبِ وَلا مُقَارَبةِ محظُورٍ،

---

(١) سورة النازعات/ ٤٠-٤١.

(٢) الطبراني. المعجم الكبير. ج٢٠ ص٣٧.

(٣) الطبراني. المعجم الأوسط. ج ١٥ ص١٣٦.

وحَاصِلُهُ اتصافٌ بالمحامدِ وتركٌ للأوصافِ الذَّميمَةِ.

فهوَ مَسلَكٌ قَائمٌ عَلى العِلْمِ والعَمَلِ أعلاهُ عِلمُ التَّوحِيدِ وأداءُ الوَاجِبَاتِ قبلَ النَّوَافِلِ ثمَّ عَمَلُ البِرّ والخيرِ والزُّهدُ والتَّحلّي بالأخلاقِ الحسنَةِ.

قالَ الله تعالى ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ** ﴾[1] وقالَ النبيُّ ﷺ لمعاذِ بنِ جَبَلٍ «**إيَّاك والتَّنعُّمَ فإنَّ عِبادَ الله لَيسُوا بالمتنعّمِين**» رواهُ أحمد[2] والبيهقي[3].

- فهذا هوَ مَشربُ القومِ اتّباعُ الرسولِ ﷺ في حالهِ وخُلُقِه وكانَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ خلُقَهُ القرآنُ، وكانَ أكثرَ الناسِ تَواضُعًا وزُهدًا فقَد كانَ ﷺ يَمْشِي معَ المسكينِ والأرملةِ إذا أتياهُ في حاجةٍ مَا، يَفعلُ ذلكَ مِن غيرِ أَنَفَةٍ، وكانَ يَخصِفُ نَعلَه ويَخِيطُ ثوبَه ويَحلِبُ شَاتَهُ ويَخدِمُ نفسَه ولا يَعِيبُهُ ذلكَ ويَكون في مهنَةِ أهلِهِ وَكَان يُردِفُ خَلفَه عبدَهُ أو خادمَهُ أو قريبَهُ يفعلُ ذلكَ على دَابَّتِه، وكانَ يُجالِسُ الفُقَراءَ والمساكينَ والعبيدَ والإماءَ ويَعودُهُم ويَزُورُهُم ويَتَفَقَّدُ حَالَهُم ويَشهَدُ جَنَائزَهُم وما سُئِلَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ شَيئًا مِن مَتاعِ الدُّنيا يُباحُ إعطاؤُهُ فقالَ لا، وكانَ يجلِسُ للأكلِ معَ الفقراءِ والمساكين وكانَ لَا يَعيبُ طعامًا قطُّ بلْ إنْ أحبَّه أكلَهُ وإنْ كَرِهَهُ تركَهُ، وكانَ يلبسُ مِن الثيابِ ما وجدَه مِن إزارٍ وقميصٍ وجُبَّةِ صوفٍ وكانَ لا يُسْبِلُ القميصَ ولا الإزارَ أي لا يُرسِلُهُما إلى الأرضِ بل يجعلُ الإزَارَ والقميصَ فوقَ كعبيهِ يفعلُ ذلكَ تَواضُعًا، وقَد أخرجَ ابنُ المنذرِ عَن عِكرِمَةَ قالَ دخلَ عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنهُ على النبيّ ﷺ وهوَ راقِدٌ علَى حَصِيرٍ مِن جَرِيدٍ وقَدْ أثَّرَ في جَنبِه فبكَى عُمَرُ فقالَ لهُ رسولُ الله ﷺ «**ما**

(١) سورة السجدة/ ١٦-١٧.

(٢) أحمد. مسند أحمد. ج٥ ص٢٤٣.

(٣) البيهقي. شعب الإيمان. ج٨ ص٢٤٦.

يُبْكِيكَ؟» قالَ عُمرُ رضي الله عنهُ «ذَكَرْتُ كِسْرَى ومُلْكه وهُرْمُزَ ومُلْكَهُ وَصَاحِبَ الحَبَشَةِ ومُلْكَهُ وَأَنْتَ رَسُولُ الله صلَّى الله عَلَيكَ وسَلَّمَ عَلى حَصِيرٍ مِن جَرِيدٍ» فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ «**أَمَا تَرْضَى أَنَّ لهم الدُّنْيَا وَلَـنَا الآخِرَة**». فَهَذَا رَسُولُ الله ﷺ الزَّاهِدُ فِي الدُّنيَا الرَّاغِبُ فِي الآخِرَة، وَالوَارِدُ عَنهُ عَليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ فِي ذَلك كَثِيرٌ وَقَد قَالَ عَلَيهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كأَنَّكَ غَرِيبٌ أَو عَابِرُ سَبيل**»[1] وقالَ ﷺ «**مَا لِي وَللدُّنْيَا وَمَا لِلدُّنْيَا وَمَا لِي مَا أَنَا إلا كَرَاكِبٍ استَظَلَّ تحتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**»[2] فَعَلى هذا كانَ سيّدُنَا وقُدْوَتُنَا رَسولُ الله ﷺ، ومِثلُهُ ورَدَ عَن أنبياءِ الله عليهِم الصَّلاةُ والسَّلامُ فَقَدْ كَانَ سيدُنَا عِيسَى عَلَيهِ السَّلامُ يَبيتُ حَيثُ أَمسَى فِي مَسجِدٍ أو غَيرِ مَسجِدٍ، مَا اتَّخَذَ بَيتًا وَكانَ يأكُلُ مَا يَتَقَوَّى بِهِ مِن بُقُولِ الأرضِ نِيئَةً مِن غَيرِ طَبخٍ هَكَذَا أنبيَاءُ الله عَلَيهِم السَّلامُ زُهَّادٌ عُبَّادٌ عَارِفُونَ طَالِبُونَ للآخِرَة، وكذلِكَ نبيُّ الله سُليمَانُ عليهِ السَّلامُ مَع مَا أعطَاهُ الله تَعالَى مِنَ السُّلطَان والجَاهِ وخِدمَةِ الجِنّ لَهُ كَانَ يَأكُلُ خُبزَ الشَّعِيرِ، وقَد مَاتَ سَيدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ ولَم يَشبَعْ مِن خُبزِ الشَّعِيرِ[3] مَع أَنَّهُ أَعطَى ما بَين لابَتَيهَا غنَمًا، وتَبِعَ سيّدنا أَبُو بَكرٍ الصّديقُ رضي الله عنهُ هَذَا المشرَبَ وَرَدَّ أهلَ الردَّةِ عَلَى أعقَابِهِم ونَامَ عَلى قَطِيفَةٍ[4] لم يَكُن عندَه فِي البَيتِ سِواهَا ثُمَّ أمرَ بها فأُعِيدَتْ إلى بيتِ المالِ، وكذلك سيّدنا الفَارُوقُ عُمَرُ رضي الله عنهُ فتحَ الأقطَارَ وعزَّ بهِ الدينُ واستنارَ، خَطَبَ عامَ وَفَاتِهِ وعلَيهِ ثوبٌ فِيهِ أربَعُونَ رُقعَةً، وكذلك سيدُنا ذُو النُّورَينِ عُثمانُ رضي الله عنهُ فَقَد رُوِيَ أَنَّهُ رُئي يَقِيلُ فِي المسجِدِ وَهوَ يَومَئِذ خَلِيفَةٌ وَقد أَثَّرَ الحَصَى فِي جَنبِهِ[5]، وَكذَلِك أَبُو الحسَنَين عليٌّ رَضي الله عَنْهُ وَهوَ الذِى رَآهُ

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الرقاق: باب مثل الدّنيا في الآخرة. ج٨ ص١١٠.

(٢) أحمد. مسند أحمد. ج١ ص٣٠١.

(٣) البزار. مسند البزار. ج٣ ص٢٧٠.

(٤) في القاموس: «القطيفة دثار مخمَّل» اهـ. ج١ ص١٠٩٣.

(٥) البيهقي. السنن الكبرى. ج٢ ص٤٤٦.

رَسُولُ الله ﷺ نَائِمًا عَلَى التُّرَابِ فَسَمَّاهُ أَبَا تُرَابٍ[1]، وَتَبِعَهُم على ذَلكَ أهلُ الوِلايَةِ والإرشادِ مِنَ التَّابِعِينَ الأَمْجَادِ. قَالَ الحَسَنُ البصرِيُّ رحمه الله[2] «أَدرَكْتُ سَبعِينَ بَدْرِيًّا مَا كانَ لِباسُهُم إلا الصُّوفَ» اهـ.

- وقَد ثَبَتَ عَن سَيدِنا عُمرَ بنِ الخَطَّابِ رضي الله عنهُ أَنَّهُ قَالَ «اخشَوْشِنُوا وَتَـمَعدَدُوا[3]» اه وَمَعنَى اخشَوشِنُوا أي الزَمُوا خُشُونَةَ العَيشِ أي لا تَتَنَعَّموا وأمَّا قَولُهُ «تَـمَعدَدُوا» فهوَ التَّشَبُّهُ بِمَعَدّ بنِ عدنَانَ أحدِ أجدادِ الرسولِ ﷺ وكَانَ ذَا شَهَامَةٍ ومُلازَمَةٍ لِخُشُونَةِ العَيشِ. واعلَم أنَّ معنى التصوُّفِ الحقيقِيّ كانَ موجودًا في الصّدرِ الأوّلِ مِن عَصْرِ الصّحابةِ فالخلفاءُ الأربعَةُ كانوا صوفِيّين معنًى فقَد بدأَ الحافظُ أبو نُعَيْم كتابَهُ «حِليَةَ الأولِياء»[4] بصوفِيَّةِ الصحابَةِ ثم أَتْبَعَهُم بصُوفِيَّةِ التابعينَ وهكذا.

فالصُّوفِـيُّ مَن كانَ عامِلًا بشَريعةِ الله تباركَ وتعالى وَخَالفَ هواهُ، فهوَ مَن لا يُتبِعُ نفسَه الهوَى في المأكلِ والمشرَبِ والملبسِ وغيرِ ذلكَ بل يَقتصِرُ على القَدرِ الذي يحفظُ صحَّةَ جسدِه مِن المأكلِ والمشربِ والملبسِ مع بذلِ الجهدِ في عبادةِ الله تباركَ وتعالَى بأَداءِ الفَرائِضِ والإكثارِ مِنَ النوافلِ.

- قال الجُنَيْدُ البغداديُّ[5] «طريقُنَا هذا مَضبُوطٌ بالكتابِ والسنَّةِ، إذِ الطَّرِيقُ إلى اللهِ مسدودٌ إلا على المقتَفِينَ آثارَ رسولِ الله ﷺ» اهـ.
- وقال سَهْلُ التُسْتَرِيّ[6] «أصولُ مذهبِنَا -يعني الصّوفيّة- ثلاثةٌ اقتداءٌ بالنبيّ في

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الصلاة: باب نوم الرجال في المسجد. ج١ ص١٢٠.

(٢) أبو سعيد الخادمي. بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية. ج١ ص٢٧٤.

(٣) الطبري. تفسير الطبري. ج ٣ ص٢٦٥.

(٤) الأصبهاني. حلية الأولياء. ج١ ص٢٠.

(٥) ابن الجوزي. تلبيس إبليس. ص١٢، الزركشي. تشنيف المسامع. ج٣١ ص٣٤٤.

(٦) القاضي عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. ج٢. ص١٢.

الأخلاقِ والأفعالِ، والأكلُ منَ الحلالِ، وإخلاصُ النيةِ فِي جَمِيعِ الأفعالِ» اهـ.

وفي هذا بيانُ أنَّ التصوُّفَ الحقيقيَّ ليسَ مجرَّدَ لُبْسِ الصّوفِ دونَ اتباعٍ للشّرعِ الشّريفِ بل الصّوفيُّ الحقيقيُّ هو الذي يَتْبَعُ الحقَّ ويؤدّي حقوقَ الله تعالى عليهِ فالتصوُّف حاصلُهُ اتصافٌ بالمحامدِ وتركُ الأوصافِ المذمومةِ معَ الزهدِ في المأكلِ والملبسِ وقبلَ ذلكَ كلِّهِ الاقتداءُ بالنبيّ ﷺ بأداءِ الفرائضِ واجتنابِ المحرّماتِ ولا يتأتَّى هذا إلا بتعلُّم ما افترَضَ الله عليه تَعَلُّمُه مِن عِلم الدينِ لِيَعْرفَ الشخصُ الفرائضَ والمحرَّماتِ. فالصّوفيةُ موصوفُونَ بأنَّهم تَركُوا الدنيَا ومَلذّاتِها وعمِلُوا بقولِ النبيّ ﷺ «**بِحَسْبِ ابنِ آدمَ لُقَيْماتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ**» رَواهُ الترمِذيُّ[1].

وأمّا مُجَرَّدُ الدعْوى بلا تَحقِيقٍ فلا يُصَيّرُ المرْءَ صوفِيًّا، فكَم مِن أُناسٍ ادَّعَوا التّصَوُّفَ وهُم لا يعرِفُونَ مِنَ التصوُّفِ إلا التزيّي بِزِيّ الصّوفِيّةِ مِن لُبْسِ الخَشِنِ وإطراقِ الرؤوسِ وإظهارِ التواضُعِ ولَقْلَقَة الألسُنِ بذِكرِ الله وهوَ لا يَعرِفُ كيفَ يستَنجِي ولو سُئلَ عَن مُبطِلاتِ الصّلاةِ لما عرفَها ولعلَّ بعضَهُم يعتقِدُ في الله ما لا يَليقُ بِهِ تعالى كاعتقادِهِ جسمًا لطيفًا كالضوءِ مُنتَشِرًا في العالمِ والعياذُ بالله أو تراه يُحَرّفُ اسمَ الله حينَ النُّطقِ به، وقد كان الإمامُ أحمدُ الرفاعيُّ رَضي الله عنه إذا رأى على فقيرٍ جُبَّةَ صوفٍ يقولُ له[2] «يا وَلَدِي انْظُر بِزِيّ مَنْ تَزَيَّيْتَ، وإلى مَن انتَسَبْتَ، قد لَبِستَ لِبْسَةَ الأنبياءِ وتَحلَّيْتَ بحِلْيَةِ الأتقياءِ، هذا زِيُّ العارِفِينَ فاسلُكْ فيه مَسالِكَ المقَرَّبين وإلا فانْزَعه» اهـ. وليس التصوُّفُ مجردَ ذِكرِ قصَصِ الصّالحينَ بل إنما هوَ بالعملِ على تهذيبِ النفسِ ليكونَ الهوى تَبَعًا لما جاءَ بِهِ النبيُّ ﷺ.

(١) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل. ج٤ ص٥٩٠.

(٢) عبد الوهاب بن أحمد الشعراني. لواقح الأنوار القدسية في العهود المحمدية. قسم المناهي. ج١ ص٣٥٦.

وقَد قالَ سيّدُ الطائفَةِ الصوفية أبو القاسمِ الجُنَيْدُ بنُ محمّدٍ البغداديُّ[1] «ما أخَذْنا التصوُّفَ بالقالِ والقيلِ ولكنْ أخذناهُ بالجوعِ والسّهَرِ وتَرْكِ المألوفاتِ والمسْتَحْسَناتِ» اهـ. وقدِ اشتَهَرَ حديثٌ عندَ الصّوفيةِ وهوَ حديثُ حارِثَةَ بنِ مالِكٍ أنَّ الرَّسولَ ﷺ لَقِيَهُ ذاتَ يوم فقالَ لهُ «**كيفَ أصبَحْتَ يا حارِثَةُ؟**» قالَ «أصبَحتُ مؤمِنًا حَقًّا» فقالَ عليهِ الصَّلاةُ والسّلامُ «**انظُرْ ما تقولُ فإنَّ لكُلّ قولٍ حَقيقَةً**» قالَ «عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدنيا فأَسْهَرْتُ لَيْلِي وأَظْمَأْتُ نهاري فكأنّي بِعَرْشِ ربّي بارِزًا وكأنّي بأَهلِ الجنَّةِ يَتَزاوَرونَ فيها وكأنّي بِأَهلِ النارِ يتَعاوَوْن فيها» قال «**عَرَفْتَ فالْزَمْ، عبدٌ نَوَّرَ اللهُ الإيمانَ في قَلْبِهِ**» أخرجهُ الطّبرانيُّ[2]. فالصّوفيُّ الحقيقِيُّ هوَ العارِفُ باللهِ وليُّ اللهِ.

• وهناك طرقٌ أحدثَها بعضُ أهلِ الله كالرفاعيةِ والقادرية وهي نحوُ أربعين طريقة وهيَ طريقُ الأولياءِ ودربُ الأتقياءِ، وليست هذه الطرقُ واجبةً، بل هي من البدعِ الحسنةِ التي تدخلُ في حديثِ رسولِ الله ﷺ الذي رواهُ مسلمٌ[3] «**مَن سَنَّ في الإسلامِ سنّةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها بعدَهُ مِن غيرِ أن يَنقُصَ مِن أُجورهِم شىءٌ**» الحديث، ولكن شذَّ بعضُ المنتسبين إليها وهذا لا يقدحُ في أصلها.

وقَد جعلَ الله هذهِ الطّائفةَ سادةَ الأمةِ، وفَضَّلَهُم على سائرِ خلقِه بعدَ أنبيائِهِ ورسلِهِ، وجعلَهم للناسِ هُداةً ورحمةً، يَتبَعونَ الحَقَّ ويدُورُونَ معهُ حيثُ دارَ، حَمَلُوا لِواءَ العلمِ والعمل، وتجنَّبوا مهالِكَ الجهلِ والكسلِ، هَجَروا المنامَ، وقَلَّلُوا مِنَ الطّعامِ، واحتَمَلُوا الأذَى مِنَ الأنامِ واجتنبوا الذنوبَ والآثامَ، وصلَّوا بالليلِ

(١) ابن الجوزي. تلبيس إبليس. ص١٥١، القشيري. الرسالة القشيرية. ص١٥.

(٢) الطبراني. المعجم الكبير. ج٣ ص٢٢٦-٢٢٧، البيهقي. شعب الإيمان. ج١٣ ص١٥٨.

(٣) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الزكاة: باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار. ج٣ ص٨٧.

والناسُ نِيَامٌ، فَهُم مِن خشيةِ الله عُيونُهُم دامِعَةٌ، وقُلوبُهُم إليهِ خَاشعَةٌ، وهُم عَلى ذلكَ يَرَونَ مَا هُم فِيهِ مِن الفَضلِ فضلًا منهُ عليهِم، قَدْ سَاقَه الربُّ الكريمُ إليهِم، نَسألُ الله العظيمَ أن يجعلَنَا مِن الذينَ يستَمِعون القولَ فيتَّبِعونَ أحسنَه، وأن نكونَ منَ الصّوفيةِ الصّادِقِين، عَلى الإيمانِ ثابتينَ، وعَلى الطاعةِ مُثَابِرينَ، وللذُّنُوبِ مجتَنِبينَ، وعَلَى البَلاءِ صَابِرينَ، وصَلَى الله على سيدِنَا محمدٍ وعلَى آلهِ وسلَّمَ.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة الخامسة والأربعون

بيانُ أنَّ عقيدةَ الحلولِ والاتحادِ عَقيدةٌ مُخالفةٌ للإسلامِ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتِهِ الطّاهرين

وبعدُ فإنَّ التصوّفَ مرتبةٌ عاليةٌ وهوَ إصلاحُ القلبِ بالوقوفِ معَ الآدابِ الشرعيّةِ ظاهرًا وباطنًا، فهوَ مَبنيٌّ على الكتابِ والسّنةِ وذلكَ باتّباعِ شرعِ الله تَعالى والاقتداءِ بالنبيّ ﷺ في الأخلاقِ والأحوالِ والأكلِ منَ الحلالِ وإخلاصِ النيّةِ في جميعِ الأفعالِ وتسليمِ الأمورِ كلّها للهِ مِن غيرِ إهمالٍ في واجبٍ ولا مقاربةِ محظورٍ وحاصلُهُ اتّصافٌ بالمحامدِ وتركٌ للأوصافِ الذميمةِ، فهوَ مَسلَكٌ قائمٌ على العلمِ والعملِ.

قال الكلاباذيُّ في كتابِه «التعرُّفُ لمذهبِ أهلِ التصوُّفِ»[1] «وقال أبو علي الروذباريُّ وقد سئلَ عن التصوفِ: مَنْ لبسَ الصوفَ على الصفا وأطعمَ الهوى ذوقَ الجفا وكانتِ الدنيا منه على القفا وسلكَ منهجَ المصطفى. وسئلَ سهل التُّسْتَريُّ مَن الصوفيُّ فقال من صفا من الكدرِ وامتلأَ من الفكرِ وانقطعَ إلى اللهِ من البشرِ واستوى عنده الذهبُ والمَدَر[2]»اهـ.

ثم إن التصوفَ معروفٌ منذ زمنِ السلف، فهذا أحمدُ بنُ حنبلٍ كان يمتدحُ

(١) الكلاباذي. التعرف لمذهب أهل التصوف. ص ٢٥.

(٢) «المدر قطع الطين»اهـ. الفيومي. المصباح المنير. (٢/ ٥٥٦).

أبا حمزةَ البغداديَّ الصوفيَّ فيقولُ يا صوفيُّ ما تقولُ في هذه المسألةِ؟ كما ذكرَ ذلك الذهبيُّ في «سيرِ أعلامِ النبلاء»[١].

فالتصوّفُ هوَ ثمرةُ العملِ بالشّريعةِ ولا يتأتّى معَ مخالفةِ العقيدةِ الحقّةِ التي جاءَ بها النبيُّ ﷺ القائلُ في ما رواهُ مسلمٌ[٢] «**كلُّ عملٍ ليسَ عليهِ أمرُنا فهو رَدٌّ**» أيْ كلُّ أمرٍ لا يُوافقُ شَريعَتَنا فهوَ مردودٌ عندَ الله تباركَ وتَعالى. وقالَ سيّدُ الطّائفةِ الصّوفيّةِ الجنيدُ البغداديُّ رضي الله عنهُ[٣] «الطريقُ إلى اللهِ مَسدودةٌ إلا على المقتفين آثار رسولِ الله ﷺ[٤]» اهـ.

- هذا وقَد وقعَ الشّطحُ والغُلوّ مِن بَعضِ أدعياء التصوّف المنتسبينَ للطّرقِ الصّوفيّةِ مع براءة الصوفية الصادقين منهم حتى صدرَ عَن بعضِهم اعتقاداتٌ مخالفةٌ للإسلامِ وتلفّظوا بأقوالٍ شنيعةٍ وهُم يَظنّونَ أنهم يتكلّمونَ بالأسرارِ التي تخفى عَلى مخالفِيهم وأنهم على مَرتبةٍ ومقام عالٍ مثالُ ذلكَ الذي صدرَ منَ الحسينِ بنِ منصورٍ الحَلّاج فإنهُ كانَ يقولُ بالحلولِ[٥]، فأصدرَ القاضي أبو عمرَ المالكيُّ في بغدادَ أيامَ الخَليفةِ المقتدرِ بالله حكماً بردّتهِ ووجوبِ قتلهِ فكانَ

(١) الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج١٣ ص١٦٩.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور. ج٥ ص١٣٢.

(٣) إسماعيل حقي. تفسير روح البيان. ج٣ ص٢٥١.

(٤) وقال أبو الهدى الصيادي الرفاعي في كتابه «الكوكب الدري»: «واعلم أن أهل الطريق الحق لا ينحرفون في الأقوال والأفعال عن ظاهر الشرع، وكفى بالشرع والشارع قدوة وإمامًا»اهـ. ص١١-١٢. وقال الإمام أحمد الرفاعي رضي الله عنه في «البرهان المؤيد»: «لا تعجب للمرء طار في الهواء أو سار على وجه الماء ولكن اعرض كلامه على الشرع فإن وافقه فخذ به وإلا اضرب به عرض الحائط» اهـ. ج١ ص ١٣٨.

(٥) قال الإمام الرفاعي في «البرهان المؤيد» في الحلّاج: «لو كان على الحق ما قال أنا الحق» اهـ. ص٣٦.

ذاكَ[1].

وقَد تبعَ بعضُ المتصوّفةِ الحلاجَ في انحرافهِ عَن طريقِ القومِ وهُم أحيانًا يتكلّمونَ بعقيدةِ الحلولِ وأحيانًا بعقيدةِ الاتحادِ وكلاهما مِن أشنَعِ الكفرِ والإلحادِ.

- فأما عقيدةُ الحلولِ فهيَ اعتقادُ أنَّ الله يَحُلُّ في غيرِهِ، وأما عقيدةُ الاتحادِ فهيَ اعتقادُ أنَّ الله هوَ جملةُ العَالَمِ، وكلٌّ منهُما مخرِجٌ منَ الإسلامِ والعياذُ بالله.

- والعجبُ كيفَ يَنتسبُ أمثالُ هؤلاءِ إلى التصوّفِ الإسلاميّ وهُم ضدُّ الصّوفيّةِ لأنَّ التصوّفَ الإسلاميَّ هو الذي ذهبَ إليهِ الجنيدُ وأمثالُه وهوَ موافقٌ للنصوصِ القرآنيةِ:

- كقولِه تَعالى ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗا يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[2]

- وقوله تعالى ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[3]

فإنَّ هذا صريحٌ في أنَّ الله ليسَ أصلًا لغيرِهِ ولا فرعًا عَن غيرِهِ بَل في قَولِهِ تَعالى ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ نَفيٌ لِلمادّيَّةِ والانْحِلالِ، فقولُهُ ﴿ لَمۡ يَلِدۡ ﴾ يُعطي أنهُ لا يَنحَلُّ منهُ شيءٌ أيْ لا يجوزُ أَن يَنفصِلَ منهُ شيءٌ كما يَنفصلُ عنِ الرَّجلِ ولدُه، وقولُهُ ﴿ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴾ يُعطي أنهُ لا يَحُلُّ هوَ في شيءٍ، فهؤلاءِ القائلونَ بالوَحدةِ والحلولِ مُصادمونَ لهذا النصّ وغيرِهِ، فكُفرهُم أسمجُ الكفرِ وأشنعُه.

---

(١) الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج١١ ص٢٠٥.

(٢) سورة الشورى/ آية ١١.

(٣) سورة الإخلاص/ آية ١ إلى ٤.

- وهُم قَد خَالفوا سيّدَ الصّوفيّةِ الإمامَ الجنيدَ القائلَ[1] «التوحيدُ إفرادُ القديمِ منَ المحدَثِ» اهـ. فقولُ الإمامِ الجنيدِ في وادٍ وهؤلاءِ الجهلةُ الذينَ يَقولونَ مرةً بعباراتِ الوَحدةِ ومرةً بعباراتِ الحلولِ أيْ حلولِ الله في خلقهِ في وادٍ آخرَ فما أبعدَ ما بَينَ الواديَينِ.

- أهلُ الحلولِ يَعتقدونَ أنَّ الله بعدَ أن خلقَ العَالمَ حلَّ في العالمِ، وأما أهلُ الوَحدةِ المطلقةِ كالشّاذليّةِ اليشرطيّةِ فيعتقدونَ أنَّ الله جملةُ العَالمِ وأفرادَ العالمِ أجزاءٌ منهُ، وقَد قالَ بعضُهم «أنا جزءٌ منَ الله»، وقالَ بعضُ التّجّانيّةِ «اللهمَّ صلِّ على سيّدنا محمّدٍ عينِ ذاتِكَ الغيبيةِ» فهؤلاءِ لا تأويلَ لكَلامهِم ولا يجوزُ الشّكُّ في كَونهم خارجينَ عنِ الإسلامِ.

- ويدلُّ على بُطلانِ عقيدةِ الوَحدةِ قولهُ تَعالى في ذَمّ الكفّارِ ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾[2][3] فإنها تدلُّ على أنَّ مَن نَسبَ الجزءَ إلى اللهِ كافرٌ بهِ لأنَّ ما كانَ ذا أجزاءٍ كانَ مركّبًا والتركيبُ مُستلزمٌ للحدوثِ والافتقارِ تَعالى الله عَن ذلكَ علوًّا كبيرًا.

- وكذلكَ مما يُستدلُّ بهِ على بُطلانِ كلامِ أهلِ الوحدةِ قولُهُ تَعالى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[4]، أثبتَ الله عزَّ وجلَّ في هذهِ الآيةِ وجودَ نَفسهِ ووجودَ العالمِ، فمَن جعلَ الله والعالمَ شيئًا واحدًا يكونُ قَد خالفَ الآيةَ، فأهلُ الوَحدةِ يقولونَ إنَّ الحقَّ هوَ الوجودُ المطلقُ والعالمُ صورتُه وهويّتهُ، وليسَ في الوجودِ سوَى الله تَعالى، وإنَّ هذهِ الصّورَ المرئيّةَ والكثرةَ المشهودةَ أمورٌ

(١) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. كتاب التوحيد. ج١٣ ص ٣٥٧.

(٢) سورة الزخرف/ آية ١٥.

(٣) قال ابن الجوزي في زاد المسير قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ﴾ يعني الكافر ﴿لَكَفُورٌ﴾ أي جَحودٌ لِنِعَم الله عز وجل ﴿مُّبِينٌ﴾ أي ظاهرُ الكُفر. انظر زاد المسير ج٧ ص٣٠٥.

(٤) سورة الفاتحة/ آية ٢.

اعتباريةٌ وخيالاتٌ وهميّةٌ ليسَ لها حقيقةٌ مغايرةٌ لحقيقةِ الحقّ. وقولهم هذا خُروجٌ عَن طَورِ العقلِ فإنَّ بديهيته شاهدةٌ بتعدّدِ الموجوداتِ تعدّدًا حَقيقيًّا وأنهُ ذواتٌ وحقائقُ مختلفةٌ بالحقيقةِ دونَ الاعتبارِ فقَط، كما ذكرَ السيّدُ الشّريفُ في حاشيةِ التجريدِ.

ولا يخفَى ما في هاتينِ العَقيديتينِ مِن مخالفةٍ لقولِ الله عزَّ وجلَّ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[1] لأنَّ مَعنى الآيةِ أنَّ الله تَعالى لا يشبهُ شيئًا مِن مخلوقاتهِ بوجهٍ منَ الوجوهِ، وهؤلاءِ الذينَ يقولونَ إنَّ الله يحُلُّ في خلقهِ جعلوا لهُ أمثالًا وشبّهوهُ بخلقهِ تَعالى الله عن قولهم، والعَجبُ كيفَ يقولُ هؤلاءِ الجهلةُ ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهوَ عينُ كلّ شيءٍ، فإنَّ التناقضَ بينَ العبارتينِ ظاهرٌ.

- وقَد قالَ أقضَى القضاةِ الإمامُ أبو الحسنِ الماورديُّ صاحبُ «الحاوي الكبيرِ» في مناظرةٍ ناظَرها لبعضِ الحلوليينَ «ولا ينفعُ التنْزيهُ معَ القولِ بالاتحادِ والحلولِ فإنَّ دعوَى التنْزيهِ معَ ذلكَ إلحادٌ وكيفَ يصحُّ التوحيدُ معَ اعتقادِ أنهُ سبحانهُ حلَّ في البشرِ» اهـ. ذكرهُ السّيوطيُّ في كتابهِ «الحاوِي للفتاوَى»[2].

• ثم إنَّ هاتينِ العقيدتينِ الفاسدتينِ عقيدةَ الحلولِ وعقيدةَ الاتحادِ مخالفتانِ لإجماعِ المسلمينَ بَل هما مما أجمعَ المسلمونَ على خروجِ القائلِ بهما عَنِ الإسلامِ.

- قالَ الإمامُ عبدُ القاهرِ أبو منصور التميميُّ البغداديُّ في كتابِ «الفرقِ بينَ الفرقِ»[3] «أجمعوا على أنَّ العالَمَ كلُّ شيءٍ هوَ غير الله عزَّ وجلَّ، وعلى أنَّ كلَّ ما هوَ غيرُ الله تَعالى وغيرُ صفاتهِ الأزليّةِ مخلوقٌ مصنوعٌ، وعلى أنَّ صانعَهُ ليسَ بمخلوقٍ ولا مَصنوعٍ، ولا هوَ مِن جنسِ العالمِ ولا مِن جنسِ شيءٍ مِن

---

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

(٢) السيوطي. الحاوي للفتاوى. ج٢ ص ١٥٩.

(٣) أبو منصور البغدادي. الفرق بين الفرق. ص ٢٥٩.

أجزاءِ العالمِ» اهـ.

- وقَد نقلَ القاضِي عياضٌ في كتابهِ «الشّفا»[1] إجماعَ المسلمين عَلى كفرِ أصحابِ الحلولِ ومَنِ ادّعى حلولَ البارئ سبحانَهُ في أحدِ الأشخاصِ كقولِ بعضِ المتصوفةِ.

- وكذلكَ السّيوطيُّ الذي جمعَ بينَ علمِ الشّريعةِ والتّصوّفِ أيضًا نقلَ الإجماعَ على كفرِ القائلينَ بالحلولِ فإنهُ يقولُ في كتابهِ «الحاوِي للفتاوَى» ما نصّهُ[2] «بل يُقطَعُ بتكفيرِ القائلينَ بالحلولِ إجماعًا» اه.

- قالَ الشيخُ أبو الهدَى الصياديُّ الرفاعيُّ في كتابهِ «الكوكبُ الدّريُّ»[3] مُبيّنًا فسادَ هاتينِ العقيدتينِ ما نصّهُ «مَن قالَ أنا الله أو ما في الوجودِ إلا الله أو لا موجودَ إلا الله أو الكلُّ هوَ الله أو نحوَ ذلكَ فإنْ كانَ عاقلًا صاحيًا في قيدِ التكليفِ فلا خلافَ بينَ المسلمينَ جَميعًا في كُفرهِ لمخالفتهِ نصَّ القرآنِ إذ يَلزمُ حينئذٍ نفيُ الخالقِ والمخلوقِ والرسولِ والمرسلِ إليهِ والجنةِ والنارِ للزومِ الاتحادِ مِن هذا القولِ» اه. وهذا فيهِ أيضًا بيانُ الإجماعِ عَلى تضليلِ وخروجِ مَن قالَ بعقيدةِ أهلِ الوَحدةِ عَنِ الإسلامِ.

- وقَد ذمَّ الشيخُ محيي الدّينِ بنُ عَربي رضي الله عنهُ في كتابهِ «الفتوحاتِ» عقيدةَ وحدةِ الوجودِ وعقيدةَ الحلولِ وقالَ قولًا شديدًا في ذمّ هاتينِ العقيدتينِ ونصّهُ[4] «مَن قالَ بالحلولِ فدِينهُ معلولٌ وما قالَ بالاتحادِ إلا أهلُ الإلحادِ»اهـ.

---

(١) القاضي عياض. الشفا بتعريف حقوق المصطفى. فصل في بيان ما هو من المقالات كفر. ج٢ ص٢٨٣.

(٢) السيوطي. الحاوي للفتاوى. ج٢ ص١٢٦.

(٣) أبو الهدى الصيادي الرفاعي. الكوكب الدري في شرح بيت القطب الكبير. ص ١١ – ١٢.

(٤) وهذا مما يدل على أن ما ينسب إلى الشيخ محيي الدين بن عربي من القول بهاتين العقيدتين مدسوس عليه كما ذكر ذلك الشيخ عبد الوهاب الشعراني في كتابه لطائف المنن والمحدّث ولي=

- وكذلكَ الشيخُ عزُّ الدينِ بنُ عبدِ السّلامِ[1] نصَّ على تكفيرِ مَن قالَ بعقيدةِ الحلولِ وعبارتُه في قواعدِهِ الكبرى «ومَن زعمَ أنَّ الإلهَ يحلُّ في شىءٍ مِن أجسادِ الناسِ أو غيرِهِم فهوَ كافرٌ»اهـ.

- وقالَ الإمامُ جعفرٌ الصّادقُ رضي الله عنهُ «مَن زعمَ أنَّ الله في شىءٍ أو مِن شىءٍ أو عَلى شىءٍ فقَد أشركَ إذ لو كانَ على شىءٍ لكانَ محمولًا ولو كانَ في شىءٍ لكانَ محصورًا ولو كانَ مِن شىءٍ لكانَ محدَثًا» اهـ أيْ مخلوقًا ذكرهُ القُشيريُّ[2] في رسالتهِ.

- وقالَ السّيوطيُّ تحت عنوان[3] «تنْزيهُ الاعتقادِ عنِ الحلولِ والاتحادِ» «وما زالتِ العلماءُ ومُحقّقو الصّوفيّةِ يُبيّنونَ بطلانَ القولِ بالحلولِ والاتحادِ وينبّهونَ على فسادِهِ ويحذّرونَ مِن ضَلالِهِ» اهـ، ثم ساقَ السّيوطيُّ جملةً مِن أقوالِ الأئمةِ في ذلكَ نوردُ بعضَها.

- قالَ الإمامُ فخرُ الدّينِ الرّازيُّ في كتابِ «المحصلِ في أصولِ الدّينِ» «مسئلةٌ الباريءُ تَعالى لا يتّحد بغَيرِهِ لأنهُ حالَ الاتحادِ -يعني عَلى زعمِهم- إنْ بقيَا موجودَينِ فهُما اثنانِ لا واحد» اهـ. نقل ذلك عنه السيوطي[4].

- وقالَ صاحبُ كتاب «نهج الرشادِ في الردّ على أهلِ الوَحدةِ والحلولِ والاتحادِ» «حدّثني الشيخ كمالُ الدّينِ المراغي قالَ اجتمعتُ بالشّيخِ أبي العبّاسِ المرسي تلميذِ الشيخِ الكبيرِ أبي الحسنِ الشّاذليّ وفاوضتهُ في هؤلاءِ

=الدين العراقي في رسالة سماها «الأجوبة المرضية» ص١٧٢، وغيرهما.

(١) عز الدين بن عبد السلام. قواعد الأحكام في مصالح الأنام. ص١٧١، السيوطي. الحاوي للفتاوى ج٢ ص١٦٠.

(٢) القشيري. رسالة القشيري. ص٦.

(٣) السيوطي. الحاوي للفتاوى. ج٢ ص١٥٦.

(٤) السيوطي. الحاوي للفتاوى. ج٢ ص١٥٩.

الاتحاديّةِ فوجدتهُ شديدَ الإنكارِ عليهِم والنهيِ عَن طريقهِم وقالَ أتكونُ الصّنعةُ هيَ الصّانعُ»اهـ.

- وقالَ صاحبُ نهج الرّشادِ «وما زالَ عبادُ الله الصّالحونَ مِن أهلِ العلمِ والإيمانِ ينكرونَ حالَ هؤلاءِ الاتحاديّةِ، قالَ الشيخُ سعدُ الدّينِ التفتازانيُّ في «شرحِ المقاصدِ» ومنهُم بعضُ المتصوّفةِ القائلونَ بأنَّ السّالكَ إذا أمعنَ في السّلوكِ وخاضَ مُعظمَ لُجّةِ الوصولِ فربما يحلُّ الله فيهِ -تعالى الله عمّا يقولُ الظّالمونَ علوًّا كبيرًا- كالنارِ في الجمرِ بحيثُ لا تمايزَ، أو يتّحد بهِ بحيثُ لا اثْنَيْنِيّة ولا تغايرَ وصحَّ -عَلى زعمِهم- أن يقولَ هوَ أنا وأنا هوَ، قالَ التفتازانيُّ وفسادُ الرأيينِ غَنيٌّ عنِ البيانِ» اهـ[1].

- وقَد قالَ الإمامُ أبو بكرٍ محمّدُ بنُ الحسنِ المعروفُ بابنِ فُورك في كتابهِ «مُشكلِ الحديثِ»[2] ما نصّهُ «لا يجوزُ على الله تَعالى الحلولُ في الأماكنِ لاستحالةِ كونهِ محدودًا ومُتناهيًا وذلكَ لاستحالةِ كونهِ مُحدَثًا» اهـ.

- وقالَ الشيخُ أبو الهدَى الصّياديُّ الرفاعيُّ في كتابهِ «مراحلِ السّالكين»[3] «قالَ إمامُ الطّريقِ سيّدُنا الغوثُ الأكبرُ الرفاعيُّ رضي الله عنهُ «قُل لمدّعي الوَحدةِ المطلقةِ أنتَ محوزٌ عَن غيركَ بجهتكَ ومكانكَ وهوَ منزّهٌ عنِ الجهةِ والمكانِ، وأنتَ محاطٌ بثوبكَ وهوَ بكلّ شيءٍ محيطٌ (أي بعلمه)، وأنتَ مُسوَّر بالعجزِ في كلّ شيءٍ وهوَ على كلّ شيءٍ قديرٌ، فكذّب وهمَكَ كما كذّبَكَ وجودُكَ لتدخلَ في أعدادِ المؤمنينَ الصّادقينَ، فكلُّ ما يطرأُ عليهِ الحدثُ مِن جانبٍ فهوَ حادثٌ، فاتّقِ الله ونزّه ربّكَ فإنَّ التوحيدَ إفرادُ القِدَمِ عَنِ الحدثِ»اهـ.

---

(١) السيوطي. الحاوي للفتاوى. ج٢ ص١٦٢-١٦٣.

(٢) ابن فورك. مشكل الحديث وبيانه. ج١ ص١٥٣.

(٣) ابن الهدى الصيادي الرفاعي. مراحل السالكين. ص٧٨.

- وقالَ فيهِ أيضًا محذّرًا مِن أهلِ الحلولِ والاتحادِ «إنَّ هذَياناتِهم هذهِ كلَّها إلحادٌ وزندقةٌ وإبطالٌ لجميعِ الشرائعِ وإفسادٌ في دينِ الإسلامِ»، ثم قالَ ما نصّهُ[1] «لأنهُ معلومٌ بالبَداهةِ أَنَّ ثبوتَ ذواتِ الأنبياءِ وشرائعِهم وثبوتَ الجنةِ والنارِ والثوابِ والعقابِ في دارِ الجزاءِ إنما يُبتَنى على ثبوتِ الحقائقِ في الخارجِ، وإذا انتفَى ثبوتُها فيهِ انتفَى ثُبوتُ ذواتِ الأنبياءِ عليهِمُ السّلامُ وغيرِهم منَ الأمورِ المذكورةِ بالضّرورةِ فلا يتأتَّى حينئذٍ إثباتُ رسولٍ ومرسلٍ إليهِ فيلزمُ مِن ذلكَ بطلانُ جميعِ الأمورِ الدّينيةِ والتّكاليفِ الشّرعيّةِ. وأما القولُ بإقرارِ الأديانِ وادّعاءِ الإيمانِ بالرّسلِ تَسترًا وتلبيسًا معَ نفيِ الحقائقِ وسلبِ الوجودِ عنِ الأشياءِ المستلزمِ إبطالَ الشّرائعِ فتناقضٌ ظاهرٌ ومحالٌ باهرٌ بل هوَ عينُ الزّندقةِ والإلحادِ المنافيانِ للشّرائعِ والأديانِ فانظُر وأنْصِفْ إن كنتَ أهلًا للإنصافِ» اهـ.

فليُحذَر مِن عَقيدَتي الحلولِ والاتحادِ وليُحذَّر منهُما فإنَّ الذي يَعتقدُ أنَّ الله داخلٌ في كلّ شيءٍ أو متّحدٌ بكلّ شيءٍ هذا مِن أبعدِ الناسِ عَن معرفةِ الله.

- ونختِم هذا المقال بقصيدةٍ للشيخِ محمّد مَهدي الصّياديّ الرفاعيّ الحسينيّ الشهير بالرّواسِ رضي الله عنهُ في الردّ على هؤلاءِ الملاحدةِ قالَ رحمهُ الله (السريع)

دعْ وَهْـمَ أهلِ الوَحدةِ المطلقـهْ	وافهَم رمـوزَ الجمعِ والتّفرقـهْ
كـلّ اتـــحـادٍ حكمُهُ باطـلٌ	وشـاهدُ الظّاهـر قَد مَزّقـهْ
مَـن غيّـرَ الأيـــامُ أحوالَـهُ	وشـيّبَت رغمًـا لـهُ مَفْرِقَـهْ
ثم حَنَتْـه ثم طاحَـت بـهِ	تحتَ الثرى في حُفـرةٍ مُغلقهْ
ومَـن يـرَى الفقـرَ ويَلقى العنا	وتعتريـهِ الـنُّـوَبُ المقلقـهْ
وكـلَّ وقـــتٍ كـلُّـهُ حاجـةٌ	لثوبـهِ والخبزِ والـمِلعقـهْ

(١) ابن الهدى الصيادي الرفاعي. مراحل السالكين. ص٦٠.

يـكـونُ عـينَ الله عـــزَّ اسـمُهُ   حاشا وذا مِـن دَنـسِ الزّندقهْ
فنـزّه الخـالـقَ عَـن قـول مَن   أشركَ واطـرح هـذهِ الشّقشقهْ
مـا وحّــــدَ الله تَعالـى امـرؤٌ   معتقدٌ بـالـوَحـدةِ المطـــلقهْ

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة السادسة والأربعون

بيانُ أنَّ منَ الغلوّ القولَ بأنَّ النبيَّ أو الوليَّ يعلمُ كلَّ الغيبِ

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتِهِ الطّاهرين

اعلَم أنهُ لا يجوزُ اعتقادُ أنّ أحدًا منَ الأنبياءِ أو الأولياءِ يعلمُ كلَّ الغيبِ لا استقلالًا ولا عطاءً.

- قالَ الله تَعالى ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1] ومَعناهُ أنَّ أهلَ السّمواتِ وهمُ الملائكةُ وأهلَ الأرضِ مِن أنبياءَ وأولياءَ فضلًا عَن غيرِهِم لا يحيطونَ بشيءٍ مِن عِلمِهِ أي معلومِه إلا بما شاءَ أيْ إلا بالقَدرِ الذي شاءَ الله أن يَعلموهُ، هذا الذي يحيطونَ بهِ.
- أما قولُ الله تَعالى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[2] فالمنفيُّ عنِ الخلقِ علمُ جميعِ الغَيبِ أما بَعضُ الغيبِ فإنَّ الله يُطلِعُ عليهِ بعضَ الملائكةِ وبعضَ البشرِ وهمُ الأنبياءُ والأولياءُ.
- فمَنِ ادّعى أنَّ الرّسولَ ﷺ يَعلمُ كلَّ ما يَعلمهُ الله فقَد ساوى الرسولَ بالله وذلكَ كفرٌ.

(١) سورة البقرة/ آية ٢٥٥.

(٢) سورة النمل/ آية ٦٥.

• كذلكَ لا فرقَ بينَ مَن يقولُ الرّسولُ يَعلمُ كلَّ ما يَعلمُ اللهُ مِن بابِ العَطاءِ أيْ أنَّ اللهَ أعطاهُ ذلكَ وبين مَن يقولُ إنهُ يعلمُ كلَّ ما يَعلمهُ اللهُ مِن غيرِ أن يُعطيهُ اللهُ ذلكَ فكِلا الاعتقادَينِ مِن أبشعِ الكفرِ لأنهُ لا يَصحُّ عقلًا ولا شرعًا أن يُعطيَ اللهُ تَعالى أحدًا مِن خَلقهِ جميعَ ما يَعلمهُ، لأنَّ مَعنى إنَّ النبيَّ يَعلمُ كلَّ ما يَعلمُ اللهُ مِن بابِ العَطاءِ أنَّ اللهَ تَعالى يُساوِي خلقَهُ بنفسهِ وهذا مُستحيلٌ. فهذا القائلُ كأنهُ يَقول اللهُ يجعلُ بعضَ خَلقهِ مثلَهُ والعياذُ باللهِ. وكيفَ خفيَ عَلى بعضِ الناسِ فسادُهُ فتجرَّؤوا على قوله بَل صَاروا يَرونَ هذا مِن جواهرِ العلمِ، فلو قيلَ لهؤلاءِ فعَلى قولكُم هذا يَصحُّ أن يجعلَ اللهُ الرسولَ قادرًا عَلى كلِّ شيءٍ اللهُ قادرٌ عليهِ فماذا يقولونَ؟!. حَسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيل. وهَذا منَ الغلوِّ الذي نهانا اللهُ عنهُ ورسولُهُ ﷺ. وهؤلاءِ يَزعمونَ أنَّ هذا مِن قوّةِ تَعظيمِ الرّسولِ ومحبّتهِ. وهؤلاءِ لهم وجودٌ في الهندِ.

• وقوله تعالى ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا﴾[1] لا حجّةَ فيهِ لمن يَقولُ إنَّ الرّسلَ يُطلعهُم اللهُ على جميعِ غَيبهِ، لأنّ مَعنى الآيةِ الثانيةِ أنَّ الذي ارتضاهُ اللهُ مِن رَسولٍ يجعلُ لهُ رَصدًا أي حَفظةً يحفظونهُ مِن بَينِ يَديهِ ومِن خَلفهِ منَ الشّيطانِ، فـ﴿إِلَّا﴾ هنا ليسَت استثنائيةً بَل هيَ بمعنى «لكِن»، ومعنى الآيةِ الأولى أنَّ علمَ الغَيبِ جميعَهُ خاصٌّ باللهِ تَعالى، ولا يَتطرّقُ إليهِ الاستثناءُ، والإضافةُ في قَولِهِ تَعالى ﴿عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ﴾ للعُمومِ والشّمولِ مِن بابِ قولِ الأصوليّينَ المفردُ المضافُ للعُمومِ، فيكونُ مَعنى غَيبهِ جميعَ غيبهِ، وليسَ المعنى أنَّ اللهَ يُطلِعُ عَلى غَيبهِ مَن ارتضَى مِن رسولٍ، فإنَّ منَ المقرّرِ بينَ الموحّدينَ أنَّ اللهَ تَعالى لا يُساويهِ خَلقهُ بصِفةٍ مِن صِفاتهِ، ومِن صفاتهِ العِلمُ بكلّ شيءٍ، قالَ تَعالى ﴿وَهُوَ بِكُلِّ

(١) سورة الجن/ آية ٢٦ و٢٧.

شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[1]، وكذلك لا يُستدلُّ بالآيةِ على أن الرّسل يعلمهم الله ببَعضِ الغَيبِ إنّما الذي فيهَا أنَّ الله هوَ العالمُ بكلّ الغيبِ، ولكنَّ الرّسلَ يجعل الله لهم حَرسًا منَ الملائكةِ يحفظُونهم.

• وأما اطّلاعُ بعضِ خواصّ عبادِ الله مِن أنبياء وملائكةٍ وأولياءِ البشرِ عَلى بعضِ الغَيبِ فمأخوذٌ مِن غيرِ هذهِ الآيةِ كحديثِ «**اتّقوا فِراسةَ المؤمنِ فإنهُ يَنظرُ بنورِ الله**». رواهُ الترمذيُّ[2] والطّبرانيُّ في مُعجمَيهِ «الكبير» و«الأوسطِ»[3].

• فلَو كانَ يَصحُّ لغيرِهِ تَعالى العلمُ بكلّ شىءٍ لم يَكُن للهِ تمدّحٌ بوَصفهِ نفسَهُ بالعلم بكلّ شىءٍ، فمَن يقولُ إنَّ الرّسولَ يَعلمُ بكلّ شىءٍ يعلمهُ الله جعلَ الرسولَ مُساويًا للهِ في صفةِ العلمِ فيكونُ كمَن قالَ الرّسولُ قادرٌ عَلى كلّ شىءٍ وكمَن قالَ الرّسولُ مُريدٌ لكلّ شىءٍ سَواءٌ قالَ هذا القائلُ إنَّ الرّسولَ عالمٌ بكلّ شىءٍ بإعلامِ الله لهُ أم لا، فلا مَخْلَصَ لهُ منَ الكفرِ.

• ومما يُردُّ بهِ عَلى هؤلاءِ قولُه تَعالى ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ﴾[4]، وقولُه ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[5] فإنَّ الله تباركَ وتَعالى تمدَّحَ بإحاطتهِ بالغيبِ والشّهادةِ عِلمًا.

• ومما يُردُّ بهِ على هؤلاءِ أيضًا قولُه تَعالى ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾[6] فإنْ كانَ الرّسولُ بنَصّ هذهِ الآيةِ لا يَعلمُ جميعَ تفاصيلِ ما يفعلهُ الله بهِ وبأمتهِ، فكيفَ يتجرّأُ

(١) سورة الأنعام/ آية ١٠١.

(٢) الترمذي. سنن الترمذي. ج٥ ص٢٩٨.

(٣) الطبراني. المعجم الكبير. ج٧ ص١٠٩، الطبراني. المعجم الأوسط. ج٣ ص٣١٢.

(٤) سورة الأنعام/ آية ٥٩.

(٥) سورة الأنعام/ آية ٧٣.

(٦) سورة الأحقاف/ آية ٩.

مُتجرّئٌ على قولِ إنَّ الرّسولَ يَعلمُ كلَّ شيءٍ، وقَد روَى البخاريُّ في صَحيحهِ حَديثًا بمعنى هذهِ الآيةِ وهوَ ما وَردَ في شأنِ عثمانَ بنِ مَظعونٍ، فقائلُ هذهِ المقالةِ قَد غَلا الغُلوَّ الذي نهى الله ورسولُه عنهُ قالَ الله تَعالى ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾[1]، وقالَ رسولُ الله ﷺ «**إياكُم والغلوَّ فإنَّ الغلوَّ أهلكَ مَن كانَ قبلَكُم**» رواهُ ابنُ ماجه[2]، وقَد صحَّ أنَّ الرّسولَ ﷺ قالَ «**لا تَرفعُوني فَوقَ قَدري**» رواهُ الحاكمُ في المستدرَكِ[3].

• روَى البخاريُّ في الجامعِ[4] مِن حَديثِ ابنِ عبّاسٍ رضي الله عنهُما قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ «**إنكُم محشورونَ حُفاةً عُراةً غُرلًا ثمّ قرأَ ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾[5] وأوّلُ مَن يُكسَى يومَ القيامةِ إبراهيمُ[6] وإنهُ سيُجاءُ بأناسٍ مِن أمّتي فيُؤخَذُ بهم ذاتَ الشّمالِ فأقولُ هؤلاءِ أصحَابي فيُقالُ إنكَ لا تَدري ما أحدَثوا بعدَكَ إنهم لم يَزالوا مُرتدّينَ عَلى أعقَابهم منذُ فارقتَهم، فأقولُ سُحقًا سُحقًا أقولُ كما قالَ العبدُ الصّالحُ ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾[7] إلى قَولهِ ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[8]**».

---

(١) سورة المائدة/ آية ٧٧.

(٢) ابن ماجه. سنن ابن ماجه. كتاب المناسك: باب قدر حصى الرمي. ج٢ ص١٠٠٨، ابن حبان. صحيح ابن حبان. ج٩ ص١٨٣.

(٣) الحاكم. المستدرك. ج٣ ص١٩٦.

(٤) البخاري. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء: باب قول الله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾. ج٤ ص١٦٩.

(٥) سورة الأنبياء/ آية ١٠٤.

(٦) أي من حلل الكرامة وليس معناه أنه يكون كاشف العورة.

(٧) سورة المائدة/ آية ١١٧.

(٨) سورة المائدة/ آية ١١٨.

• وقد قالَ الله تَعالى ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾[1].

• ومِن أعجبِ ما ظهرَ مِن هؤلاءِ الغُلاةِ أنه لما قيلَ لأحدِهم كيفَ تقولُ الرّسولُ يَعلمُ كلَّ شيءٍ يعلمهُ الله وقَد أرسلَ سَبعينَ مِن أصحابهِ إلى قبيلةٍ ليعلّموهُم الدِّينَ فاعترضَتهُم بَعضُ القبائلِ فحصَدُوهم وهذا الحديثُ رواهُ البخاريُّ وغيرهُ، فلو كانَ يَعلمُ أنهُ يحصُلُ لهم هذا هَل كانَ يُرسلهُم؟! فقالَ والعياذُ بالله تَعالى نعَم يُرسلهُم معَ علمهِ بذلكَ. .

• ومِثلُ هذا الغَالي في شدّةِ الغلوّ رَجلٌ كانّ يدَّعي أنهُ شَيخُ أربعِ طُرقٍ فقالَ الرّسولُ هوَ المرادُ بهذهِ الآيةِ ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2] وهذا مِن أكفرِ الكفرِ لأنهُ جَعلَ الرّسولَ ﷺ الذي هوَ خَلقٌ مِن خَلقِ الله أزليًّا أبديًّا لأنَّ الأوّلَ في هذه الآية هوَ الذي ليسَ لوُجودهِ بِدايةٌ وهوَ الله وصِفاتُه فقَط.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

(١) سورة التوبة/ آية ١٠١.

(٢) سورة الحديد/ آية ٣.

المحاضرة السابعة والأربعون

آه ليسَ اسمًا للّهِ تَعالى

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- قالَ رسولُ الله ﷺ «**مَن عمِلَ عملًا ليسَ عليهِ أمرُنا فهوَ ردٌّ**» رواهُ البخاريُّ[(١)] ومسلمٌ[(٢)]، ومعنى الحديثِ أنَّ كلَّ عملٍ لا يُوافقُ شريعةَ الرّسولِ ﷺ فهوَ مردودٌ، أيْ لا يقبلُ الله الصّلاةَ والصّيامَ والحجَّ والزكاةَ والذّكرَ والدّعاءَ إذا لم يُوافِق شريعةَ الرّسولِ ﷺ.
- وكيفَ يعرفُ أنَّ العملَ يوافقُ شريعةَ الرّسولِ ﷺ؟ بتعلّمِ علمِ الدّينِ وأما بدونِ ذلكَ فلا يعرفُ. فكَم مِن أناسٍ يصلّونَ الفرضَ والنفلَ وصلاتُهم مردودةٌ غيرُ مقبولةٍ عندَ الله أيْ ليسَ لهم ثوابٌ فيها بل عليهِم ذنبٌ، لأنها ما وافقَت شريعةَ الرّسولِ ﷺ. كذلكَ الصّيامُ، كذلكَ الحجُّ، كذلكَ الزكاةُ. كذلكَ الذّكرُ إذا لم يُوافِق شريعةَ الرّسولِ ﷺ لا يقبلُ. كذلكَ الدّعاءُ لا يكونُ مَقبولًا إلا أن يُوافقَ شريعةَ الرّسولِ ﷺ. ولا يعرفُ أنَّ العملَ موافقٌ لشريعةِ الرسولِ ﷺ أو غيرُ موافقٍ إلا بتعلّمِ علمِ الدّينِ، لذلكَ رسولُ الله ﷺ قالَ «**طلبُ العلمِ فريضةٌ على**

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فـأخطأ خِلاف الرَّسول من غير علم فحكمه مردود. ج٢ ص٣٣٣.

(٢) مسلم. صحيح مسلم. كتاب الأقضية: باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور. ج٥ ص١٣٢.

كلّ مسلمٍ» أي ومُسلمةٍ، رواهُ البيهقيُّ[١].

• طلبُ علمِ الدّينِ الذي لا يَستغني عنهُ المكلّفُ فرضٌ على كلّ شخصٍ بالغٍ عاقلٍ أما علمُ الدنيا فليسَ فرضًا على كلّ شخصٍ، الحِدادةُ والنّجارةُ والنّسجُ وما أشبهَ ذلكَ هذا فرضُ كفايةٍ، ليسَ فرضًا على كلّ مسلمٍ، أما علمُ الدّينِ فعلى كلّ إنسانٍ بالغ رجلٍ أوِ امرأةٍ فرضٌ، حتى يعرف كيفَ يُوافقُ عملُهُ شريعةَ رسولِ الله ﷺ وحتى يعرف كيفَ يُوافقُ وضوؤُهُ وطهورُهُ الشّريعةَ أو كيفَ تكونُ صلاتُهُ موافقةً للشّرعِ وكيفَ يكونُ صيامُهُ مُوافقًا لشريعةِ الرّسولِ ﷺ وكيفَ يكونُ حجُّهُ موافقًا شريعةَ الرّسولِ ﷺ، لذلكَ العلمُ أفضلُ الأعمالِ. الرّسولُ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ قالَ «**كَم مِن قائمٍ ليسَ لهُ مِن قيامِهِ إلا السّهرُ**» رواهُ أحمدُ[٢]، معناهُ كثيرٌ منَ الناسِ يُصلّونَ بالليلِ صلاةَ التهجّدِ وليسَ لهم ثوابٌ إنما فقط مَنعوا أنفسَهُم النومَ. وكذلكَ قالَ «**كَم مِن صائمٍ ليسَ لهُ مِن صيامِهِ إلا الجوعُ والعَطشُ**» رواهُ أحمدُ[٣]، ليسَ لهم مِن صيامِهِم ثوابٌ إنما حظُّهُم مِن ذلكَ الجوعُ والعطشُ. والحجُّ كذلكَ، الرسولُ ﷺ ذكرَ في هذا الحديث هذينِ الأمرينِ صلاةَ الليلِ والصّيامَ، لكن كذلكَ الحجُّ مَن لم يَعرِف كيفَ يكونُ الحجُّ صحيحًا في شريعةِ الرّسولِ قَد يرجعُ مِن مكّةَ بلا ثوابٍ، إنما صرفَ مالَهُ وأتعبَ نفسَهُ. الصّلاةُ والصّيامُ والحجُّ لها شروطٌ في الشّرعِ فما وافقَ شروطَ الشّريعةِ فهوَ مقبولٌ عندَ الله وما لم يُوافِق فهوَ مردودٌ. لذلكَ علمُ الدّينِ هوَ أفضلُ الأعمالِ.

• كَم مِن أناسٍ يأخذونَ الطّريقةَ القادريةَ والشّاذليةَ ويشتغلونَ بترديدِ الأورادِ وهيَ مردودةٌ غيرُ مقبولةٍ لأنهم ما تعلّموا علمَ أهلِ السّنةِ أنَّ الله موجودٌ بلا

---

(١) البيهقي. شعب الإيمان. باب في طلب العلم. ج٣ ص١٩٤.

(٢) أحمد. مسند أحمد. ج٢ ص٤٤١.

(٣) أحمد. مسند أحمد. ج٢ ص٤٤١.

مكانٍ ليسَ حجمًا صَغيرًا ولا كبيرًا، ليسَ متحيِّزًا في جهةٍ ولا مكانٍ. الله تَعالى كانَ موجودًا قبلَ المكانِ بلا مكانٍ ثم خلقَ المكانَ، ما كانَ ليلٌ ولا نهارٌ ولا ظلامٌ ولا نورٌ، ما كانَ عرشٌ ولا سماء ولا أرضٌ ولا جهات ستّ، كلُّ هذا وُجدَ بعدَ أن خَلقهُ الله. الله لا يُشبهُ هذا كلَّهُ، ليسَ حَجمًا صَغيرًا ولا حَجمًا كبيرًا كالعَرشِ ولا هوَ أوسعُ منَ العَرشِ. الحجمُ مخلوقٌ سواءٌ كانَ صَغيرًا أم كانَ كبيرًا، حبّةُ الخردلِ ليست هيَ خلقَت نفسَها على هذا الحجم. والإنسانُ ليسَ هوَ خلقَ نفسهُ على هذا الحجمِ، ليسَ الإنسانُ اختارَ أن يكونَ هَكذا، والعرشُ ليسَ هوَ خلقَ نفسَهُ على هذا الحجم الكبيرِ إنما الله خلقَهُ على ذلكَ الحجمِ والذي خلقَ الحجمَ ليسَ حجمًا. لا يجوزُ أن يعتقدَ أنَّ الله شيءٌ هَكذا، المقدارُ صفةُ الخلقِ. إنما هوَ موجودٌ ليسَ كشيءٍ منَ الأشياءِ لا يمكننا أن نتصوّرَهُ، ليسَ حَجمًا كيفَ نتصوّرهُ، عقلُ الإنسانِ يتصوّرُ الحجمَ.

- الذّكرُ يحتاجُ إلى علمٍ، كثيرٌ منَ الناسِ يقولونَ سُبحان اللا سُبحان اللا، يُغيّرون اسمَ الله، اسمُ الله كما جاءَ في القرآنِ «الله»، أما قولُ سُبحان اللا بدونِ حرفِ الهاءِ فحرامٌ، لا يجوزُ تغييرهُ بل يُلفَظُ كما جاءَ في القرآنِ، ألفٌ ولامٌ مشدّدةٌ ثم ألفٌ ليّنةٌ ثم الهاءُ. وكثيرٌ منَ الناسِ مِن أهلِ الطّريقةِ الشّاذليةِ، ليسَت الشاذليةَ الأصليّةَ، الشاذليّةُ الأصليّةُ حقٌّ، لكنْ أناسٌ انتسَبوا إلى الشاذليّةِ، وأناسٌ انتسَبوا إلى القادريةِ، ما تعلّموا الدّينَ حرّفوا الذّكرَ. يقولونَ أولًا الله الله، ثم يقولونَ آه آه. آه يقولها المتوجّعُ، والذي يَشكُو شكوى، آه ليسَ اسمًا للهِ، بلِ اتّفقَ أهلُ اللغةِ على أنَّ آه لفظٌ وُضعَ للتوجّعِ. كثيرٌ منَ الشاذليّةِ يذكرونَ هذا الذّكرَ يذكرون آه على أنه اسمٌ لله ويظنّونَ أنَّ لهم ثوابًا وليسَ لهم ثوابٌ بل عليهِم ذنبٌ بعددِ ما يقولونَ آه. إنْ قالَ ألفَ مرّةٍ فألفُ معصيةٍ تُكتبُ عليهِ لأنهُ ما وافقَ شريعةَ الرّسولِ ﷺ.

• آه ليسَ اسماً للهِ، فقَد روَى الترمذيُّ في جامعهِ[١] والإمامُ المجتهدُ أبو بكرِ بنُ المنذرِ في الأوسطِ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ «**إذا تثاءبَ أحدكُم فليَضَع يدهُ على فيهِ** -أيْ على فمهِ- **ولا يقُل آه آه فإنَّ الشّيطانَ يضحكُ منهُ**» هذا الحديثُ صحيحٌ وقَد قالَ فيهِ الترمذيُّ إنهُ حديثٌ حسنٌ، والحسنُ والصّحيحُ أَخوانِ أيْ كِلاهما قويٌّ. وهذا الحديثُ فيهِ دلالةٌ على أنَّ «آه» ليسَ مِن أسماءِ الله، وهذا الحديثُ فيهِ أنهُ يُسنُّ لمن تثاءَبَ أن يَضعَ يدَهُ على فيهِ وإنْ وضعَ يدهُ اليُسرى كانَ أحسنَ.

• فإنْ قيلَ الدليلُ على أنَّ آه مِن أسماءِ الله قولهُ تَعالى ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾[٢] فالجوابُ أنَّ الأوّاهَ معناهُ الرّحيمُ كما قالَ عبدُ الله بنُ مَسعودٍ رضي الله عنهُ رواهُ عنهُ ابنُ أبي حاتمٍ وحسّنهُ الحافظُ ابنُ حجرٍ في «فتح الباري»[٣]، والمعنى أنَّ إبراهيمَ عليهِ السّلامُ شديدُ الرّحمةِ لعبادِ الله وليسَ معناهُ أنهُ كانَ يقولُ آه، لكنَّ بَعضَ المحرّفينَ الذينَ يجهلونَ لغةَ العَربِ قالوا الأواهُ معناهُ قولُ آه آه، وهذا جهلٌ منهُم بلغةِ العربِ. الله تَعالى وصفَ إبراهيمَ في هذهِ الآيةِ بالرّحمةِ والحلمِ فهيَ مدحٌ لإبراهيمَ عليهِ السّلامُ، وأما آه فليسَ فيها مدحٌ بلِ المريضُ يقولُ آه، وقَد نصَّ فقهاءُ المذاهبِ الأربعةِ على أنَّ الأنينَ يُفسدُ الصّلاةَ وآه مِن ألفاظِ الأنينِ، لكنَّ المالكيّةَ والحنفيّةَ قالوا مَن قالَ في الصّلاةِ آه فإنْ كانَ مِن خَشيةِ الله أو خوفِ النارِ أو خوفِ العذابِ لا تبطلُ الصّلاةُ وإلا بطلَت[٤].

---

(١) الترمذي. سنن الترمذي. كتاب الأدب عن رسول الله ﷺ: ما جاء إن الله يحب العطاس ويكره التثاؤب. ج٥ ص٨٦.

(٢) سورة التوبة/ آية ١١٤.

(٣) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. قوله باب قول الله تعالى ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ ج٦ ص٢٨٩.

(٤) ابن المنذر. الأوسط. ج ٣ ص ٢٥٧. ابن حجر. فتح الباري. ج ٢ ص٢٠٦. الشرنبلالي. مراقي الفلاح شرح متن نور الإيضاح. ص ١٢١. محمد عليش. منح الجليل شرح مختصر خليل. ج١ ص ٣٠٤.

• وقد قالَ الله تَعالى في القرآنِ ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾[1]، ومَعنى الحسنى أيِ الدّالة على الكَمالِ فلا يجوزُ أن يكونَ اسمٌ مِن أسماءِ الله تعالى دالًّا على خلافِ الكمالِ، قالَ الزجّاجُ «ولا ينبغي لأحدٍ أن يَدعوهُ بما لم يُسمّ بهِ نفسَهُ» اهـ. وقالَ أبو سليمانَ الخطابيُّ «ودليلُ هذهِ الآيةِ أنَّ الغلطَ في أسمائهِ والزيغَ عنها إلحادٌ» اهـ. كما نقلهُ عنهُما ابن الجوزي في زادِ المسيرِ[2]، وقالَ النسفيُّ في تفسيرهِ[3] قوله تَعالى ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦ﴾[4] «أيِ اتركُوا تسميةَ الذينَ يميلونَ عنِ الحقّ والصّوابِ فيها فيسمّونهُ بغيرِ الأسماءِ الحسنى وذلكَ أن يُسمّوهُ بما لا يجوزُ عليهِ نحوُ أن يقولوا «يا سخيُّ يا رفيقُ» لأنهُ لم يُسمّ نفسهُ بذلكَ، ومنَ الإلحادِ تسميتهُ بالجسم والجوهرِ والعقلِ والعلةِ» اهـ. فتبيّنَ أنَّ الإلحادَ في أسماءِ الله تعالى هوَ تسميتهُ تعالى بما لم يُسمّ بهِ نفسَهُ ولم يَرد فيهِ نصٌّ مِن كتابٍ ولا سنةٍ ولا إجماعٍ لأنَّ أسماءَ الله تعالى كلَّها تَوقيفيّةٌ أي يتوقّفُ إطلاقُها عليهِ تَعالى على وُرودِها في كتابِ الله أو سنةِ نبيّهِ أو إجماع، أما قول بعض العلماء بجواز تسمية الله بما لم يرد في الكتاب أو السنة فمشروط بأن يكون قد ورد في الشرع ما هو بمعناه وكونه مشتقًا لا جامدًا وكونه لا يوهم نقصًا في حقّه تعالى.

• ومِن جملةِ الإلحادِ في أسماءِ الله تعالى قولُ بعضِهم أثناءَ الذّكرِ «يا روحُ» والعياذُ بالله وهذا كفرٌ وإلحادٌ وقَد وردَ ذلكَ في كتابِ قوتِ القلوبِ[5] في أثناءِ ذكرٍ طويلٍ ساقهُ فيجبُ تجنُّب ذلكَ. وقَد سُئلَ الشيخُ سليمٌ البشريُّ شيخُ الأزهرِ

(١) سورة الأعراف/ آية ١٨٠.

(٢) ابن الجوزي. زاد المسير في علم التفسير. ج٣ ص٦١.

(٣) النسفي. تفسير النسفي. ج١ ص٤٠٣.

(٤) سورة الأعراف/ آية ١٨٠.

(٥) أبو طالب المكي. الكتاب المسمى قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد. ج١ ص٢٤.

قبلَ نحوِ سبعينَ سنة عَن هؤلاءِ الذينَ يذكرونَ بآه فقالَ «حضورُ مجالسِهم حرامٌ»[1] اهـ. وأما مَن قالَ آه لترويحِ نفسهِ وليسَ بقصدِ الذّكرِ فيجوزُ، وأما إنْ قصدَ الذّكرَ بذلكَ فحرامٌ لا يجوز.

• فإن قالَ بعضُ هؤلاءِ المحرّفينَ لاسم الله «اليومَ حصلَت لنا تجليّاتٌ» أيْ نزلَت رحماتٌ وبركاتٌ يقالُ لهم هذا ليسَ تجليّاتٍ بَل هذا الشّيطانُ لهُ فيهِ حظّ حيثُ أوهمكُم أنَّ هذا فيهِ عبادةُ الله، وأما ما يحصلُ لهم منَ الفرحِ النفسانيّ فهذا فرحُ الهوَى وليسَ مِن محبّةِ الله إنما الشّيطانُ يُوهمهُم أنَّ هذا شيءٌ عظيمٌ عندَ الله.

• ثم مما يدلُّ على أنَّ آه ليسَ مِن أسماءِ الله أنهُ لا تثبتُ بها اليمينُ وكَذا لا تثبتُ اليمينُ بقولِ «واللا» بدونِ هاءٍ بل مَن قالَ ذلكَ عليهِ معصيةٌ لأنهُ حرّفَ اسمَ الله، حذَفَ حَرفينِ منِ اسمِ الله حرفًا يأتي باللفظِ بينَ اللامِ والهاءِ (أي الألف) ثم الهاءِ.

كذلكَ منَ الدّعاءِ ما هوَ حرامٌ، بعضُ الناسِ يقولونَ «اللهمَّ أجِرنا وأجِر والِدِينا وأجِر جميعَ المسلمينَ منَ النارِ»، وهذا لا يجوزُ. القرآنُ أخبرَ والرّسولُ ﷺ أخبرَ بأنَّ بعضَ المسلمينَ يدخلونَ النارَ بذنوبهم ثم يخرجونَ. كيفَ يقولونَ يا ربّ لا تُدخِل أحدًا منَ المسلمينَ النارَ؟ هذه العبارة فيها تكذيب للقرآن[2] ولما جاء في الشرع من أن بعض العصاة سيعذبون في النار على الذنوب التي اقترفوها في هذه الدنيا[3]. أما لو قالَ «اللهمَّ اغفِر للمؤمنين والمؤمناتِ» هذا فيهِ ثوابٌ، هذا حَسنٌ لأنَّ معناهُ اللهمَّ اغفِر لبعضِ المسلمينَ كلَّ ذنوبِهم ولبعضِ المسلمينَ بعضَ

---

(١) الشيخ محمود خطاب السبكي. مختصر كتاب أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية. ص٤٢٢-٤٢٩.

(٢) قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [سورة النساء/ ٤٨].

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الإيمان: باب زيادة الإيمان ونقصانه. ج١ ص١٧. كتاب الرقاق: باب صفة الجنة والنار. ج٨ ص١٤٣. وج٨ ص١٤٦.

ذنوبِهِم. الذينَ يَغفرُ اللهُ لهم كلَّ ذنوبهم يَدخلونَ الجنةَ ولا يدخلونَ النارَ. أما قولُ «اللهمَّ أجِرنا وأجِر والِدِينا وجميعَ المسلمينَ منَ النارِ»، فهذا ضدُّ القرآنِ وضدُّ حديثِ الرّسولِ ﷺ.

هكذا الجهلُ يفعلُ بصَاحبهِ، أما الذي يقولُ ما علّمهُ الرّسولُ ﷺ أمتَهُ وهو «اللهمَّ أجِرني منَ النارِ سبعَ مراتٍ» بعدَ المغربِ قبلَ أن يتكلّمَ وبعدَ الصّبحِ قبلَ أن يتكلّمَ فهذا لهُ أجرٌ عظيمٌ. فقد قال الرسول محمد ﷺ «**إنْ قالَ هذا سبعَ مراتٍ ليلًا فماتَ تلكَ الليلةَ أجارهُ اللهُ منَ النارِ وإنْ قالَها سبعَ مراتٍ بعدَ الصّبحِ أجارهُ اللهُ منَ النارِ**» رواه أبو داودَ وغيرهُ[1]. لكنْ مِن جهلِهِم تركوهُ وقالوا اللهمَّ أجِرنا وأجِر والِدِينا وجميعَ المسلمينَ منَ النارِ، يُردّدونهُ سبعَ مرّاتٍ. في الجزائرِ يوجدُ هذا وفي سوريا الشّامِ وفي الحبشةِ جماعةٌ يَدّعونَ أنهم قادرية يجتمعون بعد المغرب ثم يقولونَ هذا. هُم يظنّونَ أنَّ لهم ثوابًا معَ أنهم كذّبوا القرآنَ والحديثَ. والحقّ أنَّ ذنبَهُم كبيرٌ كبيرٌ بل يكفرُ مَن يقولُ هذا. لأنّه لا بدَّ مِن دخولِ بعضِ المسلمينَ النارَ، فالذين يَعرفُون أنَّ هذا في شريعةِ الإسلامِ ثم يقولُون اللهمَّ أجِرنا وأجِر والِدِينا وأجِر جميعَ المسلمينَ منَ النارِ، فهؤلاءِ كذّبوا الدّينَ وهُم يظنّونَ أنَّ لهم أجرًا كبيرًا.

ربّنا آتِنا في الدّنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النارِ واغفر للمؤمنين والمؤمنات.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الأدب: باب ما يقول إذا أصبح. ج٤ ص٤٨١.

المحاضرة الثامنة والأربعون

ما جاءَ في بدءِ الخَلقِ وبيان وضع حديث جابر

بسمِ اللهِ الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

بيانُ أنَّ أولَ المخلوقاتِ الماءُ ثم العرشُ وأنَّ اللهَ غنيٌّ عنِ العالمينَ

- قالَ رسولُ اللهِ ﷺ عندَما سُئلَ عَن بدءِ الأمرِ «**كانَ اللهُ ولم يكُن شىءٌ غيرُهُ وكانَ عرشهُ على الماءِ، وكتبَ في الذّكرِ كلَّ شىءٍ، ثم خلقَ السّمواتِ والأرضَ**» رواهُ البخاريُّ[1]. أجابَ الرسولُ ﷺ على هذا السّؤالِ بأنَّ اللهَ أزليٌّ لا بدايةَ لوُجودهِ فلَم يسبقِ وجودَهُ تعالى عدمٌ، فقولهُ «**كانَ اللهُ**» أيْ في الأزلِ قبلَ كلِّ شىءٍ، وقولهُ «**ولم يكُن شىءٌ غيرُهُ**» أي في الأزلِ لم يكُن شىءٌ منَ العالمِ، ففي الأزلِ لم يكُن لا ماءٌ ولا هواءٌ، ولا أرضٌ ولا سماءٌ ولا فضاءٌ، ولا نورٌ ولا ظلامٌ ولا ليلٌ ولا نهارٌ، ولا كرسيٌّ ولا عرشٌ، ولا إنسٌ ولا جنٌّ ولا ملائكةٌ، ولا زمانٌ ولا مكانٌ ولا جهاتٌ.

اللهُ وحدَهُ الأزليُّ وكلُّ ما سوى اللهِ حدثَ بخلقِ اللهِ، فاللهُ تَعالى خلقَ العالَمَ بأسرهِ العُلويَّ والسّفليَّ، والعرشَ والكرسيَّ، والسّمواتِ والأرضَ وما فيهما وما بينَهما قالَ اللهُ تَعالى ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[2] أي أخرجَ العالَمَ بأسرهِ منَ العدمِ إلى الوجودِ، فالعالمُ بأسرهِ حادثٌ وُجدَ بعدَ عدمٍ. اللهُ تعالى لا يحتاجُ إلى شىءٍ منَ

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب بدء الخلق. ج٤ ص٢٢٢.

(٢) سورة الفرقان/ آية ٢.

العالمِ قالَ تَعالى ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

وقولهُ ﷺ «**وكانَ عرشهُ على الماءِ**» أي وُجدَ عرشهُ بعدَ وجودِ الماءِ أيْ أنَّ الماءَ هوَ أولُ المخلوقاتِ وبوجودِ الماءِ وُجدَ الزمانُ والمكانُ. والعرشُ سريرٌ كبيرٌ لهُ أربعُ قوائمَ كقوائمِ السّريرِ يحملُهُ في الدنيا أربعةٌ مِن أعظمِ الملائكةِ ويومَ القيامةِ يكونونَ ثمانيةً وقَد وصفَ الرّسولُ ﷺ أحدَهم بأنَّ ما بينَ شَحمةِ أُذنهِ إلى عاتقهِ مَسيرةُ سبعمائةِ عامٍ بخفقانِ الطّيرِ المسرعِ[٢].

وقولهُ «**وكتبَ في الذّكرِ كلَّ شيءٍ**» أَيْ أنَّ الله أمرَ القلمَ الأعلى بأنْ يكتُبَ على اللوحِ المحفوظِ الذي هوَ فوقَ السّماءِ السّابعةِ ما كانَ وما يكونُ إلى يومِ القيامةِ.

وقولهُ «**ثم خلقَ السّمواتِ والأرضَ**» أيْ أنَّ السَمواتِ السّبعَ والأَرَضينَ السّبعَ خُلقَت بعدَ هذهِ الأشياءِ الأربعةِ بخمسينَ ألفَ سنةٍ في ستةِ أيامٍ، وكلُّ يومٍ مِن هذهِ الأيامِ قَدرُ ألفِ سنةٍ بتقديرِ أيامِنا هذهِ.

- ورَوَى ابنُ حبّانَ[٣] مِن حَديثِ أبي هريرةَ قالَ قلتُ يا رسولَ الله إني إذا رأيتكَ طابَت نفسِي وقرَّت عَيني فأنبئني عَن كلّ شيءٍ، قالَ «**كلُّ شيءٍ خُلقَ منَ الماءِ**».
- وقال ابن حجر[٤] «وروَى السُّدّي في تفسيرِهِ بأسانيدَ متعددةٍ «**إنَّ الله لم يخلُق شيئًا مما خلقَ قبلَ الماءِ**»اهـ.
- ففي الحديثِ الأوّلِ نصٌّ على أنَّ الماءَ والعرشَ هما أوّلُ خلقِ الله، وأما أنَّ الماءَ قبلَ العرشِ فهوَ مأخوذٌ منَ الحديثَينِ التاليينِ. قالَ الحافظُ ابنُ حَجَر في شرح البخاريّ ما نصّهُ[٥] «أشارَ بقولِهِ «**وكانَ عرشهُ على الماءِ**» إلى أنَّ الماءَ والعرشَ

(١) سورة آل عمران/ آية ٩٧.

(٢) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب السنة: باب في الجهمية. ج٤ ص٣٧٠.

(٣) ابن حبان. صحيح ابن حبان. كتاب الصلاة: فصل في قيام الليل: ذكر إيجاب دخول الجنان للقائم في سواد الليل يتملق إلى مولاه. ج٢ ص٢٢٩.

(٤) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٦ ص٢٨٩.

(٥) ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ٦ ص٢٨٩.

كانا مبدأً هذا العالمِ لكونهما خُلِقا قبلَ خلقِ السّمـواتِ والأرضِ ولم يكُن تحتَ العرشِ إذ ذاكَ إلا الماءُ» اهـ.

- وفي تفسيرِ عبدِ الرزّاقِ عَن قَتادة في شرحِ قولِهِ تَعالى ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾[1] ما نصّهُ[2] «هذا بدءُ خَلقهِ قبلَ أن يخلقَ السّمـٰواتِ والأرضَ»اهـ.
- وأخرجَ ابنُ جريرٍ[3] عَن مجاهدٍ رضي الله عنهُ في قولِهِ ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ﴾[4] قالَ «قبلَ أن يخلقَ شيئًا»اهـ.

بيانُ وضع حديث جابر

- إنْ قيلَ أليسَ قالَ رسولُ الله ﷺ «أوّلُ ما خلقَ الله تعالى نورُ نبيّكَ يا جابرُ، خلقَهُ الله مِن نورهِ قبلَ الأشياءِ»، فالجوابُ أنهُ يكفي في ردّ هذا الحديثِ كونهُ مخالفًا للأحاديثِ الثلاثةِ الصّحيحةِ السّابقةِ، وأما عَزوُ هذا الحديثِ للبيهقيّ فغيرُ صحيحٍ، إنما يُنسَبُ إلى مُصنّفِ عبدِ الرزّاقِ ولا وجودَ لهُ في مُصنّفهِ بلِ الموجودُ في تفسيرِ عبدِ الرزاقِ عكسُ هذا، فقَد ذكرَ فيهِ أنَّ أوّلَ المخلوقاتِ وُجودًا الماءُ.
- وقالَ الحافظُ السّيوطيُّ في «الحاوي»[5] «ليسَ لهُ -أي حديث جابرٍ- إسنادٌ يُعتمدُ عليهِ» اه. قالَ الشيخ عبد الله الهرري عليهِ رحماتُ الله وهوَ حديثٌ موضوعٌ جزمًا، وقَد صرّحَ الحافظُ السيوطيُّ في شرحِهِ على الترمذيّ أنَّ حديثَ أوليةِ النورِ المحمّديّ لم يثبُت.
- وقَد ذكرَ الشيخُ عبدُ الله الغُماريُّ محدّثُ المغربِ[6] أنَّ عَزوَ هذا الحديثِ الموضوعِ

(١) سورة هود/ آية ٧.

(٢) عبد الرزاق. تفسير عبد الرزاق. ج٢ ص١٠٣.

(٣) الطبري. تفسير الطبري. ج١٢ ص٣٣٠.

(٤) سورة هود/ آية ٧.

(٥) السيوطي. الحاوي للفتاوي. ج١ ص٣٢٥.

(٦) عبد الله الغماري. مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر. ص٤٣.

إلى مُصنّفِ عبدِ الرزّاقِ خطأٌ لأنهُ لا يوجدُ في مُصنّفِهِ، ولا جامعِهِ ولا تفسيرِهِ، والأمرُ كما قالَ.

- كما أنَّ المحدّث الحافظَ أحمدَ بنَ الصّدّيقِ الغماريَّ حكمَ عليهِ بالوَضعِ محتجًّا بأنَّ هذا الحديثَ ركيكٌ ومعانيَه مُنكَرةٌ(١)، قالَ الشيخ المحدّث الهرريّ رحمهُ الله وجزاهُ عنّا خيرًا(٢) «والأمرُ كما قالَ، ولو لم يكُن فيهِ إلا هذهِ العبارةُ «خلقهُ الله مِن نورهِ قبلَ الأشياءِ» لكفى ذلكَ ركاكةً، لأنهُ مُشكِلٌ غاية الإِشكالِ، لأنّهُ إنْ حُمِلَ ضميرُ مِن نُورهِ على مَعنى نورٍ مخلوقٍ للهِ كانَ ذلكَ نقيضَ المدّعى لأنهُ على هذا الوجهِ يكونُ ذلكَ النورُ هوَ الأوّلَ ليسَ نورَ محمّدٍ صلى الله عليه وسلم بل نورُ محمّدٍ ثاني المخلوقاتِ، وإن حُمِلَ على إضافةِ الجزءِ للكلّ كانَ الأمرُ أفظعَ وأقبحَ لأنّهُ يكونُ إثباتَ نورٍ هوَ جزءٌ للهِ تعالى، فيؤدّي ذلكَ إلى أنَّ الله مركّبٌ والقولُ بالتركيبِ في ذاتِ الله مِن أبشعِ الكفرِ لأنَّ فيهِ نسبةَ الحدوثِ إلى اللهِ تَعالى» اهـ.

- ثم هناكَ علّةٌ أخرى وهيَ الاضطرابُ في ألفاظِهِ لأنَّ بعضَ الذينَ أوردوه في مؤلفاتهم روَوهُ بشكلٍ وآخرونَ رَوَوهُ بشكلٍ آخَر، فإذا نُظِرَ إلى لفظِ الزرقانيّ ثم لفظِ الصّاوي لوُجدَ فرقٌ كبيرٌ. ثم الركاكةُ دليلُ الوَضعِ كما قالَ عُلماءُ الحديثِ لأنَّ الرّسولَ ﷺ لا يتكلمُ بكلامٍ ركيكِ المعنى(٣).

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

---

(١) أحمد بن الصديق الغماري. المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير. ص٤.

(٢) عبد الله الهرري. الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم. ص٩٢.

(٣) أحمد بن الصديق الغماري. المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير. ص٤، ابن الجوزي. الموضوعات. ص٢٤٠.

المحاضرة التاسعة والأربعون

الاجتهادُ والتَّقليدُ

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

- الاجتهادُ هوَ استِخراجُ الأَحكامِ التي لم يَرِدْ فيها نصٌّ صَريحٌ لا يحتمِلُ إلا معنًى واحدًا[1].
- والمجتهدُ مَن لهُ أهليّةُ ذلكَ بأنْ يكونَ حافظًا لآياتِ الأحكامِ[2] وأحاديثِ الأحكامِ معَ مَعرفَةِ أسانيدِهَا ومعرفَةِ أحوالِ رجالِ الإسنادِ[3]، ومعرفَةِ النَّاسِخِ والمنسوخِ[4]

(١) وأمّا ما وَرَدَ فيه نصٌّ صرِيحٌ لا يحتَمِلُ تأويلًا فلا مجالَ للاجتهادِ فيهِ، ولذلكَ قالَ بعضُ المجتهدينَ وهو أبو بكر بن المنذر «إذا ثبتَ الخَبَرُ ارتفَع النظَرُ» اهـ ذكره في الأوسط ج ٣ ص ٢٨٦، يعني بالخبرِ النَّصَّ القُرآنيَّ والنصَّ الحديثيَّ.

(٢) وهي التي ذُكِرَ فيها أحكامٌ شرعيّةٌ، ليسَ التي هي قَصَصٌ وأخبارٌ.

(٣) أي أن المجتهدَ ينبغي لهُ أن يَعرِفَ أحوالَ الرواةِ قوّةً وضعفًا فيقدم عندَ التعارُضِ الخاصَّ على العَام والـمُـقيَّدَ على المطلقِ والنصَّ على الظاهِرِ والمحكَمَ على المتشابهِ والناسِخَ والمتَّصِلَ والقَويَّ على مقابِلِه.

(٤) والنَّسخُ معناهُ الإزالةُ، وحَدُّهُ هو الخطابُ الدَّالُّ على رفعِ الحكمِ الثابتِ بالخطابِ المتقدّم على وجهٍ لولاهُ لكانَ ثابتًا مع تراخيه عنهُ، ويُقالُ رفعُ حكمٍ شرعيٍّ سابقٍ بحكمٍ شرعيٍّ لاحقٍ. ويجوزُ نسخُ الحُكمِ وبقاءُ الرَّسمِ مثلُ قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ [سورة البقرة/ آية ٢٤٠]. نُسِخَت بالآيةِ التي قَبلَها وهي ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [سورة البقرة/ آية ٢٣٤]. ويجوزُ النسخُ إلى بدلٍ كما في نسخِ استقبالِ بيتِ المقدِسِ باستقبالِ الكعبةِ.=

والعَامّ والخَاصّ[1] والمطلَقِ والمقَيَّدِ[2]، ومعَ إتْقانِ اللغَةِ العربيّةِ بحَيثُ إنّه يَحفَظُ مَدْلُولاتِ ألفاظِ النُّصوصِ على حسَب اللغَةِ التي نزَل بها القرآنُ. ومِن شرطِهِ أيضًا معرفتُهُ بما أَجْمَعَ عليهِ المجتهدونَ وما اختَلَفُوا فيهِ لأنّهُ إذا لم يَعْلَمْ ذلكَ لا يُؤمَنُ عليهِ أن يَخْرِقَ الإجماعَ أيْ إجْماعَ مَن كانَ قبلَهُ. ويُشْتَرَطُ فوقَ ذلكَ شرطٌ وهوَ ركنٌ عظيمٌ في الاجتهادِ وهو فِقْهُ النّفْسِ أي قُوّةُ الفَهْمِ والإدراكِ. وتُشترَط العدالةُ وهيَ السّلامَةُ منَ الكبائِرِ ومنَ المداومَةِ على

= ويجوزُ النسخُ إلى غيرِ بدلٍ كما في نَسخِ قولِهِ تعالى ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗ﴾ [سورة المجادلة/ آية ١٢].

ويجوزُ نسخُ الكتاب بالكتابِ كما في آيتي العِدَّةِ وهي قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖ﴾ [سورة البقرة/ آية ٢٤٠] وقوله ﴿يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗا﴾ [سورة البقرة/ آية ٢٣٤] وآيتي المصَابَرَةِ وهي قوله تعالى ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ﴾ [سورة الأنفال/ آية ٦٥] وقوله تعالى ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِ﴾ [سورة الأنفال/ آية ٦٦].

ويجوزُ نسخُ السُّنةِ بالكتابِ كما في نسخِ استقبالِ بيتِ المقدسِ الثابتِ بالسنةِ الفعليةِ في حديثِ الصحيحين بقولِهِ تعالى ﴿فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [سورة البقرة/ آية ١٤٤] ويجوزُ نسخُ السنةِ بالسنَّةِ كما في حديثِ مسلمٍ «**كنت نَهَيْتُكُم عن زيارةِ القُبورِ ألا فزورُوهَا**»، ويجوزُ نسخ المتواترِ بالمتواترِ منهما أي القرآنِ والسنةِ، ويجوزُ نسخُ الآحادِ بالآحادِ وبالمتواترِ، ولا يجوزُ نسخُ المتواترِ بالآحادِ.

(١) والعامُّ هو ما عَمَّ شيئين فصاعدًا والخاصُّ يقابِلُ العامَّ، والتّخصيصُ تمييزُ بعضِ الجملةِ، وذلك كقوله تعالى ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٖ﴾ [سورة البقرة/ آية ٢٢٨] الشامِل لأولات الأحمالِ فخصَّ بقولِهِ ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّ﴾ [سورة الطلاق/ آية ٤].

(٢) المطلقُ الدالُّ على الماهيَّةِ بلا قَيدٍ أي من حيث هي من غيرِ اعتبارِ عَارِضٍ من عوارِضِهَا كقولنا الرجلُ خيرٌ منَ المرأةِ، فيخرُجُ بقولِهِم بلا قيدٍ المعرفَةُ والنَّكِرَةُ، أما المعرفةُ لأنها تَدُلّ على الحقيقةِ مع وَحدةٍ معيَّنةٍ كزيدٍ، وأما النكرةُ فلأنها تَدُلُّ عليها مع وَحدةٍ غيرِ معيَّنةٍ كرجلٍ وهذا الفرقُ بين المطلقِ والنَّكرَةِ، وقال الآمدي لا فرقَ بينهما فقال النَّكِرَةُ المطلقُ في سياقِ الإثباتِ، وذلكَ كحديثِ «**يمسَحُ المسافِرُ ثلاثَةَ أيام**» فإنه مطلقٌ في روايةٍ وَوَرَدَ مقيدًا في رواية «**إذا تطهَّرَ فَلَبِسَ**»، فاللفظُ الأولُ مطلقٌ والثاني مُقَيَّدٌ، كذلكَ حديثُ «**لا يُمسِكَنَّ أحدُكُم ذَكَرَهُ بيمينِهِ وهو يَبولُ**» مع الروايةِ الأخرى بالنهي عن مَسّهِ باليمينِ مُطلقًا مِن غيرِ تقييدٍ بحالةِ البولِ.

الصَّغَائِرِ بحيثُ تَغْلِبُ على حسَناتِهِ مِن حيثُ العَدَدُ.

- أمّا المقلّدُ فهوَ الذي لم يَصِلْ إلى هذهِ المرتَبَةِ.

- الدَّليلُ على أنَّ المسلمينَ على هاتينِ المرتَبتَينِ قولُه ﷺ «**نضَّرَ الله امرأً سَمِعَ مقالَتِي فَوَعَاهَا فأدَّاهَا كما سمِعَها، فرُبَّ مُبَلغٍ لا فِقْهَ عندَهُ**» رواهُ التّرمذيُّ[1] وابنُ حِبَّانَ[2]. الشَّاهِدُ في الحديثِ قولُه «**فَرُبَّ مُبَلِّغٍ لا فِقْهَ عندَهُ**»، وفي روايةٍ «**ورُبَّ مُبَلَّغ أوْعَى مِن سَامِعٍ**»، فإنّه يُفهِمنا أنَّ ممَّن يَسمعونَ الحديثَ منَ الرّسولِ ﷺ مَن حظُّهُ أن يَروِيَ ما سمعَهُ لغيرِهِ ويكون هوَ فَهمهُ أقلَّ مِن فهم مَن يُبلّغهُ بحيثُ إنَّ مَن يُبلّغُهُ أي هذا السّامع منه يَستطيعُ مِن قوّةِ قريحتِهِ أن يَستخرجَ منهُ أحكامًا ومسائلَ -ويُسمّى هذا الاستنباطَ- والذي يروي ليسَ عندهُ هذهِ القريحةُ القويةُ إنما يفهمُ المعنى الذي هوَ قريبٌ منَ اللفظِ. مِن هنا يُعلَمُ أنَّ بَعضَ الصّحابةِ يكونُ أقلَّ فهمًا ممن يسمَعُ منهُم حديثَ رسولِ الله ﷺ. وفي لفظٍ لهذا الحديثِ «**فرُبَّ حاملِ فِقْهٍ إلى مَن هوَ أفقَهُ منهُ**»، وهاتانِ الرّوايتانِ في التّرمذيّ وابنِ حِبّانَ.

- وهذا المجتهدُ المذكورُ هوَ مَوْرِدُ قولِهِ ﷺ «**إذَا حَكَمَ الحاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْر**» رواهُ البخاريُّ[3]، وإنّما خصَّ رسُولُ الله ﷺ في هذا الحديثِ الحاكمَ بالذّكْرِ لأنّهُ أحْوجُ إلى الاجتهادِ مِن غَيرِهِ فقَد مضَى مُجتهدونَ في السّلَفِ معَ كونِهم حاكمينَ كالخلفاءِ السّتَّةِ أبي بكرٍ وعُمرَ وعثمانَ وعليّ والحسَنِ بنِ عليّ وعمرَ بنِ عبدِ العزيزِ وشُرَيْحٍ القَاضي.

---

(١) الترمذي. سنن الترمذي. باب الحث على تبليغ السماع ج٥ ص٣٤.

(٢) ابن حبان. صحيح ابن حبان. باب ذكر إثبات نضارة الوجه في القيامة من بلغ للمصطفى ﷺ سنة صحيحة كما سمعها. ج١ ص٢٧٢.

(٣) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: باب قولِه تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾. ج٩ ص١٣٣.

- وقَد عَدَّ عُلَماءُ الحَديثِ الذينَ ألَّفُوا في كتُبِ مُصطَلحِ الحديثِ المفْتِينَ في الصّحابةِ أقَلَّ مِن عشَرةٍ قِيلَ نحو سِتّةٍ، وقالَ بعضُ العلماءِ نحوُ مائتينِ منهُم بَلَغَ رُتْبَةَ الاجتهادِ، وهذا القولُ هوَ الأصَحُّ. فإذا كانَ الأمرُ في الصّحابَةِ هكَذا فمِن أينَ يصحُّ لِكُلّ مسلمٍ يستطيعُ أن يقرأَ القرآنَ ويطالعَ في بعضِ الكتبِ أن يقولَ أولئكَ رجالٌ ونحنُ رجالٌ فليسَ علينا أن نقلّدَهُم.

- وقَدْ ثبتَ أنَّ أكْثرَ السَّلَفِ كانوا غيرَ مجتهدينَ بلْ كانوا مُقلّدِينَ للمُجتهدينَ فيهِم، ففي صحيحِ البُخاريّ[1] أنَّ رجلًا كانَ أجِيرًا لرجُلٍ فزنى بامرأَتِهِ فسألَ أبوهُ فقيلَ لهُ إنَّ على ابنِكَ مائةَ شاةٍ وأَمَةً، ثمّ سأَلَ أهلَ العِلْمِ فقالوا لهُ إنَّ على ابنِكَ جَلْدَ مائةٍ وتغريبَ عامٍ، فَجَاءَ إلى الرّسولِ ﷺ معَ زوجِ المرأةِ فقالَ يا رسولَ الله إنَّ ابني هذا كان عَسِيفًا -أي أجِيْرًا- على هذا وزَنَى بامرأتِهِ فقالَ لي ناسٌ على ابنكَ الرّجمُ ففديتُ ابني منهُ بمائةٍ مِنَ الغنمِ ووليدةٍ، ثم سألتُ أهلَ العِلمِ فقالوا إنما على ابنكَ جلدُ مائةٍ وتغريبُ عامٍ، فقالَ رسولُ الله ﷺ «**لأقضِيَنَّ بينكُما بكتابِ الله، أمّا الولِيْدَةُ والغَنَمُ فرَدٌّ عليهِ، وعلى ابْنِكَ جَلْدُ مائةٍ وتغريبُ عامٍ**».

فهذا الرّجلُ معَ كونِهِ مِنَ الصّحابةِ سألَ أناسًا مِنَ الصّحابةِ فأخطأوا الصّوابَ ثم سألَ علماءَ منهُم ثمّ أفْتَاهُ الرّسولُ ﷺ بما يوافِقُ ما قالَهُ أولئكَ العلماءُ، فإذا كانَ الرّسولُ ﷺ أفهَمنا أنَّ بعضَ مَنْ كانوا يَسمعونَ منهُ الحديثَ ليسَ لهم فِقْهٌ أي مَقْدِرَةٌ على استخراجِ الأحكامِ مِن حديثِهِ وإنما حَظُّهُمْ أن يَرْوُوا عنهُ ما سمِعُوهُ معَ كونِهِم يفهَمُونَ اللغةَ العربيّةَ الفُصْحَى فما بالُ هؤلاءِ الغوْغاءِ الذينَ يتجرّؤونَ على قولِ «أولئكَ رجالٌ ونحنُ رجالٌ»، أولئكَ رجالٌ يَعنونَ المجتهدينَ كالأئِمّةِ الأربَعةِ.

---

(١) البخاري. صحيح البخاري. كتاب الصلح: باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصّلح مردود. ج٣ ص٢٤١.

• وفي مَعنى ما ذُكرَ ما أخرَجَهُ أبو داودَ[1] مِنْ قِصّةِ الرّجلِ الذي كانَت برأسِهِ شَجَّةٌ فأجْنَبَ في ليلةٍ باردَةٍ فاستَفْتَى مَن معَهُ فقالُوا له اغتَسِل، فاغتسَلَ فماتَ فأُخبِرَ رسولُ الله ﷺ فقالَ «**قتلُوهُ قتلَهُمُ الله، ألا سَألُوا إذْ لم يَعلموا، فإنّما شِفاءُ العِيّ السُّؤالُ**» أي شِفَاءُ الجَهلِ السّؤالُ أيْ سؤال أهلِ العلمِ، وقالَ عليهِ الصّلاةُ والسّلامُ «**إنما كانَ يكفيهِ أنْ يَتيممَ ويعصِبَ على جُرحِهِ خرقةً ثم يَمسح عليها ويَغسِل سائرَ جسدِهِ**» الحديثُ رواهُ أبو داودَ وغيرُه، فإنّهُ لو كانَ الاجتهادُ يصِحُّ مِنْ مُطلَقِ المسلمينَ لَمَا ذمَّ رسولُ الله هؤلاءِ الذينَ أفْتَوهُ ولَيْسُوا مِن أهلِ الفَتْوَى.

• ثمَّ وظيفةُ المجتهدِ التي هي خاصّةٌ لهُ القياسُ، أيْ أنْ يعتَبِرَ ما لَمْ يَرِدْ به نصٌّ بما وردَ فيهِ نصٌّ لشَبَهٍ بينَهُما.

• فالحذرَ الحذرَ مِنَ الذينَ يحثّونَ أتباعَهُمْ على الاجتهادِ مَعَ كونِهِمْ وكونِ متبوعِيهِمْ بعيدينَ عَنْ هذهِ الرتبةِ فهؤلاء يُخَرّبُونَ ويَدعونَ أتباعَهُم إلى التخريبِ في أُمورِ الدّينِ. وشَبيهٌ بهؤلاءِ أُناسٌ تَعَوَّدُوا في مجالِسِهِمْ أن يُوَزّعوا على الحَاضِرينَ آيةً أو حديثًا للتفسيرِ مَعَ أنهُ لم يسبِق لهم تلقّ مُعْتَبَرٌ مِن أفواهِ العلماءِ. فهؤلاءِ المدّعونَ شَذُّوا عَنْ علماءِ الأصولِ لأنَّ علماءَ الأصولِ قالوا «القياسُ وظيفةُ المجتهدِ»[2] وخالفوا علماءَ الحديثِ أيضًا.

والله تعالى أعلَمُ وأحكَمُ.

(١) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الطهارة: باب في المجروح يتيمّم. ج١ ص١٣٣.

(٢) انظر الزركشي. البحر المحيط في أصول الفقه. ج٨ ص٢٦٧.

المحاضرة الخمسون

سيرةُ الشيخ عبدِ الله الهرريّ رحمهُ الله تَعالى مع البيان التوضيحي الذي صدر من المجلس الأعلى الفدرالي في إثيوبيا في الدفاع عنه

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ والصّلاةُ والسّلامُ عَلى سيّدنا محمّدٍ وعلَى آلهِ وصَحابتهِ الطّاهرين

قالَ الله تَعالى ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1].

فالحمدُ للهِ الذي قيَّضَ للإسلامِ أفذاذًا منَ الرّجالِ يَذودونَ عَن حياضهِ كلَّ مبتدعٍ دجّالٍ ويَمتثلونَ أمرَ الله عزَّ وجلَّ أحسنَ امتثالٍ لهم البشرَى في الحياةِ الدّنيا ولهم العُقبى وحسنُ مآلٍ، هؤلاءِ الرّجالُ كانَ لهم فَضلٌ في نشرِ هذا الدّينِ الحنيفِ فمنهُم مَن نَشرهُ بالبَيانِ والسّنانِ وهُم رِجالٌ كانوا في عَهدِ النبيّ ﷺ ومنُهم مَن نشَرَهُ باللسانِ وإقامةِ الحجَج والبراهينِ والرَّدّ على المبْتَدِعةِ المارقينَ وهُم العلماءُ العاملونَ، ومنهُم قادةٌ خصَّهُم الله تَعالى بالحمِيَّةِ في المحافظةِ على الأمّةِ المحمّديةِ بكلّ ما أعطوا مِن حكمةٍ ورويّةٍ وهِمَّةٍ قويّةٍ، فرُبَّ هِمةٍ أنقذَت أمةً، ومنهُم أولياءُ عارفونَ ساهموا في تثبيتِ دعائمِ الدّينِ وفّقهُمُ الله عزَّ وجلَّ وجعلَهُم منَ المناصرينَ المدافعينَ عَن طريقِ أهلِ السّنةِ الموصلِ إلى الجنةِ.

(١) سورة الأحزاب/ آية ٢٣.

وفي مدينةِ هررَ حوالي سنةَ ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م وُلِدَ العالمُ الجليلُ قدوةُ المحقّقينَ خادمُ علمِ الحديثِ النبويّ الشريفّ، وعمدةُ المدقّقينَ، صدرُ العلماءِ العاملينَ، الإمامُ المحدّثُ، التقيُّ الزاهدُ، والفاضلُ العابدُ، صاحبُ المواهبِ الجليلةِ، الشيخُ أبو عبدِ الرّحمنِ عبدُ الله بنُ محمّدِ بنِ يوسفَ بنِ عبدِ الله بنِ جامعِ الهرريُّ موطنًا الشيبـيُّ[1] العبدريُّ[2] القرشيُّ نسبًا الشافعيُّ مَذهبًا مُفتي هررَ، وتوفّيَ والدهُ رحمه الله وهوَ ما زالَ في حداثةِ سنّهِ.

- **أُسْرَتُه رحمهُ الله**

والدتهُ فاطمةُ توفّيَت رحمها الله عامَ ١٩٨٩م في مدينةِ هررَ، وإخوانه أربع يوسف محمّد وهو الأخُ الأكبرُ ويونس محمّد وعبدُ الكريم محمّد وعليّ محمّد وله أخت واحدة وهي السّيدةُ خديجةُ محمّد رحمهم الله. ولإخوة الشيخِ أبناءٌ وبناتٌ لا زالوا يَعيشونَ في مَسقطِ رأسِهِم هررَ، كما أنَّ للشيخِ ابنًا واحدًا مُهاجرًا يعيشُ في أستراليا واسمهُ عبدُ الرحمنِ وابنةً واحدةً اسمُها فاطمةُ.

- **نشأتهُ ورحلاتهُ**

نشأَ رحمهُ الله تَعالى في بيتٍ متواضعٍ محبٍّ للعلمِ ولأهلِهِ، فحَفظَ القرآنَ الكريمَ استِظهارًا وترتيلًا وإتقانًا وهوَ قريبَ العاشرة من عمره، وأقرأهُ والدهُ كتابَ «المقدّمةِ الحضرميّةِ»، وكتابَ «المختصرِ الصّغيرِ» في الفقهِ وهوَ كتابٌ مشهورٌ في بلادهِ، وكانَ بعضُ الذينَ رافقوهُ في صِغرِهِ في مرحلةِ الدّراسةِ يطلبونهُ للعبِ معهَم فلا يرضَى ويقولُ ما خُلِقْنا لهذا. وكانَت همّةُ الشّيخِ مُنصرفةً إلى تلقّي العلمِ

(١) نسبة إلى بني شيبة بطن من عبد الدار من قريش وهم حجبة الكعبة المعروفون ببني شيبة إلى الآن، انتهت إليهم من قِبل جدهم عبد الدار حيث ابتاع أبوه قصي مفاتيح الكعبة من أبي غبشان الخزاعي، وقد جعلها النبي ﷺ في عقبهم. القلقشنديّ. سبائك الذهب. ص ٦٨.

(٢) نسبة إلى بني عبد الدار بطن من قصي بن كلاب جد النبي ﷺ الرابع. القلقشندي. سبائك الذهب. ص ٦٨.

في صِغَرِهِ فقَد قالَ الشّيخُ رحمهُ الله تَعالى في طُفولتي ما كانَ فيَّ ميلٌ للعبِ فسألتهُ زوجتهُ إلى أيّ شيءٍ كانَ مُيولُكَ فقالَ للقراءةِ والمطالعةِ ولما كانَ الشّيخُ رضي الله عنهُ في المدرسةِ الابتدائيّةِ كانَ أستاذهُ عليّ شريف يُسمّيهِ عبدَ الله رزين. وعكفَ رحمهُ الله تَعالى على الاغترافِ مِن بحورِ العلمِ فحفِظَ عددًا منَ المتونِ في مختلفِ العلوم، ثم أَوْلى علم الحديثِ اهتمامَهُ فحفظَ الكتبَ السّتةَ وغيرَها بأسانيدِها حتى إنهُ أجيزَ بالفَتوى وروايةِ الحديثِ وهوَ دونَ الثامنةَ عشْرَةَ.

ولم يكتفِ بعُلماءِ بلدتهِ وما جاوَرها بلْ جالَ في أنحاءِ الحبشةِ والصّومالِ لطلبِ العلمِ وسماعهِ مِن أهلهِ، ولهُ في ذلكَ رحلاتٌ عديدةٌ لاقى فيهَا المشاقّ والمصاعبَ، غيرَ أنهُ كانَ لا يأبَهُ لها بَل كلّما سمعَ بعالمٍ شدَّ رحالَهُ إليهِ ليستفيدَ منهُ وهذهِ عادةُ السّلفِ الصّالحِ، وساعدهُ ذكاؤهُ وحافظَتهُ العجيبةُ على التعمّقِ في الفقهِ الشافعيّ وأصولهِ ومعرفةِ وجوهِ الخلافِ فيهِ، وكذا الشأنُ في الفقهِ المالكيّ والحنفيّ والحنبليّ حتى صارَ يُشارُ إليهِ بالأيدِي والبنانِ ويُقصدُ وتشدُّ الرّحالُ إليهِ مِن أقطارِ الحبشةِ والصّومالِ حتى بلغَ مِن أمرهِ أنْ أُسندَ إليهِ أمرُ الفتوَى ببلدهِ هررَ وما جاوَرها.

أخذَ الفقهَ الشافعيَّ وأصولَهُ والنحوَ عنِ العالمِ النحريرِ العارفِ بالله الشّيخ محمّد عبدِ السّلامِ الهرريّ، والشيخِ محمّد عمرَ جامعِ الهرريّ، والشيخِ محمّد رَشاد الحبشيّ، والشيخِ إبراهيمَ أبي الغيثِ الهرريّ، والشيخِ يونسَ الحبشيّ، والشيخِ محمّد سراج الجبرتيّ، كألفيةِ الزبدِ والتنبيهِ والمنهاجِ وألفيةِ ابنِ مالكٍ واللمعِ للشيرازيّ وغيرِ ذلكَ منَ الأمّهاتِ.

وأخذَ علومَ العربيّةِ بخصوصٍ عنِ الشّيخِ الصّالحِ أحمدَ البصير، والشيخِ أحمدَ بنِ محمّدٍ الحبشيّ وغيرِهما. وقرأَ فقهَ المذاهبِ الثلاثةِ وأصولها على الشّيخِ محمّد العربيّ الفاسيّ، والشيخِ عبدِ الرحمنِ الحبشيّ.

وأخذَ علمَ التفسيرِ عنِ الشّيخِ شَريف الحبشيّ في جِمّه.

وأخذَ الحديثَ وعلومَهُ عَن كثيرٍ مِن أجلّهِم الشيخُ أبو بكرٍ محمّد سراجٌ الجبرتيُّ مُفتي الحبشةِ، والشيخُ عبدُ الرحمنِ عبدُ الله الجِمّيّ.

واجتمعَ بالشّيخِ الصّالحِ المحدّثِ القارئ أحمدَ عبدِ المطّلبِ الجبرتيّ الحبشيّ، شيخِ القرّاءِ في المسجدِ الحرامِ[1]، فأخذَ عنهُ القراءاتِ الأربعَ عَشرةَ واستزادَ منهُ في علمِ الحديثِ، فقرأَ عليهِ وحصَلَ منهُ على إجازةٍ، ثم أخذَ منَ الشيخِ داودَ الجبرتيّ القارئ، ومنَ الشّيخِ المقرئ محمود فايز الدّيرعَطاني نزيلِ دمشقَ وجامعِ القراءاتِ السّبعِ وذلكَ لما سكنَ رحمهُ الله تَعالى دِمشقَ.

أخذَ الإجازةَ بالطّريقةِ الرّفاعيةِ منَ الشّيخِ عبدِ الرّحمنِ السّبسبيّ الحمويّ والشّيخ طاهرٍ الكيّاليّ الحمصيّ والإجازةَ بالطريقةِ القادريّةِ منَ الشّيخِ أحمدَ العِربينيّ والشّيخِ الطيّبِ الدّمشقيّ وغيرِهما رحمهُم الله تعالى.

وقَد شرعَ يُلقِي الدّروسَ مُبكرًا على الطّلابِ الذينَ ربما كانوا أكبرَ منهُ سنًّا فجمعَ بينَ التعلّمِ والتعليمِ.

وانفردَ في أرجاءِ الحبشةِ والصّومالِ بتفوّقهِ على أقرانهِ في مَعرفةِ تراجِمِ رجالِ الحديثِ وطَبقاتهم وحفظِ المتونِ والتبحّرِ في علومِ السّنةِ واللغةِ والتفسيرِ والفرائضِ وغيرِ ذلكَ، حتى إنهُ لم يترُك عِلمًا منَ العُلومِ الإسلاميّةِ المعروفةِ إلا درسَهُ ولهُ فيهِ باعٌ، وربما تكلّمَ في علمٍ فيَظنُّ سامِعهُ أنهُ اقتصرَ عليهِ في الإحكامِ وكذا سائرُ العلومِ على أنهُ إذا حُدّثَ بما يعرفُ أنصتَ إنصاتَ المستفيدِ، فهوَ كما قالَ الشّاعرُ: [الكامل]

(١) استلم إمامة ومشيخة المسجد الحرام أيام السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله وذلك بصدور فرمان من الصدر الأعظم في الأستانة.

وتـراهُ يُصغِي للحَديثِ بسَمعهِ وبقلبهِ ولعلّهُ أدرَى بـــــهِ

ثم أمَّ مكّةَ فتَعرَّف عَلى علمائِها كالشّيخِ العَالم السيّدِ علويّ المالكيّ، والشيخِ أمين الكتبيّ، والشيخِ محمّد ياسينَ الفادانيّ، وحضرَ على الشّيخ محمّد العربيّ التبانِ، واتصلَ بالشّيخِ عبدِ الغفورِ الأفغانيّ النقشبنديّ فأخذَ منهُ الطّريقةَ النقشبنديةَ.

ورحلَ بعدَها إلى المدينةِ المنوّرةِ واتصلَ بعلمائِها فأخذَ الحديثَ عنِ الشّيخ المحدّثِ محمّدِ بنِ عليّ الصديقيّ البكريّ الهنديّ الحنفيّ وأجازهُ، ثم لازمَ مكتبة عارف حِكمَت والمكتبةَ المحموديّةَ مُطالعًا مُنقبًا بينَ الأسفارِ الخطيّةِ مُغترفًا مِن مناهِلِها فبقيَ في المدينةِ مجاورًا سنةً. واجتمعَ بالشّيخ المحدّثِ إبراهيمَ الختنيّ تلميذِ المحدّثِ عبدِ القادرِ الشلبيّ. أما إجازاتهُ فأكثرُ مِن أن ندخُلَ في عددِها وأسماءِ المجيزينَ وما معَ ذلكَ.

ثم رحلَ إلى بيتِ المقدسِ في أواخرِ العَقدِ الخامسِ مِن القرن العشرين ومنهُ توجّهَ إلى دِمشقَ فاستقبلهُ أهـلُها بالترحابِ لا سيّما بعدَ وفاةِ محدّثها الشّيخ بدرِ الدّينِ الحسنيّ رحمهُ الله، فتنقّلَ في بلادِ الشّامِ بينَ دمشقَ وبيروتَ وحمصَ وحماه وحلبٍ وغيرِها منَ المدنِ، ثم سكنَ في جامعِ القطاطِ في محلّةِ القَيْمَريّةِ وأخذَ صِيتهُ في الانتشارِ فتردّدَ عليهِ مشايخُ الشّامِ وطلبَتُها وتعرّفَ على عُلمائِها واستفادوا منهُ وشهِدُوا لهُ بالفَضلِ وأقرّوا بعلمهِ واشتهرَ في الدّيارِ الشّاميةِ بخليفةِ الشّيخِ بدرِ الدّينِ الحسنيّ ومحدّثِ الدّيارِ الشّاميةِ.

وقَد أثنى عليهِ العديدُ مِن علماءِ وفقهاءِ الشّامِ منهُم الشّيخُ عزُّ الدّينِ الخزنويُّ الشافعيُّ النقشبنديُّ رحمهُ الله منَ الجزيرةِ شماليّ سُوريا، والشيخُ عبدُ الرزاقِ الحلبيُّ إمامُ ومديرُ المسجدِ الأمويّ بدمشقَ، والشّيخُ أبو سليمانَ الزبيبيُّ، والشيخُ مُلا رَمضانَ البُوطيّ رحمهُ الله، والشّيخُ أبو اليُسْرِ عابدينَ مُفتي سُوريا السّابقُ، والشيخُ عبدُ الكريمِ الرفاعيُّ، والشّيخُ نوحٌ منَ الأردن، والشّيخُ سَعيد طناطِرَة

الدّمشقيُّ، والشّيخُ أحمدُ الحصَريُّ شيخُ مَعرّةِ النّعمانِ ومديرُ معهَدِها الشّرعيّ، والشّيخُ عبدُ الله سراج الحلبي، والشّيخُ محمّد مُرادٍ الحلبيُّ، والشّيخُ محمّد الشّاميُّ وابنهُ الشّيخُ صُهَيبٌ الشاميُّ أمين فتوَى حَلب، والشيخُ عبدُ العزيزِ عُيون السّود شيخُ قرّاءِ حمصَ، والشّيخُ أبو السّعودِ الحمصيُّ، والشّيخُ فايز الدّير عَطاني نزيلُ دمشقَ جامعُ القراآتِ السّبعِ فيها، والشّيخُ عبدُ الوهّابِ دبس وزيت الدّمشقيُّ، والدكتور الحلوانيُّ شيخُ القرّاءِ في سُوريا، والشيخُ أحمدُ الحارونُ الدمشقيُّ الوليُّ الصّالحُ، والشّيخُ طاهر الكياليُّ الحمصيُّ، والشّيخُ صلاح كيوان الدّمشقيُّ وغيرهُم نفعَنا الله بهم.

وكذلكَ أثنى عليهِ الشيخُ عثمانُ سراجُ الدّينِ سليلُ الشيخِ علاءِ الدّينِ شيخُ النقشبنديةِ في وقتهِ، وقَد حصلَت بينهُما مراسلاتٌ علميّةٌ وأخويّةٌ، والشيخُ عبدُ الكريمِ البياريّ المدرّسُ في جامعِ الحضرةِ الكيلانيةِ ببغدادَ، والشيخُ أحمدُ الزاهدُ الإسلامبوليُّ، والشيخُ محمودٌ الحنفيُّ مِن مَشاهيرِ مَشايخ الأتراكِ العَاملينَ بتلكَ الدّيارِ، والشّيخانِ عبدُ الله وعبدُ العَزيزِ الغُماريُّ محدّثا الدّيارِ المغربيّةِ، والشّيخُ محمّد يَاسينَ الفادانيُّ المكيُّ شيخُ الحديثِ والإسنادِ بدارِ العلومِ الدّينيةِ بمكّةَ المكرّمةِ، والشّيخُ حَبيبُ الرّحمنِ الأعظميُّ محدّثُ الدّيارِ الهنديّةِ وقَدِ اجتمعَ بهِ مرّات، والشّيخُ عبدُ القادرِ القادريُّ الهنديُّ مُديرُ الجامعةِ السّعديةِ العربيّةِ، وغيرُهُم خَلقٌ كثيرٌ.

قَدِمَ العلامةُ المحدثُ الشّيخُ عبدُ الله الهرريُّ رحمهُ الله تَعالى إلى بيروتَ سنةَ ١٣٧٠هـ ١٩٥٠م فاستضافَهُ كبارُ مَشايخها أمثالُ الشّيخِ القاضِي محيي الدّينِ العَجوزِ، والشيخِ المستشارِ محمّدٍ الشريفِ، والشّيخِ عبدِ الوهّابِ البوتاريّ إمامِ جامعِ البَسطة الفوقا، والشيخِ أحمد اسكندرانيّ إمامِ ومؤذّنِ جامعِ برجِ أبي حيدرٍ ولازموهُ واستفادوا منهُ، ثم اجتمعَ بالشيخِ توفيق الهِبريّ رحمهُ الله وعندَهُ كانَ يجتمعُ بأعيانِ بيروتَ، وبالشيخِ عبدِ الرّحمنِ المجذوبِ، واستفادا منهُ، وبالشّيخِ

مختار العَلايلي رحمهُ الله، أمينِ الفتوَى السّابق الذي أقرَّ بفضلِهِ وسَعةِ علمِهِ وهيّأَ لهُ الإقامةَ على كفالةِ دارِ الفتوَى في بيروتَ ليتنقلَ بينَ مساجدِها مُقيمًا الحلقاتِ العلميّةَ وذلكَ بإذنٍ خطّيّ منهُ.

وفي سنةِ ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، وبطلبٍ مِن مديرِ الأزهرِ في لبنانَ آنذاكَ ألقى محاضرةً في التوحيدِ في طلابِ الأزهرِ.

• **تصانيفهُ وآثارهُ**

شغلهُ إصلاحُ عقائدِ الناسِ ومحاربةُ أهلِ الإلحادِ وقمعُ فِتنِ أهلِ البدَعِ والأهواءِ عنِ التفرّغِ للتأليفِ والتصنيفِ، ورغمَ ذلكَ أعدَّ آثارًا ومؤلفاتٍ قيّمة وهيَ:

١- شرحُ ألفيّةِ السّيوطيّ في مُصطلحِ الحديثِ.

٢- قصيدةٌ في الاعتقادِ تقعُ في ستينَ بيتًا تقريبًا.

٣- الصّراطُ المستقيمُ في التوحيدِ.

٤- الدليلُ القويمُ على الصّراطِ المستقيمِ في التوحيدِ.

٥- مختصرُ عبدِ الله الهرريّ الكافلُ بعلمِ الدّينِ الضّروريّ.

٦- بغيةُ الطّالبِ بمعرفةِ العلمِ الدينيّ الواجبِ.

٧- التعقّبُ الحثيثُ على مَن طعنَ فيمَا صحَّ منَ الحديثِ، طبع. ردَّ فيهِ على الألبانيّ وفنّدَ أقوالَهُ حتى قالَ عنهُ محدّثُ الدّيارِ المغربيّةِ الشيخُ عبدُ الله الغُماريُّ رحمهُ الله «وهوَ ردٌّ جيّدٌ مُتقنٌ»اهـ.

٨- نصرةُ التّعقبِ الحثيثِ على مَن طعنَ فيمَا صحَّ منَ الحديثِ.

٩- الروائحُ الزكيّةُ في مولدِ خيرِ البريّةِ.

١٠- المطالب الوفيّة شرحُ العقيدةِ النسفيّةِ.

١١- إظهارُ العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية.

١٢- شرحُ ألفيّةِ الزّبدِ في الفقهِ الشافعيّ.

١٣- شرحُ متنِ أبي شجاعٍ في الفقهِ الشافعيّ.

١٤- شرحُ الصّراطِ المستقيمِ المسمى الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم.

١٥- شرحُ متنِ العَشماويةِ في الفقهِ المالكيّ.

١٦- شرحُ متتمةِ الآجروميةِ في النحوِ.

١٧- شرحُ البيقونيةِ في المصطلحِ.

١٨- صريحُ البيانِ في الردّ على مَن خالفَ القرآنَ.

١٩- المقالاتُ السّنيةُ في كشفِ ضَلالاتِ أحمدَ ابنِ تيمية.

٢٠- كتابُ الدّرّ النضيد في أحكامِ التجويدِ.

٢١- شرحُ الصّفاتِ الثلاثَ عشْرةَ الواجبةِ للهِ.

٢٢- العقيدةُ المنجيةُ وهيَ رسالةٌ صغيرةٌ أملاهَا في مجلسٍ واحدٍ.

٢٣- شرحُ التنبيهِ للإمامِ الشّيرازيّ في الفقهِ الشافعيّ. لم يكمل.

٢٤- شرحُ مَنهجِ الطّلابِ للشّيخِ زكريّا الأنصاريّ في الفقهِ الشافعيّ. لم يكمل.

٢٥- شرحُ كتابِ سلّمِ التوفيقِ إلى محبّةِ الله على التّحقيقِ للشّيخِ عبدِ الله باعَلَوي.

٢٦- التحذيرُ الشرعيُّ الواجبُ.

٢٧- رسالةٌ في بُطلانِ دعوَى أوليّةِ النّورِ المحمديّ.

٢٨- رسالةٌ في الردّ على قولِ البعضِ إنَّ الرّسولَ يَعلمُ كلَّ شيءٍ يعلمهُ الله.

٢٩- شرحُ منظومةِ الصَّبّانِ في العروضِ.

٣٠- الغارةُ الإيمانيّةُ في ردّ مفاسدِ التحريريةِ.

٣١- مختصرُ عبدِ الله الهرريّ الكافلُ بعلمِ الدّينِ الضّروريّ على مذهبِ الإمامِ مالكٍ رضي الله عنهُ.

٣٢- مختصرُ عبدِ الله الهرريّ الكافلُ بعلمِ الدّينِ الضروريّ على مذهبِ الإمامِ أبي حنيفةَ رضي الله عنهُ.

٣٣- منظومَةُ نصيحةِ الطّلابِ وهيَ منظومةٌ رجزيةٌ مرتّبةٌ على أبوابٍ عديدةٍ وفوائدَ شتّى.

٣٤- الدّرةُ البهيّةُ في حلّ ألفاظِ العقيدةِ الطّحاويّةِ.

٣٥- الرد على القاديانية أتباع غلام أحمد القاديانيّ.

• **سلوكهُ وسيرتهُ**

إنَّ العلامةَ المحدّثَ الشيخَ عبدَ الله الهرريَّ شديدُ الوَرعِ، متواضعٌ صُوفيٌّ، صاحبُ عبادةٍ، كثيرُ الذّكرِ، يَشتغلُ بالعِلمِ والذّكرِ معًا، زاهدٌ طيّبُ السّريرةِ، لا تكادُ تجدُ لهُ لحظةً إلا وهوَ يَشغلُها بقرآةٍ أو ذِكرٍ أو تدريسٍ أو وَعظٍ وإرشادٍ، عارفٌ بالله، متمسّكٌ بالكتابِ والسّنةِ، حاضرُ الذّهنِ قويُّ الحجّةِ ساطعُ الدّليلِ، حكيمٌ يضعُ الأمورَ في مواضِعِها، شديدُ النّكيرِ على مَن خالفَ الشّرعَ وتستّرَ زُورًا بالدّينِ، ذو همّةٍ عاليةٍ في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ حتى هابَهُ أهلُ البدَعِ والضّلالِ وحسَدوهُ لكنَّ الله يُدافعُ عنِ الذينَ آمَنوا. شَغلَهُ رحمةُ الله عليهِ إصلاحُ عقائدِ الناسِ ومحاربةُ أهلِ الإلحادِ وقمعُ فِتَنِ أهلِ البِدَعِ والأهواءِ، فلقَد جاءَ إلى بلادٍ انتشرَ فيها الجهلُ والفسادُ بحيثُ كانَت تُسمعُ مَسبّةَ الله والعياذُ بالله بكثرةٍ في الطُرُقاتِ، فعلّمَ رحمهُ الله ونصحَ وأمرَ بالمعروفِ ونهَى عنِ المنكرِ وأُوذِيَ فصَبرَ وكانَ شأنهُ كشأنِ مَن يحفرُ في الصَّخرةِ بالمِخْيَطِ أيِ الإبرةِ الصّغيرةِ، ومعَ ذلكَ صَبرَ

وثقبَ هذهِ الصّخرةَ فأيَّدهُ الله تعالى ونصَرهُ وحمى دعوتَهُ دعوة الإسلامِ، ومما كان يقوله ويردده «يا إخوانَنا أُوصيكُم بإيثارِ الآخرةِ على الدّنيا الفانيةِ وذلكَ بمُخالفةِ النفسِ وإيثارِ ما يبقَى على ما يفنَى فلذلكَ أدعوكُم إلى بذلِ الجُهدِ لمكافحةِ الجَهلِ بالضّرورياتِ وتعليمِ العقيدةِ التي هيَ أساسُ الدّينِ»اهـ.

هذا العبدُ الصّالحُ الذي منَّ الله علينا بهِ في هذا الزّمنِ الذي انتشرَ فيهِ الجهلُ والفَسادُ والضّلالُ كانَ منَ العُلماءِ العَاملينَ الوَرعينَ الزاهدينَ، فلقَد قالَ يومًا -وهذا مِن بابِ حثّنا على الزّهدِ في هذهِ الدّنيا والإقبالِ على الآخرةِ- «إني والحمدُ للهِ قبلَ أن أسكُنَ لبنانَ كانَ طَعامي الخبزَ والشّايَ واللبنَ الرائبَ وأحيانًا البندورة ولَم أشترِ قطّ اللحمَ».

ولم يَتقاضَ راتبًا قطُّ على التدريسِ والتعليم. حتى إنَّ رجلًا مِن آلِ دمشقيّةٍ دعاهُ يومًا إلى بيتهِ وقدّمَ لهُ الطّعامَ فصارَ الشيخُ يأكُلُ الخبزَ واللبنَ وقَد وضعَ صاحبُ الدّعوة على عادةِ أهل بيروتَ الزيتونَ فقالَ هذا الرجلُ للشيخِ يا شيخَنا ما تأكُلُ الزيتونَ؟ قالَ الشيخُ منذُ عِشرينَ سنةً لم آكُلْهُ، وكانَ مِن زهدِ الشيخِ رحمهُ الله أنه بقي مدّةً طويلةً يأكُلُ البرغلَ المسلوقَ بالماءِ فقَط بلا زيتٍ ولا ملحٍ ولا لبنٍ، وكذلك بقيَ مدّةً طويلةً طعامهُ الثريدُ الخبزُ معَ الشّاي أوِ الخبزُ معَ المرَقِ.

وقد ردَّ في كتبهِ ورسائلهِ ودروسهِ على كثيرٍ منَ العقائدِ والأفكارِ الفاسدةِ ولهُ فضلٌ كبيرٌ في نشرِ العلومِ الإسلاميّةِ والمعارفِ الدينيةِ في أصقاعِ الدّنيا حيثُ ينتشرُ طلابُهُ ومريدوهُ لنشرِ الخيرِ والهدَى وكانَ رحمهُ الله حريصًا على وَحدةِ الصّفّ الإسلاميّ واجتماعِ الكَلمةِ على الحقّ لقَد أمضَى رحمهُ الله تعالى حياتَهُ مُرشدًا وواعظًا وكانَ كثيرَ السّفرِ والتجوالِ في البلادِ يشرحُ عقائدَ الإسلامِ وأحكامَهُ ويدعُو إلى الأخلاقِ الفاضلةِ والصّفاتِ الحميدةِ ونَبذِ الفرقةِ والتّشرذُمِ.

عَرَفَتْهُ الدعوةُ الإسلاميةُ بحرًا زاخرًا في العلومِ والمعارفِ وداعيًا إلى اللهِ

بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ يدافعُ عنِ الاعتدالِ ويدعُو إليهِ ويحاربُ التطرّفَ ويحذّرُ منهُ.

لقَد كانَ الشّيخُ رحمهُ الله رجلَ علم ووَرَع وزُهدٍ وتَصوّفٍ زَهدَ في الدّنيا فأحبّهُ الله وزهدَ في ما عندَ الناسِ فأحبّهُ الناسُ محبًّا لأصحابِ رسولِ الله ﷺ وأهلِ بيتهِ الأطهارِ يدعُو إلى الاقتداءِ بهم والسّيرِ على خُطاهُم.

ومنهجُ الشيخِ رحمهُ الله تعالى بعيدٌ كلَّ البُعدِ عَنِ المداهنةِ واستغلالِ المشاعرِ والعواطفِ بلا طائلٍ وخاصةً مشاعرُ الناشئةِ والشّبابِ لإثارةِ الفتنِ والقلاقلِ وتنفيذِ المآربِ الشخصيّةِ.

وقدِ استطاعَ رضي الله عنهُ بعلمهِ وحكمتهِ وبعدِ نظرهِ أن يُربّي أجيالًا ملتزمةً مثقّفةً مُتَخَلّقةً بأخلاقِ الإسلامِ وبسَببهِ اهتدَى مئاتُ الآلافِ منَ الرجالِ والنساءِ والشّبابِ إلى الطّريقِ الحقّ والصّراطِ المستقيمِ رحمهُ الله تعالى وجزاهُ الله تَعالى عنّا كلَّ خيرٍ.

وقد افتري عليه رحمه الله، فأصدر المجلس الأعلى الفدرالي للشؤون الإسلامية في أثيوبيا وهو أعلى مجلس يمثل الإدارة الدينية للمسلمين هناك رسالة في الدفاع عنه، وهذا نصها:

- ملحق رسالة رئيس المجلس الأعلى الفدرالي في أثيوبيا في الدّفاع عنِ الشيخِ عبدِ الله الهرريّ

إلى مكاتبِ المجالسِ المحليّةِ في كلّ النواحِي
الأمرُ يتعلّقُ بالدّورةِ التي أُعطيَت مِن مدّةٍ قريبةٍ.

بعدَ أن أنهَتِ الدّورةُ أعمالها العلميّةَ مِن ١٠ شوال ١٤٣٢ هجرية الواقعُ في سنةِ ٢٠٠٣ (بحسبِ التقويمِ الأثيوبيّ)، وكذلكَ من ٤ ذي القَعدةِ ولغايةِ ١٨ من ذي الحجَّةِ ١٤٣٢ هجريّة الواقعُ في سنة ٢٠٠٤ (بحسبِ التقويمِ الأثيوبيّ)

قامَ بعضُ من تضرّرت مآربهم بنشرِ الافتراءاتِ وَسطَ المجتمع ومِن أجلِ ذلكَ أرسلَنا لكُم معَ هذا الخطابِ تَوضيحًا وبَيانًا مُرفقًا في عشرِ صَحائفَ لكي تتمكّنوا منَ الردّ على الافتراءاتِ.

الشيخ أحمد دين بن عبد الله

رئيسُ المجلسِ الفيدراليّ للشؤونِ الإسلاميّةِ

نسخة طبق الأصل

- منَ المجلسِ الأعلى الفدراليّ للشؤونِ الإسلاميّةِ
- إلى وزارةِ الأُمورِ الفدراليةِ في أثيوبيا – أديس أبابا.

الحمدُ للهِ ربّ العالمينَ لهُ النعمةُ ولهُ الفضلُ ولهُ الثناءُ الحسنُ وصلّى الله وسلّمَ على سيّدنا محمّدٍ وعلى آلهِ وصَحبهِ الطّيبينَ الطّاهرينَ، أما بعدُ فطالما كنّا أي في المجلسِ الفدراليّ الأعلى للشؤونِ الإسلاميّةِ في أثيوبيا قَد سمِعنا مِن مَشايخنا وعلماءِ بلدِنا الثناءَ على الشيخِ عبدِ الله الهرريّ وأنهُ دُرَّةُ علماءِ هررَ وأحدُ أكبرِ علماءِ أثيوبيا علمًا وفهمًا وزهدًا وحكمةً وقيامًا في الحقّ، ومنَّا مَن هوَ مِن أهلِ مَدينتهِ يَعرفُ أهلَهُ ونشأتَهُ وسيرتَهُ الطّيّبتينِ لذلكَ ساءَنا أن يَطعنَ فيهِ بعضُ أصحابِ الأغراضِ المشبوهةِ بغيرِ الحقّ وأن يحاولوا تشويهَ سُمعتهِ، وعَرفنا أنَّ لهم مِن وراءِ ذلكَ أهدافًا غيرَ حسنةٍ فقُمنا لذلكَ بإعدادِ هذا البيانِ إحقاقًا للحقّ وإبطالًا للباطلِ لا نريدُ مِن وراءِ ذلكَ إلا رضا الله سبحانهُ وتعالى وهوَ الموفّقُ والمسؤولُ حسنَ المقصدِ والعملِ والختامِ.

بيانٌ توضيحيٌّ في ترجمةِ الشيخِ عبدِ الله الهرريّ وأحوالهِ وأقوالهِ

- **ولادتُهُ وطلبُهُ للعلمِ**

وُلدَ الشيخُ عبدُ الله بنُ محمّدٍ الهرريّ رحمهُ الله تَعالى في مدينةِ هررَ في شرقِ أثيوبيا مِن عائلةٍ ترجعُ أصولها إلى بَني شيبة مِن قبيلةِ قُريش سنةَ ١٣٢٩ منَ

الهجرةِ تقريبًا.

تلقّى العلمَ مِن مشايخَ معروفينَ في مختلفِ أنحاءِ الحبشةِ منهُم الشيخُ محمّدُ عبدُ السّلامِ الهرريُّ دفينُ ديردوا الوليُّ المشهورُ، ومنهُم الشيخُ أحمدُ بنُ آدمَ المشهورُ بأحمدَ بصيرا مِن أشهَرِ مشايخِ شرقِ أوروميا وتلميذُ الشيخِ عبدِ الله العَروسيِّ، ومنهُم الشيخُ أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ المشهورُ بأبي حجية حاج كَبير أحمد المقرئ الفقيهُ حفيدُ المفتي داودَ الجبرتيُّ دفينُ غدُّو، ومنهُم المفتي محمّد سراج الجبرتيُّ الفقيهُ المحدّثُ العلَمُ دفينُ راية، ومنهُم الشيخُ شريف شيرو عَالمُ جمَّة بل لغويُّ الحبشةِ ونحويُّها، وغيرهُم كثيرٌ. وقَد أثنى عليهِ شيوخهُ الكرامُ رحمهُم الله تَعالى ثناءً كبيرًا وتلاميذهُم وتلاميذُ تلاميذِهِم ما زالوا موجودينَ يشهدونَ على ذلكَ كما شهدَ لهُ وزكَّاهُ مختلفُ مشايخِ أهلِ السّنةِ الذينَ زاروهُ أوِ اجتمعُوا بهِ أو طالعوا كتبَهُ منَ الصّينِ شرقًا إلى الجزائرِ والمملكةِ المغربيّةِ غَربًا.

- **هجرتهُ منَ الحبشةِ**

كانَ الشيخُ عبدُ الله الهرريُّ رحمهُ الله تعالى يتمسّكُ بأحكامِ الشّريعةِ ولا يُداهنُ على حسابِ الحقّ لذلكَ اعتقلَهُ ملكُ الحبشةِ السّابقُ الملقّبُ بهيلاسلاسي في مدينةِ دِسي مِن ناحيةِ وَلُّو عندَ رُجوعهِ مِن عندِ المفتي محمّد سراج وبقيَ مُعتقَلًا مُدةً في دِسي ثم أطلقَ سَراحهُ ليُعتقلَ مرةً ثانيةً في بلدهِ هررَ ثم يوضع تحتَ الإقامةِ الجبريةِ في مدينةِ أديس أبابا لعدّةِ سِنينَ، تمكّنَ بعدَها منَ الإفلاتِ مِن هذا الظّلمِ والهجرةِ منَ الحبشةِ مُنتقلًا بينَ مختلفِ الدّولِ العربيّةِ حتى استقرَّ في دمشقَ لنحوِ عِشرينَ سنةٍ ثم في بيروتَ لنحوِ أربعينَ سنة قبلَ أن يعودَ لزيارةِ بلدهِ مرتينِ قبلَ وَفاتهِ.

- **وفاتُهُ**

توفيَ رحمهُ الله تعالى فجرَ الثلاثاءِ الثاني مِن رمضانَ سنة ١٤٢٩ منَ الهجرةِ الشّريفةِ بعدَ أنِ استمرَّ مرضُ وفاتهِ بِضعةَ أشهُرٍ لم يتوقّف في أثنائِها عنِ التدريسِ

حتى في حالِ مُلازمتهِ الفراشَ إلا عندَما عجزَ لسانهُ عَن ذلكَ قبلَ يَومينِ مِن وفاتهِ.

- **سيرتُهُ وحالُهُ**

كانَ للشيخِ عبدِ الله الهرريّ مئاتُ الآلافِ منَ الطّلابِ والمريدينَ الذينَ تلقّوا منهُ العلمَ واستفادوا مِن إرشادهِ ومعَ ذلكَ كانَ مُعرِضًا عنِ الدّنيا لا يطلبُ منهُم شيئًا منهَا توفيَ وهوَ لا يملكُ بيتًا ولا سيارةً وبقيَ بعضُ ثيابهِ عندهُ أكثرَ مِن عِشرينَ سنة وهوَ يلبسهُ وينامُ على الفراشِ نفسهِ أكثرَ مِن ثلاثينَ سنة ويأكلُ الطّعامَ نفسَهُ كلَّ يوم عشرينَ سنة لم يَشترِ طِيلةَ مُكثهِ في مدينةِ دمشقَ اللحمَ مرّةً واحدةً بل كانَ طعامهُ اللبنَ الرائبَ والخبزَ والبندورةَ وكانَ همهُ الصلاةَ والتلاوةَ والذّكرَ والتعلّمَ والتعليمَ معَ التواضعِ والانكسارِ والشّفقةِ والرّحمةِ والاهتمام بشؤونِ المسلمينَ قائمًا بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عنِ المنكرِ مِن غيرِ أن يخشَى في الله لومةَ لائمٍ.

وفي خلالِ وجودِ الشيخِ عبدِ الله خارجَ الحبشةِ قامَ يبثُّ العلمَ الذي تلقاهُ مِن مَشايخِهِ الأثيوبيينَ الأكابرِ في طلابٍ مِن مختلفِ البلدانِ ولا سيّما في طلابهِ اللبنانيينَ الذينَ أقبلوا على هذا العلمِ وحفظُوهُ وكانوا وِعاءً أمينًا لحفظِ هذا التراثِ الغنيّ لينقلوهُ بعدَ ذلكَ إلى بلادٍ مختلفةٍ ويَرجعوا بهِ إلى بلادِ المنبع أثيوبيا ليصيرَ حالُ مُسلمِي أثيوبيا معَ هذا العلمِ كحالِ القائلِ هذهِ بِضاعتُنا رُدَّتْ إلينا.

لكنْ هذا الأمرُ لم يُعجِب أُناسًا أرادوا إدخالَ عقائدَ جديدةٍ إلى مُسلمي هذا البلدِ مخالفةٍ لعقائدِ أهلِ السّنةِ والجماعةِ وكلامِ أئمتهِم ومشايخهِم الأكابرِ وسَعَوا في نشرِها بوسائلَ مختلفةٍ فقاموا ببثّ الأكاذيبِ عنِ الشيخِ عبدِ الله رحمهُ الله تعالى محاولينَ بذلكَ منعَ الناسِ منَ الاستفادةِ مِن علمهِ وذلكَ لأنّهم عَرفوا أنَّ هذا العلمَ يحولُ بينهُم وبينَ تمزيقِ وَطنِنا وإفسادِ أهلهِ، فنشَروا ذلكَ في بعضِ الصّحفِ والمجلاتِ وضمّنوها مناشيرَ وُزّعَت بينَ الناسِ في بعضِ المساجدِ.

ولأهميّةِ الأمرِ، ولمنعِ هؤلاءِ المشوّشينَ مِن تشويهِ صورةِ هذا العالمِ الجليلِ، ولمنعِهم من خداعِ أهلِ السّنةِ وإبعادِهم عَن عقائدهِم المتوارثةِ جيلًا بعدَ جيلٍ وعالـمًا بعدَ عالمٍ ووليًّا بعدَ وليّ رأينا تفنيدَ هذهِ الافتراءاتِ وبيانَ كذِبها بالبرهانِ حتى لا تَنطلي على أيّ إنسانٍ سليمِ الصّدر صافي السريرة.

الموضوعُ الأولُ

الشيخُ عبدُ الله الهرريُّ رحمهُ الله تعالى بعيدٌ مِن تكفيرِ الناسِ جملةً ونحنُ نعرفُ كُتبَهُ جيّدًا وليسَ في أيّ كتابٍ منها عبارة واحدة تقولُ بتكفيرِ المسلمينَ في كلّ هذا العالمِ بل هوَ يعيبُ على الوهابيةِ تكفيرَهُم كلَّ مَن سواهُم ويعيبُ على سيّد قطب وأتباعهِ منَ الإخوانيةِ هذا الأمرَ أيضًا[1].

الموضوعُ الثاني

لا صحّةَ لما نُسبَ إليهِ مِن أنهُ كتبَ كتابًا عنوانُه كَفَرَتِ السّعوديةُ، ولا يجدُ الشّخصُ مهما بحثَ نسخةً واحدةً مِن كتابٍ مِن كُتبه لهُ هذا العنوانُ.

الموضوعُ الثالثُ

الشيخُ عبدُ الله الهرريُّ رحمهُ الله يُعظّمُ الصّحابةَ ويقولُ بأنَّ الذي يَسبُّ الصّحابةَ كلَّهُم كافرٌ وأنَّ مَن سبَّ أبا بكرٍ أو عمرَ أو عثمانَ أو عليًّا أو واحدًا مِن أمثالهم فهوَ فاسقٌ واقعٌ في الذنبِ الكبيرِ[2].

الموضوعُ الرابعُ

(١) عبد الله الهرري. بغية الطالب ج١ ص ٧٨-٨١.

(٢) عبد الله الهرري. مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري. ص٢٧، وبغية الطالب. ج٢ ص٢٠٣.

لم يُكفِّرِ الشيخُ عبدُ الله مُعاويةَ ولا قالَ إنهُ في النارِ وليسَ في كتبِ الشيخِ رحمهُ الله عبارة واحدة فيها تكفيرُ معاويةَ أوِ الحكمُ عليهِ بأنهُ في النارِ، وإنما نقلَ الشيخُ رحمهُ الله ما قالهُ سيّدنا عليٌّ وسيّدنا عمّارُ بنُ ياسرٍ وسيّدنا عبدُ الله بنُ عمرَ والإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنهُم وغيرُهُم مِن أنَّ مُعاويةَ كانَ مخطئًا في خروجهِ على سيّدنا عليّ وأنهُ بَغَى بذلكَ كما جاءَ في حديثِ رسولِ الله ﷺ الذي رواهُ البُخاريُّ «**ويحَ عمّارٍ تقتلهُ الفئةُ الباغيةُ**». وليسَ في هذا الأمرِ كما هوَ ظاهرٌ تكفيرٌ لمعاويةَ ولا حكمٌ عليهِ بأنهُ مِن أهلِ النارِ(١).

وكأنهُ غابَ عَن بالِ مَن يتّهِمُ الشيخَ بهذا أنَّ قدوتهم الذي يدافعونَ عنهُ سيّد قطب هوَ مَن كفَّرَ مُعاويةَ في كتابهِ الذي سماهُ «العدالةُ الاجتماعيةُ في الإسلامِ» فماذا يَقولون؟!

الموضوعُ الخامسُ

الشيخُ عبدُ الله رحمهُ الله تَعالى كانَ شافعيَّ المذهبِ وقَد نصَّ في كتابهِ المختصرِ وفي شرحهِ المسمّى بغيةَ الطالبِ أنَّ مِن شُروطِ صحّةِ الصّلاةِ الطّهارةُ عنِ النجاسةِ غيرِ المعفوّ عنها وهوَ لا يقولُ أبدًا بجوازِها معَ هذهِ النجاسةِ(٢)؟!

الموضوعُ السّادسُ

ادّعى منشورُ الافتراءاتِ أنَّ الشيخَ عبدَ الله يقولُ بعدمِ وجوبِ الزكاةِ معَ

---

(١) ابن حجر العسقلاني. المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية. ج٤ ص٢٩٣، البيهقي. السنن الكبرى. ج٨ ص١٧٤ والكتاب المصنف في الأحاديث والآثار لابن أبي شيبة. ج٧ ص٥٤٧، ابن عبد البر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ج٣ ص٩٥٣ -١١١٧، القرطبي. التذكرة. ص٦٣٧، البيهقي. الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد. ص ١٩٦-١٩٧.

(٢) عبد الله الهرري. مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري. ص٢٦، وبغية الطالب. ج١ ص٢١٣-٢١٤-٢١٥.

كَونها مِن أركانِ الإسلامِ هكذا زعَموا لكنَّ الشيخَ عبدَ الله رحمهُ الله تَعالى كانَ يقولُ بأنَّ الزكاةَ مِن أهمّ أمورِ الإسلامِ وصرّحَ في كتبهِ بأنَّ مَن ينكرُ وجوبَ الزكاةِ فقَد كفرَ. ونصَّ في كتابهِ المختصرِ لهُ على وجوبِ الزكاةِ بشروطِها وبيّنَ الأموالَ التي تجبُ فيها الزكاةُ وكلامهُ في هذا مطابقٌ تمامًا لمشاهيرِ كتبِ الشافعيّةِ مِن مطوّلاتٍ ومختصراتٍ كالأمّ والمنهاجِ والمنهجِ ومتنِ أبي شجاعٍ وعمدةِ السّالكِ وغيرِها فليراجِعها مَن شاءَ[1].

الموضوعُ السّابعُ

وأما الرّبا فقَد صرّحَ الشّيخُ في كتابهِ «بُغيةِ الطّالبِ» بأنَّ أكلَ الرّبا منَ الكبائرِ وذَكَرَ بعضَ ما عُوقبَ بهِ بعضُ آكِلي الرّبا في القبرِ قبلَ يومِ القيامةِ[2].

الموضوعُ الثامنُ

قالَ الشيخُ عبدُ الله الهرريُّ رحمهُ الله تعالى بأنَّ النظرَ إلى بدنِ المرأةِ الأجنبيةِ حرامٌ إلا وجهَها وكفّيها كما تذكرُ كتبُ الفقهِ الشّافعيّ وبأنَّ النظرَ إلى صُورتِها بشهوةٍ حرامٌ بل إنَّ مجرّدَ تخيُّلِ امرأةٍ أجنبيّةٍ بشهوةٍ حرامٌ ويستدلُّ لذلكَ بحديثِ «**والقلبُ يتمنّى ويَشتهي**» اهـ.[3]

الموضوعُ التاسعُ

وكان الشيخُ عبدُ الله يُصرّحُ في كتابهِ بُغيةِ الطّالبِ بأنَّ مُصافحةَ الأجنبيةِ بغيرِ

---

(١) عبد الله الهرري. بغية الطالب. ج١ ص٣٥٥، ومختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري. ص٣٤، وبغية الطالب. ج١ ص٣٦٧-٣٦٨. ومحمد الزهري الغمراوي، أنوار المسالك. ص١٠١.

(٢) عبد الله الهرري. بغية الطالب. ج٢ ص٤٧-٤٨.

(٣) البيهقي. السنن الكبرى. ج٧ ص١٤٣.

حائلٍ حرامٌ ويَردُّ على يُوسف القَرضَاوِي الذي أفتى بحِلّ ذلكَ وفَعَلَهُ أمامَ الناسِ وهوَ لابسٌ زيّ المشيخةِ[1].

وأما الاختلاطُ فإن قُصدَ بذلكَ التلاصقُ والتَّضامُّ بينَ الرجالِ والنساءِ الأجنبياتِ فالشيخُ عبدُ الله يُصرّحُ بأنَّ ذلكَ حرامٌ ولو كانَ مِن فوقِ الثيابِ ومِن غيرِ شَهوةٍ[2] وأما إذا قُصدَ بهِ وجودُ الرجالِ والنساءِ في مجلسٍ واحدٍ ضِمنَ الحدودِ التي يَأذنُ بها الشّرعُ كما كانَ الرجالُ يتعلّمونَ منَ السّيدةِ عائشةَ ومِن أمّ الدّرداءِ رضي الله عنهُما، وكما كانتِ النساءُ تُصلّي في المسجدِ خلفَ الرّجالِ في زمنِ النبيّ ﷺ ويَطُفنَ بالكَعبةِ معَ وجودِ الرجالِ في المطافِ ويَبِعنَ ويَشترِينَ منَ الرّجالِ وكَما كانَ أبو بكرٍ وعمرُ يَزورانِ صَحابيةً كانَ النبيُّ ﷺ يزورُها ونحو ذلكَ مما ثبتَ في رياضِ الصّالحينَ وغيرِه مِن كتبِ الحديثِ فلا يُعابُ القائلُ بهِ لأنهُ مُتّبعٌ في ذلكَ للنبيّ ﷺ ولشريعتهِ وسيرةِ أصحابهِ، وأما إذا كانَ وجودُ الرجالِ والنساءِ في مجلسٍ واحدٍ مُتجاوزًا حدودَ الشّرعِ والأدبِ فإنَّ مَن نَسبَ إلى الشّيخ عبدِ الله القولَ بجوازِ ذلكَ قَد تجاوزَ الحدَّ ولا يستطيعُ أن يأتيَ بعبارةٍ واحدةٍ لهُ في أيّ كتابٍ مِن كُتبهِ فيها ذلكَ[3].

وأما كشفُ العورةِ أمامَ الناسِ فقَد نصَّ الشيخُ عبدُ الله في كتابهِ «المختصرِ» وفي شرحهِ «بغيةِ الطّالبِ» على أنَّ ذلكَ حرامٌ ونصَّ على أنه لا يجوزُ للرجل والمرأةِ كشفُ السّوأتينِ حتى في الخلوةِ إلا لحاجةٍ[4].

---

(١) عبد الله الهرري. صريح البيان. ص ٥٧١، ومجلة الأهرام العربي.

(٢) عبد الله الهرري. صريح البيان. ص ٥٢٤.

(٣) ابن عبد البر. جامع بيان العلم وفضله. ج١ ص١٢٣، ابن حبان. صحيح ابن حبان. ج١ ص٣٠٩، النووي. رياض الصالحين. ص١٦٣، أحمد بن حجر العسقلاني. تلخيص الحبير. ج٣ ص٢٩٣.

(٤) عبد الله الهرري. مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري. ص٤٧.

الموضوعُ العاشرُ

وقالَ الشيخُ عبدُ الله إنَّ المرأةَ إذا خرجَت مُتزيّنةً أو مُتعطّرةً لأجلِ أن تَفتنَ الرّجالَ فهيَ آثمةٌ تُشبهُ الزانيةَ كما ثبتَ في حديثِ ابنِ حبّانَ وغيرِه، بَل حتى لو لم يَكُن قصدُها الفتنةَ فخروجُها على هذهِ الحالِ مكروهٌ كما نصَّ على ذلكَ فقهاءُ الشافعيّةِ كالبيهقيّ والشيخِ زكريا الأنصاريّ وغيرِهما[1].

الموضوعُ الحادي عَشر

وقالَ الشيخُ عبدُ الله إنَّ الأرضَ تُشبهُ الكُرةَ بالإجماعِ، ونقلَ ذلكَ عنهُ أكثرُ مِن واحدٍ مِن طلابهِ في كتبٍ مَطبوعةٍ منها كتابُ «تثبيتِ أهلِ الحقّ» فليراجعْهُ مَن شاءَ.

الموضوعُ الثاني عشرَ

وقالَ الشيخُ رحمهُ الله تَعالى بأنَّ الإمامَ أبا حنيفةَ رضي الله عنهُ إمامٌ مِن أئمةِ المسلمينَ ولم يقُل قطُّ بأنهُ منَ الفَلاسفةِ لا في كتابهِ «الدّليلِ القّويم» ولا في غَيرِه، وكتابُ الدليل القويم موجودٌ بينَ الأيْدِي مَطبوعٌ يُطالِعهُ مَن يُريدُ ولا يجدُ فيهِ مثلَ هذهِ العبارةِ مهمَا بحثَ.

الموضوع الثالث عشر

وقالَ الشيخُ عبدُ الله كسائرِ أهلِ السّنةِ بأنَّ القرآنَ كلامُ الله تعالى ولو أرادَ إنسانٌ أن يعدَّ المرّاتِ التي ذكرَ الشيخُ عبدُ الله عبارةَ «قالَ الله تعالى» في كتبهِ لتَعبَ قبلَ أن يَنتهيَ منَ العدّ وقَد صرّحَ الشيخُ رحمهُ الله تَعالى في كتابهِ «الدّرةِ البهيّةِ» وفي

(١) زكريا الأنصاري. أسنى المطالب في شرح روض الطالب. ج١ ص٣٨٣، البيهقي. السنن الكبرى. ج٣ ص٣٤٨-٣٤٩.

كتابِ إظهارِ العقيدةِ السّنيةِ بل وفي كتابِ بغيةِ الطّالبِ بأنَّ القرآنَ الكريمَ كلامُ الله على الحقيقةِ[1].

الموضوع الرابع عشر

وكانَ الشيخُ عبدُ الله رحمهُ الله تعالى يقولُ بأنَّ مَن يحكمُ بحكمٍ مخالفٍ لحكمِ الله لرشوةٍ أو قَرابةٍ أو غيرِ ذلكَ عليهِ إثمٌ ولكنْ لا يُحكَمُ على مثلِ هذا الإنسانِ بالكفرِ لمجرّدِ أنهُ حكمَ بغيرِ حكمِ الله كما دَلّت عَلى ذلكَ الأحاديثُ التي مَنعَتنا منَ الخروجِ على الخليفةِ والثورةِ عليهِ لخَلعهِ ولو ظلَمَ[2].

وكانَ رحمهُ الله ينكرُ على سيّد قُطب قولَهُ بأنَّ الحاكمَ إذا حكَمَ ولو في مسألةٍ واحدةٍ بغيرِ حكمِ الشّرعِ صارَ كافرًا وصارَ أعوانُهُ كفارًا وجَيشُهُ وشُرطتُهُ كلُّهُم كفّارًا بل وصَارت كلُّ الرّعيةِ التي تحتَ حُكمهِ كفّارًا لأنهم لا يَثورونَ عليهِ لخَلعهِ حتى وصلَ إلى القولِ بأنَّ كلَّ البَشرِ اليومَ ما عداهُ ومَنِ اتّبعهُ هُم كفّارٌ مُرتدّونَ يَستحقّونَ القتلَ[3] فما هوَ السرُّ في مدحِ بعضِ الناسِ سيّد قُطب وتَعظيمهِ وتركِ الإنكارِ عليهِ في قولهِ هذا والاهتمامِ الشّديدِ بالافتراءِ على الشّيخِ عبدِ الله الهرريّ دُرَّةِ علماءِ أثيوبيا في هذا العصرِ وتقويلهِ ما لم يَقُل.

الموضوع الخامس عشر

وأما موضوعُ القَدَرِ فإنَّ الشيخَ عبدَ الله يقولُ كما قالَ الله تعالى في القُرآنِ

---

(١) عبد الله الهرري. بغية الطالب. ج١ ص٣٥-٣٧.

(٢) عبد الله الهرري. بغية الطالب.ج٢ ص٢٣٧، مسلم. صحيح مسلم. ج٦ ص١٦-١٧-٢٠-٢١.

(٣) سيد قطب. في ظلال القرآن. ج١٨ ص١٠٥٧.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]. وكما قالَ الرّسولُ ﷺ في حديثِهِ الشّريفِ «**ما شاءَ الله كانَ وما لَمْ يَشأ لم يَكُن**» اهـ. رواهُ أبو داودَ[2] وكما قالَ ﷺ «**كلُّ شَىءٍ بقَدرٍ حتّى العَجزُ والكَيسُ**»[3].

وكما قالَ الإمامُ الشافعيُّ رضي الله عنهُ[4]

ما شئتَ كان وإن لم أَشَأ   وما شِئتُ إن لم تَشأْ لم يكُن

فنحنُ يُعجِبنُا موافقةُ الشيخِ عبدِ الله للكتابِ والسّنةِ وأقوالِ الأئمةِ ذلكَ ولله الحمدُ.

الموضوع السادس عشر

ومما نصَّ عليهِ الشيخُ عبدُ الله صراحةً في كتابهِ بغيةِ الطّالبِ على أنَّ السّحرَ حرامٌ منَ الكبائرِ لا يجوزُ فِعلهُ ولو للتّحبيبِ بَل حتى لإزالةِ السّحرِ وإنما يُزالُ السّحرُ بالآياتِ القُرآنيةِ ونحوِها وطلابُهُ يَدْرسونَ ويُدرّسونَ كتابَهُ هذا ولا يَقولونَ أبدًا بعدَ ذلكَ بأنَّ السّحرَ جائزٌ[5]؟!

الموضوع السابع عشر

علماءُ جامعةِ الأزهرِ كغيرِهم مِن أهلِ العلمِ عَرفوا قدرَ الشّيخِ عبدِ الله الهرريّ وعظّموهُ وزارَ الدكتور أحمدُ عمر هاشِم حينَ كانَ رَئيسًا لجامعةِ الأزهرِ

---

(1) سورة التكوير/ آية ٢٩.

(2) أبو داود. سنن أبي داود. كتاب الأدب: باب ما يقول إذا أصبح، ج٤ ص٣١٩.

(3) مسلم. صحيح مسلم. كتاب القدر: باب كلّ شىء بقدر. ج٨ ص٥١، البيهقي. سنن البيهقي الكبرى. كتاب الشهادات: باب ما ترد به شهادة أهل الأهواء. ج١٠ ص٢٠٥.

(4) البيهقي. مناقب الشافعي. ج١ ص٤١٢ – ٤١٣، ج٢ ص١٠٩.

(5) عبد الله الهرري. بغية الطالب. ج٢ ص٣٧١.

بيت الشّيخِ عبدِ الله كَمَا نشرَ ذلكَ في الصّحفِ وقتها ونقلَ عنهُ ما قالهُ في الثناءِ على الشّيخِ عبدِ الله رحمهُ الله تَعالى. ومِثلُ الدكتور أحمد هاشم فعلَ كثيرٌ مِن علماءِ الإسلامِ الذينَ هُم حقًّا علماءُ.

وأما الشيخُ يوسفُ القرضاويّ فليسَ عَجيبًا أن يُبغضَ الشيخَ عبدَ الله الهرريَّ لأنَّ الشيخَ رحمهُ الله تَعالى ردَّ عليهِ عندَما حرّفَ الشّريعةَ فأجازَ للمُسلمِ أن يبيعَ الخمرَ في البلادِ الأوروبيةِ وأجازَ لهُ أن يبيعَ الطّعامَ المخلوطَ بلَحمِ الخنزيرِ وأجازَ أكلَ ما خَنَقَهُ أهلُ الكتابِ منَ البهائمِ خَنقًا بلا ذبحٍ وأجازَ الاستماعَ إلى آلاتِ اللهوِ الموسيقيةِ المطربةِ والضّربَ عليها وغيرَ ذلكَ منَ الفتاوَى الباطلةِ فنحنُ نَعجبُ مِن مُدافعةِ المسمّى أحمد الدين جبل عنِ القرضاويّ على الرّغمِ مِن كلّ فتاويهِ الشّاذّةِ ومِن كَونهِ شجّعَ على التفجيراتِ الانتحاريّةِ كما نعجَب مِن مُهاجمتهِ للشيخِ عبدِ الله الهرريّ المتّبعِ لأحكامِ الشّريعةِ[1].

الموضوع الثامن عشر

والشيخُ عبدُ الله رحمهُ تعالى كانَ صُوفيًّا مِن أهلِ الطّريقةِ الرّفاعيّةِ المنتسبينَ إلى الشّيخِ أحمدَ الرفاعيّ، والإمامُ أحمدُ الرفاعيُّ وليٌّ مِن أولياءِ الله صاحبُ كراماتٍ مَشهورةٍ وعالمٌ سنيٌّ كبيرٌ مَدحَهُ علماءُ أهلِ السّنةِ وأولياؤُهُم ومنهُم الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلانيُّ وأثنى عليهِ المؤرّخونَ الذينَ عاصروهُ وعاصروا أتباعَهُ كسِبطِ ابنِ الجوزيّ والذهبيّ وغيرِهما وكانَ رضي الله عنهُ أشعريَّ العقيدةِ شافعيَّ المذهبِ كما يدلُّ على ذلكَ كتابُهُ البرهانُ المؤيّدُ وهوَ مَطبوعٌ وفيهِ وفي غيرهِ مِن كتبهِ الثناءُ الكبيرُ على سيّدنا أبي بكرٍ وسيّدنا عمرَ وسيّدنا عثمانَ وللشيخِ جمالِ الدّينِ الآنّيّ رحمهُ الله قصيدةٌ يتوسّلُ فيها بالسيّدِ أحمدَ الرفاعيّ رضي الله عنهُ، فإذا كانَ

(١) يوسف القرضاوي. الكتاب المسمى الحلال والحرام في الإسلام ص٣٩١، مقرر المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث.

مثلُ هذا الإمامِ الوليّ الكبيرِ شيعيًّا كما ادّعى بعضُ المتسرّعينَ الذينَ لا يتحقّقونَ مما يقولونَ قبلَ النطقِ بهِ فمَن يكونُ السُنيُّ إذًا[١].

وقد سارَ الشيخُ عبدُ الله الهرريُّ رحمهُ الله تَعالى عَلى قَدم سيّدنا أحمدَ الرفاعيّ رضي الله عنهُ فكانَ زاهدًا عالـمًا سنيًّا شافعيًّا يقولُ بأنَّ أفضل الصّحابةِ بعدَ النبيّ ﷺ هوَ أبو بكرٍ ثم عمرُ ثم عثمانُ ثم عليٌّ ثم باقي العَشرةِ المبشّرينَ بالجنةِ رضي الله عنهُم وأنَّ أفضلَ نساءِ العالمينَ خمسٌ مريمُ وفاطمةُ وخديجةُ وآسيةُ وعائشةُ رضي الله عنهنَّ كما جاءَ في حديثِ الطّبرانيّ[٢] فمَن يعتقدُ مثلَ هذا كيفَ يَستجيزُ إنسانٌ أن يقولَ عنهُ بأنهُ شيعيٌّ سبحانكَ ربي هذا بهتانٌ عظيمٌ. وعلى كلّ حالٍ فللشيخ عبدِ الله أسوةٌ بإمامهِ الشافعيّ حيثُ اتهمَهُ قديمًا بعضُ حُسّادهِ بأنهُ شيعيٌّ[٣] وأهل الفتنةِ مُتشابهونَ.

وشبيهُ هذا البهتانِ قولُ بعضِ المشوّشينَ بأنَّ الشّيخَ عبدَ الله جَهميٌّ أو مُعتزليٌّ فإنَّ الجهميّةَ والمعتزلةَ يَنفونَ قيامَ الصّفاتِ بالله تَعالى وأما الشيخُ رحمةُ الله عليهِ فهوَ مثلُ كلّ مَشايخنا يقولُ بأنَّ الله تَعالى متّصفٌ بالعلمِ والقدرةِ والإرادةِ والحياةِ وغيرِها منَ الصّفاتِ التي أجمعَت الأُمةُ على أنَّ الله تَعالى متّصفٌ بها لكنهُ يقولُ إنها لا تشبهُ صفاتِ الخلائقِ لأنَّ الله سبحانهُ لا يُشبهُ المخلوقاتِ كما قالَ سبحانهُ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾[٤]، ولأنَّ صفاتِ المخلوقيَن دليلٌ على عَجزهِم وحاجاتِهم ولا يجوزُ نسبةُ العَجزِ والحاجةِ إلى الخالقِ سبحانهُ فيقولُ رحمهُ الله إنَّ الله موجودٌ لا يُشبهُ الموجوداتِ ليسَ لوجودهِ ابتداءٌ، خلقَ العرشَ والكرسيَّ

(١) الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج٢١ ص٧٧-٧٨.

(٢) عبد الله الهرري. الدليل القويم. ص٥٤٧، عبد الله الهرري. إظهار العقيدة السنية. ص٣٣٤-٣٣٥-٣٣٦-٣٣٧-٣٣٨، ابن حجر العسقلاني. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج٩ ص٥٥١-٤٤٦-١٠٦.

(٣) الذهبي. سير أعلام النبلاء. ج١٠ ص ٥٨.

(٤) سورة الشورى/ آية ١١.

والسّمواتِ والأرضَ والإنسَ والجنَّ والماءَ والهواءَ والنارَ والأماكنَ والأزمنةَ والجهاتِ الستّ ولا يحتاجُ إلى شيءٍ فيها ولا يُوصفُ بأيةِ صفةٍ مِن صِفاتها تمامًا كما قالَ الإمامُ أبو حنيفةَ رضي الله عنهُ «ولو كانَ الله تعالى مُحتاجًا للجلوسِ والاستقرارِ على العَرشِ فقبلَ خلقِ العرشِ أينَ كانَ الله» اهـ. وكما قالَ الإمامُ الطّحاويُّ في عقيدتهِ المشهورةِ «تَعالى -أي الله- عنِ الحدودِ والغاياتِ والأركانِ والأعضاءِ والأدواتِ لا تحويهِ الجهاتُ السّتُّ كسائرِ المبتدعاتِ» اهـ. أيِ المخلوقاتِ، وكما قالَ أيضًا «ومَن وصفَ الله بمعنًى مِن مَعاني البشرِ فقَد كفرَ» اهـ. وهذهِ عقيدةُ أهلِ السّنةِ كلِهم وليسَ الشيخُ عبدُ الله الهرريُّ وحدَه.

وأما تحذيرُ الشيخِ عبدِ الله مِن أحمدَ ابنِ تيمية ومحمّدِ بنِ عبدِ الوهّابِ وأتباعِهما فقَد فصّلَ الشيخُ رحمهُ الله تَعالى أسبابَ ذلكَ وبيّنَ ما خالفوا فيهِ الأمةَ وما سبّبوهُ مِن ضررٍ وفِتنٍ في كتابٍ كبيرٍ سماهُ «المقالاتُ السّنيةُ في كشفِ ضلالاتِ أحمدَ ابنِ تيمية» وهوَ كتابٌ واسعُ الانتشارِ مَطبوعٌ طبعاتٍ كثيرةً سلكَ فيهِ الشّيخُ عبدُ الله سبيلَ عَشرات بل مئاتِ العلماءِ الذينَ حذّروا مِن ضلالةِ هذينِ الرّجلينِ قبلَهُ فمَن أرادَ مَعرفةَ هذا الأمرِ على وَجههِ فليُطالِع هذا الكتابَ ثم ليحكُمَ بنفسهِ.

هذهِ هيَ ترجمةُ الشيخِ عبدِ الله الهرريّ وهذا هوَ حالهُ ومَنهجهُ وما نُسبَ إليهِ مما يخالفُ هذا فهوَ غيرُ صَحيحٍ سواءٌ ذكرناهُ أو لم نذكُرهُ فإنَّ في القدْرِ الذي ذكرناهُ كفايةً للعاقلِ ليَميزَ بينَ الصّادقِ والكاذبِ، والواقعُ أنَّ مَن يَفتري على هذا الشّيخِ الكَريمِ يعرفُ أنَّ العلمَ الذي علّمهُ يفضحُ ويكشفُ انحرافَهُم، وطالما كرهَ المزيّفُ الصَّرّافَ وكذلكَ المبتدعُ يكرهُ العلماءَ.

ومِن أصدقِ ما يمثّلُ مَنهجَ الشيخِ عبدِ الله الهرريّ كلماتُهُ هوَ نفسهُ التي تناقَلها الناسُ ونَشرتها وسائلُ الإعلامِ حيثُ قالَ رحمهُ الله تَعالى نحنُ فئةٌ منَ المسلمينَ لا نتبعُ مَنهجًا جَديدًا ولا فِكرةً مُستحدثةً منذُ خمسينَ سنة ولا فكرةً مُستحدثةً منذُ مائتي سنةٍ ولا فكرةً مستحدثةً منذُ ستمائةِ سنةٍ، إنما نحنُ على المنهجِ الذي يَنتسبُ

إليهِ مئاتُ الملايينِ منَ المسلمينَ أشعريّة شافعيّة، أشعريةٌ مِن حَيثُ العَقيدةُ وهيَ عَقيدةُ مئاتِ الملايين منَ المسلمين ومِن حيثُ الأحكامُ العَمَليّةُ نحنُ شافعيّةٌ، والإمامُ الأشعريُّ هوَ إمامُ أهلِ السّنةِ الذي لخّصَ عقيدةَ الصّحابةِ والتابعينَ كانَ في القرنِ الثالثِ الهجريّ وتوفي في أوائلِ القرنِ الرابعِ، لم يأتِ إلا بإيرادِ الأدلّةِ العقليّةِ والنقليّةِ ومذهبُ الشّافعيّ مضَى عليهِ ألفٌ ومائتا سنةٍ. ولا نَستحلّ اغتيالَ رجالِ الحكوماتِ لأجلِ أنهم يحكُمونَ بالقانونِ نحنُ بريئونَ مِن هذهِ الفئةِ. وأما مسألةُ بيانِ المكفّراتِ في الألفاظِ الكفريّةِ نحنُ لا نحملُ مَذهبًا جَديدًا إنما اتّبعنا في ذلكَ أئمةَ المذاهبِ الأربعةِ كما يقولُ الحافظُ مرتضَى الزبيديُّ في شرحِ إحياءِ علوم الدّينِ «فقَد ألّفَ أئمةٌ منَ المذاهبِ الأربعةِ في بيانِ الألفاظِ الكفريّةِ»، ولَسنا مُسخّرينَ لدولةٍ منَ الدّولِ مِن أجلِ الإمدادِ الماليّ والله أعلمُ ومَن نسبَ إلينا غيرَ ذلكَ فالله حَسيبهُ. انتهَى كلامهُ رحمهُ الله.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

المحاضرة الحادية والخمسون

موافقةُ الشّيخ الهَرريّ لعقائد علماءِ الحبشةِ ومَخالفةُ الوهابيّةِ لهُم

بسمِ الله الرّحمنِ الرّحيمِ

الحمدُ للهِ الذي خصَّ علماءَ أهلِ السّنةِ بحملِ رايةِ التوحيدِ وعقيدةِ الإسلامِ ووفّقهُم لردّ كلّ شبهةٍ وضلالةٍ يُذيعها المبتدعةُ بينَ العَوام، والصّلاةُ والسّلامُ على سيّدنا محمّدٍ أشرفِ الخلقِ وخيرِ الأنامِ مَن كشفَ الله بهِ الدُّجى ومحا الظّلامَ.

وبَعدُ فقَد ضَمّنّا هذهِ المحاضرة ما ذكرهُ بعضُ علماءِ الحبشةِ مِن أهلِ السّنةِ والجماعةِ في تنْزيهِ الله تعالى عن مشابهة المخلوقين وعن التحيّز في المكان والجهة وما يعتقدونه في كلام ربنا عز وجل لرد شبه أهل الضلال في ما لبّسوه على بعض الجُهّال من العوامّ.

عقيدةُ المسلمينَ في تنْزيهِ الله عَن مشابهةِ المخلوقينَ وعنِ التحيّزِ في المكانِ والجهةِ وما يعتقدونَ في كلامِ الله عزَّ وجلَّ

- قالَ الله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[(١)].
- يروى أن رسولَ الله ﷺ قال «**لا فِكرَةَ في الربّ**» رواهُ أبو القاسمِ الأنصاريُّ[(٢)].
- قالَ الإمامُ أبو جعفرٍ الطّحاويُّ رحمهُ الله تعالى المتوفى سنةَ ٣٢١ هـ في العَقيدةِ الطّحاويةِ: «ومَنْ لَـمْ يَتوَقَّ النَّفْيَ والتَشْبيهَ زَلَّ ولَـمْ يُصِب التَّنْـزِيهَ. فَإِنَّ رَبَّنَا

(١) سورة الشورى/ ١١.

(٢) أبو القاسم الأنصاري. شرح الإرشاد ص ٥٨-٦٠.

جَلَّ وَعَلا مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ الوَحْدَانِيَّةِ، مَنْعُوتٌ بِنُعُوتِ[١] الفَرْدَانِيَّةِ[٢]، لَيْسَ فِي مَعْنَاهُ أَحَدٌ مِنَ البرِيَّةِ. وَتَعَالى عَنِ الـحُدُودِ[٣] وَالغَايَاتِ[٤]، وَالأركانِ[٥] وَالأعْضَاءِ[٦] وَالأَدَوَاتِ[٧]، لَا تَحْوِيهِ الـجِهَاتُ[٨] الستُّ كَسَائِرِ الـمُبْتَدَعَاتِ[٩]» اهـ.

• وقالَ الإمامُ فخرُ الدّينِ بنُ عَساكر المتوفّى سنةَ ٦٢٠ هـ في العقيدةِ الـمُرشِدة: «موجودٌ قبلَ الخلقِ ليسَ لهُ قبلٌ ولا بَعدٌ ولا فَوقٌ ولا تحتٌ ولا يمينٌ ولا شِمالٌ ولا أمامٌ ولا خَلفٌ ولا كلٌّ ولا بَعضٌ ولا يقالُ متى كانَ ولا أينَ كانَ ولا كيفَ، كانَ ولا مكانَ، كوّنَ الأكوانَ ودَبَّرَ الزمانَ، لا يتقَيَّدُ بالزمانِ ولا يتخصَّصُ بالمكانِ ولا يَشغلهُ شأنٌ عَن شأنٍ، ولا يَلحقُه وَهمٌ ولا يكتنِفُه عَقلٌ ولا يتخصّصُ بالذّهنِ ولا يَتمثَّلُ في النفسِ ولا يتصوّرُ في الوَهمِ ولا يتكَيَّفُ في العقلِ، لا تلحقُهُ الأوهامُ والأفكارُ ليسَ كمثلهِ شىءٌ وهوَ السّميعُ البصيرُ» اهـ.

• وقالَ الإمامُ النسفيُّ في عقيدتهِ المشهورةِ «والمحدِثُ للعالمِ هوَ الله تَعالى الواحدُ القديمُ الحيُّ القادرُ العليمُ السّميعُ البصيرُ الشّائي المريدُ ليسَ بعَرَضٍ ولا جسمٍ ولا جوهرٍ، ولا مُصوَّرٍ ولا محدودٍ ولا مَعدودٍ ولا متبعّضٍ ولا متجَزّ ولا مُتركّبٍ ولا متناهٍ ولا يُوصفُ بالماهيّةِ ولا بالكيفيةِ ولا يتمكّنُ في مكانٍ

---

(١) النعت والصفة بمعنًى واحد.

(٢) والوحدانية والفردانية مترادفان.

(٣) الحدود جمع حد والحد نهاية الشيء.

(٤) الغايات: النهايات.

(٥) الأركان: الجوانب.

(٦) الأعضاء: الأجزاء الكبيرة من الجسم كاليد الجارحة.

(٧) الأدوات: الأجزاء الصغيرة كاللهاة.

(٨) فوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف.

(٩) الـمُحدَثات.

ولا يجري عليهِ زمانٌ ولا يُشبههُ شيءٌ ولا يخرجُ عَن علمهِ وقُدرتهِ شيءٌ. ولهُ صِفاتٌ أزليةٌ قائمةٌ بذاتهِ وهيَ لا هوَ ولا غيرهُ وهيَ العلمُ والقدرةُ والحياةُ والقوةُ والسّمعُ والبصرُ والإرادةُ والمشيئةُ والفعلُ والتخليقُ والترزيقُ والكلامُ وهوَ متكلّمٌ بكلامٍ هوَ صفةٌ لهُ أزليّةٌ ليسَ مِن جنسِ الحروفِ والأصواتِ وهوَ صفةٌ منافيةٌ للسّكوتِ والآفةِ والله متكلّمٌ بها آمرٌ ناهٍ مُخبِرٌ» اهـ.

عقائدُ علماءِ الحبشةِ وموافقةُ الشّيخ عبد الله الهرري لهم في تنزيهِ الله تعالى عَن مُشابهةِ المخلوقينَ وعنِ التحيّزِ في المكانِ والجهةِ

- قالَ الشّيخُ عبدُ الله بنُ محمّدِ بنِ يوسفَ الهرريّ رحمهُ الله تعالى في كتابهِ مختصرُ عبدِ الله الهرريّ الكافلُ بعلمِ الدّينِ الضّروريّ عنِ الله تَعالى «الموصوفُ بكلّ كَمالٍ يليقُ به المنَزّه عَن كلّ نقصٍ في حقّهِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]» اهـ.

- وقالَ رحمهُ الله تعالى في كتابهِ الصّراطِ المستقيم[2] «واعلَم أنَّ الكفرَ ثلاثةُ أبوابٍ إما تَشبيهٌ أو تَكذيبٌ أو تَعطيلٌ. أحدُها التشبيهُ أيْ تشبيهُ الله بخلقهِ كمَن يَصفهُ بالحدوثِ أوِ الفَناءِ أوِ الجسمِ أوِ اللونِ أو الشّكلِ أوِ الكَميّةِ أيْ مِقدارِ الحجمِ» اهـ

- وقالَ رحمهُ الله تعالى في كتابهِ الدّليلِ القويم[3] «اعلَم رحمكَ الله أنهُ تَعالى ليسَ بجوهرٍ يتحيّزُ أيْ يَشغلُ حيّزًا بل يَتعالى ويَتقدّسُ عَن مُناسبةِ الحيّزِ أيِ المكانِ» اهـ.

ثم قالَ «فتحصّلَ مما ذكرنا أنهُ تَعالى ليسَ جَوهرًا ولا عَرَضًا وأنَّ العَالم جواهرُ

---

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

(٢) عبد الله الهرري. الصراط المستقيم. ص٢٧.

(٣) عبد الله الهرري. الدليل القويم على الصراط المستقيم. ص١١٠.

وأعراضٌ وأجسامٌ فإذًا لا يُشبهُ شيئًا ولا يُشبِهُهُ شيءٌ ليسَ كمثلِهِ شيءٌ وأنّى يُشبهُ المخلوقُ خالِقَهُ والـمُقَدَّرُ مُقَدّرَهُ. واللهُ تَعالى متَنَزّهٌ أيضًا عنِ الجهاتِ والأماكنِ إذِ الجهاتُ والأماكنُ خَلقُهُ أحدَثها بعدَ أن لم تكُن فلا يُوصفُ بفَوقيّةِ الحيّزِ والمكانِ، فلو كانَ فوقَ العَالمِ بالحيّزِ والمكانِ لكانَ مُحاذِيًا لهُ والمحاذي للجِسمِ إما أن يكونَ مثلهُ أو أصغرَ منهِ أو أكبرَ منهُ مِساحةً وما يُقدَّرُ بالمساحةِ محتاجٌ لمن خَصّهُ بها والمحتاجُ حادِثٌ» اهـ.

- وقالَ الشيخُ بشرى بن أبي محمّدٍ في كتابِهِ «حديقةُ الإخوانِ»[1] عندَ الكلامِ على صفاتِ اللهِ الواجبةِ لهُ تَعالى «رابعُها المخالفةُ للحوادثِ يعني يجبُ علينا أن نعتقدَ أنَّ اللهَ سبحانهُ وتَعالى مَوصوفٌ بوجوبِ المخالفةِ وحقيقةُ المخالفةِ هيَ عبارةٌ عَن سَلبِ المماثلةِ في الذّاتِ والصّفاتِ والأفعالِ وإنْ شئتَ قلتَ عبارة عَن نفيِ الجِرميةِ والعَرَضِيّة ولوازِمِها وخواصّها فمِن لَوازمِ الجرميّةِ التحيّزُ أي أخذُهُ قدرًا منَ الفَراغِ أيْ قدرَ ذاتهِ منَ الفَراغِ بحيثُ يثبُتُ في القَدرِ أوْ ينتقلُ عنهُ، ومِن خواصّهِ قبولُهُ الأعراضَ الحادثةَ مِن حرَكةٍ وسُكونٍ وألوانٍ وحدوثٍ وجِهةٍ وبُعدٍ وقُربٍ بالمسافةِ وزمانٍ ومكانٍ وكِبَرٍ وصِغَرٍ ونحوِ ذلكَ فسَلْبُ الجِرميّةِ عنِ اللهِ بالمخالفةِ تَسْلُبُ عنهُ هذهِ الخواصّ واللوازم كلَّها فهيَ مستحيلةٌ على اللهِ تعالى» اهـ.
- وقالَ الشّيخُ أبو الفتحِ بدرُ الدينِ بنُ أبي الحاجّ سرور في كتابِهِ «إيضاحُ المعان مِن إفادةِ الإخوانِ» على المقدّمةِ المعروفةِ بـ«إفادةِ الإخوانِ في مَا هوَ مَفروضٌ على الإنسانِ»[2] «والموجوداتُ أيضًا أربعةُ أقسامٍ قسمٌ غنِيٌّ عنِ المحلّ والـمُخَصّص وهوَ ذاتهُ تَعالى، وقسمٌ يحتاجُ إليهما وهوَ صفاتُ الحوادِث وتُسمَّى الأعراضَ»

(١) بشرى بنُ أبي محمّدٍ. حديقة الإخوان في شرح فتح الرحمن في معرفة كيفية حقائق الإيمان. ص١٩.

(٢) أبو الفتح بدر الدّين بن أبي الحاجّ سرور. إيضاح المعانِ من إفادة الإخوان. ص٧٣.

اهـ. إلى آخر ما ذكره من الأقسام.

- وقالَ سيّدي الشيخُ عمرُ بنُ عليّ في كتابِهِ «جواهرُ الدُّرَرِ»[1] في تنزيهِ الله عَن مشابهةِ المخلوقاتِ

ذكرُ دليلِ مخالفتهِ تعالى لجميعِ خَلقهِ [مشطور الرجز]

وإنْ تُرِد علامةَ المُخَالَفهْ ... فخُذ بها أُنْبي بلا مُماطلهْ

لِتَهتدي بهِ إلى الصوابِ ... من غير أوهامٍ ولا ارتيابِ

لَو لَمْ تَجِب لِرَبّنا المُخالفهْ ... لكانَ بالخلقِ لهُ المُماثلهْ

سُبْحَانَه لَكِنّ ذا قَد أُبْطلا ... إذْ لَو يَكُن بغيرِهِ قَد مُثّلا

إذًا لكانَ حادثًا سُبحانهُ ... لكنّهُ ممتنعٌ هذا لهُ

إذْ لو يكُن مِن حَادثٍ لافْتَقَرا ... لِمُحدِثٍ لكنَّ ذا قد ظَهَرا

مُحالهُ فادْرِ بلا إشكالِ ... مِنه على الإلهِ ذي الجلالِ

إذ لو يكن مفتقِرًا ليَحْصُلُ ... لفَقرِه الدَّوْرُ أو التَّسَلْسُلُ

كِلاهما مِن واضِحِ البُطلانِ ... فليس ما يَحتاج للتّبْيانِ

- وقالَ الشيخُ جوهر بنُ حيدَر في كتابِهِ «الجواهرُ الحيدريّةُ» «(المخالفةُ للحوادثِ) وهيَ عدمُ المماثلةِ لشيءٍ منَ الحوادثِ أيِ المتجدّدةِ بعدَ أَن لم تَكُن بل ولشيءٍ منَ الممكناتِ الغيرِ حادثةٍ[2]» اهـ.

- وقالَ أيضًا: «(والقيامُ بالنفسِ) وهوَ عدمُ افتقارِهِ تعالى إلى ذاتٍ وإلى مخصّصٍ،

(١) عمر بن علي. جواهر الدرر. ص ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) أي الممكنات العقلية التي لم تخلق بعد.

بسببِ ذاتِهِ أي لا بسببِ شيءٍ آخَر اقتضَى ذلكَ فالباءُ سببيّةٌ كما قالَهُ بعضُهم. والنفسُ بمعنى الذّاتِ لا بمعنى الرّوحِ لاستحالتِها عليهِ تَعالى» اهـ.

- ثم قالَ: «وفسّرهُ الإمامُ السّنوسيُّ في شَرحِهِ بعَدمِ افتقارِهِ إلى شيءٍ فقالَ ومَعنى قيامِهِ تَعالى بنفسِهِ سلبُ افتقارِهِ تَعالى إلى شيءٍ منَ الأشياءِ مثلًا فلا يَفتقرُ إلى محلّ يوجدُ فيها كَمَا تُوجدُ الصّفةُ في الموصوفِ إلى آخرِ عبارتِهِ وقَد فسّرهُ في مَتنِهِ بعدمِ افتقارِهِ إلى المحلّ والمخصّص» اهـ.

- وقالَ الشّيخُ جمالُ الدّينِ الآنيّ رحمهُ الله تعالى في كتابِهِ «كفايةُ الطالبينَ في معرفةِ مهمّاتِ الدينِ»[1]: «الحمدُ للهِ الواحدِ الصّمدِ الذي لا يزالُ ولا يحولُ، الملكِ الرّحيمِ الذي لا تُدركُهُ الأبصارُ ولا تكيّفُهُ العُقولُ القُدّوسِ في كِبريائِهِ عنِ التجسيمِ والتعطيلِ والحلولِ الذي أوجبَ علينا معرفةَ شرائعِ الإسلامِ» اهـ.

- وقالَ أيضًا: «مقدمةٌ في أصولِ الدّينِ: اعلَم أنَّ أوّلَ الواجبِ على المكلّفِ مَعرفةُ الله تَعالى إن لم تحصُل في صِباهُ فنقولُ إنَّ الله واحدٌ في ذاتِهِ وصِفاتِهِ وأفعالِهِ فَرْدٌ لا شريكَ لهُ واجبُ الوجودِ بذاتِهِ فيجبُ لهُ القِدمُ والبقاءُ والمخالفةُ للحوادثِ مِن كلّ وجهٍ في ذاتِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ والقيامُ بالنفسِ والوحدانيةُ في الذاتِ والصّفاتِ والأفعالِ ويجبُ لهُ مِن صفاتِهِ الذاتيّةِ الحياةُ المستمرّةُ والعِلمُ المحيطُ والإرادةُ المخصّصةُ والقدرةُ الشّاملةُ الكاملةُ والسّمعُ والبَصرُ والكلامُ المقدّسُ عَن سمتِ الحدوثِ كالصّوتِ والحروفِ والتّقديمِ والتأخيرِ بل يجبُ لهُ الكَمالُ المطلقُ ويَستحيلُ عليهِ أضدادُ هذهِ الصّفاتِ المذكورةِ وجميعُ النقائصِ مطلقًا» اهـ.

- وقالَ أيضًا: «ومِن أجمعِ الأدلّةِ النقليّةِ في ذلكَ قولهُ تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ

(١) جمال الدين الآني. كفاية الطالبين في معرفة مهمات الدين. ص٣.

شَىۡءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[1]، ثم قالَ فصَدرُ هذهِ الآيةُ يَردُّ على المشبّهةِ وعَجزُها يَردُّ على المعطّلةِ وجملتُها تبيّنُ لكَ خلاصةَ التوحيدِ لأنها معَ قلّةِ حُروفِها جمعَت مجامعَ مسائلِ التوحيدِ وتضمّنَت كلَّ ما يجبُ اعتقادُهُ، ولذا قالَ بعضُ المحقّقينَ وفي هذهِ الآيةِ سلامةٌ لنا مَعشرَ أهلِ السّنةِ لما فيهَا مِن نَفي المستحيلاتِ والتشبيهاتِ مُطلقًا وإثباتِ الصّفاتِ الواجباتِ. وقالَ أبو إسحاقَ الأسفرايينيُّ جمعَ أهلُ الحقّ جميعَ ما قيلَ في التوحيدِ في كلمتينِ إحدَاهما اعتقادُ أنَّ ما يُتصوَّرُ في الأوهام فالله تعالى بخلافهِ لأنَّ الذي يُتصوَّرُ في الأوهامِ مخلوقٌ للهِ تَعالى والله تَعالى خالقُهُ، والثانيةُ اعتقادُ أنَّ ذاتَهُ ليسَت مُشبهةً بذاتٍ ولا مُعطّلةً عَن صفاتٍ وقَد أكّدَ ذلكَ بقولهِ تَعالى ﴿ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴾[2] وهذا غايةٌ في الإيجازِ والجودةِ» اهـ.

- وقالَ الشيخُ بشرى[3] رحمهُ الله تَعالى: «ومَعنى التسبيح التنْزيهُ عمّا لا يليقُ بهِ لأنَّ مَعنى سبّحتهُ بعّدتهُ منَ السّوءِ ومعناهُ هنا أيْ أعتقد أنَّ الله منَزّهٌ عنِ الزّوالِ والفَناءِ» ثم قال: «ويجبُ علينا اعتقادُ أنَّ الله سبحانهُ لا لهُ حدّ يحدّهُ مِن كبرٍ وصغرٍ وغلظٍ ورقّ وطولٍ وقِصَر ومكانٍ وزمانٍ وغيرِ ذلكَ مما يحدُّ الحوادثَ منَ المجاوزةِ لغيرهِ لأنَّ الله مخالفٌ لمخلوقاتهِ فلا يحدّهُ ما حدّها ولا يحصرهُ ما حصَرها كيفَ وهوَ خالقُها ومعطيها ما هيَ عليهِ ومما حكمه في أزلهِ ويجبُ علينا اعتقادهُ أنَّ الله سبحانهُ لا لهُ مثالٌ في الذاتِ والصّفاتِ لأنهُ ليسَ بجِرمٍ وما هوَ كذلكَ لا يماثلُ الأجرامَ في ذاتها ولا في صِفاتها مِن كلّ وجهٍ ابتداءً وانتهاءً وهوَ القديمُ وهيَ الحادثةُ وهوَ الباقي وهيَ الفانيةُ وشتّانَ ما بينَهُما» اهـ.

- وقالَ أيضًا: «ومما حكمهُ في أزله ويجبُ علينا اعتقادهُ أنَّ الله سبحانهُ منَزّهٌ عنِ

---

(1) سورة الشورى/ آية ١١.

(2) سورة الإخلاص/ آية ٤.

(3) بشرى. تنزيه المجرّد بشرح فيض الله المجدّد. ص٣٢-٣٣-٣٤.

الأينِ وهوَ سؤالٌ عنِ المكانِ أيْ عَن سؤالِ السّائلِ أينَ الله منَزّهٌ لأنَّ المكانَ مخلـوقٌ وهوَ كانَ قبلَ أن يخلُقَ المكانَ [وهوَ] الآن على ما عليهِ كانَ. ومما حكمهُ في أزلِهِ ويجبُ علينا اعتقادهُ أنَّ الله سبحانهُ منَزهٌ عنِ الجهاتِ السّتّ التي هيَ فوقٌ وتحتٌ ويمينٌ وشمالٌ وأمامٌ وخَلفٌ لأنَّ الجهاتِ إنما وُجدَت بواسطةِ الأجرامِ لأنَّ فوقَ مِن عَوارضِ الرأسِ وتحتَ مِن عَوارضِ الرّجْلِ ويمين مِن عَوارضِ اليدِ اليمنى والشّمال مِن عَوارض اليدِ اليُسرى وأمام مِن عَوارضِ الصّدرِ وخَلف مِن عَوارضِ الظّهرِ وإنما تحقّقت بواسطةِ حدّ خلق الإنسان فالله ليسَ بجرمٍ حتى تكونَ لهُ الجهةُ بل هوَ خالقُ الجهاتِ ومدبّرُ الكائناتِ يُدبّرُ الأمرَ منَ السّماءِ إلى الأرضِ فالله ليسَ في جهةٍ منها ولا في جميعِها بل كانَ الله ولا شيءَ معهُ [وهوَ] الآنَ على ما عليهِ كانَ سبحانهُ خالقُ الجهاتِ والمكانِ. ومما حكمهُ في أزلِهِ ويجبُ علينا اعتقادهُ أنَّ الله سبحانهُ منَزّهٌ عنِ المشابهةِ لمخلوقاتهِ في الذاتِ والصّفاتِ والأفعالِ عَقلًا ونَقلًا أما النقلُ قولهُ تَعالى ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ﴾[1] أي ليس كذاتهِ ذاتٌ ولا كصفاتهِ صفاتٌ ولا كأفعالهِ فعلٌ ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[2] بما يُفعلُ مِن الفرش إلى العرشِ وصدرُ الآيةِ تنْزيهٌ وعجزُها إثباتٌ وهوَ مِن بابِ عموم السلبِ لا مِن بابِ سلبِ العُمومِ وأما العقلُ فلو ماثلَ شيئًا منَ الحوادثِ لكانَ ممكنًا ولو كانَ ممكنًا لكانَ جِرمًا أو عَرَضًا ولو كانَ جِرمًا أو عَرضًا لما وُجدَ شيءٌ منَ المخلوقاتِ ووجودُ الكائناتِ يدلُّ على وجودهِ قطعًا بلا شكّ قالَ تَعالى ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكّٞ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[3] أي ليسْ في وجودِ الله شكّ خالق السّمواتِ والأرضِ وغيرِها والله أعلمُ» اهـ.

---

(١) سورة الشورى/ آية ١١.

(٢) سورة الشورى/ آية ١١.

(٣) سورة إبراهيم/ آية ١٠.

وقال أيضًا [مشطور الرجز]

الحمدُ للهِ الذي قَد حكَما | مِن قبلِ أن يخلُقَ أرضًا وسَما
بما يكونُ في الوجودِ أبدَا | إلى انقضاءِ الدّهرِ مِن غيرِ سُدا
سبحانهُ ليسَ لهُ زوالُ | ولا لهُ حدٌّ ولا مِثالُ
وبالوجودِ المطلقِ تفرَّدا | في ذاتهِ ووصفِهِ توحَّدا
تحيرَت في وصفهِ الفؤود | وذاتهُ ليسَ لها قيود

ثم قال

وكلّ ما يخطرُ في الأوهامِ | مثلُ التخيُّلاتِ والأجسامِ
فربُّنا الله الكريمُ قَد عَلا | عَن مثلِ هذا فافهمَنْ ما نُقلا
سبحانهُ منَزّهٌ في ذاتهِ | وفي صِفاتهِ وفي أفعالهِ

وقالَ الشيخُ جمالُ الدينِ فقيه رحمهُ الله تعالى في كتابهِ «نجمِ المنيرِ في إرشادِ مَن يريدُ السّفرَ إلى الآخرةِ ويَسير»: «فصلٌ في ذكرِ شيءٍ منَ العقائدِ اعلَم أنهُ هوُ الله الذي لا إلـهَ إلا هوَ الواجبُ الوجودِ، قديمٌ لا بدايةَ لهُ باقٍ لا نهايةَ لهُ، مخالفٌ للحَوادِثِ في ذاتهِ وصِفاتهِ وأفعالهِ لا مماثَلَ لهُ قائمٌ بنفسهِ مُستغنٍ عمّا سواهُ لا مخصّصَ لهُ ولا محلَّ لهُ» اهـ.

- ثم قالَ: «فإذا علِمتَ ذلكَ أيقنتَ أنهُ ليسَ كمثلهِ شيءٌ وهوَ السّميعُ البصيرُ وأنهُ لا يَلحقهُ الأذهانُ ولا يحُدّهُ المقدارُ ولا تحويهِ الأقطارُ ولا تحيطُ بهِ الأماكنُ والجهاتُ ولا تكتَنِفُهُ السّمواتُ وهوَ مُستوٍ على عَرشهِ بالوَجهِ الذي قالهُ والمعنى الذي أرادهُ استواءً منزَّهًا عنِ المُماسّةِ والاستقرارِ والتمكّنِ والحلولِ والانتقالِ فلو كانَ على شيءٍ لكانَ محمولًا تعالى عَن ذلكَ علوًّا كبيرًا فلا يحملُهُ العَرشُ بلِ العَرشُ وحمَلَتُهُ محمولونَ بلُطفِ قُدرتهِ ومَقهورونَ

فِي قَبضتِهِ وهوَ فوقَ العَرشِ وفوقَ كلّ شىءٍ إلى تُخومِ الثرى فَوقيّةً لا تزيدهُ قُربًا إلى العرشِ والسّمواتِ بل هوَ رفيعُ الدّرجاتِ عنِ العَرشِ كما هوَ رفيعُ الدّرجاتِ عنِ الثّرى ومعَ ذلكَ هوَ قريبٌ مِن كلّ موجودٍ وهوَ إلى العبدِ أقربُ مِن حَبلِ الوَريدِ وهوَ على كلّ شىءٍ شهيدٌ لا يُماثِلُ قربُهُ قُربَ الأجسامِ كما لا يُماثِلُ ذاتُهُ ذاتَ الأجسامِ تعالى ربّنا عَن أن يحويَهُ مكانٌ كَما تقدّسَ عَن أن يَحُدَّهُ زمانٌ بل كانَ قبلَ أن يَخلُقَ الزمانَ والمكانَ وهوَ الآنَ على ما عليهِ كانَ قبلَ وجودِ الزمانِ والمكانِ» اهـ.

في صفةِ الكلامِ للهِ تَعالى

• قالَ الشيخُ الهرريُّ رحمهُ الله تعالى في وجوبِ صفةِ الكلامِ للهِ تعالى[1]: «ومَعنى الكَلامِ أنَّ لهُ صفةً هوَ بها متكلّمٌ آمِرٌ ناهٍ واعِدٌ متوَعّدٌ ليسَ ككلامِ غيرِهِ بل أزليٌّ بأزليّةِ الذاتِ لا يُشبهُ كلامَ الخلقِ وليسَ بصَوتٍ يحدُثُ مِن انسلالِ الهواءِ أو اصطكاكِ الأجرامِ ولا بحرفٍ ينقطعُ بإطباقِ شَفةٍ أو تحريكِ لسانٍ، ونعتقدُ أنَّ موسَى سمِعَ كلامَ الله الأزليَّ بغيرِ حرفٍ ولا صوتٍ كما يرَى المؤمنونَ ذاتَ الله في الآخرةِ مِن غيرِ أن يكونَ جَوهرًا ولا عَرَضًا لأنَّ العقلَ لا يُحيلُ سماعَ ما ليسَ بحرفٍ ولا صَوتٍ، وكلامهُ تَعالى الذاتيُّ ليسَ حُروفًا مُتعاقبةً ككَلامِنا. وإذا قرأَ القارئ منّا كلامَ الله فقِراءتهُ حرفٌ وصوتٌ ليسَت أزليّةً لأنَّ ما يقومُ بالمخلوقِ لا يُعقَلُ أن يكونَ أزليًّا وأما مَقروؤُهُ فليسَ بحروفٍ ولا صوتٍ» اهـ.

ثم قالَ «فنقولُ أجمعَ أهلُ السّنةِ والجماعةِ على أنَّ كلامَ الله الذاتيَّ ليسَ بحرفٍ وصوتٍ وهوَ أزليٌّ أبديٌّ لا يتجزّأُ ولا يتبَعَّضُ كحياتهِ فهوَ كلامٌ واحدٌ لأنَّ ما يَتجزّأُ ويتبعّضُ حادثٌ والله لا يتّصفُ بصفةٍ حادثةٍ فكَما أنَّ حياتَهُ حياةٌ واحدةٌ أزليّةٌ أبديّةٌ لا تتجزّأُ كذلكَ صفةُ الكلامِ والقدرةِ والإرادةِ والسّمعِ والبَصرِ

(١) عبد الله الهرري. الصراط المستقيم ص٦٢.

والعِلمِ كلُّ صفةٍ مِن هؤلاءِ صفةٌ واحدةٌ. أما القرآنُ بمعنى اللفظِ المنَزّلِ الذي قرأهُ جبريلُ على النبيّ فهوَ مخلوقٌ للهِ تَعالى لأنَّ الحرفَ والصّوتَ مخلوقانِ ومعَ هذا لا يقالُ القرآنُ مخلوقٌ عَلى هذا المعنى أدبًا لكِن يُذكَرُ في مَقامِ التّعليمِ أنَّ القرآنَ بمعنى اللفظِ المنَزّلِ مخلوقٌ لله» اهـ.

- وقالَ الشيخُ بشرى بنُ أبي محمّدٍ في كتابهِ «حديقةُ الإخوانِ»[١]: «وثالثَ عشرها في العددِ الكلامُ، ثم قالَ يجبُ عَلينا أن نعتقِدَ أنَّ الله سبحانهُ وتَعالى موصوفٌ بوجوبِ الكلامِ، وحَقيقةُ الكلامِ في حقّهِ تَعالى هيَ صِفةٌ أزليّةٌ قائمةٌ بذاتهِ تَعالى مُعبَّرةٌ بعِباراتٍ مختلفاتٍ منَزَّهةٌ عَن جنسِ الحروفِ والأصواتِ وأما الحروفُ والأصواتُ دالّةٌ عليها لا هيَ نفسُها والله أعلمُ» اهـ.
- وقالَ الشيخُ أبو الفتحِ بدرُ الدّينِ بنُ أبي الحاجّ سرور في كتابهِ «إيضاحُ المعان مِن إفادةِ الإخوانِ»[٢] عندَ الكلام على صفةِ الكلام للهِ تَعالى «والكلامُ وهيَ صفةٌ أزليّةٌ قائمةٌ بذاتهِ تَعالى مُنَزَّهَة عنِ الحروفِ والأَصواتِ والإعرابِ والبناءِ والتقدّمِ والتأخُّرِ وغيرِ ذلكَ مما يوجدُ في كلامِ الحوادثِ، تتعلّقُ بما تعلّقَ بهِ العِلمُ مِنَ الأَمورِ الثلاثةِ تعلُّقَ دلالةٍ، أي مَعنى أزليّ قائم بذاتهِ تَعالى يَتعلّقُ بما تعلّقَ بهِ العِلمُ متّصفٌ بهِ ذاتهُ تَعالى أزلًا وأبدًا يدلُّ على جميعِ ما يتعلّقُ بهِ العلمُ. وليسَ الأمرُ على ما نعهَدُ مما نظنُّ مِن لفظِ الكَلام وليسَ المَرادُ بكَلامهِ تَعالى الواجبِ لهُ تعالى الألفاظَ الشريفةَ المنْزلةَ على نبيّنا ﷺ لأنَّ هذهِ حادثةٌ لفظيّةٌ» اهـ.
- وقالَ الشيخُ جوهرُ بنُ حَيدر في كتابهِ «الجواهرُ الحيدريةُ»: «(الكلامُ) وهوَ صفةٌ أزليةٌ قائمةٌ بذاتهِ تَعالى منَزّهةٌ عنِ الحروفِ والأصواتِ والإعرابِ والبناءِ والتقدّمِ والتأخّرِ وغيرِ ذلكَ مِن شُؤونِ الكَلامِ الحادثِ تتعلّقُ بجميعِ المعلوماتِ

(١) بشرى بن أبي محمّدٍ. حديقة الإخوان. ص٢٥.

(٢) أبو الفتحِ بدرُ الدّينِ بنُ أبي الحاجّ سرور. إيضاح المعانِ من إفادة الإخوان. ص٧١.

الثلاثةِ تعلّقَ دِلالةٍ وفي (كفايةِ العَوامّ) وليسَ المرادُ بكلامهِ تَعالى الواجبِ لهُ تَعالى الألفاظَ الشّريفةَ المنْزلةَ على النبيّ ﷺ لأنَّ هذهِ حادثةٌ والصّفةُ القائمةُ بذاتهِ تَعالى قديمةٌ وهذهِ مُشتملةٌ على تقدّمٍ وتأخّرٍ وإعرابٍ وسُوَرٍ وآياتٍ والصّفةُ القديمةُ خاليةٌ عَن جميعِ ذلكَ إلى آخرِ عبارتهِ أيْ لأنها واحدةٌ لا تَعدُّدَ فيها ولا تركُّبَ» اهـ.

- وقالَ الشيخُ جمالُ الدّينِ فقيه رحمهُ الله تعالى في كتابهِ «نجمِ المنيرِ في إرشادِ مَن يريدُ السّفرَ إلى الآخرةِ ويَسير» «متكلّمٌ بكلامٍ قديمٍ أزليّ ليسَ بحرفٍ ولا صوتٍ ولا يُشبهُ كلامَ مخلوقٍ بوَجهٍ منَ الوجوهِ» اهـ.

وبهذا يتبيّنُ لمن أرادَ الحقَّ أنَّ الشّيخَ المحدّثَ الحافظ الفقيهَ اللغويَّ الشيخَ عبدَ الله الهرريَّ موافقٌ لعلماءِ الحبشةِ مِن أهلِ السّنةِ والجماعةِ في المعتقَدِ بلْ لعلماءِ أهلِ السّنةِ والجماعةِ قاطبةً في القديمِ والحديثِ. وقَد خالفَ الوهابيةُ في مَا اعتقدوهُ في الله تَعالى مُعتقدَ أهلِ السّنةِ والجماعةِ فنَسبوا إليهِ تَعالى الجسمَ ووصفوهُ بالأعضاءِ وشبّهوهُ بخلقهِ فقالوا يجلسُ على العرشِ ومنهُم مَن قالَ يجلسُ على الكرسيّ ومنهُم مَن قالَ يتحيّزُ في السّماءِ وقالوا ينْزلُ إلى السّماءِ الدّنيا نُزولا حِسّيًّا بالانتقالِ مِن عُلوٍ إلى سُفلٍ ولا يخلُو منهُ العَرشُ وحدّوهُ بجهةِ فَوق وخصّصوهُ بالمكانِ وقالوا بحلولِ الحوادثِ في ذاتهِ وقالوا كلامهُ بالحرفِ والصّوتِ وإنهُ يتكلّمُ إذا شاءَ ويسكتُ إذا شاءَ، سبحانهُ عمّا يقولُ الظالمونَ علوًّا كبيرًا.

والله تعالى أعلَمُ وأحكمُ.

فهرس الآيات

سورة الفاتحة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة الأنعام

سورة الأعراف

سورة الأنفال

سورة التوبة

سورة يونس

سورة هود

سورة يوسف

سورة الرعد

سورة إبراهيم

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة مريم

سورة طه

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة النور

سورة الفرقان

سورة الشعراء

سورة النمل

سورة القصص

سورة السجدة

سورة الأحزاب

سورة فاطر

سورة يس

سورة الصافات

سورة ص

سورة الزمر

سورة غافر

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الأحقاف

سورة محمد

سورة الفتح

سورة الحجرات

سورة ق

سورة الذاريات

سورة الطور

سورة النجم

سورة القمر

سورة الرحمن

سورة الواقعة

سورة الحديد

سورة المجادلة

سورة الحشر

سورة الطلاق

سورة التحريم

سورة الملك

سورة القلم

سورة الحاقة

سورة الجن

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة النازعات

سورة التكوير

سورة الأعلى

سورة الفجر

سورة التين

سورة الإخلاص

فهرس الأحاديث

فهرس المصادر والمراجع

- ابن أبي العز المجسم. **شرح الطحاوية**. المسمى المكتب الإسلامي: بيروت.
- ابن أبي حاتم. **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**. مكتبة نزار مصطفى الباز: المملكة العربية السعودية. ١٤١٩هـ.
- ابن أبي شيبة. **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**. دار التاج. ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ابن أمير الحاج. **التقرير والتحرير في علم الأصول**. دار الفكر: بيروت. ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ابن الأثير. **النهاية في غريب الأثر**. المكتبة العلمية: بيروت، ١٣٩٩هـ-١٩٩٧م.
- ابن الجوزي. **العلل المتناهية**. دار الكتب العلمية: بيروت.
- ابن الجوزي. **الموضوعات**. المكتبة السلفية: المدينة المنورة. ج١، ٢: ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.
- ج٣: ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- ابن الجوزي. **تلبيس إبليس**. دار الفكر: بيروت. ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
- ابن الجوزي. **دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه**. المكتبة الأزهرية للتراث.
- ابن الجوزي. **زاد المسير في علم التفسير**. دار الكتاب العربي: بيروت. ١٤٢٢هـ.
- ابن الجوزي. **صيد الخاطر**. دار الكتب العلمية: بيروت.
- ابن الجوزي. **كشف المشكل من حديث الصحيحين**. دار الوطن: الرياض. ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ابن الجوزي. **مناقب أحمد بن حنبل**. دار هجر. ١٤٠٩هـ.
- ابن الصلاح. **أدب المفتي والمستفتي**. عالم الكتب: بيروت. ط١، ١٤٠٧هـ.
- ابن الصلاح. **فتاوى ابن الصلاح**. مكتبة العلوم والحكم، عالم الكتب: بيروت. ١٤٠٧هـ.
- ابن الصلاح. **معرفة أنواع علوم الحديث**، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح. دار الفكر المعاصر: بيروت. ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- ابن المبارك. **غريب القرآن وتفسيره**. عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن المعلم القرشي. **نجم المهتدي ورجم المعتدي**. دار التقوى: دمشق. ط١، ١٤٤١هـ -

٢٠١٩م.

- ابن الهدى الصيادي الرفاعي. **مراحل السالكين**. دار الآفاق العربية. ٢٠١٠م.
- ابن بطال. **شرح صحيح البخاري**. مكتبة الرشد: الرياض. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- ابن باز المجسم. **التحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة**. المسمّاة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - وكالة المطبوعات والبحث العلمي. ١٤٢٥هـ.
- ابن باز المجسم. الكتاب المسمى **تأويلات على من أنكر الصفات**.
- ابن باز المجسم. **تعليقه على فتح الباري**. دار المعرفة: بيروت.
- ابن باز المجسم. المسمى **تنبيهات في الرد على من تأول الصفات**. الرئاسة العامة للإفتاء: الرياض.
- ابن باز المجسم. **فتاوى في العقيدة**.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **الرسالة التدمرية**. مكتبة العبيكان. ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **الرد على المنطقيين**. دار المعرفة: بيروت، لبنان.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **الرد على من يقول بفناء الجنة والنار**. دار بلنسية. ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **الفتاوى الكبرى لابن تيمية**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. المسمى **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**. دار عالم الكتب: بيروت - لبنان. ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. المسمى **الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان**. مكتبة دار البيان: دمشق. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. المسمى **الكلم الطيب**. دار الفكر اللبناني للطباعة والنشر: بيروت. ١٤٠٧هـ - ١٩٧٨م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **المسودة في أصول الفقه**. دار الكتاب العربي.
- ابن تيمية الحراني المجسم. المسمى **بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية**. مجمع

الملك فهد لطباعة المصحف الشريف. ١٤٢٦هـ.

- ابن تيمية الحراني المجسم. المسمى **حجاب المرأة ولباسها في الصلاة**. المسمى المكتب الإسلامي. ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **رسالة في صفة الكلام**. دار الهجرة: بيروت.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **شرح حديث النزول**. المسمى المكتب الإسلامي: بيروت- لبنان. ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **شرح حديث عمران بن الحصين**. مؤسسة الريان. ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. المسمى **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**. مكتبة الفرقان: عجمان. ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **مجموعة تفسير**.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **مجموع الفتاوى**. دار الوفاء. ط٣، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **منهاج السنة النبوية**. جامعة محمد بن سعود. ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٩٨٥م.
- ابن تيمية الحراني المجسم. **نقد مراتب الإجماع**. دار ابن حزم: بيروت. ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
- ابن حجر العسقلاني. **الإصابة في تمييز الصحابة**. دار الجيل. ط١.
- ابن حجر العسقلاني. **المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية**. دار الغيث: السعودية. ط١، ١٤١٩هـ.
- ابن حجر العسقلاني. **تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤١٩-١٩٩٨م.
- ابن حجر العسقلاني. **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. دار المعرفة: بيروت، ١٣٩٧هـ.
- ابن حجر العسقلاني. **نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**. مخطوط.
- ابن حجر الهيتمي. **الفتاوى الحديثية**. دار الفكر: بيروت.

- ابن حجر الهيتمي. **المنهاج القويم شرح المقدمة الحضرمية**. دار الكتب العلمية. ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ابن حجر الهيتمي. **حاشية ابن حجر الهيتمي على شرح الإيضاح في مناسك الحج للنووي**. دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان. ٢٠١٤م.
- ابن حجر الهيتمي. **فتاوى الرملي بهامش الفتاوى الكبرى**.
- ابن حجر الهيتمي. **مطلب في عقيدة الإمام أحمد رضي الله عنه وأرضاه**. مطبعة مصطفى الحلبي، ط٢.
- ابن حزم. **المحلى**. دار الآفاق الجديدة: بيروت.
- ابن حزم. **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**. دار الكتب العلمية: بيروت.
- ابن رجب. **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم**. دار ابن الجوزي.
- ابن شاكر الكتبي. **عيون التواريخ**. مخطوط.
- ابن عادل. **اللباب في علوم الكتاب**. دار الكتب العلمية: بيروت.
- ابن عبد البر. **الاستيعاب في معرفة الأصحاب**. دار الجيل: بيروت. ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ابن عبد البر. **التمهيد لما في موطأ مالك من الأسانيد**. مؤسسة القرطبة.
- ابن عبد البر. **جامع بيان العلم وفضله**. دار الكتب العلمية: بيروت، ١٣٩٨هـ.
- ابن عساكر. **إتحاف الزائر وإطراف المقيم للسائر في زيارة النبي ﷺ**. ط١، شركة دار الأرقم ابن أبي الأرقم.
- ابن عساكر. **تبيين كذب المفتري**. دار الفكر: دمشق. ١٣٩٩هـ.
- ابن عساكر. **تاريخ دمشق**. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ابن عطية. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤٢٢هـ.
- ابن عابدين. **رد المحتار على الدر المختار**. دار الفكر: بيروت. ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ابن فورك الأصبهاني. **مشكل الحديث وبيانه**. عالم الكتب: بيروت١٩٨٥م.
- ابن قيم الجوزية المجسم. **الروح**. دار الكتاب العربي: بيروت.

- ابن قيم الجوزية المجسم. **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة**. دار العاصمة: الرياض - المملكة العربية السعودية. ١٤٠٨هـ.
- ابن قيم الجوزية المجسم. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**. دار الكتب العلمية: بيروت.
- ابن كثير. **البداية والنهاية**. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ابن كثير. **تفسير القرآن العظيم**. دار طيبة. ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ابن منظور. **لسان العرب**. دار صادر : بيروت. ١٤١٤هـ.
- ابن هشام. **مغني اللبيب**. دار الفكر: بيروت.
- أبو إسحاق الزجاج. **معاني القرآن وإعرابه**. عالم الكتب: بيروت. ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي. **تفسير النسفي** (مدارك التنزيل وحقائق التأويل). دار الكلم الطيب: بيروت. ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- أبو الحسن الأشعري. **الإبانة عن أصول الديانة**. دار الأنصار: القاهرة، ط١، ١٣٩٤هـ.
- أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**. دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- أبو العباس البوصيري. **إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة**. دار الوطن للنشر: الرياض. ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- أبو الفتح بدر الدين بن أبي الحاج سرور. **إيضاح المعان من إفادة الإخوان**. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي. ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.
- أبو الفضل التميمي. **اعتقاد الإمام المبجل أحمد بن حنبل**. دار الكتب العلمية: بيروت.
- أبو القاسم الأنصاري. **شرح الإرشاد**. مخطوط.
- أبو القاسم التيمي. **الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة**. دار الراية: السعودية- الرياض. ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- أبو الهدى الصيادي الرفاعي. **الكوكب الدري**.
- أبو بكر الجزائري. الكتاب المسمى **عقيدة المؤمن**. مكتبة الكليات الأزهرية. ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- أبو بكر الخوارزمي. **مفيد العلوم ومبيد الهموم**. المكتبة العصرية: بيروت. ١٤١٨هـ.

- أبو بكر أحمد البزار. **مسند البزار**. ط١، مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة.
- أبو بكر بن أبي داود السجستاني. **كتاب المصاحف**. الفاروق الحديثة: مصر - القاهرة. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد. **مسند ابن أبي شيبة**. ط١، دار الوطن: الرياض.
- أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي. **مسند الحميدي**. دار السقا: دمشق - سوريا. ١٩٩٦م.
- أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي. **الشرح الميسر على الفقهين الأبسط والأكبر**. دار الفرقان: عجمان. ط١، ١٩٩٩م.
- أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي. **الوصية**. انظر مجموعة رسائل أبي حنيفة.
- أبو حيان الأندلسي. **تفسير البحر المحيط**. دار الفكر: بيروت. ١٤٢٠هـ.
- أبو حيان الأندلسي. **تفسير النهر الماد**. مؤسسة الكتب الثقافية. ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- أبو حامد الغزالي. **إحياء علوم الدين**. دار المعرفة: بيروت.
- أبو حامد الغزالي. **الاقتصاد في الاعتقاد**. دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- أبو حامد الغزالي. **معالم الحق**.
- أبو داود. **سنن أبي داود**. دار الكتب العلمية: بيروت.
- أبو سعد النيسابوري. **شرف المصطفى**. دار البشائر الإسلامية: مكة. ١٤٢٤هـ.
- أبو سعيد الخادمي. **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية**. مطبعة الحلبي. ١٣٤٨هـ.
- أبو طالب المكي. الكتاب المسمى **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**. دار الكتب العلمية: بيروت، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- أبو عبد الله الحَلِيمي. **المنهاج في شعب الإيمان**. دار الفكر. ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- أبو عبد الله الحاكم. **المستدرك على الصحيحين**. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- أبو عبد الله السنوسي. **متن السنوسية**.

- أبو عبد الله محمد البخاري. **الأدب المفرد**. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع: الرياض. ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

- أبو عبد الله محمد البخاري. **صحيح البخاري**. عالم الكتب: بيروت. ط٤، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

- أبو محمد علي بن حزم الظاهري. **مراتب الإجماع في العبادات والمعاملات والاعتقادات**. دار الكتب العلمية: بيروت.

- أبو منصور البغدادي. **أصول الدين**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

- أبو منصور البغدادي. **الفرق بين الفرق**. دار الآفاق الجديدة: بيروت. ط٢، ١٩٧٧.

- أبو منصور الماتريدي. **التوحيد**. دار الجامعات المصرية: الإسكندرية.

- أبو نعيم الأصبهاني. **حلية الأولياء**. دار الكتاب العربي: بيروت. ط٤، ١٤٠٥هـ.

- أبو هلال العسكري. **الفروق اللغوية**. مؤسسة النشر الإسلامي.

- أبو يعلى. **مسند أبي يعلى**. دار المأمون للتراث: دمشق. ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.

- أحمد آل بوطامي. **تطهير الجنان والأركان**. مكتبة العلم: القاهرة.

- أحمد البوصيري. **مصباح الزجاجة**. دار العربية: بيروت. ١٤٠٣هـ.

- أحمد الرفاعي. **البرهان المؤيد**. دار الكتاب النفيس: بيروت وحلب، ط١، سنة ١٤٠٨هـ.

- أحمد الرفاعي. **كتاب الحكم**. مكتبة الشرق الجديد: بغداد. ١٩٩٠م.

- أحمد بن الصديق الغماري. **المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير**. دار المشاريع: بيروت. ٢٠٠٨م.

- أحمد بن حنبل. **العلل ومعرفة الرجال**. دار الخاني: الرياض. ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

- أحمد بن حنبل. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**. دار الحديث: القاهرة. ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- أحمد بن حنبل. **مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابن أبي الفضل صالح**. الدار العلمية: الهند.

- أحمد بن زيني دحلان. **أمراء البلد الحرام**. الدار المتحدة للنشر.

- أحمد بن زيني دحلان. **الدرر السنية**. دار غار حراء - مكتبة الأحباب. ٢٠٠٣م.

- أحمد بن زيني دحلان. **فتنة الوهابية.**
- أحمد بن يحيى الونشريسي. **المعيار المعرب.** وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية. ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- إسماعيل حقي. **روح البيان في تفسير القرآن.** دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- الأزهري. **تهذيب اللغة.** دار إحياء التراث العربي: بيروت. ط١، ٢٠٠١م.
- الأسفراييني. **التبصير في الدين.** عالم الكتب: بيروت. ط١، ١٩٨٣م.
- الألباني المجسم. الكتاب المسمى **جلباب المرأة المسلمة.** دار السلام للنشر والتوزيع. ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.
- الألباني المجسم. الكتاب المسمى **صحيح وضعيف سنن أبي داود.** دار نور الإسلام: الإسكندرية.
- الألباني المجسم. **فتاوى الألباني.** مكتب ما يسمى التراث الإسلامي.
- الألباني المجسم. **مختصر العلو.** المسمى المكتب الإسلامي. ١٤١٢هـ-١٩٩١م.
- الألوسي. **روح المعاني.** دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤١٥هـ.
- الأهدل. **الكواكب الدرية.** دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان.
- الآجري. **أخلاق حملة القرآن.** دار عمار. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- الإيجي. **المواقف.** دار الجيل: بيروت. ط١، ١٩٩٧م.
- البغوي. **تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل**، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
- البغوي. **شرح السنة.** المسمى المكتب الإسلامي: دمشق _ بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- البهوتي. **كشاف القناع عن متن الإقناع.** دار الكتب العلمية: بيروت.
- البيضاوي. **تفسير البيضاوي.** دار الفكر: بيروت.
- البيهقي. **الأسماء والصفات.** دار الكتب العلمية: بيروت.
- البيهقي. **الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث.** دار الآفاق الجديدة: بيروت. ط١، ١٤٠١هـ.

- البيهقي. **السنن الصغرى**. جامعة الدراسات الإسلامية: كراتشي. ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- البيهقي. **السنن الكبرى**. دار الباز: مكة المكرمة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- البيهقي. **القضاء والقدر**. مكتبة العبيكان: الرياض - السعودية. ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- البيهقي. **حياة الأنبياء صلوات الله عليهم بعد وفاتهم**. مكتبة العلوم والحكم: المدينة المنورة. ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- البيهقي. **دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤٠٥هـ.
- البيهقي. **شعب الإيمان**. مكتبة الرشد: الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
- البيهقي. **معرفة السنن والآثار**. دار قتيبة: دمشق. ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م.
- البيهقي. **مناقب أحمد**.
- البيهقي. **مناقب الشافعي**. دار النصر: القاهرة.
- البياضي. **إشارات المرام**. دار الكتب العلمية: بيروت. ٢٠٠٧م.
- الباقلاني. **الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**. المكتبة الأزهرية للتراث. ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- الترمذي. **الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية**. دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- الترمذي. **سنن الترمذي**. دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- التفتازاني. **شرح العقيدة النسفية**. مكتبة الكليات الأزهرية. ١٩٨٧م.
- الثعالبي. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ١٤١٨هـ.
- الجويني. **الإرشاد إلى قواعد الأدلة**. مطبعة السعادة: مصر. ١٣٦٩هـ-١٩٥٠م.
- الجويني. **لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة**. عالم الكتب: بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.
- الحطاب الرُّعيني. **مواهب الجليل لشرح مختصر الخليل**. دار عالم الكتب: بيروت. ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- الخطيب البغدادي. **الفقيه والمتفقه**. دار الكتب العلمية: بيروت. ط٢، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- الخطيب البغدادي. **تاريخ بغداد**. دار الكتب العلمية: بيروت.

- الخطابي. **أعلام الحديث**. جامعة أم القرى. ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- الخازن. **لباب التأويل في معاني التنزيل**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤١٥هـ.
- الدارقطني. **سنن الدارقطني**. مؤسسة الرسالة: بيروت – لبنان. ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.
- الدارمي. **الرد على الجهمية**. دار ابن الأثير: الكويت. ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
- الدارمي. **سنن الدارمي**. دار الفكر: بيروت، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- الدمياطي. **إعانة الطالبين**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الذهبي. **التلخيص**. مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية: الهند – حيدرأباد الدكن. ١٣٤٠هـ.
- الذهبي. **العلو للعلي الغفار في إيضاح صحيح الأخبار وسقيمها**. مكتبة أضواء السلف: الرياض. ١٤١٦هـ – ١٩٩٥م.
- الذهبي. **زغل العلم والطلب**. مكتبة الصحوة الإسلامية.
- الذهبي. **سير أعلام النبلاء**. مؤسسة الرسالة: بيروت.
- الذهبي. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**. دار المعرفة: بيروت.
- الرازي. **الجرح والتعديل**. دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- الرازي. **المحصول في علم الأصول**. مؤسسة الرسالة. ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- الرازي. **أساس التقديس في علم الكلام**. مؤسسة الكتب الثقافية.
- الرازي. **مختار الصحاح**. المكتبة العصرية – الدار النموذجية: بيروت – صيدا. ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- الرازي. التفسير الكبير. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ١٤٢٠هـ.
- الراغب الأصفهاني. **المفردات في غريب القرآن**. دار القلم، الدار الشامية: دمشق – بيروت. ١٤١٢هـ.
- الزجاج. **تفسير الأسماء الحسنى**. دار الثقافة العربية: دمشق، ١٩٧٤م.
- الزرقاني. **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤١١هـ.
- الزركشي. **البحر المحيط في أصول الفقه**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

- الزركشي. **تشنيف المسامع**. دار الكتب العلمية: بيروت.
- الزركلي. **الأعلام**. دار العلم للملايين: بيروت. ط١٥، ٢٠٠٢م.
- السبكي. **السيف الصقيل في الرد على ابن زفيل**. مطبعة السعادة: مصر، ط١، ١٣٥٦هـ-١٩٣٧م.
- السبكي. **شفاء السقام في زيارة خير الأنام**. دار الآفاق الجديدة: بيروت.
- السبكي. **طبقات الشافعية الكبرى**. هجر للطباعة والنشر والتوزيع. ١٤١٣هـ.
- السبكي. **فتاوى السبكي**. دار المعرفة: بيروت.
- السبكي. **مقدمة الدرة المضية**. مطبعة الترقي: دمشق - الشام. ١٣٤٧هـ.
- السخاوي. **القَوْلُ البَدِيعُ في الصَّلاةِ عَلَى الـحَبِيبِ الشَّفِيعِ**. دار الريان للتراث.
- السخاوي. **المقاصد الحسنة**. دار الكتاب العربي: بيروت.
- السخاوي. **فتح المغيث شرح ألفية الحديث**. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤٠٣هـ.
- السمرقندي. **بحر العلوم**. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١.
- السمرقندي. **الموضح في التفسير**. دار القلم: دمشق. ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- السيوطي. **ألفية السيوطي في علم الحديث**. المكتبة العلمية: بيروت.
- السيوطي. **الأشباه والنظائر**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- السيوطي. **الجامع الصغير من حديث البشير النذير**. مخطوط.
- السيوطي. **الحاوي للفتاوى**. دار الفكر للطباعة والنشر: بيروت - لبنان. ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- السيوطي. **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**. دار هجر. ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- السيوطي. **الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة**. جامعة الملك سعود، الرياض.
- السيوطي. **الوسائل في مسامرة الأوائل**. دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان. ١٩٨٦م.
- السيوطي. **تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي**. مكتبة الرياض الحديثة: الرياض.
- السيوطي. **جمع الجوامع**. الأزهر الشريف - مجمع البحوث الإسلامية. ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

- السيوطي. **شرح السيوطي لسنن النسائي**. مكتب المطبوعات الإسلامية: حلب. ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- الشهرستاني. **الملل والنحل**. مؤسسة الحلبي.
- الشنقيطي. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**. دار الفكر: بيروت. ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- الشيخ بشرى. **تنزيه المجرد بشرح فيض الله المجدد**.
- الشيرازي. **اللمع في أصول الفقه**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- الشاطبي. **الإفادات والإنشادات**. مؤسسة الرسالة: بيروت.
- الطبراني. **المعجم الأوسط**. دار الحرمين: القاهرة، ١٤١٥هـ.
- الطبراني. **المعجم الصغير**. دار عمار: بيروت عمان.
- الطبراني. **المعجم الكبير**. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ط٢.
- الطحطاوي. **حاشية على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح**. المطبعة الكبرى الأميرية: مصر. ١٣١٨هـ.
- العراقي. **الأجوبة المرضية**. مكتبة التوعية الإسلامية: مصر.
- العراقي. **الأمالي**. مكتبة السنة: القاهرة. ١٤١٠هـ.
- العراقي. **طرح التثريب في شرح التقريب**. دار إحياء التراث العربي.
- الفيروزآبادي. **القاموس المحيط**. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت – لبنان. ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.
- الفيروزآبادي. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي: القاهرة. ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.
- الفيومي اللغوي. **المصباح المنير**. مكتبة لبنان: بيروت. ط١، ١٩٨٧م.
- القرطبي. **التذكار في أفضل الأذكار**. مكتبة المؤيد: الطائف.
- القرطبي. **التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة**. دار الكتب العلمية: بيروت.
- القرطبي. **الجامع لأحكام القرآن**. دار الكتب المصرية: القاهرة. ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

- القرطبي. **المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم**. دار ابن كثير. ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

- القشيري. **رسالة القشيري**. دار الكتاب العربي: بيروت.

- القلقشندي. **سبائك الذهب**. دار إحياء العلوم: بيروت.

- القنوجي. الكتاب المسمى **الدين الخالص**. دار الكتب العلمية: بيروت.

- القونوي الحنفي. **القلائد شرح العقائد**. مخطوط.

- القاضي عياض. **إكمال المعلم شرح صحيح مسلم**. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع: مصر. ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

- القاضي عياض. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**. دار الفكر: بيروت.

- الكوثري. **تعليق الكوثري على السيف الصقيل**. المكتبة الأزهرية للتراث.

- الكوثري. **مقالات الكوثري**. دار الأحناف: الرياض.

- اللالكائي. **اعتقاد أهل السنة**. دار طيبة: الرياض، ١٤٠٢هـ.

- الماتريدي. **تأويلات أهل السنة**. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ٢٠٠٥م.

- الماوردي. **النكت والعيون**. دار الكتب العلمية: بيروت.

- المتولي. **الغنية في أصول الدين**. مؤسسة الخدمات والأبحاث الثقافية: بيروت. ط١، ١٩٨٧م.

- النسائي. **سنن النسائي الكبرى**. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

- النووي. **الأذكار النووية**. دار الفكر: بيروت. ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

- النووي. **التقريب والتيسير لمعرفة سنن البشير النذير في أصول الحديث**. دار الكتاب العربي: بيروت. ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م.

- النووي. **المجموع شرح المهذب**. دار الفكر: بيروت.

- النووي. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ط٢، ١٣٩٢هـ.

- النووي. **تهذيب الأسماء واللغات**. دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان.

- النووي. **روضة الطالبين وعمدة الراغبين**. طبعة المجسم زهير الشاويش: بيروت.

- النووي. **رياض الصالحين**. دار المشاريع: بيروت.
- بدر الدين الزركشي. **تشنيف المسامع بجمع الجوامع**. مؤسسة قرطبة. ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- بدر الدين العينى. **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. دار إحياء التراث العربي: بيروت.
- بدر الدين بن جماعة. **إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل**. دار السلام ط١، ١٩٩٠م.
- بشرى بن أبي محمد. حديقة الإخوان.
- تقي الدين الحصني. **دفع شبه من شبّه وتمرد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد**. دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- تقي الدين النبهاني. الكتاب المسمى **الشخصية الإسلامية**. دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع. ٢٠٠٨م.
- تاج الدين السبكي. **طبقات الشافعية الكبرى**. دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ.
- جلال الدين القزويني. **الإيضاح في علوم البلاغة**. دار إحياء العلوم: بيروت. ط٤، ١٩٩٨م.
- جمال الدين الآني. **كفاية الطالبين في معرفة مهمات الدين**. مصطفى البابي الحلبي: القاهرة. ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.
- جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي. **نهاية السول شرح منهاج الوصول**. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- جمال الدين عبد الله الأنصاري. **أوضح المسالك إلى ألفية الإمام مالك**. دار الفكر: بيروت.
- حسام العقاد. الكتاب المسمى **حلقات ممنوعة**. دار الصحابة للتراث: طنطا.
- زكريا الأنصاري. **أسنى المطالب في شرح روض الطالب**. دار الكتب العلمية: بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٠م.
- زكريا الأنصاري. **طريقة الحصول على غاية الوصول**. دار الكتب العربية الكبرى: مصر. ١٤٢٧هـ.
- زكي الدين المنذري. **الترغيب والترهيب من الحديث الشريف**. دار الكتب العلمية: بيروت. ١٤١٧هـ.
- سيد قطب. الكتاب المسمى **التصوير الفني في القرآن**. دار الشروق: القاهرة.

- سيد قطب. الكتاب المسمى في **ظلال القرآن**. دار الشروق: القاهرة.
- سيف الدين الآمدي. **غاية المرام في علم الكلام**. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية: القاهرة. ط١، ١٩٣١م.
- صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي. **أعيان العصر وأعوان النصر**. دار الفكر المعاصر: بيروت – لبنان. ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- صالح بن فوزان المجسم. الكتاب المسمى **التوحيد**. الرياض.
- صالح بن فوزان المجسم. الكتاب المسمى **من مشاهير المجددين في الإسلام**: ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب. الرئاسة العامة للإفتاء: الرياض.
- ضياء الدين المقدسي. **الأحاديث المختارة**. دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع: بيروت – لبنان. ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.
- عبد الباسط الفاخوري. **الكفاية لذوي العناية**. مؤسسة خليفة للطباعة.
- عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ المجسم. الكتاب المسمى **فتح المجيد**. دار الندوة الجديدة: بيروت.
- عبد الرزاق بن همام الصنعاني. **تفسير عبد الرزاق**. المسمى **المكتب الإسلامي**: بيروت. ط٢، ١٤٠٣هـ.
- عبد الغني الميداني. **اللباب في شرح الكتاب**. المكتبة العلمية: بيروت – لبنان.
- عبد الغني النابلسي. **الفتح الرباني**.
- عبد الكريم الحميد. الكتاب المسمى **القول المختار لفناء النار**. مطبعة السفير: الرياض. ١٤١٢هـ.
- عبد الله الصديق الغماري. **إتقان الصنعة**. عالم الكتب.
- عبد الله الصديق الغماري. **حسن التفهم والدرك لمسألة الترك**. مكتبة القاهرة.
- عبد الله الصديق الغماري. **مرشد الحائر لبيان وضع حديث جابر**. دار المشاريع: بيروت. ط٤.
- عبد الله الهرري. **إظهار العقيدة السنية بشرح العقيدة الطحاوية**. دار المشاريع: بيروت. ط٤، ١٤٣٦هـ – ٢٠١٤م.

- عبد الله الهرري. **الدليل القويم على الصراط المستقيم**. دار المشاريع: بيروت. ط٤، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

- عبد الله الهرري. **الشرح القويم في حل ألفاظ الصراط المستقيم**. دار المشاريع: بيروت. ط٤، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

- عبد الله الهرري. **الصراط المستقيم**. دار المشاريع: بيروت. ط٢١، ١٣٤١هـ-٢٠١٠م.

- عبد الله الهرري. **بغية الطالب**. دار المشاريع. بيروت. ط٣، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- عبد الله الهرري. **صريح البيان**. دار المشاريع: بيروت.

- عبد الله الهرري. **مختصر عبد الله الهرري الكافل بعلم الدين الضروري**. دار المشاريع: بيروت. ط٤، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

- عبد الله بن حميد المجسم. الكتاب المسمى **توجيهات إسلامية**. طبعة وزارة الشؤون الإسلامية: الرياض.

- عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب المجسم. الكتاب المسمى **الهدية السنية**. مطبعة المنار: مصر.

- عبد الوهاب بن أحمد الشعراني. **لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية**. دار القلم العربي: حلب.

- عز الدين بن عبد السلام. **قواعد الأحكام في مصالح الأنام**. دار المعارف: بيروت.

- علي بن محمد بن سنان. **المجموع المفيد من عقيدة التوحيد**. مكتبة دار الفكر: المدينة المنورة.

- عمر بن علي. **جواهر الدرر**.

- **مجلة الأهرام العربي**. مؤسسة الأهرام.

- **مجلة التمدن**. دار البلاد للطباعة والإعلام في الشمال.

- **مجلة منار الهدى**. دار المشاريع.

- **مجلة نور الإسلام**. هيئة علماء الوعظ بالأزهر الشريف.

- محب الدين الخطيب. **تحقيق فتح الباري**. دار الكتب السلفية.

- محمد الزهري الغمراوي. **أنوار المسالك شرح عمدة السالك**. دار عمر بن الخطاب. ٢٠١٠م.

- محمد بن أبي الفتح البعلي. **المطلع على أبواب المقنع**. المسمى المكتب الإسلامي. ١٤٠١هـ-١٩٨٨م.
- محمد بن أحمد باشميل. الكتاب المسمى **كيف نفهم التوحيد**.المسماة الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة. ١٤٠٦هـ.
- محمد الجويجاتي. **كتاب الإصابة في نصرة الخلفاء الراشدين والصحابة**. مكتبة الملك عبد العزيز العامة.
- محمد بن بلبان. **مختصر الإفادات في ربع العبادات والآداب وزيادات**. دار البشائر الإسلامية. ١٩٩٨م.
- محمد بن جرير الطبري. **جامع البيان في تأويل القرآن**. مؤسسة الرسالة: بيروت. ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- محمد بن حبان. **الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان**. مؤسسة الرسالة. ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- محمد بن حبان. **الثقات**. دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن: الهند. ١٣٩٣هـ، ١٩٧٣م.
- محمد بن حبان. **المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين**. دار الصميعي. ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- محمّد بن حميد. **السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة**. مكتبة الإمام أحمد. ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٧م.
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين. المسمى **القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى**. المسماة الجامعة الإسلامية: المدينة المنورة. ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- محمد بن صالح بن محمد العثيمين. **لقاء الباب المفتوح**. لقاءات كان يعقدها بمنزله كل خميس، بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ٤١ صفر، عام ١٤٢١هـ.
- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي. **أحكام القرآن**. دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي. **عارضة الأحوذي**. دار الكتب العلمية: بيروت.

- محمد بن عبد الوهاب النجدي المجسم. **ثلاثة الأصول**. جامعة محمد بن سعود: الرياض – المملكة العربية السعودية.
- محمد بن عبد الوهاب النجدي المجسم. **كشف الشبهات**. المسماة وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد: المملكة العربية السعودية. ١٤١٨هـ.
- محمد بن عبد الوهاب النجدي المجسم. الكتاب المسمى **معلومات من الدين**. مكتبة ابن تيمية: القاهرة. ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- محمد بن هبة الله المكي. **منتخب حدائق الفصول وجواهر العقول**. دار المشاريع: بيروت، ط١، ١٩٩٦م.
- محمد بن يزيد القزويني. **سنن ابن ماجه**. دار الفكر: بيروت.
- محمد بن يوسف الصالحي الشامي. **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**. دار الكتب العلمية: بيروت. ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- محمد حسين فضل الله. **المسائل الفقهية**. دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع. ٢٠١٠م.
- محمد علي التهانوي. **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**. مكتبة لبنان ناشرون: بيروت، ١٩٩٦م.
- محمد ميارة. **الدر الثمين والمورد المعين**. دار الحديث. ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- محمود خطاب السبكي. **مختصر كتاب أعذب المسالك المحمودية إلى منهج السادة الصوفية**.
- مرتضى الزَّبيدي. **إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين**. مؤسسة التاريخ العربي: بيروت. ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- مرتضى الزَّبيدي. **تاج العروس من جواهر القاموس**. دار الهداية.
- مروان القيسي. **معالم الهدى إلى فهم الإسلام**. المسمى المكتب الإسلامي للطباعة والنشر. ١٩٩٠م.
- مسلم بن الحجاج. **الجامع الصحيح**. دار الآفاق الجديدة: بيروت.
- مغلطاي بن قليج. **شرح سنن ابن ماجه**. مكتبة نزار مصطفى الباز: المملكة العربية السعودية. ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- ملا علي القاري. **شرح الفقه الأكبر**. دار الكتب العلمية: بيروت. ط٣، ٢٠١١م.

- مالك بن أنس. **الموطأ**. دار إحياء التراث العربي: بيروت. ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م.
- نور الدين الهيثمي. **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. دار الفكر: بيروت، ط ١٤١٢هـ.
- يوسف القرضاوي. الكتاب المسمى **الحلال والحرام في الإسلام**. مكتبة وهبة للنشر والتوزيع. ٢٠١٣م.
- كتاب **التنبيهات**.
- كتاب **الخلافة**. من منشورات حزب التحرير المنحرف.
- **نشرة جواب وسؤال**. من منشورات حزب التحرير المنحرف.

فهرس الموضوعات